المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
شعبة التفسير وعلوم القرآن



غريب القرآن
عند الإمام الطبري في تفسيره

دراسة نظرية تطبيقية موازنة

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة العالمية العالية (الدكتوراه)
في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب:

عبد الله بن عواد الجهني

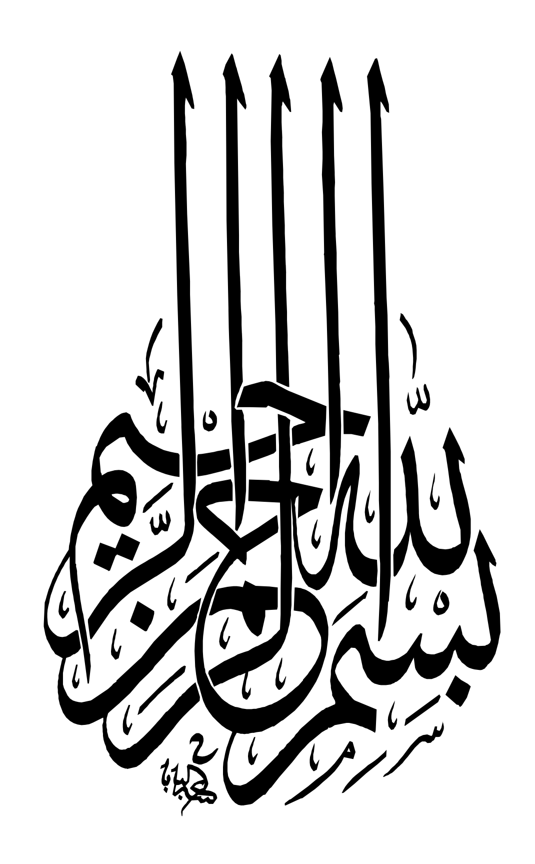
الرقم الجامعي (٤٣٠٧٠٠٩٧)

إشراف فضيلة الشيخ:

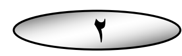
أ.د/ أمين محمد عطيه باشا

استاذ التفسير بقسم الكتاب والسنة

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م




al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين



ملخص الرسالة

عنوان الرسالة: (**غريب القرآن عند الإمام الطبري في تفسيره "دراسة نظرية تطبيقية موازنة"**).

وتتكون من مقدمة، وتمهيد، وقسمين، وخاتمة، وفهارس.

احتوت المقدمة على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، إضافةً إلى الدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

واحتوى التمهيد على ترجمة موجزة عن الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري.

واحتوى القسم الأول على الدراسة النظرية التي توزعت على فصلين، تحدثتُ في الفصل الأول عن الغريب، ونشأته ومراحل تطوره، ومناهج المؤلفين فيه، وأهم الكتب المؤلفة فيه، والفصل الثاني تحدثت فيه عن الغريب عند الطبري ومنهجه في إيراده، وأهم موارده.

واحتوى القسم الثاني على الدراسة التطبيقية التي اشتملت على دراسة لأبرز مواد الغريب الواردة عند الطبري، ومقارنته بأهم كتب الغريب المصنفة قبل الطبري وبعده.

ثم الخاتمة واحتوت على أهم النتائج التي تم التوصل إليها، والتوصيات.

ثم ختمتُ الرسالة بفهارس كاشفة عن محتوياتها.

والحمد لله رب العالمين،،،

الطالب:

عبد الله بن عواد الجهني

Thesis Abstract

Title:(The Strange Words Of Holy Quran By Imam Al Tabary In His Interpretation" Theoretical Practical Comparative Study").

The study consists of introduction, preface, two sections, conclusion, and indexes.

The introduction: included the importance of the subject, reasons of its choice, the previous studies, methodology and plan.

The preface: included a brief autobiography for Abi Jafar Mohammed Bin Jareer Al- Tabary.

The first section: included the theoretical study that is divided into two chapters, in the first chapter I discussed the strange, beginning and development, methodologies of authors, the books written in it, the second chapter in which I discussed the strange of Al-tabary, his methodology in presentation and the most important resources.

The second section: included the practical study that contained the study of most important strange subjects that mentioned by Al-Tabary, compared with the most important books of strange before and after al-Tabary.

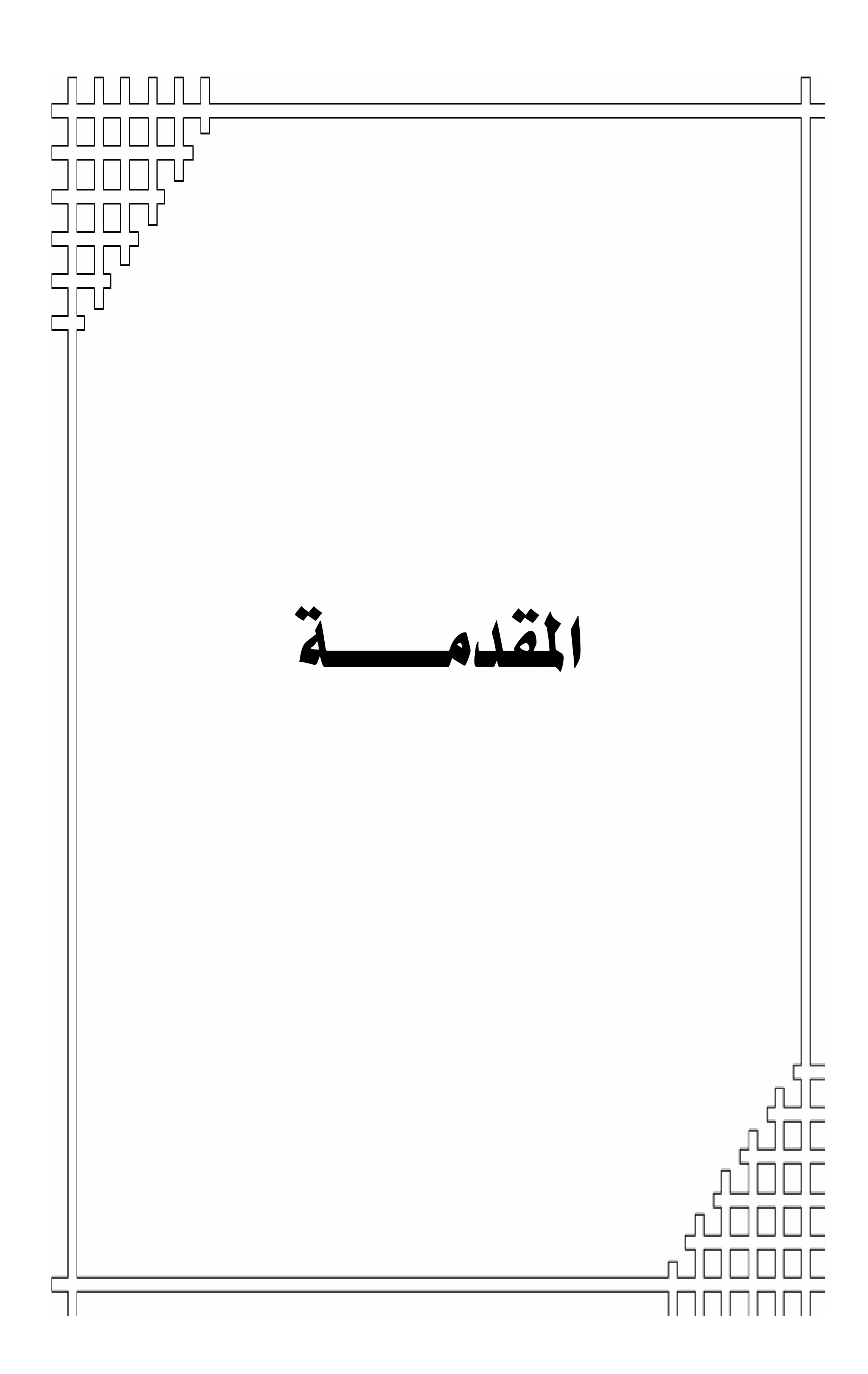
Conclusion: included the most important results.

Then concluded my study with indexes explain the content.



Researcher:

ABDULLAH BIN AWAD AL-JOHANI



المقدمـــــة

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد...

فإن لتفسير الإمام الطبري منزلة كبيرة بين كتب التفسير، بل يعتبر أعظمها وأشهرها، فهو أم التفاسير، والمرجع الأول للمفسرين، كما يعد موسوعة كبرى في مختلف علوم القرآن الكريم ومعارفه.

وقد أشار إلى ذلك الداوودي في طبقات المفسرين حيث نقل عن أبي محمد عبدالله بن أحمد الفرعاني في تاريخه قوله في الطبري : « فتم من كتبه كتاب تفسير القرآن، وجوَّده ، وبيَّن فيه أحكامه ، وناسخه ومنسوخه ، ومشكلة غريبه ، ومعانيه، واختلاف أهل التأويل والعلماء في أحكامه وتأويله ، والصحيح لديه من ذلك ، وإعراب حروفه ، والكلام على الملحدين فيه ، والقصص وأخبار الأُمَّة، والقيامة ، وغير ذلك مما حواه من الحِكم والعجائب كلمة كلمة ، وآية آية ، من الاستعاذة ، وإلى أبي جاد ، فلو ادَّعى عالم أن يُصنِّفَ منه عشرة كتب كل كتاب منها يحتوي على علم مفرد وعجيب مستقصىً لَفَعَلَ »[1].

ومن الأمور التي تميز بها هذا التفسير: الجانب اللغوي ؛ فقد ذكر في مقدمة تفسيره أن من أوجه تأويل القرآن ما كان علمه عند أهل اللسان باللغة.

وقد ظهر ذلك جليا في تفسيره؛ فهو إمام في العربية، عالم بدلالات ألفاظها وتراكيبها، (لذا اعتبر الاستعمالات اللغوية بجانب النقول المأثورة، وجعلها مرجعا موثوقا به عند تفسيره للعبارات المشكوك فيها، وترجيح بعض الأقوال على بعض)[2].

يقول الدكتور محمد حسين الذهبي: « والحق أنَّ ما قدَّمه لنا ابن جرير في تفسيره

(١) طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ١١٤) .

(٢) التفسير والمفسرون (١/ ٢١٧).

من البحوث اللغوية المتعددة ، والتي تعتبر كنزاً ثميناً ومرجعاً مهماً في بابها، أمر يرجع إلى ما كان عليه صاحبنا من المعرفة الواسعة بعلوم اللغة وأشعار العرب ، معرفة لا تقل عن معرفته بالدين والتاريخ، ونرى أن ننبه هنا إلى أن هذه البحوث اللغوية التي عالجها ابن جرير في تفسيره لم تكن أمراً مقصوداً لذاته، وإنما كانت وسيلة للتفسير، على معنى أنه يتوصل بذلك إلى ترجيح بعض الأقوال على بعض ، كما يحاول بذلك – أحياناً – أن يوفق بين ما صح عن السَلَف وبين المعارف اللغوية بحيث يزيل ما يُتوهم من التناقض بينهما » [(١)].

ومن الجوانب اللغوية التي اهتم بها الطبري في كتابه: تفسير المفردات الغريبة، ببيان معانيها ودلالاتها وأصول اشتقاقها.

وربما جاء بيانه لمعاني هذه المفردات أجود من بيان بعض أصحاب المعاجم اللغوية[(٢)].

وقد تنبه لهذا بعض المستشرقين فأشاروا إلى أن ما اضطلع به الطبري في تفسيره للقرآن مما يتصل بالناحية اللغوية لهو ركاز لا تقدر نفاسته في بحث مفردات اللغة(٣).

وقد كان الطبري صاحب منهج متفرد في الاستشهاد بالمأثور على معنى الغريب والنظر إلى سياق الآيات عند بيان معنى الغريب ، وله مناقشات كثيرة مع من سبقه من العلماء .

وقد استخرت الله تعالى واخترت موضوع بحثي لرسالة الدكتوراه بعنوان:

(غريب القرآن عند الإمام الطبري في تفسيره دراسة نظرية تطبيقية موازنة)

---

(١) التفسير والمفسرون (١/ ٢١٩).

(٢) انظر أمثلة لذلك في جامع البيان ت/ أحمد شاكر ومحمود شاكر (١/ ١٧، ١٠٦، ١٣١، ١٥١).

(٣) مذاهب التفسير الإسلامي لجولد زيهر (ص: ١١٥).

۞ أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

سبقت الإشارةُ إلى شيء من ذلك في المقدمة، وهناك نقاط أخرى كثيرة تبيِّن أهمية الموضوع وأسباب اختياره، ومن أبرزها:

١- الحرص على خدمة كتاب الله تعالى .

٢- بيان أهمية موضوع الغريب، والاهتمام به باعتباره موضوعا مهما من موضوعات علوم القرآن .

٣- تحليل موقف الإمام الطبري رحمه الله من الغريب وبيان تفرد منهجه في دراسة الغريب دراسة أثرية لا يكتفي فيها بمجرد النقل اللغوي أو الشاهد الشعري فحسب.

٤- بيان الاختلاف المنهجي بين دراسة الطبري للغريب ودراسة غيره.

٥- الاستفادة من التراث التفسيري الضخم الذي تركه الإمام الطبري في مختلف أنواع علوم القرآن.

٦- إن في دراسة هذا الموضوع عند الطبري رحمه الله جانبا تطبيقيا لموضوع من موضوعات علوم القرآن ، ومعلوم أن الدراسة التطبيقية لها فوائدها الجمة للباحث والقارئ ؛ فهي لا تكتفي بمجرد النقل أو ذكر أقوال السابقين ، بل تضم إليهما الجمع والتنقيح والتحليل والتحرير والمقارنة والموازنة والترجيح مما يجعلها عملا متكاملا تبرز فيه شخصية الباحث فينتفع وينفع .

٧- على كثرة ما كتب الباحثون في الإمام الطبري رحمه الله وتفسيره لم أجد من تعرض للغريب عنده على كثرته وتفرده .

الدراسات السابقة:

لم أجد – على قدر علمي – دراسة مستقلة للغريب عند الإمام الطبري ؛ وإنما يوجد دراسات لبعض موضوعات علوم القرآن عند **الطبري**:

ومنها ما يلي:

١- جهود الطبري في دراسة الشواهد الشعرية في جامع البيان عن تأويل آي القرآن (دراسة لغوية أدبية في تفسير القرآن الكريم) . رسالة مقدمة لنيل الدبلوم العالي بجامعة سيدي محمد بن عبدالله – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – فاس ١٩٩٤ . للباحث : محمد المالكي .

٢- محمد بن جرير الطبري ومنهجه في التفسير . رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه بجامعةالأزهر – كلية أصول الدين – قسم التفسير وعلومه ١٩٧٦ . للدكتور : محمود محمد شبكة .

٣- الطبري ومباحثه اللغوية من خلال تفسيره لسورة النساء . لنور الدين صمُّود. طبع الشركة التونسية للتوزيع .

٤- دقائق لغة القرآن في تفسير ابن جرير الطبري . للدكتور عبد الرحمن عميرة . طبع دار عالم الكتب ببيروت ١٩٩٢ .

٥- الطبري النحوي من خلال تفسيره للدكتور زكي فهمي أحمد شوقي الألوسي – دار الشؤون الثقافية العامة ، الطبعة الأولى بغداد ٢٠٠٢ .

٦- الشواهد النحوية من غير القرآن الكريم في تفسير الطبري جمعاً ودراسة، للباحث بندر حمدان الشمري ، ماجستير ، جامعة الإمام .

٧- المجاز القرآني في تفسير الطبري، للباحث عطية مطر دكتوراه ١٩٨٧م جامعة القاهرة .

٨- النحو الكوفي في تفسير الطبري / عدنان أمين محمد ، ماجستير

٩- تفسير الطبري : دراسة لغوية / عبد الصمد جبار توفيق ، دكتوراه

١٠- الطبري وجهوده في اللغة والنحو / عدنان محمد أمين ، ماجستير

١١- منهج الطبري في التفسير / عبده عوض إبراهيم عثمان ، ماجستير

١٢- دراسة الطبري للمعنى من خلال تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن/ محمد المالكي ، دكتوراه.

١٣- ظاهرة الحذف في تفسير الطبري، دراسة أسلوبية، / شمس الضحى مراكشي ، دكتوراه، جامعة محمد الخامس بفاس.

١٤- النحو في تفسير ابن جرير الطبري / عبد الرؤوف محمد احمد عثمان ، دكتوراه.

١٥- الجهود النحوية في تفسير الطبري / أمان الله محمد حتحات ، ماجستير

١٦- الخلافات النحوية في تفسير الطبري وأثرها في المعنى / صالح بن إبراهيم الفراج.

ويلاحظ أن الرسائل السابقة إما أنها تتكلم عن منهج الطبري على وجه العموم، أو تعالج بعض القضايا اللغوية أو النحوية من خلال تفسيره ، لكن ليس فيها رسالة واحدة متخصصة في موضوع مادة الغريب في تفسيره ، مما يجعل بحثي غير مسبوق والحمد لله رب العالمين .

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وقسمين، وخاتمة، وفهارس، وهي كما يأتي:

١. **المقدمـــة**، وتشمـل الآتـي:

١- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

٢- الدراسات السابقة.

٣- خطة البحث.

٤- منهج البحث.

٢. **التمهيد** : وفيه حديث موجز عن الإمام الطبري.

٣. **القسم الأول**: **الدراسة النظرية**، وتشتمل على فصلين:

الفصل الأول: الغريب : تعريفه ونشأته وتطوره ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: تعريف الغريب لغةً واصطلاحاً.

المبحث الثاني: نشأته وتطوره.

المبحث الثالث: مناهج المؤلفين فيه وأهم المؤلفات.

الفصل الثاني: الغريب في تفسير الطبري، ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : منهج الطبري في عرض الغريب.

المبحث الثاني : خصائص منهج الطبري في الغريب.

المبحث الثالث : موارد الطبري في غريب القرآن.

٤. **القسم الثاني : الدراسة التطبيقية** :

ويشمل الجانب التطبيقي؛ وذلك بدراسة أبرز مواد الغريب عند الطبري، وتحليلها ومقارنتها بغيرها من كتب التفسير، وإظهار الفرق بين المفردة اللغوية عند الطبري وعند غيره من القدامى من أمثال أبي عبيدة، والفراء، والأخفش، ومن المتأخرين مثل أبي حيان .

٥. **الخاتمـــة**: وفيها أهم نتائج البحث، وتوصيات الباحث.

٦. **الفهـــارس**: وتتضمن الآتي:

- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الآثار.
- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- فهرس الغريب.
- فهرس الأبيات الشعرية.
- ثبت المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

المنهج المتبع في البحث:

المنهج المتبع في إخراج البحث هو المنهج الانتقائي التحليلي، وتتمثل أهم مفرداته وخطواته في التالي:

٧. **الجانب التطبيقي**:

١-جمع مفردات الغريب الموجودة عند الإمام الطبري وترتيبها على السور.

٢-دراسة أبرز هذه المواد ، وذلك بالرجوع إلى كتب اللغة وكتب الغريب و معاني القرآن.

٣-بيان من وافق الطبري فيما ذهب إليه ومن خالفه.

٤-ذكر وتقييم الأدلة التي استشهد بها الطبري .

٥-النظر في الأدلة الأخرى التي تؤيد الوجه الذي ذهب إليه .

٦-النظر في أدلة المخالفين وتوجيهها.

٧-الترجيح عند الاختلاف مع ذكر الدليل.

٨-بيان موقف المفسرين وأصحاب المعاني وأهل اللغة من تفسير اللفظ الغريب.

٩-بيان الأقوال الأخرى الواردة في تفسير اللفظ .

١٠-استخلاص منهج الطبري في الغريب من خلال دراسة هذه النماذج .

٨. **الجانب النظري:**

١- دراسة تاريخ وحياة الإمام الطبري .

٢- دراسة وتحليل موارد الغريب عند الطبري .

٣- عمل إحصاء بعدد مرات استفادته من كل كتاب سبقه .

٤- عمل إحصاء بنسبة الموافقة والمخالفة .

٥- دراسة تأثر الطبري بمن سبقه .

٦- دراسة تأثر اللاحقين بتفسير الغريب عند الطبري .

٧- دراسة استشهاد الطبري بالآثار في تفسير الغريب .

٨- دراسة استشهاد الطبري بالشعر في تفسير الغريب .

هذا مع الاهتمام بالأمور العامة التي هي من مستلزمات البحث العلمي ، ومن ذلك :

١- عزو الآيات وكتابتها بالرسم العثماني .

٢- تخريج الأحاديث والآثار والحكم على إسنادها إن كانت في غير الصحيحين .

٣- نسبة الأبيات الشعرية إلى قائليها أو إلى أماكن وجودها .

٤- التعريف بالأماكن والبلدان وغير ذلك .

٥- عمل الفهارس العلمية المتنوعة ومنها فهارس الغريب.



۞ شكر وتقدير:

أحمد الله تعالى حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأثني عليه الخير كله على ما أنعم به عليّ من نعمه الكثيرة التي لا أحصيها.

فله الحمد أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، لا أحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه.

وبالشكر الجزيل – بعد شكر الله – لوالدي الكريمين، اللذين كان لهما الفضل بعد الله في كلِّ ما أصبو إليه ، فلهما عظيم الشكر وأوفر التقدير، فجزاهما الله عنّي خير ما جزى والدين عن ولدهما، وغفر للوالدة ورحمها وجمعني بها في مستقر رحمته وكرامته، ومتع الوالد بالصحة والعافية، وأطال بقاءه على العمل الصالح.

ثم أثني بعظيم الشكر وموصول الدعاء وحسن الذكر لسماحة الوالد الشيخ/ عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ المفتي العام ورئيس هيئة كبار العلماء – حفظه الله تعالى – وجزاه الله عني خيرا، حيث اكتنفني بعونه وغمرني بسماحته وكان له سببٌ في إلتحاقي بهذه الجامعة المباركة، فأسأل الله تعالى بأسماءه الحسنى وصفاته العلى أن يطيل في عمره على طاعته ومرضاته وأن يبارك في أهله وولده ويزيده علماً وخشية، وأن يبوءه منازل الصديقين والشهداء والصالحين إنه ولي ذلك والقادر عليه، كما لا يفوتني أن أشكر جامعة أم القرى ممثلةً في مديرها الفاضل ووكلائها، وأخص بالشكر كلية الدعوة ممثلة بعميدها ووكلائها، وأخص بالشكر رئيس قسم الكتاب والسنة، فضيلة الأستاذ الدكتور/ **غالب بن محمد الحامضي**. لما أكرموني به من فرصة المشاركة في البحث العلمي وموافقتهم على هذا الموضوع البناء في محاولة جادة إبراز الجهود التي تخدم كتاب الله تعالى.

ثمّ أثلّث بالعرفان الجميل لمن لا أجد له كلمات أعبِّر بها عما يجول في خاطري من شكر وتقدير، ذلكم المربي الجليل، والشيخ الفاضل، فضيلة الأستاذ الدكتور/ **أمين**

محمد عطيه باشا، الذي أولاني من اهتمامه ووقته وتوجيهه الشيء الكثير وكان دافعًا لي ومعينا لي بعد الله في إتقان هذا البحث وسرعة إنجازه فقد بذل لي من وقته الغالي والثمين، كل ذلك بخلق حسن، وتواضع جم، وصدر رحب، فاستفدت من خلقه، وعلمه؛ فأسأل الله أن يبارك في وقته، وجهده، وذريته، وأن يجزيه عنّي خير ما جزى شيخاً عن تلميذه.

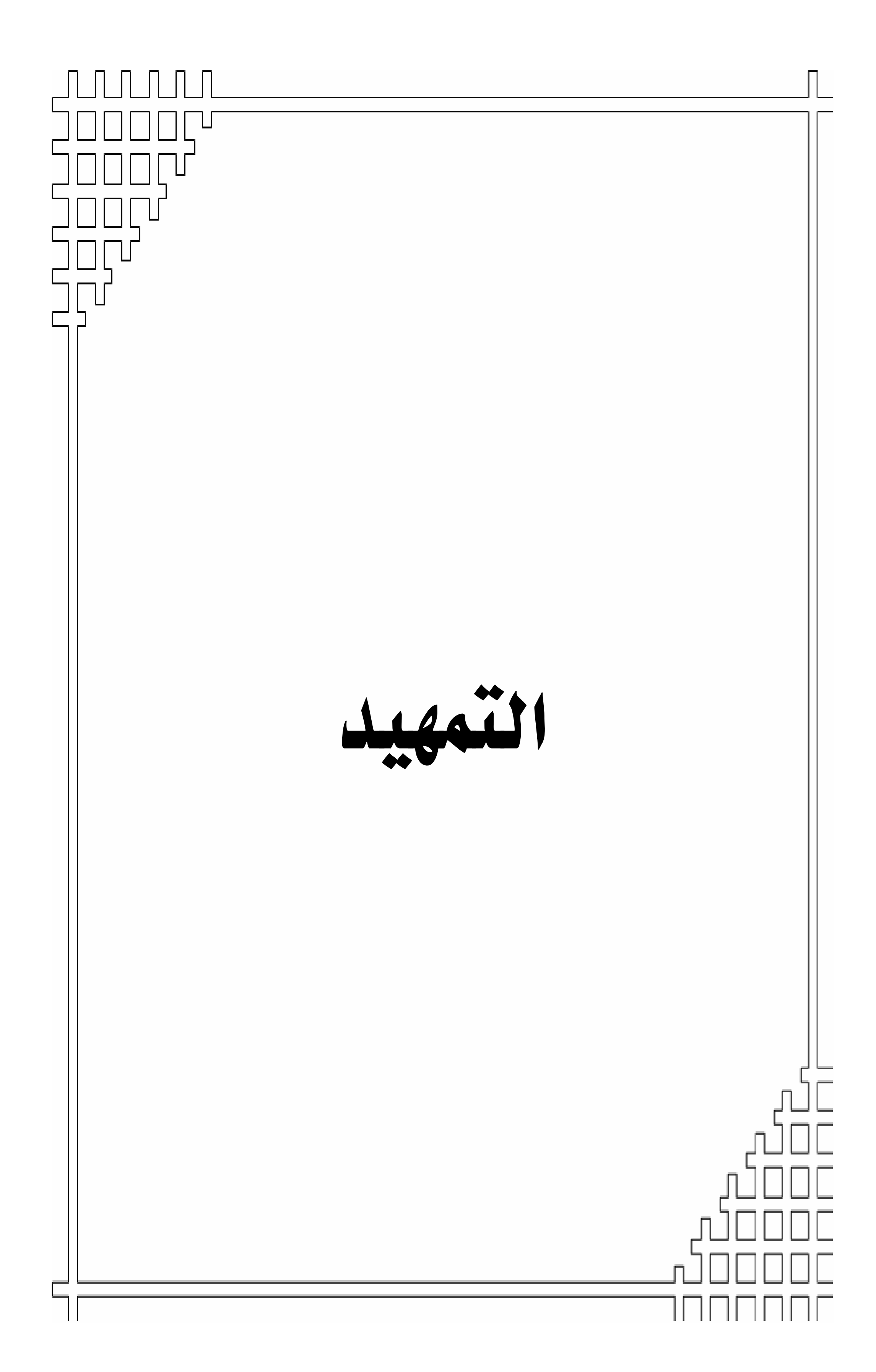
كما أشكر كل من ساهم وأعان على إتمام هذا العمل برأي أو فكرة أو تشجيع أو إعارة كتاب، جزى الله الجميع خير الجزاء، وكفّر الله عنهم سيئاتهم، وأصلح بالهم، وأمدّ في أعمارهم على عمل صالح يُرضيه.

وأخيراً: فإنّ هذه الرسالة جهد مقلّ، فما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان فيها من خطأ وتقصير فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله منه.

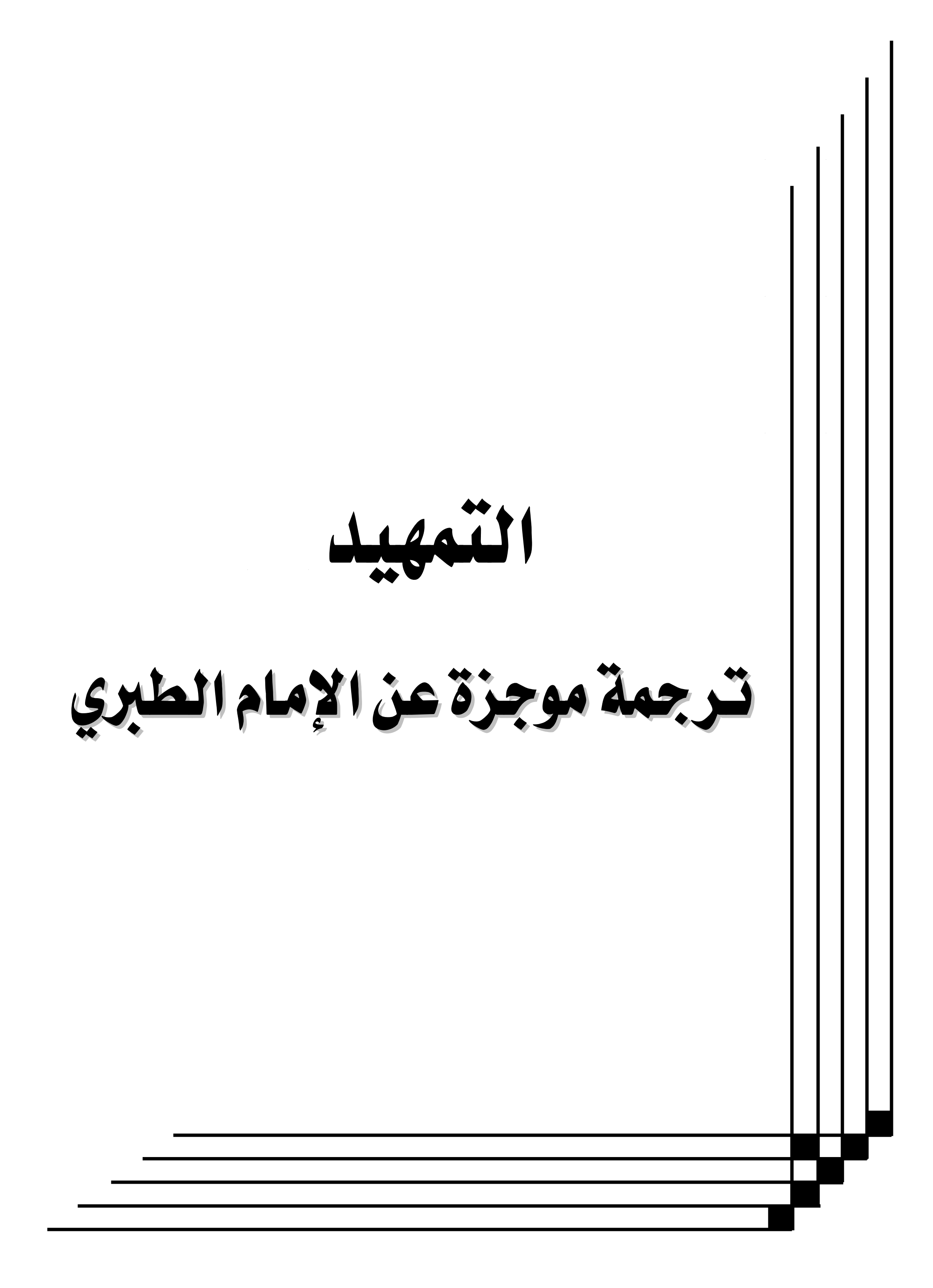
هذا والله أسأل أن يلهمنا رشدنا، وأن يوفقنا للصواب، ويجنبنا الخطأ والزلل، وأن يجعل ذلك خالصاً لوجهه الكريم، وينفع به النفع العميم، وذخراً لي يوم الدين، كما أسأله سبحانه العلم النافع والعمل الصالح، والثبات على الدين، إنه قريب مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



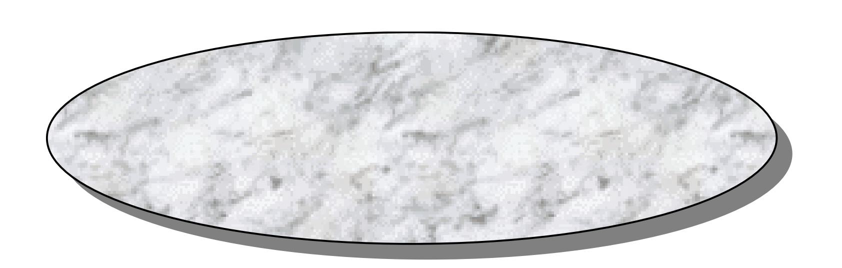


التمهيد



التمهيد

ترجمة موجزة عن الإمام الطبري



ترجمة موجزة[1] عن الإمام الطبري

(١) لم أرد التوسع كثيراً في ترجمة الإمام الطبري – رحمه الله – فلقد حظي هذا الإمامُ الجليل بدراساتٍ واسعة، وترجماتٍ متنوّعة، شملت سيرتَه ومؤلّفاته المختلفة في فنون العلم، لذا رأيت أن تكون دراستي عنه في هذا البحث مختصرة، ولا حاجة للتَّكْرَار، لكنّي سأشير إلى تلك الكتب والرّسائل التي تناولت ترجمتَه، أو دراسةَ مؤلّفاتِه، أو منهجَه فيها، وذلك لِمَن أراد الاستزادة في الوقوف على معرفة هذا الإمام الذي طبَّقَت شهرتُه الآفاق.

وهذه الدّراسات منها ما تضمّنته كتبُ التّراجمِ العامة، ومنها رسائل جامعيّة، ومنها مؤلّفاتٌ خاصّة.

أولاً: كتب التّراجم:

الفهرست لابن النّديم ت٤٣٨هـ (ص٢٨٧) ، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ت ٤٦٣هـ (٢/ ١٦٢-١٦٩)، طبقات الفقهاء للشيرازي ت٤٧٦هـ (ص٩٣)، الأنساب للسمعاني ت٥٦٢هـ (٤/ ٤٦)، تاريخ دمشق لابن عساكر ت٥٧١هـ (١٥/ ١٦٠)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي ت٥٩٧هـ (١٣/ ٢١٥)، معجم الأدباء لياقوت الحموي ت٦٢٦هـ (١٨/ ٤٠-٩٤) وفيه ترجمة حافلة منقطعة النّظير، بلغت (٥٠) صفحة من الكتاب، وهي من أوسع ما كتب عن الطّبريّ غير المؤلفات الخاصّة، واعتمد في ذلك على ما كتبه عبد العزيز بن محمّد الطّبريّ، وأبو بكر بن كامل، الكامل لابن الأثير ت٦٣٠هـ (٨/ ٤٢)، المحمّدون من الشّعراء للقفطيّ ت٦٤٦هـ ، وكتابه الآخر إنباه الرّواة عن أنباء النّحاة (٣/ ٨٩)، وله مؤلّف آخر مستقلٌّ في سيرة الطّبريّ ذكره في الإنباه (٣/ ٩٠) سمّاه "التّحرير في أخبار محمّد بن جرير"، تهذيب الأسماء واللّغات للنّوويّ ت٦٧٦هـ

= ⇦

=

(١/ ٧٨)، وَفَيَات الأعيان لابن خلّكان ت٦٨١هـ (٤/ ١٩١)، تذكرة الحفّاظ للذّهبيّ ت٧٤٨هـ (٢/ ٧١٠)، وطبقات القرّاء له (١/ ٢١٢)، العبر في أخبار من غبر له (١/ ٤٦٠)، ميزان الاعتدال له (٣/ ٤٩٨)، سير أعلام النّبلاء له (١٤/ ٢٦٧)، الوافي بالوفيات للصّفديّ ت٧٦٤هـ (٢/ ٢٨٤)، طبقات الشّافعيّة الكبرى للسّبكيّ ت٧٧١هـ (٣/ ١٢٠)، البداية والنّهاية لابن كثير ت٧٧٤هـ (١٤/ ٨٤٦)، طبقات القرّاء لابن الجزري ت٨٣٣هـ (٢/ ١٠٦)، لسان الميزان لابن حجر العسقلانيّ ت٨٥٢هـ (٥/ ١٠٠)، مرآة الجنان وعيون اليقظان في معرفة حوادث الزّمان لليافعي ت٨٦٨هـ (٢/ ٢٦٠)، النّجوم الزّاهرة لابن تغري بردي ت٨٧٤هـ (٣/ ٢٠٥)، هديّة العارفين لإسماعيل باشا البغداديّ (٢/ ٢٦)، طبقات المفسّرين للسّيوطيّ ت٩١١هـ (ص٣٠)، لبّ الألباب في تحرير الأنساب (ص١٦٧)، طبقات الحفّاظ له (٣٠٧-٣٠٨)، طبقات المفسّرين للدّاووديّ (٢/ ١٠٦-١١٤)، شذرات الذّهب لابن العماد (٢/ ٢٦٠)، والأعلام للزّركلي (٦/ ٦٩) .

ثانياً: الرّسائل الجامعيّة:

١- القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير الطّبريّ في تفسيره والرّدّ عليه - رسالة مقدّمة من محمّد عارف عثمان الهرري لنيل درجة العالميّة الماجستير بالجامعة الإسلاميّة عام ١٤٠٣-١٤٠٤هـ).

٢- استدراكات ابن كثير على ابن جرير في تفسيره - رسالة مقدمة من أحمد عمر عبد الله الغاني بقسم التّفسير بالجامعة الإسلاميّة لنيل درجة العالميّة الدّكتوراة عام ١٤٠٥هـ).

٣- استدراكات ابن عطيّة في المحرّر الوجيز على الطّبريّ في تفسيره - رسالة مقدّمة من شايع بن عبده بن شايع الأسمريّ بقسم التّفسير بالجامعة الإسلاميّة - لنيل درجة العالميّة العالية الدّكتوراة عام ١٤١٧هـ).

٤- الإمام الطّبريّ بحث في التّفسير - قدّمه عبد الله بن عبد العزيز المصلح في كليّة الشّريعة بجامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة بالرِّياض .

٥- الرِّوايات الإسرائيليّة في جامع البيان (من سورة الفاتحة إلى آخر سورة الإسراء) رسالة مقدّمة من أحمد نجيب عبد الله بقسم التّفسير بالجامعة الإسلاميّة - لنيل درجة العالميّة العالية الدّكتوراة عام ١٤١٨-١٤١٩هـ).

٦- الرِّوايات الإسرائيليّة في جامع البيان (من سورة الكهف إلى آخر سورة الناس) رسالة مقدّمة من مأمون عبد الرحمن محمد بقسم التّفسير بالجامعة الإسلاميّة - لنيل درجة العالميّة العالية الدّكتوراة عام ١٤٢٣-١٤٢٤هـ).

=

٧- الآثار الواردة عن أئمّة السّلف في توحيد الأسماء والصّفات في تفسير ابن جرير الطّبريّ جمعاً ودراسة، رسالة مقدّمة من أبي بكر محمّد ثاني بقسم العقيدة بالجامعة الإسلاميّة لنيل درجة العالميّة الماجستير عام ١٤٢٠-١٤٢١هـ).

٨- الإمام ابن جرير الطّبريّ ودفاعه عن عقيدة السّلف - رسالة مقدّمة من أحمد العوايشة لنيل درجة العالميّة العالية الدّكتوراة بقسم العقيدة بجامعة أمّ القرى عام ١٩٨٣م).

٩- الطّبريّ المفسّر للدّكتور سيّد أحمد خليل، بحثٌ قدّمه إلى جامعة القاهرة لنيل درجة الدّكتوراة في الآداب، عام ١٩٥٣م.

١٠- دراسة الطّبريّ للمعنى من خلال تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن للأستاذ محمّد المالكي وهي رسالة مقدّمة لنيل درجة دكتوراه الدولة في الأدب، وقد طبعتها وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة بالمغرب، وهي دراسة واسعة عن منهج الطّبريّ في استخراج المعنى من النّصّ القرآنيّ في تفسيره. وقد ذكر المؤلّف أنّ له دراسة أخرى قبل هذه وهي:

١١- جهود الطّبريّ في الدِّراسة الأدبيّة للشّواهد الشِّعريّة من خلال تفسيره، قدّمها لنيل دبلوم الدِّراسات العليا بكلية الآداب بفاس سنة ١٩٨٧-١٩٨٨م).

رابعاً: دراسات أخرى:

١- الإمام محمّد بن جرير الطّبريّ ومنهجه العلميّ في التّفسير للدّكتور فتحي الدّرينيّ، نشرته: مجلّة التّراث العربيّ، الأعداد [١٣،١٤،١٥،١٦] سنة ١٩٤٨م.

٢- كتاب " الطّبريّ " للدّكتور أحمد محمّد الحوفي من سلسلة أعلام العرب رقم (١٣) بالقاهرة، ثمّ أعيد طبعه بمجمّع البحوث الإسلاميّة بالقاهرة.

٣- بحوث قدّمت بمناسبة الاحتفاء بذكرى الإمام الطّبريّ الذي عقدته المنظّمة الإسلاميّة للتّربية والعلوم والثّقافة "إيسيسكو" في القاهرة بتاريخ ٢٢-٢٤ ذي الحجة ١٤٠٩هـ).

٤- الطّبريّ ومنهجه في التّفسير للدّكتور محمود الشّريف طبع مكتبة عكاظ ١٤٠٤هـ).

٥- الإمام الطّبريّ شيخ المفسّرين وعمدة المؤرِّخين ومقدم الفقهاء والمحدّثين، صاحب المذهب الجريريّ - للدّكتور محمّد الزّحيلي من سلسلة أعلام المسلمين رقم ٣٣ طبعة دار القلم دمشق، وهي دراسة واسعة جداً.

وفيه ثمانية مطالب : -

- المطلب الأوّل : اسمه ونسبه وكنيته ونسبته .
- المطلب الثّاني : مولده ونشأته العلميّة .
- المطلب الثّالث : رحلاته في طلب العلم .
- المطلب الرّابع : شيوخه وتلاميذه .
- المطلب الخامس : عقيدته ومذهبه الفقهيّ .
- المطلب السّادس : مؤلّفاته .
- المطلب السّابع : مكانته العلميّة ، وثناء العلماء عليه .
- المطلب الثّامن : وفاته .

* * * *** * * *

=

٦- أبو جعفر محمّد بن جرير الطّبريّ - سيرته - عقيدته ومؤلّفاته - لعليّ بن عبد العزيز الشِّبل طبعة دار الوطن ١٤١٧هـ)، وله دراسة أخرى عن الطّبري في مقدّمة تحقيقه لكتاب التّبصير في معالم الدِّين للطّبريّ.

المطلب الأول:
اسمه، ونسبه، وكنيته، ونسبته

◈ اسمه ونسبه:

هو محمّد بنُ جرير بن يزيد بن كثير بن غالب[1].

◈ كنيته:

كنيته: أبو جعفر، وليس له ولد اسمه جعفر؛ لأنّه لم يتزوّج؛ لاشتغاله بالعلم وشغفه بالمعرفة منذ صغره إلى نهاية عمره، وقد صرح بنفسه بعدم زواجه قائلاً: ... «فأنا لا ولد لي، وما حللتُ سراويلي على حرامٍ، ولا حلالٍ قطّ » [2].

◈ نسبته:

يقال له " الطّبريّ " نسبة إلى طَبَرِسْتَان، وهي ولاية كبيرة، وناحية واسعة الأرجاء في بلاد فارس بين جُرْجَان والدّيلم على بحر قَزْوين، وتضمّ قرىً كثيرةً يُنْسَب أهلها غالباً إليها، وهم كثر، وهي اليوم تقع في شمال دولة إيران اليوم[3].

---

(١) هكذا ساق نسبه جمهرة المؤرخين، انظر: تاريخ بغداد (٢/ ١٦٢)، ومعجم الأدباء (١٨/ ٤٠)، البداية والنهاية (١١/١٥٦)، وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن اسم والد جده هو خالد، انظر: وفيات الأعيان (٤/ ١٩١).

(٢) معجم الأدباء لياقوت الحمويّ (١٨/ ٥٥)، ولسان الميزان (٥/ ١٠٢) في قصة مع أصحاب الرّبيع بن سليمان في مكان سكناه في مصر.

(٣) انظر: معجم البلدان (٤/ ١٥)، لبّ اللّباب في تحرير الأنساب للسّيوطي (ص١٦٧) بلدان الخلافة الشّرقيّة (ص: ٤٠٩).

وينسب أيضاً إلى "آمُل" - مدينته التي ولد بها، وهي أكبر مدينة في طَبَرِسْتان.

كما ينسب نسبة أخرى هي البغداديّ لاستيطانه إيّاها، ووفاته بها.

وقد يجمع له النِّسب الثّلاث، فيقال : الإمامُ أبو جعفر الطّبريّ الآمليّ البغداديّ[1]، والنّسبة الأولى أشهر.

(١) انظر: طبقات القرّاء لابن الجزريّ (٢/ ١٠٦).

المطلب الثاني:
مولده ونشأته العلميّة.

◈ مولده:

ولد الطّبريّ في مدينة "آمل" قصبة إقليم طَبَرِسْتان في نهاية عام أربعٍ وعشرين ومائتين للهجرة (٢٢٤هـ)، وقيل أول سنة ٢٢٥هـ [١].

وسبب هذا الشكّ كما ذكر الطّبريّ نفسه أنّ أهل بلاده كانوا يؤرِّخون بالأحداث دون السِّنين، وقد أُرِّخ مولده بحادث كان بالبلد، فلمّا نشأ، وسأل عن ذلك الحادث اختلف المؤرِّخون، فقال بعضهم: كان ذلك في آخر سنة ٢٢٤هـ، وقال آخرون: إنّه كان أوّلَ سنة ٢٢٥هـ [٢].

◈ نشأته العلمية:

نشأ الطّبريّ في كنف والده بمدينة آمل، واعتنى به والده عناية فائقة، وحرص على أن يسلك به مسلك طلب العلم؛ لِمَا لَمَسَ فيه مِنْ مَلامِحِ الذّكاء، وعلاماتِ النّبوغ، كما شجعته على زيادة الاعتناء به وبتعليمه رؤية رآها في المنام، يقول الطبري عن نفسه : "ورأى لي أبي في النوم أني بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان معي مخلاة[٣] مملوءة حجارة ، وأنا أرمي بين يديه، فقال له المعبر : إنه إن كبر نصح في دينه

---

(١) تاريخ بغداد (٢/ ١٦٦)، ومعجم الأدباء (١٨/ ٤٠،٤٨)، المحمّدون من الشّعراء (١/ ٢٢٥)، طبقات الشّافعية الكبرى (٣/ ١٢٠)، لسان الميزان (٥/ ١٠٢).

(٢) معجم الأدباء(١٨/ ٤٠، ٤٨)، وطبقات الشّافعية الكبرى(٣/ ١٢٠)، ولسان الميزان (٥/ ١٠٢).

(٣) المخلاة: وعاء يوضع فيه الحشيش، انظر: لسان العرب (١٤/ ٢٣٧).

وذب عن شريعته"[١].

فكان لوقع تلك الرؤيا التي رآها والد الطبري أثرًا كبيرًا في متابعة الاهتمام به؛ فعهد به إلى علماء (آمل) فما لبث حتى حفظ القرآنَ، وهو ابنُ سبع سنين، وأَمَّ النّاس في الصّلاة، وهو ابنُ ثمان سنين، وكتب الحديث وعمره تسع سنين[٢].

وكان أبوه موسراً، فسخّر له من ماله ما يعينه على ذلك، وفرغه من المشاغل التي تعيقه عن تحصيل العلم، وتكفل له بشيء من المال يقتات به، وقد صرح بذلك الطبري قائلاً: « إن أبي وهب لي بضاعة أنا أستعين بها في طلب العلم »[٣].

ولم ينقطع عنه هذا المال حتى بعد أن ارتحل لطلب العلم، فقد كان أبوه يمده به من حين لآخر في البلدان التي يقصدها[٤].

(١) معجم الأدباء (١٨/ ٤٩).

(٢) انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٢٥)، تاريخ دمشق (١٥/ ١٦٩).

(٣) المصدر نفسه (١٨/ ٤٩).

(٤) المصدر نفسه (١٨/ ٤٩).

المطلب الثالث:
رحلاته في طلب العلم

كان الطّبريّ - رحمه الله - حريصاً على طلب العلم، قضى السّنواتِ الأولى من عمره متنقّلاً بين مدن طَبَرِسْتان، يتلقّى العلمَ من مشايخها، لكنّه لم يكتف بهم، فبدأ الرّحلة - وعمره اثنتا عشرة سنة، وقيل بعد ذلك - إلى الرّي وما جاورها من بلاد فارس، فحصَّل أكبرَ قدر من العلم حتىّ اشتهر، وشُهد له بالتّقدّم على أقرانه، وممّن أكثر الأخذ عنهم من علماء الرّي محمّد بن حميد[1].

وقد ازداد حبُّ الطّبريّ للعلم، وبدأ يفكر في التوسّع والإكثار منه، فارتحل إلى بغداد، وكتب عن شيوخها، وكان في نفسه أن يسمع من الإمام أحمد بن حنبل، فلم يتّفق له ذلك لموته قبل دخوله إيّاها، ثمّ انحدر إلى البصرة فسمع من علمائها أمثال محمّد بن عبد الأعلى الصّنعانيّ[2]، وبشر بن معاذ[3]وغيرهما، وكتب في طريقه عن شيوخه الواسطيّين، ثُمّ صار إلى الكوفة فكتب فيها عن جماعة من العلماء كأبي كريب محمّد بن العلاء، وهنّاد بن السّريّ وغيرِهما[4].

ثمّ رجع إلى بغداد ثانيةً، ولازم العلماء، وهناك أخذ علوم القرآن، وعلم القراءات على أحمد بن يوسف التّغلبيّ[5]، ولقي من علمائها أمثال الحسن بن محمّد

(١) انظر معجم الأدباء (١٨/ ٤٩)، وطبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٢٠). وانظر ترجمة ابن حميد في مطلب شيوخ الطّبريّ.

(٢) انظر ترجمته في مطلب شيوخ الطّبريّ.

(٣) انظر ترجمته في مطلب شيوخ الطّبريّ.

(٤) انظر: معجم الأدباء (١٨/ ٥٠).

(٥) انظر في ترجمته رجال جامع البيان لحلاّق (ص: ٢٨).

الصبّاح الزّعفرانيّ[1] وأبي سعيد الإصطخريّ[2] وغيرهما[3].

ثمّ رحل إلى الشّام، وأخذ من علم أهلها، ولقي في بيروت الإمام العبّاس بن الوليد البيروتي[4]، فأخذ عنه القراءة برواية الشّاميّين[5].

وبعد أن طاف مدنَ العلمِ في الشّرق، يمّم الغرب متّجهاً إلى مصر سنة ٢٥٣هـ، فدخلها، ومكث بها مدّة، ثمّ رجع إلى الشّام مرّة أخرى عاد بعدها إلى مصر سنة ٢٥٦هـ، فدخل القاهرة وأخذ عن علمائها الشّيء الكثير من العلم، خصوصاً الفقه المالكيّ والشّافعيّ[6].

وبعد أن تزوّد الطّبريّ بما كان ينشده من العلم والمعرفة في مصر رجع إلى بغداد، ومنها زار وطنه طَبَرِسْتَان سنة ٢٩٠هـ، ثمّ عاد إلى بغداد واستقرّ به المقام في رحابها، واشتغل فيها بالقراءة والعبادة والتّأليف والتّدريس إلى أن توفّاه الله[7].

---

(١) أبو عليّ البغداديّ، ثقة، توفّي سنة ٢٦٠هـ. ترجمته في: تهذيب الكمال (٦/ ٣١٠) والتّقريب (١/ ٢٠٩).

(٢) هو: الحسن بن أحمد بن يزيد، العلاّمة الشّافعيّ، فقيه العراق، ورفيق ابن سُرَيْج، من شيوخه: سعدان بن نصر، وعبّاس الدّوري، ومن تلاميذه: الدّارقطنيّ، وابن شاهين، صنّف: "كتاب آداب القضاء"، توفّي سنة ٣٢٨هـ. انظر: تاريخ بغداد ٧/ ٢٦٨-٢٧٠) سير أعلام النّبلاء ١٥/ ٢٥٠-٢٥٢).

(٣) انظر معجم الأدباء (١٨/ ٥٣-٥٤)، والأعلام (٣/ ٨)، والفهرست (ص٣٢٦).

(٤) انظر ترجمته في مطلب شيوخ الطّبريّ.

(٥) انظر: معجم الأدباء (١٨/ ٥٢)، وغاية النّهاية لابن الجوزي (١/ ٣٥٥)، وطبقات القرّاء (٢/ ١٠٧).

(٦) انظر: معجم الأدباء (١٨/ ٥٦)، وأبو جعفر محمد بن جرير الطبري - لعليّ الشّبل (ص٢٥).

(٧) ينظر معجم الأدباء (١٨/ ٥٦).

المطلب الرابع:
شيوخه وتلاميذه

إنّ من نتائج كثرة الرّحلة في طلب العلم لقاءَ عدد كبير من العلماء، والأخذ عنهم، وهو ما تحقّق لأبي جعفر الطّبريّ، لذا كثُر شيوخُه، وتنوّعت معارفه، وقد ذكر له الذّهبيّ [1] أكثر من أربعين شيخاً، ثم قال: « وأمماً سواهم »[2].

وسأذكر فيما يلي بعضاً منهم:

- إبراهيم بن المستمر الهذليّ العروقيّ، إبو إسحاق البصريّ، صدوقٌ يغرب[3].

- أحمد بن إبراهيم بن كثير الدّورقيّ النّكريّ، أبو عبد اللهّ البغداديّ، ثقةٌ حافظٌ، توفّي سنة ٢٤٦هـ[4].

- أحمد بن حازم بن محمّد بن يونس بن قيس بن أبي غرْزَة الغفاريّ، أبو عمرو الكوفيّ، ذكره ابن حبّان في الثّقات، وقال: كان متقناً، توفّي سنة ٢٦٧هـ[5].

- أحمد بن عبدة بن موسى الضّبّيّ، أبو عبد اللهّ البصريّ، ثقة رمي بالنّصب،

---

(١) هو مؤرّخ الإسلام: شمس الدّين أبو عبد اللهّ محمّد بن أحمد بن عثمان الذّهبيّ، من شيوخه: شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن دقيق العيد، وقد دوّن شيوخه في معجم سمّاه: معجم الشّيوخ، ومن تلامذته: الصّفديّ، والسّبكيّ، تُوفّي رحمه اللهّ سنة ٧٤٨هـ. انظر: الدّرر الكامنة (٣/ ٤٢٦) الوافي بالوفيات للصّفديّ (٢/ ١٦٣).

(٢) انظر: السّير ١٤/ ٢٦٩).

(٣) انظر: التّهذيب (١/ ١٤٨) والتّقريب (١/ ٦٦).

(٤) انظر: تهذيب الكمال (١/ ٢٤٩) التّهذيب (١/ ١٠) التّقريب (١/ ٢٩).

(٥) انظر: الجرح والتّعديل (٢/ ٤٨) الثّقات لابن حبّان (٨/ ٤٤) سير أعلام النّبلاء (١٣/ ٢٣٩).

توفّي سنة ٢٤٥هـ[١].

– أحمد بن المقدام بن سليمان، أبو الأشعث العجليّ، صدوق صاحب حديث، طعن أبوداود في مروءته، توفّي سنة ٢٥٣هـ[٢].

– أحمد بن منصور بن سيّار البغداديّ، أبو بكر الرّماديّ، ثقةٌ حافظٌ، توفّي سنة ٢٦٥هـ[٣].

– أحمد بن منيع بن عبد الرّحمن، أبو جعفر البغويّ، نزيل بغداد الأصمّ، ثقةٌ حافظٌ، توفّي سنة ٢٤٤هـ[٤].

– إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشّهيد، أبو يعقوب البصريّ الشّهيديّ، ثقة، توفّي سنة ٢٥٧هـ[٥].

– إسحاق بن وهب بن زياد العلاّف، أبو يعقوب الواسطيّ، صدوق، تُوفّي سنة ٢٥٥هـ[٦].

– إسماعيل بن حفص بن عمر بن دينار الأبلّيّ، أبو بكر الأوديّ البصريّ، صدوق، تُوفّي سنة ٢٥٦هـ، أو قبلها بقليل، أو بعدها[٧].

– بحر بن نصر بن سابق الخولانيّ مولاهم، أبو عبد اللهّ المصريّ، ثقة، تُوفّي سنة

---

(١) انظر: التّهذيب (١/ ٥٣) والتّقريب ((١/ ٤١).

(٢) انظر: التّهذيب (١/ ٧٤) والتّقريب (١/ ٤٦).

(٣) انظر: تهذيب الكمال (١/ ٤٩٢) التّهذيب (١/ ٧٥) التّقريب (١/ ٤٧).

(٤) انظر: التّهذيب (١/ ٧٦) والتّقريب (١/ ٤٧).

(٥) انظر: التّهذيب (١/ ١٩٣) والتّقريب (١/ ٧٧).

(٦) انظر: تهذيب الكمال (٢/ ٤٨٧) التّهذيب (١/ ٢٣٠) التّقريب (١/ ٨٦).

(٧) انظر: تهذيب الكمال (٣/ ٦٢) التّهذيب (١/ ٢٦١) التّقريب (١/ ٩٣).

٢٦٧هـ[1].

- بشر بن آدم بن يزيد البصريّ الأصغر ابن بنت أزهر بن سعد، أبو عبد الرّحمن السّمّان، صدوقٌ فيه لين، تُوفِّي سنة ٢٥٤هـ[2].

- بشر بن معاذ العقديّ، أبو سهل البصريّ الضّرير، صدوق، تُوفِّي سنة ٢٤٥هـ، قبلها بقليل أو بعدها بقليل[3].

- بشر بن هلال الصّوّاف، أبو محمّد النّميريّ البصريّ، ثقة، تُوفِّي سنة ٢٤٧هـ[4].

- تميم بن المنتصر بن تميم بن الصّلت الواسطيّ، ثقةٌ ضابطٌ، تُوفِّي سنة ٢٤٤ أو ٢٤٥هـ[5].

- الحارث بن أبي أسامة: هو الحارث بن محمّد بن أبي أسامة، أبو محمّد التّميميّ، صاحب المسند المشهور، متكلّم فيه: قال الدّارقطنيّ: اختلف فيه وهو عندي صدوق. وذكره ابن حبّان في الثّقات، وضعّفه ابن حزم، وليّنه بعض البغداديّين لكونه يأخذ على الرّواية، قال الذّهبيّ: تكلّم فيه بلا حجّة، وهو لابأس به، وأحاديثه على الاستقامة، وذنبه أخذه على الرّواية، فلعلّه وهو الظّاهر أنّه كان محتاجاً، فلا ضير، تُوفِّي سنة ٢٨٢هـ[6].

---

(١) انظر: التّهذيب (١/ ٣٨٣) والتّقريب (١/ ١٢١).

(٢) انظر: التّهذيب (١/ ٤٠٣) والتّقريب (١/ ١٢٦).

(٣) انظر: التّهذيب (١/ ٤١٨) والتّقريب (١/ ١٣٠).

(٤) انظر: التّهذيب (١/ ٤٢٢) والتّقريب (١/ ١٣٠).

(٥) انظر: التّهذيب (١/ ٤٧٣) والتّقريب (١/ ١٤٣).

(٦) انظر: ميزان الاعتدال ١/ ٤٤٢) السّير ١٣/ ٣٨٨) اللّسان ٢/ ١٥٧). وانظر باستفاضة - الكلام على هذا الشّيخ مقدّمة "بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث" للدّكتور حسين بن أحمد الباكريّ.

- الحسن بن يحيى بن الجعد العبديّ، أبو عليّ بن أبي الرّبيع الجرجانيّ، نزيل بغداد، صدوق، تُوفِّي سنة ٢٦٣هـ[(١)].

- الحسن بن عرفة بن يزيد العبديّ، أبو عليّ البغداديّ، صدوق، تُوفِّي سنة ٢٥٧هـ[(٢)].

- الحسين بن الجنيد بن أبي جعفر البغداديّ، أبو عليّ البزّار، صدوق، تُوفِّي سنة ٢٤٧هـ[(٣)].

- الحسين بن حريث بن الحسن الخزاعيّ، أبو عمّار المروزيّ، ثقة، تُوفِّي سنة ٢٤٤هـ[(٤)].

- الحسين بن محمّد بن أيّوب الذّارع السّعديّ، أبو عليّ البصريّ، صدوق، تُوفِّي سنة ٢٤٧هـ[(٥)].

- الحسين بن يزيد بن يحيى الطّحّان الأنصاريّ، أبو عليّ، وقيل أبو عبد الله الكوفيّ، ليّن الحديث، تُوفِّي سنة ٢٤٤هـ[(٦)].

- الحسين بن عليّ بن يزيد بن سُليْم الصُّدائيّ، الأكفانيّ البغداديّ، صدوق، تُوفِّي سنة ٢٤٦ أو ٢٤٨هـ[(٧)].

---

(١) انظر: التّهذيب (٢/ ٢٩٤) والتّقريب (١/ ٢١٠).

(٢) انظر: تهذيب الكمال (٦/ ٢٠١) والتّقريب (١/ ٢٠٦).

(٣) انظر: التّهذيب (٢/ ٣٠٢) والتّقريب (١/ ٢١٤).

(٤) انظر: التّهذيب (٢/ ٣٠٣) والتّقريب (١/ ٢١٤).

(٥) انظر: التّهذيب (٢/ ٣٣٠) والتّقريب (١/ ٢١٨).

(٦) انظر: التّهذيب (٢/ ٣٣٨) والتّقريب (١/ ٢٢٠).

(٧) انظر: تهذيب الكمال (٦/ ٤٥٤) التّهذيب (٢/ ٣٢٤) التّقريب (١/ ٢١٧).

- خلاّد بن أسلم الصّفّار، أبو بكر البغداديّ، ثقة، تُوفِّي سنة ٢٤٩هـ(١).

- سفيان بن وكيع بن الجرّاح، أبو محمّد الرّؤاسيّ الكوفيّ، كان صدوقاً إلاّ أنّه ابتلي بورّاقه، فأدخل عليه من حديثه، فنصح فلم يقبل، فسقط حديثه، تُوفِّي سنة ٢٤٧هـ(٢).

- سلم بن جنادة بن سَلْم السّوائيّ، أبو السّائب الكوفيّ، ثقة ربّما خالف، تُوفِّي سنة ٢٥٤هـ(٣).

- عبّاس بن محمّد بن حاتم بن واقد الدّوريّ، أبو الفضل البغداديّ، ثقةٌ حافظٌ، تُوفِّي سنة ٢٧١هـ(٤).

- العبّاس بن الوليد بن مَزْيَد العذريّ، أبو الفضل البيروتيّ، صدوقٌ عابدٌ، تُوفِّي سنة ٢٦٩هـ(٥).

- عبد الأعلى بن واصل بن عبد الأعلى الأسديّ الكوفيّ، ثقة، تُوفِّي سنة ٢٤٧هـ(٦).

- عبد الله بن محمّد بن عبد الرّحمن بن المِسْور بن مخرمة الزّهريّ البصريّ، تُوفِّي سنة ٢٥٦هـ(٧).

- عصام بن روّاد بن الجرّاح، أبو صالح العسقلانيّ، قال أبو حاتم: صدوق،

---

(١) انظر: التّهذيب (٣/ ١٥٤) والتّقريب (١/ ٢٧٥).

(٢) انظر: تهذيب الكمال (١١/ ١٧) التّهذيب (٤/ ١٢٣) التّقريب (١/ ٣١٢).

(٣) انظر: تهذيب الكمال (١١/ ٢١٨) والتّقريب (١/ ٣٧٣).

(٤) انظر: التّهذيب (٥/ ١١٦) والتّقريب (١/ ٤٧٥).

(٥) انظر: التّهذيب (٥/ ١١٨) والتّقريب (١/ ٤٧٥).

(٦) انظر: التّهذيب (٦/ ٩٢) والتّقريب (١/ ٥٥٢).

(٧) انظر: التّهذيب (٦/ ١٣) والتّقريب (١/ ٥٣٠).

وذكره ابن حبّان في الثّقات، وليّنه الحاكم أبو أحمد[(١)].

- عليّ بن حرب بن محمّد بن عليّ الطّائيّ، أبو الحسن الموصليّ، صدوق فاضل، تُوفِّي سنة ٢٦٥هـ[(٢)].

- عليّ بن داود بن يزيد القنطريّ، أبو الحسن الأَدميّ، صدوق، تُوفِّي سنة ٢٧٢هـ[(٣)].

- عليّ بن سعيد بن مسروق الكنديّ، أبو الحسن الكوفيّ، صدوق، تُوفِّي سنة ٢٤٩هـ[(٤)].

- عليّ بن سهل بن قادم، ويقال ابن موسى الحرشيّ، أبو الحسن الرّمليّ، نسائيّ الأصل، صدوق، تُوفِّي سنة ٢٦١هـ[(٥)].

- عليّ بن مسلم بن سعيد، أبو الحسن الطّوسيّ، نزيل بغداد، ثقة، تُوفِّي سنة ٢٥٣هـ[(٦)].

- عمرو بن عليّ بن بحر بن كنيز، أبو حفص الفلاّس، الصّيرفيّ، الباهليّ، البصريّ، ثقةٌ حافظٌ، تُوفِّي سنة ٢٤٩هـ[(٧)].

- عمران بن موسى بن حيّان القزّاز اللّيثيّ، أبو عمرو البصريّ، صدوق، توفِّي

---

(١) انظر: الجرح والتّعديل ٧/ ٢٦) الثّقات ٨/ ٥٢١) ميزان الاعتدال ٥/ ٨٥) المقتنى ص٣١٤) لسان الميزان ٤/ ١٦٧).

(٢) انظر: تهذيب الكمال (٢٥/ ٣٥) والتّقريب (١/ ٦٩٠).

(٣) انظر: التّهذيب (٧/ ٢٧٠) والتّقريب (١/ ٦٩٤).

(٤) انظر: التّهذيب (٧/ ٢٧٨) والتّقريب (١/ ٦٩٥).

(٥) انظر: التّهذيب (٧/ ٢٨٠) والتّقريب (١/ ٦٩٥).

(٦) انظر: التّهذيب (٧/ ٣٢٣) والتّقريب (١/ ٧٠٣).

(٧) انظر: تهذيب الكمال (٢٢/ ١٦٢) التّهذيب (٨/ ٦٦) التّقريب (١/ ٧٤١).

بعد الـ٢٤٠هـ[١].

- عيسى بن عثمان بن عيسى بن عبد الرّحمن النّهشليّ، الكوفيّ النّسائيّ، صدوق، تُوفِّي سنة ٢٥١هـ[٢].

- الفضل بن الصّبّاح البغداديّ، أبو العبّاس السِّمسار، أصله من نَهاوَند، ثقة عابد، تُوفِّي سنة ٢٤٥هـ[٣].

- القاسم بن بشر بن أحمد بن معروف، أبو محمّد البغداديّ، ثقة[٤].

- مجاهد بن موسى بن فرّوخ الخوارزميّ، أبو عليّ الختّليّ، نزيل بغداد، ثقة، تُوفِّي سنة ٢٤٤هـ[٥].

- محمّد بن إبراهيم بن بسّام، أبو جعفر الأنماطيّ البغداديّ، المعروف بـ((مُرَبّع))، أحد الحفّاظ الفهماء الكبار، له تصنيف وتاريخ، تُوفِّي سنة ٢٥٦هـ[٦].

- محمّد بن إسحاق بن جعفر، أبو بكر الصّغاني، نزيل بغداد، ثقة ثبت، تُوفِّي سنة ٢٧٠هـ[٧].

- محمّد بن بشّار بن عثمان، أبو بكر العبديّ (بُندَار)، ثقة، تُوفِّي سنة ٢٥٢هـ[٨].

---

(١) انظر: التّهذيب (٨/ ١٢٠) والتّقريب (١/ ٧٥٣).

(٢) انظر: التّهذيب (٨/ ١٩١) والتّقريب (١/ ٧٧٢).

(٣) انظر: التّهذيب (٨/ ٢٤٢) والتّقريب (٢/ ١١).

(٤) انظر: الثّقات لابن حبّان ٩/ ١٩) تاريخ بغداد ١٢/ ٤٢٧).

(٥) انظر: التّهذيب (١٠/ ٤٠) والتّقريب (٢/ ١٥٩).

(٦) انظر: الجرح والتّعديل ٧/ ١٨٧) الإكمال لابن ماكولا ٧/ ١٨١-١٨٢) تارخ بغداد ١/ ٣٨٨-٣٨٩) نزهة الألباب في الألقاب لابن حجر ص١٦٧).

(٧) انظر: التّهذيب (٩/ ٣١) والتّقريب (٢/ ٥٤).

(٨) انظر: التّهذيب (٩/ ٥٨-٥٩) والتّقريب (٢/ ١٤٧).

- محمّد بن الحسين بن موسى بن أبي حنين، الكوفيّ، صدوق[1].

- محمّد بن حميد بن حيّان الرّازيّ، حافظ ضعيف، وكان ابن معين حسن الرّأي فيه، تُوفِّي سنة ٢٤٨هـ[2].

- محمّد بن خلف بن عمّار بن العلاء، أبو نصر العسقلانيّ، صدوق، تُوفِّي سنة ٢٦٠هـ[3].

- محمّد بن سعد بن محمّد بن الحسن بن عطيّة العوفيّ، قال الخطيب[4]: كان ليّناً في الحديث، وروى الحاكم عن الدّارقطنيّ أنّه قال: لا بأس به، تُوفِّي سنة ٢٧٠هـ[5].

- محمّد بن سنان بن يزيد بن الذّيّال القزّاز، أبو بكر البصريّ، نزيل بغداد، ضعيف، تُوفِّي سنة ٢٧١هـ[6].

- محمّد بن سهل بن عسكر بن عمارة، أبو بكر البخاريّ الحافظ الجوّال، ثقة، تُوفِّي سنة ٢٥١هـ[7].

- محمّد بن عبد الأعلى الصّنعانيّ، البصريّ، ثقة، تُوفِّي سنة ٢٤٥هـ[8].

---

(١) انظر: الجرح والتّعديل ٧/ ٢٣٠) المقتنى ص١٤٩).

(٢) انظر: تهذيب الكمال (٢٥/ ٩٧) والتّقريب (٢/ ٦٩).

(٣) انظر: التّهذيب (٩/ ١٢٦) والتّقريب (٢/ ٧٢).

(٤) هو: أحمد بن عليّ بن ثابت، الحافظ النّاقد، محدّث الوقت، أبو بكر البغداديّ، صاحب التّاريخ، ولد سنة ٣٩٢هـ، وتُوفِّي سنة ٤٦٣هـ. ترجمه الذّهبيّ في السّير ١٨/ ٢٧٠-٢٩٧) ترجمة مطوّلة حافلة.

(٥) انظر: تاريخ بغداد ٥/ ٣٢٢) ميزان الاعتدال ٣/ ٥٦٠) لسان الميزان ٥/ ١٧٤) ولكلام الحاكم الذي نقله الخطيب انظر سؤالات الحاكم للدّار قطنيّ ص١٣٩ رقم:١٧٨).

(٦) انظر: التّهذيب (٩/ ١٧٧) والتّقريب (٢/ ٨٣).

(٧) انظر: تهذيب الكمال (٢٥/ ٣٢٥) التّهذيب (٩/ ١٧٨) التّقريب (٢/ ٨٣).

(٨) تهذيب الكمال (٢٥/ ٥٨١) والتّقريب (٢/ ١٠٢).

- محمّد بن عبد اللهّ بن بَزِيع، أبو عبد اللهّ البصريّ، ثقة، تُوفِّي سنة ٢٤٧هـ[١].

- محمّد بن عبد اللهّ بن عبد الرّحيم بن سَعْيه ابن أبي زرعة المصريّ، أبو عبد اللهّ بن البرقيّ مولى بني زهرة، ثقة، تُوفِّي سنة ٢٤٩هـ[٢].

- محمّد بن عبد اللهّ بن عبيد بن عقيل الهلاليّ، أبو مسعود البصريّ، صدوق[٣].

- محمّد بن عبيد بن محمّد بن واقد المحاربيّ الكنديّ، أبو جعفر النّحّاس الكوفيّ، صدوق، تُوفِّي سنة ٢٥١هـ، وقيل قبل ذلك[٤].

- محمّد بن العلاء بن كُرَيْب الهمْدَانيّ، أبو كُرِيْب الكوفيّ، مشهورٌ بكنيته، ثقة حافظ، تُوفِّي سنة ٢٤٨هـ[٥].

- محمّد بن عمر بن عليّ بن عطاء بن مقدّم المقدّميّ، أبو عبد اللهّ البصريّ، صدوق[٦].

- محمّد بن عمرو بن العبّاس البصريّ، أبو بكر الباهليّ، ثقة، تُوفِّي سنة ٢٤٩هـ[٧].

- محمّد بن عوف بن سفيان الطّائيّ، أبو جعفر الحمصيّ، ثقة حافظ، تُوفِّي سنة ٢٧٢ أو٢٧٣هـ[٨].

---

(١) انظر: تهذيب الكمال (٢٥/ ٤٥٣) التّهذيب (٩/ ٢١٤) التّقريب (٢/ ٩٣).

(٢) انظر: التّهذيب (٩/ ٢٢٨) والتّقريب (٢/ ٩٧).

(٣) انظر: تهذيب الكمال (٢٥/ ٥٠٦) التّهذيب (٩/ ٢٢٩) التّقريب (٢/ ٩٧).

(٤) انظر: التّهذيب (٩/ ٢٨٦) والتّقريب (٢/ ١١٠).

(٥) انظر: التّهذيب (٩/ ٣٣٣) والتّقريب (٢/ ١٢١).

(٦) انظر: التّهذيب (٩/ ٣١٣) والتّقريب (٢/ ١١٧).

(٧) انظر: الثّقات لابن حبّان ٩/ ١٠٧) تاريخ بغداد ٣/ ١٢٧).

(٨) انظر: التّهذيب (٩/ ٣٣١) والتّقريب (٢/ ١٢١).

- محمّد بن المثنّى بن عبيد العَنَزيّ، أبو موسى البصريّ، المعروف بالزّمِن، مشهورٌ بكنيته وباسمه، ثقةٌ ثبتٌ، تُوفِّي سنة ٢٥٢هـ[١].

- محمّد بن معمر بن رِبْعِيّ القيسيّ، أبو عبد الله البصريّ، المعروف بـ(البَحْرَانيّ)، صدوق، تُوفِّي سنة ٢٥٠هـ[٢].

- محمّد بن منصور بن داود بن إبراهيم الطّوسيّ، أبو جعفر العابد، نزيل بغداد، ثقة، تُوفِّي سنة ٢٥٤ أو ٢٥٦هـ[٣].

- نصر بن عبد الرّحمن بن بكّار النّاجي، ويقال الأزديّ، أبو سليمان أو أبو سعيد الكوفيّ الوشّاء، ثقة، تُوفِّي سنة ٢٤٨هـ[٤].

- نصر بن عليّ بن نصر بن عليّ الجهضميّ، أبو عمرو البصريّ الصّغير، ثقة ثبت، تُوفِّي سنة ٢٥٠هـ، وقيل ٢٥١هـ[٥].

- هنّاد بن السّرِي بن مصعب التّميميّ، أبو السَّرِي الكوفيّ، ثقة، تُوفِّي سنة ٢٤٣هـ[٦].

- واصل بن عبد الأعلى بن هلال الأسديّ، أبو القاسم، أو أبو محمّد الكوفيّ، ثقة، تُوفِّي سنة ٢٤٤هـ[٧].

---

(١) انظر: تهذيب الكمال (٢٦/ ٣٥٩) التّهذيب (٩/ ٤٢٥) التّقريب (٢/ ٢٠٤).

(٢) انظر: تهذيب الكمال (٢٦/ ٤٨٥) التّهذيب (٩/ ٤٠١) التّقريب (١/ ١٣٥).

(٣) انظر: التّهذيب (٩/ ٤٠٧) والتّقريب (٢/ ١٣٦).

(٤) انظر: التّهذيب (١٠/ ٣٨٢) والتّقريب (٢/ ٢٤٣).

(٥) انظر: التّهذيب (١٠/ ٣٨٤) والتّقريب (٢/ ٢٤٣).

(٦) انظر: تهذيب الكمال (٣٠/ ٣١١) التّهذيب (١١/ ٦٢) التّقريب (٢/ ٢٧٠).

(٧) انظر: التّهذيب (١١/ ٩٢) والتّقريب (٢/ ٢٧٩).

- يحيى بن إبراهيم بن محمّد بن أبي عبيدة المسعوديّ، صدوق[1].

- يحيى بن طلحة بن أبي كثير اليربوعيّ، أبو زكريّا الكوفيّ، ليِّن الحديث[2].

- يحيى بن عثمان بن صالح بن صفوان السّهميّ، أبو زكريّا المصريّ، صدوقٌ رمي بالتّشيّع، وليّنه بعضهم، لكونه حدّث من غير أصله، تُوفِّي سنة ٢٨٢هـ[3].

- يعقوب بن إبراهيم بن كثير بن زيد، أبو يوسف الدّورقيّ، الحافظ البغداديّ، ثقة، تُوفِّي سنة ٢٥٢هـ[4].

- يعقوب بن شيبة بن الصّلت بن عصفور، أبو يوسف السّدوسيّ البصريّ، صاحب المسند المشهور، ثقة، تُوفِّي سنة ٢٦٢هـ[5].

- يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة الصّدفيّ، أبو موسى المصريّ، ثقة، تُوفِّي سنة ٢٦٤هـ[6].

---

(١) انظر: التّهذيب (١١/ ١٥٥) والتّقريب (٢/ ٢٩٥).

(٢) انظر: التّهذيب (١١/ ٢٠٣) والتّقريب (٢/ ٣٠٦).

(٣) انظر: التّهذيب (١١/ ٢٢٣) والتّقريب (٢/ ٣١٠).

(٤) انظر: التّهذيب (١١/ ٣٣٢) والتّقريب (٢/ ٣٣٧).

(٥) انظر: تاريخ بغداد ١٤/ ٢٨١) السّير ١٢/ ٤٧٦) البداية والنّهاية ١١/ ٤٣).

(٦) انظر: التّهذيب (١١/ ٤٤٠) والتّقريب (٢/ ٣٨٥).

◈ تلاميذه:

أمّا تلاميذته فكثيرون؛ لأنّ الطّبريّ عُمِّر نحواً من ستٍّ وثمانين سنة، فكان طيلةَ هذا العمر المديد منقطعاً للتّأليف والتّدريس، فأخذ عنه أممٌ من طلاّب العلم صار بعضُهم أئمّة، ومن أشهرهم:

- أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة، أبو بكر البغداديّ القاضي، تُوفِّي سنة ٣٥٠هـ[١].

- سليمان بن أحمد بن أيّوب بن مُطَير اللّخميّ الشّاميّ، أبو القاسم الطّبرانيّ، صاحب المعاجم الثّلاثة، تُوفِّي سنة ٣٦٠هـ[٢].

- عبد الله بن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب، أبو شعيب الحرّانيّ، نزيل بغداد، حدّث عن ابن جرير وهو أكبر منه، قال عنه الدّارقطنيّ: ثقة مأمون، تُوفِّي سنة ٢٩٥هـ[٣].

- عبد الله بن عديّ بن عبد الله، أبو أحمد الجرجانيّ المعروف بـ(ابن عديّ) صاحب كتاب "الكامل" في الجرح والتّعديل، تُوفِّي سنة ٣٦٥هـ[٤].

- المعافي بن زكريا بن يحي أبو الفرج الجريري القاضي الفقيه الحافظ، المعروف بابن طرار، أبرز تلاميذ الطبري في حفظ كتبه، توفي سنة ٣٩٠هـ[٥].

---

(١) انظر: تاريخ بغداد ٣/ ٣٥٨) السّير ١٤/ ٢٦٩، ١٥/ ٥٤٤-٥٤٥).

(٢) انظر: وفيات الأعيان ٢/ ٤٠٧) السّير ١٤/ ٢٦٩، ١٦/ ١١٩).

(٣) انظر: تاريخ بغداد ٩/ ٤٣٥-٤٣٧) السّير ١٣/ ٥٣٦، ١٤/ ٢٦٩).

(٤) انظر: تاريخ جرجان لأبي القاسم الجرجانيّ ص٢٦٦-٢٦٨) السّير ١٦/ ١٥٤-١٥٦).

(٥) انظر: السّير ١٦/ ٥٤٤).

المطلب الخامس: عقيدته ومذهبه الفقهيّ.

◊ عقيدته:

الإمامُ الطّبريُّ رحمه الله من كبار أئمّة أهل السّنّة والجماعة، وله مؤلّفاتٌ خاصّةٌ في بيان العقيدة الصّحيحة التي كان عليها سلفُ الأمّة من الصّحابة والتّابعين والأئمّة المعتبرين، منها: "صريح السّنّة[1]" و "التّبصير في معالم الدّين[2]".

ومن اطّلع أيضاً على كتبه الأخرى في مباحث العقيدة عرف قدره ومنزلته في هذا الباب، وفي مقدّمتها تفسيره القيّم الذي هو أجلّ كتب التّفسير، حيث ملأه بآثار السّلف الصّالح في مسائل العلم المختلفة، أوردها بأسانيده مستشهداً بها في تفسير الآيات وشرحها. قال الذّهبيّ :« وتفسير هذا الإمام مشحونٌ في آيات الصّفات بأقوال السّلف على الإثبات لها، لا على النّفي والتّأويل، وأنّها لاتُشْبه صفاتِ المخلوقين أبداً»[3].

---

(١) ويسمّى أيضاً "شرح السّنّة" أوضح فيه عقيدته، وما يدين اللهّ تعالى به من مسائل الاعتقاد، على ما مضى عليه الصّحابة والتّابعون وفقهاء الأمصار.

وقد طُبع مرّتين بدلهي بالهند سنة ١٣١١،١٣٢١هـ، ثمّ بمصر، وطبعه أيضاً وعلّق عليه الشّيخ عبد اللهّ بن حميد بمكّة سنة ١٣٩١هـ، ثمّ حقّقه يوسف معتوق. انظر: الطّبريّ للحوفيّ ص٩٥) أبو جعفر الطّبريّ للشّبل

(٢) ويسمّى أيضاً "تبصير أولي النّهى ومعالم الهدى" وسُمِّي كذلك "البصير في معالم الدّين" ويرى محقّقُه الشّيخ عليّ بن عبد العزيز الشّبل أن الاسم الأخير ليس صحيحاً، بل هو تصحيف.

وهو كتاب نفيس كتبه الطّبريّ في العقيدة وأرسله إلى أهل طَبَرِسْتَان، وضّح فيه عقيدةَ أهلِ السّنّة والجماعة في كثير من المسائل التي اختلف فيها النّاس، وردّ على المخالفين، ومِن أهمِّ المسائل التي تناولها – مسألة الرّؤية والقدر والكلام في الاسم والمسمّى وغيرها، والكتاب طبعته دار العاصمة بالرّياض ١٤١٦هـ.

(٣) السّير ١٤/ ٢٨٠).

ومجمل اعتقاد الإمام الطّبريّ رحمه اللهّ كما في كتابه "صريح السّنّة" أنّه أثبت أنّ القرآنَ كلامُ اللهّ غير مخلوق، وأنّ المؤمنين يرون ربّهم يوم القيامة، وأنّ أفعالَ العباد جميعها من عند اللهّ، وأنّ الإيمان قولٌ وعملٌ، يزيد وينقص...[1]

وهو في باب الأسماء والصّفات على معتقد السلف الصالح، الذين يثبتون ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل وغير تكييف ولا تمثيل.

ولو ذهبتُ أدلّل على ذلك لطال البحث، وعقيدة الطّبريّ معروفة مشهورة خطّها بيده في مؤلّفاته، ودرسها الباحثون في رسائل مستقلّة[2]، فلا حاجة للتّكْرَار، واللهّ تعالى أعلم.

---

(١) ونقله اللاّلكائيّ في شرح أصول اعتقاد أهل السّنّة والجماعة ١/ ١٨٣-١٨٦رقم:٣٢٥) بعنوان "اعتقاد أبي جعفر محمّد بن جرير الطّبريّ".

(٢) منها رسالة أحمد العوايشة - المتقدّم ذكرها - بعنوان "الإمام ابن جرير الطّبريّ ودفاعه عن عقيدة السّلف" وأيضاً رسالة أبي بكر محمّد ثاني - تقدّمت - بعنوان "الآثار الواردة عن أئمّة السّلف في توحيد الأسماء والصّفات في تفسير ابن جرير الطّبريّ ".

◊ مذهبه الفقهي:

كان الإمام الطبري في بداية أمره على المذهب الشّافعيّ ، ثمّ تبحّر في المذاهب الفقهيّة الأخرى حتّى صار إماماً في الجميع، إلى أن بلغ مرتبة المجتهد المطلق، وأصبح له مذهب مستقلٌّ يعرف بـ(الجريريّ)[1] وتبعه أناسٌ، ولم يكتب له البقاء[2].

---

(١) نسبة إلى ابن جرير، فإنّه كان له باع طويل في الفقه ، قال ابن النّديم في الفهرست ص٣٢٦) :((إنّه درس فقه الظّاهريّة على يد داود الظّاهريّ، وفقه الإمام الشّافعيّ على الحسن بن محمّد الزّعفرانيّ، وفقه مالك على يونس بن عبد الأعلى، وفقه أهل العراق على محمّد بن مقاتل الرّازيّ بالرّي)).
وقد اعتنى بفقه الشّافعيّ، وتعمّق فيه، وأفتى، لكن سعة علمه واطّلاعه أهّلته للاجتهاد حتّى استقلّ بمذهب خاصّ به، بيد أنّ أتباعه لم يكثروا، فانقطع بعد الأربعمائة. انظر: مقدّمة ابن فرحون في الدّيباج المُذْهَب ص٤٧-٤٨) طبقات المفسّرين للسّيوطيّ (ص: ٣٠).

(٢) انظر: معجم الأدباء (١٨/ ٥٣) الإمام الطّبريّ للزّحيليّ (ص١٦٢).

المطلب السادس: مؤلّفاته

يعدّ الإمام الطّبريّ : من العلماء الذين احتلّوا مكانة كبيرة في نفوس طلاّب العلم، فقد جمع علوماً كثيرة، وصنّف في ذلك مصنّفات أصيلة، فهو ذو ثقافة واسعة في جميع فنون العلم، وضروب المعرفة « وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحدٌ من أهل عصره »[1].

والناظر في مؤلّفاته يعجب من كثرتها، وتنوّعها، ونفاستها، حتى صار عليها المعوَّلُ في كثير من مسائل العلم المختلفة، ولا شكّ أنّ هناك أسباباً – بعد توفيق الله تعالى – مكّنت الطّبريّ من بلوغ هذه المنزلة السامقة في العلم، والصّدارة في التّأليف، من أبرزها:

– كثرةُ ارتحاله، فقد طوّف في مختلف أقاليمَ الإسلامِ؛ لتحصيل العلم، ولقاءِ العلماء.

– أنّ الشّيوخ الذين لازمهم وأخذ عنهم العلم تنوعت مشاربهم، واختلفت تخصصاتهم فمنهم المفسّر والمقرئ والفقيه والمحدّث والأديب واللّغويّ ...الخ.

– العمر الطّويل الذي وهبه الله تعالى لابن جرير، فقد عاش ستّاً وثمانين سنة.

– عونُ والده له بالمال كما صرّح بذلك في قوله:« فَحَرَصَ أبي على معونتي على طلب العلم، وأنا حينئذٍ صبيٌّ صغير »[2].

---

(١) تاريخ بغداد (٢/ ١٦٣).

(٢) معجم الأدباء (١٨/ ٤٩). وذكروا أيضاً أنّ معونته كانت ترد عليه من حصّةٍ من ضيعةٍ خلّفها له أبوه بطَبَرِستان يسيرة. انظر: معجم الأدباء ١٨/ ٨٨) السّير (١٤/ ٢٧٤).

وهذا – كما سبق – يدلّ على أنّ أباه كفاه مئونة العيش، ومعاناة الرّزق، فكان يرسل إليه نفقته حيث حلّ، فصانه بذلك عن عطايا الخلفاء، ومنح السّلاطين والوزراء، وزهّده في مناصب الدّولة، وأعانه =

- همّته العالية، وانقطاعه للعلم، وحرصه الدّائم عليه قراءة وتدريساً وتأليفاً.

- استقراره ببغدادَ مدينةِ العلم، وقد كانت في ذلك الوقت قبلةَ العلماءِ وطلاّبِ العلم من أنحاء بلاد الإسلام المختلفة.

فهذه العوامل وغيرها ممّا لم يذكر كانت سبباً في تصدّر الطّبريّ رحمه اللهّ في العلم، وتنوّع مؤلّفاته وجودتها، وهي كثيرة منها الكبير الذي يبلغ آلاف الصّفحات، ومنها المتوسّط، ومنها الصّغير، ومنها ما أُكْمِلَ، ومنها ما لم يَكْتَمل، والذي وصل إلينا منها بالنّسبة إلى ما لم يصل قليلٌ؛ لأنّه « مكث أربعين سنةً يكتب في كلّ يوم أربعين ورقة »[1]، وذكروا أيضاً: أنّ بعضَ تلاميذه أحصوْا ما كتب، ثمّ قسموه على أيّام حياته مُنْذُ بَلَغَ الحُلُم إلى أن تُوفِّي، فخرج لهم أربعَ عشرةَ ورقةً كلّ يوم، وهذا شيءٌ عظيمٌ لايتهيّأ لمخلوق إلاّ بحسن عناية الخالق[2].

لَوْلاَ عَجَائِبُ صُنْعِ اللهّ مَا نَبَتَتْ ۞ تِلكَ الفضائلُ في لحمٍ ولا عَصَب[3].

وهذه بعض مؤلّفاته[4] مرتّبة على حروف الهجاء:

= على الانقطاع إلى المدارسة والرّواية والتّصنيف، بل إنّه كان يجبى إليه نصيبه ممّا خلّفه أبوه بعد وفاته، وظلّ ذلك الرّزق موصولاً بحياته إلى أن مات رحمه اللهّ. راجع: مقدّمة تاريخ الطّبريّ ١/ ٦) لأبي الفضل إبراهيم.

(١) تاريخ بغداد (٢/ ١٦٣). وانظر: معجم الأدباء (١٨/ ٤٢) السّير (١٤/ ٢٧٢) البداية والنّهاية (١٤/ ٨٤٦).

(٢) انظر: معجم الأدباء (١٨/ ٤٤).

(٣) البيت لابن الرّوميّ. انظره في ديوانه ١/ ١٩٦) وانظر أيضاً فقه اللّغة للثّعالبيّ (ص: ٢٩).

(٤) مكتفياً بسرد عناوينها ها دون دراسة لطبعاتها أو عزوٍ إلى المصادر التي نصّت عليها، وقد قام بذلك كثيرٌ ممّن ترجم له، وينظر في ذلك: الفهرست لابن النّديم (ص: ٣٢٦) وتاريخ بغداد (٢/ ١٦٣) ومعجم الأدباء (١٨/ ٤٢) وما بعدها - فقد ذكر أكثر ما نسب إلى الطّبريّ من مؤلّفات) وإنباه الرّواة للقِفْطيّ ٣/ ٩٠) =

١. اختلافُ علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام، المعروف بـ(اختلاف الفقهاء).

٢. اختيار من أقاويل الفقهاء. وربما هو جزء من سابقه.

٣. آداب القضاء.

٤. أدب النّفوس الجيّدة والأخلاق النّفيسة، أو أدب النّفس الشّريفة والأخلاق الحميدة، وقد توفِّي الطّبريّ قبل أن يُكْمله.

٥. الأيمان.

٦. بسيط القول في أحكام شرائع الإسلام. وهو في تاريخ الفقه الإسلاميّ.

٧. تاريخ الأمم والملوك، أو تاريخ الرّسل والأنبياء والملوك والخلفاء، المعروف بـ(تاريخ الطّبريّ).

٨. التّبصير في معالم الدّين أو تبصير أولي النّهى ومعالم الهدى.

٩. تهذيب الآثار وتفصيل معاني الثّابت عن رسول اللهّ ﷺ من الأخبار. وهو كتابٌ فريد في نوعه وأسلوبه، ولم يكمله.

١٠. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المشهور بـ(تفسير الطّبريّ) وهو أشهر كتبه.

= وتذكرة الحفّاظ للذّهبيّ (٢/ ٧١١) وطبقات الشّافعيّة الكبرى (٣/ ١٢١). وينظر أيضاً كتاب "الطّبريّ" للحوفيّ ص٨٩-٩٨) وكتاب "الطّبريّ" للدّكتور محمّد الزّحيليّ (ص٥٠-٥٣) وكتاب "أبو جعفر محمّد بن جرير الطّبريّ" للشّيخ علي الشّبل (ص: ٩٤-١٢٠) وقد أفاد وأجاد في دراسة هذه المؤلّفات من حيث ذكر اسم الكتاب، ومحتواه، ونسخه، وطبعاته إن كان مطبوعاً، وبيان مكانه إن كان مخطوطاً، واجتهد في بعضها من حيث تعيين وتحقيق أسمائها، وبيّن ما يُشَكّ في نسبته للطّبريّ، أو في اسمه، وبلغت عنده (٣٧) كتاباً، وعند الحوفيّ (٢٨) كتاباً، وزاد عليه الزّحيليّ كتاباً واحداً، وهو " الرّسالة في أصول الفقه".

١١. حديث الهميان.

١٢. الخفيف في أحكام شرائع الإسلام. وهو مختصر لكتاب (لطيف القول الذي سيأتي ذكره).

١٣. الرّد على ابن عبد الحكم على مالك. في علم الخلاف والفقه المقارن.

١٤. الرّد على ذي الأسفار[١].

١٥. الرّسالة في أصول الفقه.

١٦. صريح السّنّة.

١٧. العدد والتّنزيل.

١٨. الغرائب[٢].

١٩. فضائل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. وهذا يسمّى (كتاب أحاديث غدير خم)[٣] ذكر فيه طرق الحديث وأحكامه وعلله ردّاً على مَن كذّب الحديث.[٤]

---

(١) يردّ فيه على داودَ بن عليّ الأصبهانيّ إمام المذهب الظّاهريّ لما جرى بينهما. راجع: معجم الأدباء ١٨/ ٧٨-٨٠.

(٢) وهذا الكتاب ذكره الداووي في طبقات المفسرين (١/ ١١٥) بهذا الاسم ولم يشر إلى مضمونه، ولعل هذا الكتاب هو الذي جعله بعض الباحثين من كتب غريب القرآن ونسبه إلى ابن جرير، فالله أعلم.
ووهم بعضهم فنسب للطبري كتاب غريب القرآن الذي ذكره ابن النديم في الفهرست (ص: ٣٧) لأبي جعفر أحمد بن محمد بن رستم، كما سيأتي عند الكلام على المؤلفات في غريب القرآن (ص: ٩٤).

(٣) أصل الغدير: القطعة من الماء يغادرها السّيل (الصّحاح ٢/ ٧٦٦، والقاموس المحيط مادّة: غدر) وخُم: وادٍ بين مكّة والمدينة عند الجحفة، عنده خطب رسول الله ﷺ، وقيل اسم رجل، وقيل غيضة، وقيل غير ذلك. انظر: معجم البلدان ٢/ ٣٨٩).

(٤) الحديث رواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من أصحابه رضي الله عنهم، حتى قال الذهبي في السير ٨/ ٣٣٥ : "متنه متواتر" ، وفي بعض ألفاظه عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع ونزل غدير خم ... الحديث، وفيه: أنه قال: « إن الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن ثم أخذ بيد علي رضي الله عنه فقال: من كنت مولاه فهذا وليه، اللهم وال من والاه، وعاد =

٢٠. فضائل أبي بكر وعمر – كتبه ردّاً على ما بلغه من أهل بلده أنّ بعض النّاس يسبّ الشّيخين.

٢١. فضائل العبّاس بن عبد المطّلب.

٢٢. كتاب ذيل المذيّل.

٢٣. كتابُ القراءات وتنزيل القرآن.

٢٤. كتاب المسترشد.

٢٥. كتاب المسند المجرّد.

٢٦. لطيفُ القول في أحكام شرائع الإسلام. وهو كتابُ فقهٍ في المذهب الجريريّ.

٢٧. مختصر الفرائض.

٢٨. مختصر المناسك.

٢٩. الموجز في الأصول.

٣٠. الوقف.

= من عاداه»، وفي بعض طرقه: أن عمر رضي الله عنه لقيه فقال له: هنيئا يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت وليّ كلّ مؤمن ومؤمنة.

أخرجه الترمذي في السّنن (٥/ ٥٩١ برقم ٣٧١٣)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه في السّنن (١/ ٤٣ – المقدمة)، والنّسائيّ في الخصائص (٧٢)، وأحمد في المسند (٢/ ٧١ ، ٩٤ ، ٢٦٢و٢٦٣ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠و٢٧١ ، ٤٣٤ ،)، والحاكم في المستدرك (٣/ ١١٠)، واللفظ له، وقد جمع طرقه الشّيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصّحيحة، وصحّحه أيضاً في مشكاة المصابيح (٣/ ٢٤٣) وصحيح الجامع الصّغير (٥/ ٣٥٣).

المطلب السابع: مكانته العلميّة، وثناء العلماء عليه.

أثنى كثيرٌ من العلماء على الإمام الطّبريّ رحمه الله بما هو أهله، وتقدّمت منه جملٌ في أثناء هذه التّرجمة، وإليك بعضاً ممّا قالوه:

قال إمامُ الأئمّة ابنُ خزيمة[1] لما قرأ تفسيره :« وما أعلم على أديم الأرض - يعني في عصره - أعلم من محمّد بن جرير، ولقد ظلمته الحنابلة »[2].

وقال عنه الخطيب البغداديّ :« وكان أحد أئمة العلماء يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله. وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله عارفاً بالقراءات بصيراً بالمعاني، وفقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسّنن وطرقها، وصحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصّحابة والتّابعين ومن بعدهم من الخالفين في الأحكام، ومسائل الحلال والحرام، عارفاً بأيّام النّاس وأخبارهم »[3].

وقال عنه جمال الدّين القِفْطيّ [4] : « العالم الكامل، الفقيه، المقرئ، النّحوي،

---

(١) هو: محمّد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة، أبو بكر السّلميّ النّيسابوريّ الشّافعيّ، صاحب الصّحيح، ولد سنة٢٢٣هـ وتُوفِّي سنة ٣١١هـ. وهو معاصر للطّبريّ رحمهما الله.

(٢) تاريخ بغداد (٢/ ١٦٤). سبب خلافه مع الحنابلة هو: أنّ الطّبريّ جمع كتاباً ذكر فيه اختلاف الفقهاء، ولم يذكر فيه أحمد بن حنبل، فقيل له في ذلك، فقال: لم يكن فقيهاً، وإنّما كان محدّثاً، فاشتدّ ذلك على الحنابلة، وكانوا لا يحصون كثرة ببغداد، فشغّبوا عليه، وقالوا ما قالوا)) انظر: الكامل لابن الأثير ٨/ ١٣٤).

(٣) المصدر نفسه (٢/ ١٦٣).

(٤) هو: عليّ بن يوسف بن إبراهيم الشّيبانيّ القاضي، أبو الحسين المصريّ القِفْطيّ، كان عالماً متفنّناً، تُوفِّي سنة ٦٤٦هـ. انظر: السّير ٢٣/ ٢٢٧) شذرات الذّهب ٥/ ٢٣٦).

اللّغوي، الحافظ، الأخباري، جامع العلوم، لم ير في فنونه مثله، وصنّف التّصانيف الكبار »[١].

وقال عنه في موضع آخر : « الإمام العالم واحد الدّهر، وفريد كلّ عصر، مؤلّف التّاريخ والتّفسير المشهورين الكبيرين إلى ما انضاف إليهما من تصانيفه العزيزة الوجود، الغريبة بين أمثالها في الجودة والموجود، وقد كان له رحمه الله شعر فوق شعر العلماء »[٢].

وقال فيه ابنُ خَلِّكان[٣] : « إنه كان إماماً في الحديث » [٤].

وقال عنه الذّهبيّ : « الإمام الجليل المفسِّر أبو جعفر صاحب التّصانيف الباهرة ...من كبار أئمّة الإسلام المعتمدين »[٥].

وقال في موضع آخر : « الإمام العلم المجتهد، عالم العصر أبو جعفر الطّبريّ صاحب التّصانيف البديعة ...أكثر التّرحال، ولقي نبلاء الرّجال، وكان من أفراد

---

(١) إنباه الرواة (٣/ ٨٩).

(٢) المحمدون من الشعراء للقِفْطيّ (ص٢٦٤). ومِن شعره قوله:

إذا أعسرتُ لم يعلم رفيقي ۞ وأسْتَغْنِي فيَسْتَغنِي صديقي.

حَيائي حافظٌ لي ماءَ وجهي ۞ ورِفْقِي في مطالبتي رفيقي

ولو أنِّي سَمَحْتُ بماءِ وجهي ۞ لكنتُ إلى الغنى سهل الطّريق

انظر: تاريخ بغداد ٢/ ١٦٥) معجم الأدباء ١٨/ ٤٣) وفيات الأعيان ٤/ ١٩٢) البداية والنّهاية ١٤/ ٨٤٨).

(٣) هو: شمس الدّين أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن إبراهيم الأرْبِلِيّ الشّافعيّ، المشور بابن خَلِّكَان، صاحب كتاب "وَفَيَات الأعيان" تُوفِّي رحمه اللّه سنة ٦٨١هـ. انظر: طبقات الشّافعيّة الكبرى ٨/ ٣٣) البداية والنّهاية ١٧/ ٥٨٨).

(٤) وفيات الأعيان (٤/ ١٩١).

(٥) ميزان الاعتدال (٣/ ٤٩٨).

الدّهر علماً، وذكاءاً، وكثرة تصانيف، قَلَّ أن ترى العيونُ مثلَه ».

ثمّ قال : « كان ثقة صادقاً، حافظاً، رأساً في التّفسير ، إماماً في الفقه والإجماع، والاختلاف، علاّمة في التّاريخ وأيّام النّاس، عارفاً بالقراءات وباللّغة وغير ذلك »[1].

وهكذا يمضي ثناءُ العلماء على هذا الإمام، وقد اكتفيت باليسير منه، وكتبُ أهل العلم مليئة بمدحه، وقلّما يؤلّف كتاب في التّفسير أو التّاريخ أو علوم القرآن، إلاّ وفيه ذكرٌ له، وكفى بذلك إشعاراً بفضله وإمامته ومنزلته رحمه الله.

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧-٢٧٠).

المطلب الثامن: وفاته.

توفيِّ أبو جعفر ببغداد عشيّة الأحد ليومين بقيا من شوّال، وقيل: مات يوم السّبت بالعشيّ، ودفن بالغداة في داره[1] لأربع بقين من شوّال سنة عشر وثلاثمائة (٢٦ شوّال ٣١٠هـ)[2].

قال ابن كثير[3]: « لما توفيِّ اجتمع النّاس من سائر أقطار بغداد، وصلّوا عليه بداره، ودفن بها، ومكث النّاس يتردّدون إلى قبره شهوراً يُصَلُّون عليه »[4].

وقال الخطيب: « ورثاه خلقٌ كثيرٌ من أهل الدّين والأدب »[5]. رحمه الله رحمة واسعة، وعفا عنّا وعنه..

---

(١) قال ابن كثير في البداية والنّهاية ١٤/ ٨٤٩) - معلّلاً سبب دفنه في داره -: ((...لأنّ بعضَ الرّعاع من عوامّ الحنابلة منعوا من دفنه نهاراً، ونسبوه إلى الرّفض، ومِن الجهلة مَن رماه بالإلحاد، وحاشاه من هذا ومن ذاك أيضاً، بل كان أحدَ أئمّة الإسلام في العلم بكتاب الله، وسنّة رسوله ﷺ))اهـ.

(٢) انظر: تاريخ بغداد (٢/ ١٦٦)، سير أعلام النّبلاء (١٤/ ٢٨٢)، البداية والنِّهاية (١٤/ ٨٤٨) وراجع أيضاً: الإمام الطّبريّ للزّحيليّ (ص٣٣).

(٣) هو: عماد الدّين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الحافظ المفسّر المحدّث المؤرّخ، لازم الحافظ المزِّيّ وصاهره، وأخذ الكثير عن ابن تيمية، من كتبه: تفسير القرآن العظيم، والبداية والنّهاية، وجامع المسانيد، توفّي رحمه اللهّ سنة ٧٧٤هـ). انظر: طبقات المفسّرين للدّاووديّ (١/ ١١١-١١٣) النّجوم الزّاهرة (١١/ ٩٨) الدّرر الكامنة (١/ ٣٧٣-٣٧٤).

(٤) البداية والنّهاية (١٤/ ٨٤٩).

(٥) تاريخ بغداد ٢/ ١٦٦).



القسم الأول

القسم الأول

الدراسة النظريـــة

ويشتمل على فصلين :

- الفصل الأول : الغريب : تعريفه ونشأته وتطوره.
- الفصل الثاني : الغريب في تفسير الطبري.



الغريب : تعريفه ونشأته وتطوره

وفيه ثلاثة مباحــث : -

- المبحث الأول : تعريف الغريب لغةً واصطلاحاً .
- المبحث الثاني : نشأته وتطوره.
- المبحث الثالث : مناهج المؤلفين فيه وأهم المؤلفات.

* * * * * * * *

المبحث الأول

تعريف الغريب لغةً واصطلاحاً

ويشتمل على أربعة مطالب :

◊ المطلب الأول : تعريف الغريب لغة.

◊ المطلب الثاني : تعريف الغريب اصطلاحاً.

◊ المطلب الثالث : الغريب في القرآن الكريم.

◊ المطلب الرابع : هل الغرابة تنافي الفصاحة وكيف تطلق على القرآن الكريم؟

* * * ** * * *

المطلب الأول: تعريف الغريب لغة

تدور مادة (غ ر ب) التي اشتقت منها كلمة (الغريب) – في أغلب استعمالاتها – حول ثلاثة معان متقاربة، هي: البعد، والغموض، والخفاء.

فمن البُعد قولهم: رجل غريب : بعيد عن أهله، ليس من سائر القوم، ويقال اغْرُبْ عني أَي تباعَدْ، ومنه أَن النبي صلى الله عليه وسلم أَمَرَ بتَغْريبِ الزاني[1]، والتغريبُ النفيُ عن البلد الذي وَقَعَتِ الجِنايةُ فيه يقال أَغرَبْتُه وغَرَّبْتُه إِذا نَحَّيْتَه وأَبْعَدْتَه والتَّغَرُّبُ البُعْدُ، وغَرَّبه وغَرَّبَ عليه تَرَكه بُعْداً والغُرْبةُ والغُرْب النُّزوحُ عن الوَطَن، والاغْتِرابُ والتغرُّب كذلك تقول منه تَغَرَّبَ واغْتَرَبَ[2].

قال الشاعر:

وإِنِّي والعَبْسِيَّ في أَرْضِ مَذْحِجٍ ... غَريبانِ شَتَّى الدَّارِ مُخْتلِفَانِ[3]

وأما الغموض فهو في الكلام، يقال: فلان يغرب كلامه، ويغرب فيه، وفي كلامه غرابة، وغرب كلامه، وقد غربت هذه الكلمة أي غمضت، فهي غريبة[4].

وأما الخفاء فمثل: غربت الشمس، أي اختفت، ومثل: غربت الوحوش في

---

(١) كحديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: "سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يأمر فيمن زنى ولم يحصن جلد مائة وتغريب عام". أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب البكران يجلدان وينفيان.

(٢) انظر: لسان العرب (١/ ٦٣٧)، المعجم الوسيط (٢ / ٦٤٧).

(٣) البيت للشاعر: طهمان بن عمرو الكلابي، كما نسبه إليه في لسان العرب (١ / ٦٣٧) .

(٤) انظر: أساس البلاغة (غرب) (ص ٤٤٧) .

مغاربها، أي غابت واختفت[١].

وأغلب ما ورد من مادة (غ ر ب) في القرآن الكريم فإنها من هذا المعنى؛ إذ تفيد معنى جهة الغرب وغروب الشمس[٢]، ولم يرد لفظ " الغريب " في القرآن الكريم بمعنى الغريب من الكلام، لكنه شائع ومستعمل عند العرب[٣].

ولا شك أن هذه المعاني الثلاثة متقاربة ومتلازمة؛ فما بعد فقد اختفى، وما اختفى فهو في حكم البعيد، والغامض من الكلام هو ما خفي معناه وبعد فهمه وإدراك فحواه[٤].



(١) انظر: تهذيب اللغة (٨/ ١١١ - ١٢٠) (غرب)، والصحاح (١/ ١٩١- ١٩٤) ، ولسان العرب (١/ ٦٣٧ - ٦٤٨).

(٢) فقد وردت مادة (غ ر ب) في القرآن الكريم في تسعة عشر موضعاً بثلاث عشرة صيغة، وهي على التوالي: غربت، تغرب، الغروب، غروبها، المغرب، المغربين، المغارب، مغاربها، الغربي، غربية، فهذه الألفاظ العشرة تفيد معنى غروب الشمس وجهة غروبها.

وبقيت ثلاث صيغ هي: الغراب، و غرابا، وهو الطائر المعروف، و "غرابيب"، للون الأسود.

مستفادة من مقدمة تحقيق المرعشلي لكتاب العمدة في غريب القرآن لمكي بن أبي طالب (ص ١٣-١٤).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص١٤)، ومقدمة تحقيق كتاب: نفس الصباح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه لأبي جعفر حمد الخزرجي ت: محمد عز الدين المعيار الإدريسي (ص٩).

(٤) غريب القرآن بين كتابي المفردات للراغب الأصفهاني وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي (رسالة ماجستير غير منشور، للباحث/ محمد بن حمد المحيميد) (ص ١٩).

المطلب الثاني: تعريف الغريب اصطلاحاً

تعريف الغريب في الاصطلاح نابع من المعنى اللغوي الثاني الذي هو الغموض.

لذا يقول الخطَّابِي[١] – رحمه الله -: الغريب من الكلام إنما هو الغامض البعيد من الفهم ... ثم إن الغريب من الكلام يقال على وجهين:

أحدهما: أن يُراد به : بعيد المعنى، غامضه، لا يتناوله الفهم إلا عن بُعد، ومعاناة فكر.

والآخر: أن يراد به : كلام من بَعُدت به الدار، من شواذِّ قبائل العرب، فإذا وقعت إلينا الكلمة من لغاتهم : استغربناها ! وإنما هي كلام القوم وبيانهم[٢].

فهذان قسمان لغريب الكلام، الغرابة في كليهما راجعة إلى غموض المعنى، لكنه في الأول راجع إلى قلة الاستعمال، وفي الثاني إلى استعمال الكلمة عند قوم دون آخرين.

والقسم الأول هو الذي يعنيه الزجّاجي[٣] بقوله: " ما قل استماعه من

---

(١) **الخطابي** هو: حَمْد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب، أبو سليمان الخطابي البستي، كان ثقة ثبتاً محدثاً، فقيهاً أديباً، وشاعراً لغوياً، من أوعية العلم، له تصانيف عديدة، توفي ربيع الآخر سنة ٣٨٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٣)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢/ ٢٨٢) ، وطبقات الحفاظ للسيوطي (١/ ٤٠٤) .

(٢) غريب الحديث (١/ ٧٠– ٧١).

(٣) **الزجاجي**: هو: عبدالرحمن بن إسحاق ، أبو القاسم الزجاجي النهاوندي . كان حسن الشارة ، مليح البزة ، ورعاً ملتزماً بدينه . وتتلمذ على الزجاج ولزمه فنسب إليه، له تصانيف منها : الجُمَل ، والأمالي، =

اللغة، ولم يَدُرْ في أفواه العامّة، كما دار في أفواه الخاصّة، كقولهم: صَمَكْتُ الرجُل، أي : لَكَمْتُه، وقولهم للشمس : يُوحُ" [1]، موضحاً بأنه " ليس كل العرب يعرفون اللغة كلها، غريبها وواضحها، ومستعملها وشاذها، بل هم - في ذلك - طبقات، يتفاضلون فيها، كما أنه : ليس كلهم يقول الشعر، ويعرف الأنساب كلها، وإنما هو في بعض دون بعض"[2].

وهو القسم الخاص الذي عناه ابن الأثير[3] حين قسَّم الألفاظ المفردة إلى قسمين: أحدهما : خاص، والآخر : عام .

أما العام : فهو ما يشترك في معرفته، جمهور أهل اللسان العربي، مما يدور بينهم في الخطاب، فهم - في معرفته - سواء، أو قريب من السواء ؛ تناقلوه فيما بينهم، وتداولوه، وتلقفوه من حال الصغر - لضرورة التفاهم - وتعلموه .

وأما الخاص: فهو ما ورد فيه من الألفاظ اللغوية، والكلمات الغريبة الحوشيّة، التي لا يعرفها إلا من عُني بها، وحافظ عليها، واستخرجها من مظانها، وقليل ما هم[4].

= وغيرها. توفي بطبرية سنة ٣٣٧ هـ ، وقيل سنة ٣٤٠هـ. انظر : وفيات الأعيان (٣ / ١٣٦)، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة (ص: ١٣١).

(١) من أسماء الشمس، انظر: لسان العرب (٢/ ٦٣٩).

(٢) الإيضاح في علل النحو (ص: ٩٢).

(٣) **ابن الأثير**: هو أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري الشافعي ، ويعرف بابن الأثير ، كان محدثاً، لغوياً، بليغاً، من مصنفاته : الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، توفي سنة ٦٠٦ هـ ، انظر : طبقات الشافعية (٥/ ١٥٣)، شذرات الذهب (٥/ ٢٢).

(٤) النهاية في غريب الحديث (١/ ٣).

والقسم الثاني يبينه بعض الباحثين[1] بأمرين:

١- إن ألفاظ العربية – بعد اجتماع العربية في لغة قريش – لم تحمل الدلالة الواحدة عند القبائل المختلفة، فقد تحمل لفظةٌ معنًى في قبيلة، ومعنًى مخالفاً في أخرى، ممثلاً لذلك بكلمة " قرء "، فقد قال المبرد[2]: أهل الحجاز يرون " الأقراء " الطهر، وأهل العراق يرونها الحيض، وأهل المدينة يجعلون عِدَد النساء الأطهار[3]، ثم قال الباحث معلقاً: ولهذا اعتور العربية الإغراب، والكل نتيجة اجتماع القبائل؛ فلفظة تتداول على لسان قوم تعتبر غريبة لدى قوم آخرين.

٢- أن العرب – في أحيان كثيرة – لا يفهمون كلام بعضهم بعضاً، وبخاصة عند ما تتكلم كل قبيلة لغتها الخاصة بها؛ لأن كل لغة تختلف عن غيرها من لغات القبائل بأمور.

ثم انطلق من هذين الأمرين إلى سبب تسمية الكتب المصنفة في الغريب بهذا المصطلح قائلاً: استناداً إلى هذه الملابسة اللغوية الحاصلة من اجتماع القبائل العربية – وبخاصة بعد الإسلام – أصبحت اللفظة المتداولة في وسط عربي غريبة لدى آخرين، ومن هنا يبرز سبب استعمال مصطلح " غريب " في أسماء المصنفات، فالغرابة نسبية،

---

(١) وهو الدكتور/ محمد كشاش في بحث منشور له في مجلة التراث العربي (العددان: ٧١- ٧٢) ربيع الأول ١٤١٨هـ - يوليو ١٩٩٨م. بعنوان: كتب الغريب بين حقيقة معنى الغريب وواقع التأليف (ص ١٥٦).

(٢) المبرد: هو: محمد بن يزيد بن عبدالأكبر الأزدي، أبو العباس، المشهور بـ (المبرد)، إمام النحو، كان فصيحاً بليغاً علاّمة، وكان مقدّماً في الدول عند الوزراء والأكابر، توفي سنة (٢٨٥هـ)... انظر: إنباه الرواة (٣/ ٢٤١)، وبغية الوعاة (١/ ٢٦٩).

(٣) الكامل للمبرد (١/ ٣٦٠ - ٣٦١).

ولهذا يمكن القول إن حد الغرابة في اللفظة يتغير بتغير القبيلة؛ فما تصدق عليه الغرابة من الألفاظ في قوم وعصر لا تصدق عليه في قوم آخرين وبعد حين.

وفي النهاية يتحد ضابط القسمين في أنه لا يعرف الغريب إلا من له اطلاع وتبحر في اللغة العربية، فالغرابة نسبية؛ فربَّ لفظ يكون غريباً عند شخص، مشهوراً عند آخر"[1].

ولهذا يمكن تعريف غريب القرآن مختصراً بأنه: ألفاظ القرآن التي يبهم معناها على القارئ والمفسر، وهو مختلف من عصر إلى عصر ومن شخص إلى آخر[2].

(١) التبيان في غريب القرآن لابن الهائم (ص ٤٨٥).

(٢) انظر: معجم مصنفات القرآن الكريم – د. علي شواخ إسحاق (٣/ ٢٩١).

المطلب الثالث: الغريب في القرآن الكريم

أما الغريب في القرآن الكريم: فهو الألفاظ القرآنية، التي يخفى معناها على بعض الناس، أو يصعب إدراك المراد منها، وتحتاج إلى توضيح معانيها، بما جاء في لغة العرب، وكلامهم[1] .

وذلك : لأن ألفاظ القرآن - أو لغاته، كما يقول أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) – "على قسمين:

قسم : يكاد يشترك في معناه، عامة المستعربة، وخاصتهم، كمدلول السماء، والأرض، وفوق، وتحت .

وقسم : يختص بمعرفته، من له اطلاع وتبحُّر في اللغة العربية، وهو الذي صَنّف أكثر الناس فيه، وسمَّوه : غريب القرآن "[2].

(١) انظر: معجم مصنفات القرآن الكريم – د. على شواخ (٣/ ٢٩١)، والعمدة في غريب القرآن – لمكي بن أبي طالب – تح.د. يوسف المرعشلي: (ص: ١٤)، وغريب القرآن بين كتابي المفردات للراغب الأصفهاني وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي (ص ٣١).

(٢) تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب – لأبي حيان الأندلسي (ص ٤٠).

المطلب الرابع: هل الغرابة تنافي الفصاحة وكيف تطلق على القرآن الكريم؟

للعلماء والباحثين في الإجابة على هذا التساؤل إجابتان:

الأولى: أنه ليس المراد بالغرابة في هذه الألفاظ ما ينافي الفصاحة؛ لأنها ألفاظ عربية فصيحة، لكن الغرابة جاءت لسبب خارج عنها، وهو: غرابتها عند بعض الناس لقلة علمهم أو عدم تداولها لديهم، فالغرابة فيها نسبية.

وهذا ما عناه الأستاذ الرافعي[١] بقوله: « وفي القرآن ألفاظ اصطلح العلماء على تسميتها بالغرائب، وليس المراد بغرابتها أنها منكرة أو نافرة أو شاذة؛ فإن القرآن منزه عن هذا جميعه، وإنما اللفظة الغريبة ههنا هي التي تكون حسنة مستغربة في التأويل، بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر الناس »[٢].

الثانية – وهي قريبة من الأولى-: أن الغرابة لا تتعلق بالألفاظ القرآنية، وإنما تتعلق بالناس، فكل من ابتعد عن لغة العرب قليلاً ، أو عن لغة القرآن الكريم خاصة، فقد اغترب عنها، فالغرابة في الناس، وليست في كلمات القرآن، وبهذا لا يطعن في القرآن بدعوى نسبة الغرابة إليه، وبعبارة أخرى: لا يمتعض البعض من تسمية بعض المؤلفات بغريب القرآن بدعوى أن الغرابة " غرابة المفردات " عيب

---

(١) **الرافعي**: هو مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي، أديب، شاعر، من كبار الكتاب. أصله من طرابلس الشام، توفي في طنطا بمصر سنة ١٣٥٦هـ = ١٩٣٧م، انظر: الأعلام للزركلي (٧/ ٢٣٥).

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي (ص ٧١).

من عيوب الفصاحة، فنحن الغرباء وليس القرآن[1].

الثالثة: أن المؤلفين في "الغريب" اتسعوا في تناول مادة "غريب" لتشمل معنى آخر، وهو معنى الشرح والتوضيح اللذين يؤديهما مصطلح "معجم" و"قاموس"، فما حمل اسم الغريب من المؤلفات ليس ضرورة أن يبحث في ألفاظ غريبة في القياس والاستعمال، بل هي أشبه ما تكون بقواميس لغوية معجمية غايتها شرح معاني المفردات وتوضيحها بعامة، لا حصر الغريب، فهم وإن قصدوا ألفاظاً يقع فيها الإغراب والإبهام إلا أنهم جمعوا في بطون مؤلفاتهم ألفاظاً متداولة معروفة على كل لسان[2].

وفي ضوء ما تقدم يظهر تفاوت المصنفين والمهتمين في أمر الغريب؛ إذ لم ينظر علماء اللغة والمهتمون بأمر غريب القرآن، إلى الغريب نظرة واحدة، بل تفاوتت نظراتهم إليه، فما يعده بعضهم غريباً، قد يكون عند غيره غير غريب.

ولذلك : لم تتفق كتب الغريب، فيما أوردته من ألفاظه ؛ فبعضها : يذكر ألفاظا على أنها من الغريب، وبعضها : يُهمل بعض هذه الألفاظ، ويذكر ألفاظاً أخرى، هي – في رأي مصنفي تلك الكتب – من الغريب![3].

---

(١) معاني ألفاظ القرآن الكريم للأستاذ الدكتور/ نبيل بن محمد الجوهري (ص٢٤٨)، بحث منشور في حولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا، العدد ١٥، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.

(٢) انظر: كتب الغريب بين حقيقة معنى الغريب وواقع التأليف (ص: ١٥٥، ١٥٦).

(٣) من مقدمة تحقيق كتاب: بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب، لابن التركماني (ص: ١٦).

المبحث الثاني

نشأة علم الغريب وتطوره

* * * ** * * *

نشأة علم الغريب وتطوره.

نزل القرآن الكريم بلسان العرب الذين بعث فيهم النبي – صلى الله عليه وسلم – كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾ إبراهيم: ٤ فنزل بلسان عربي مبين قرآناً غير ذي عوج، فلم يجد هؤلاء الذين نزل فيهم كثيراً من العناء والشدة في فهمه، لذا قل سؤالهم عن معنى كلمة من كلماته، أو لفظة من ألفاظه؛ لأنهم – كما يقول أبو عبيدة –: « كانوا عرب الألسن، فاستغنوا بعلمهم عن المسألة عن معانيه، وعما فيه مما في كلام العرب مثله من الوجوه والتلخيص، وفي القرآن مثل ما في الكلام العربي من وجوه الإعراب، ومن الغريب والمعاني »[1].

وهذا لا ينفي وجود التفاوت بينهم في معرفة معانيه وفهمها بناءً على قدر تفاوتهم في معرفة لغة العرب واستعمالاتهم[2].

وقد كان الصحابة – رضي الله عنهم – يلجؤون للنبي ﷺ إذا أشكل عليهم شيء من القرآن الكريم، لكن أسئلتهم له عليه الصلاة والسلام كان في الغالب عن مراد الله في الآية أو الآيات، ولم تكن أسئلتهم له ﷺ حول غريب القرآن الكريم كثيرة[3]؛ لأنهم كانوا يعرفون أكثر ما يقوله ؛ حيث كان اللسان العربي، ما يزال

(١) مجاز القرآن (١/ ٨).

(٢) انظر: معاني ألفاظ القرآن الكريم للأستاذ الدكتور/ نبيل بن محمد الجوهري (ص ١٩٥).

(٣) فقد ذهب بعضهم إلى وجوده وإن قلّ، انظر : مقدمة تحقيق نفس الصباح (ص ١١)، وغريب القرآن بين كتابي المفردات للراغب الأصفهاني وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي (ص ٤٨). وذهب بعض الباحثين إلى عدم وجوده مطلقاً، وأنه لم يرد عن النبي ﷺ – عن طريق مقبول – بيان لمعنى كلمة قرآنية، فلم يسأله الصحابة عن ذلك فيجيب، ولم يبين ذلك ابتداء لعدم الحاجة إليه. انظر: معاني ألفاظ القرآن الكريم للأستاذ الدكتور/ نبيل بن محمد الجوهري (ص ١٩٥ – ١٩٦).

=⇦

صحيحاً، محروساً، لا يتداخله الخلل، ولا يتطرق إليه الزلل [1].

واستمر عصر النبي ﷺ على هذا السَّنَن المستقيم حتى لحق بربه عز وجلّ، ثم جاء عصر الصحابة جارياً على هذا النمط وبقي فيه اللسان العربي صحيحاً فصيحاً، وإن جهل بعضهم منه شيئاً.

ثم ازدادت الحاجة إلى معرفة غريب القرآن بعد فتح الأمصار ومخالطة العرب لغيرهم من الروم والفرس والحبش والنبط وغيرها من الأمم الذين فتح الله على المسلمين بلادهم، فامتزجت الألسن، وتداخلت اللغات، فكان الناس يتجهون إلى أهل العلم باللغة، من كبار الصحابة ﷺ فيسألونهم عما غمض عليهم في كتاب الله تعالى.

وقد انتشر الصحابة في الأمصار عقب الفتوح الإسلامية، وأنشأوا مدارس لهم في كل مِصر يفسرون للناس كتاب ربهم.

وقد كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما - بما وهبه الله من العلم - : أبرز من اضطلع بهذه المهمة في صدر الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ.

ومن ذلك جلوسه في فناء الكعبة ؛ وإجابته لأسئلة الناس عما غمض عليهم، في كتاب الله تعالى [2] .

وأشهر المسائل التي رد عليها : هي مسائل نافع بن الأزرق، التي بلغت : مائة وتسعين مسألة، أجاب عنها ﷺ مفسراً، ومستشهداً على ما يقوله - في

= وهذا الرأي أقوى وأرجح؛ إذ بالتأمل في التفسيرات المروية عن النبي ﷺ يظهر أنه كان يسأل عن مراد الله بتلك الكلمات والألفاظ لا أنهم كانوا يجهلون معنى تلك الكلمات.

(١) انظر : النهاية في غريب الحديث (١/ ٤).

(٢) انظر : الإتقان (٢/ ٦).

تفسيرها – بالأشعار.

ولا عجب في ذلك ! فقد دعا له النبي ﷺ قائلاً : " اللهم فقّهه في الدين، وعلّمه التأْوِيل" [1] .

وقال عنه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه " نِعم ترجمان القرآن: ابن عباس"[2].

وقال أبيّ بن كعب رضي الله عنه – وكان ابن عباس عنده فقام –: "هذا يكون حَبْر هذه الأمة" [3] .

ولذلك: وُصف بأنه: « الرائد الجريء، في البحث عن غريب القرآن، والتنقيب عن معانيه، والاستشهاد عليه بالأشعار، والتصدّي لإجابة السائلين فيما جهلوه منه، بسعة معرفة، ورحابة صدر» [4].

ومن هنا : فإن اجتهادات ابن عباس رضي الله عنهما – التي رواها عنه أصحابه، والآخذون عنه – تُعد أول باكورة في معاجم تفسير غريب القرآن الكريم ؛

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١ / ٢٢٦) رقم: (٢٣٩٧). وقال محققوا المسند: "إسناد قوي على شرط مسلم"، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦١٥) ، كتاب: معرفة الصحابة ، باب: ذكر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وقال: "حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، وأصله في الصحيحين من حديث ابن عباس عند البخاري كتاب العلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم علمه الكتاب، ولفظه « اللهم علمه الكتاب »، وكتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء، ولفظه « اللهم فقهه في الدين »، وكتاب فضائل الصحابة، باب ذكر ابن عباس رضي الله عنهما من طريقين بلفظ « اللهم علمه الحكمة »، و « اللهم علمه الكتاب »، وفي أول كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة بلفظ « اللهم علمه الكتاب »، وعند مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضل ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ « اللهم فقهه ».

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات ٢/ ٣٦٦ ، والحاكم في المستدرك ٣/ ٥٣٧ ، وقال صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي ..

(٣)رواه ابن سعد في الطبقات ٢/ ٣٦٧ وذكره الذهبي في السير (٣/ ٣٤٧ – ٣٤٨)، وابن حجر في الإصابة (٤ / ١٤٤).

(٤) معجم المعاجم لأحمد الشرقاوي (ص ٥، ٦).

فقد « ورد عنهم: ما يستوعب تفسير غريب القرآن، بالأسانيد الصحيحة » [1] .

وبقيت الحال على هذا في عصر الصحابة – رضي الله عنهم – واستمرت على سنن من الاستقامة والصلاح حتى انقضى زمن الصحابة، وجاء بعدهم التابعون لهم بإحسان، فسلكوا سبيلهم، واقتفوا أثرهم، واجتهدوا في بيان غريب القرآن لغير أهل العربية، فما انقضى زمانهم – على إحسانهم – حتى كان اللسان العربي كما قال ابن الأثير: « قد استحال أعجمياً أو كاد، فلا ترى المستقل به والمحافظ عليه إلاّ الآحاد»[2] .

من هنا، ومع نهاية القرن الأول الهجري ازدادت حاجة المسلمين إلى تدوين علومهم بعد ما خافوا على ذهاب العلم بموت أهله من الصحابة والتابعين، وقاموا بجمع ما أثر عن النبي – صلى الله عليه وسلم – من أحاديث، ودوّن بعضهم آثار الصحابة أيضاً، وكانت تفسيرات غريب القرآن من أول ما دونه العلماء.

ثم تطور التدوين عند المسلمين وبدأ التخصص في العلوم وظهرت المؤلفات المستقلة في كل فن، وكان غريب القرآن من أبرز ما اهتم به المسلمون، وذلك لتعلقه بكتاب الله تعالى.

وهكذا استقل علم غريب القرآن، وغدا علماً بذاته، وألف فيه كبار الأئمة من المفسرين والمقرئين واللغويين، تيسيراً للناس كي يفهموا ما غمض عليهم من كلام الله عز وجل.

وتتابع التصنيف فيه على مر العصور واتسعت مادته، وتنوعت مناهجه بما يلائم كل عصر، ولا يزال التأليف فيه مستمرا إلى عصرنا هذا، ولن يزال ما دام الناس في حاجة إلى بيان كتاب ربهم.



(١) الإتقان (٢/ ٥).

(٢) النهاية في غريب الحديث – لابن الأثير (١/ ٥).

المبحث الثالث

مناهج المؤلفين في غريب القرآن وأهم المؤلفات فيه

* *   * ** *   * *

مناهج المؤلفين في غريب القرآن

لقد كثرت المصنفات في علم غريب القرآن وتعددت بحيث لم يخل قرن من التأليف فيه، حتى قال السيوطي – رحمه الله -: أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون"[(١)].

وهذا يعني أنه وقف على كتب كثيرة أفردت فيه، سواء وقف على النسخ المخطوطة منها أم على مجرد أسمائها منسوبة إلى أصحابها في بطون كتب التراجم أو كتب علوم القرآن، أو كتب المعاني والغريب والمفردات، وهذا بخلاف ما لم يقف هو عليه[(٢)].

فهذا دليل على كثرة المؤلفات في هذا العلم وتعددها، وعدم حصرها.

وإذا كان من الصعب حصر هذه المؤلفات فإنه يبقى على الأقل إمكان تقديم أكبر عدد منها، وهو ما قام به عدد من الباحثين[(٣)].

ولقد اختلفت مناهج المؤلفين في غريب القرآن اختلافاً كثيراً في مسائل عديدة، من أبرزها ما يلي:

(١) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١١٥).

(٢) انظر: معاني ألفاظ القرآن الكريم للأستاذ الدكتور/ نبيل بن محمد الجوهري (ص ٢٠٧).

(٣) فقد أحصى محقق كتاب غريب القرآن للسجستاني - أحمد عبد القادر صالحية - ما يزيد عن مائة وخمسة وثمانين مصنفاً من مصنفات غريب القرآن، وهو أكبر عدد اطلعت عليه في هذا الموضوع، بينما سرد الأستاذ الدكتور/ فوزي يوسف الهابط، في بحثه المعنون بـ: (معاجم معاني ألفاظ القرآن الكريم) مائة وسبعة عشر مصنفاً في غريب القرآن، وقدم الأستاذ يوسف المرعشلي – في مقدمة تحقيقه لكتاب العمدة في غريب القرآن المنسوب لمكي بن أبي طالب - إحصاءً بذكر المصنفات في غريب القرآن في خمسةٍ وثمانين مصنفاً، وقريب منه ما أوردته الأستاذة / هدى المرعشلي في مقدمة تحقيقها لكتاب تفسير المشكل من غريب القرآن لمكي؛ حيث وصل عدد المصنفات عندها واحداً وستين مصنفاً.

أولاً : اختلاف تسميات مؤلفات غريب القرآن .

اختلفت عناوين كتب غريب القرآن، اختلافاً واضحاً، ولم تأت كلها صريحة بذكر "غريب القرآن" بل تنوعت تسمياتها، فأتى بعضها باسم: "معاني القرآن"، وبعضها باسم "مجاز القرآن"، وبعضها باسم "مفردات القرآن"، وأخرى باسم " إعراب القرآن".

وعلى الرغم من اختلاف عناوين كتب الغريب ومصنفاته، فإن اهتمام أصحابها كان منصباً على شرح اللفظ القرآني، وتوضيح معناه، والاستدلال له من كلام العرب وأشعارهم.

لذلك ذهب جمع من الباحثين والدارسين في مجال غريب القرآن إلى: أن هذه الأسماء: " مترادفة، أو كالمترادفة، في عرف المتقدمين"[1].

وقد وهم كثير من الباحثين المتأخرين، فقالوا : "إن (مجاز القرآن) من كتب البلاغة ! وهو خطأ شائع ! ".

فليس المراد بالمجاز – في هذا العنوان – المجاز المصطلح عليه عند البلاغيين ؛ وإنما المراد منه : معرفة معاني ألفاظه .

ويدل على ذلك: أن صاحب الكتاب (أبا عبيدة – ت٢١٠هـ) يستعمل في تفسيره هذه العبارات :مجازه كذا، وتفسيره كذا، ومعناه كذا، وغريبه كذا، وتأويله كذا.وكلها عبارات تؤدي إلى معرفة معاني الألفاظ[2].

وإلى عدم التفريق بين "غريب القرآن"، و"معاني القرآن" ذهب بعض

(١) مقدمة تحقيق تفسير غريب القرآن – لابن قتيبة، (ص)، وانظر: مقدمة تحقيق كتاب العمدة في غريب القرآن (ص ١٨)، ومقدمة تحقيق كتاب: الغريبين لأبي عبيد الهروي (١/ ١١).

(٢) انظر : مجاز القرآن – لأبي عبيدة – مقدمة التحقيق : (ص ١٨ ،١٩)، والعمدة في غريب القرآن– لمكي بن أبي طالب – ت/ المرعشلي: (ص ١٨).

الباحثين قائلاً: " لكن المهتمين بأمر غريب القرآن - من السلف والخلف - يذهبون - كما ذكرت سابقاً - إلى أن كتب معاني القرآن، هي من كتب الغريب، وإن كانت قد توسعت بعض الشيء .

وهذا التوسع : اقتضته الظروف الثقافية، والعلمية للمسلمين، وتغيرها من عصر إلى عصر، ومن مكان إلى مكان ؛ مما جعلهم يحتاجون إلى مزيد من الشرح، والإيضاح، لغريب القرآن الكريم"[1].

واستدلّ على ما ذهب إليه بقول السيوطي عند تفسيره لحديث:" أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه" [2] فيقول: "ليس المراد : الإعراب المصطلح عليه عند النحاة، بل المراد : معرفة معاني ألفاظه "[3].

وبصنيع الزركشي - في برهانه - فقد قال[4]: النوع الثامن عشر: معرفة غريبه، وهو معرفة المدلول، وقد صنف فيه جماعة، منهم أبو عبيدة (كتاب المجاز) .... إلخ، ثم ذكر قول الشيخ أبي عمرو بن الصلاح: "وحيث رأيت - في كتب التفسير - قال أهل المعاني : فالمراد به : مصنفوا الكتب، في معاني القرآن، كالزجَّاج، ومَن قَبله ".

ثم قال: « وكل ما سبق ذكره : يدعوني إلى أن أسلك كتب الغريب القرآني، التي جاءت تحت عناوين : مجاز القرآن، أو معاني القرآن، ضمن الكتب، التي اهتمت

---

(١) معاجم معاني ألفاظ القرآن الكريم (ص ٣٢).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١١٦) وأبو يعلى في مسنده (رقم ٦٥٦٠) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٦٣) : رواه أبو يعلى وفيه عبد الله بن سعيد بن ابي سعيد وهو متروك، والحاكم في مستدركه (رقم ٣٦٤٤) وفال "هذا حديث صحيح الإسناد على مذهب جماعة من أئمتنا ولم يخرجاه"، وقال الذهبي معلقا على قوله: "بل أجمع على ضعفه"، قال الألباني في: السلسلة الضعيفة (٣/ ٥٢٢ برقم ١٣٤٥): " ضعيف جداً ".

(٣) الإتقان (٢/ ٣).

(٤) البرهان في علوم القرآن : ص ٢٩١ .

بالغريب القرآني، وجعلته محور القول فيها، إلى جانب الكتب، التي نصت - في عناوينها- على معالجتها للغريب » [1].

وذهب بعض الباحثين إلى التفريق بين غريب القرآن وبعض هذه التسميات، فقد تحرّج الدكتور حسين نصار، من إدخال الكتب، التي تحمل اسم: معاني القرآن، ضمن كتب الغريب، وذهب إلى أنها : النواة الأولى للتفسير، كما أنها - في رأيه - أقرب إلى كتب الشروح منها، إلى الكتب اللغوية[2].

كما يرجح بعض الباحثين أن كتب المعاني تختلف عن كتب الغريب كثيراً، فكتب الغريب – كما يرى - تبين معاني الألفاظ التي قلَّ استعمالها في المجتمع فأصبح المجتمع غريباً عنها، بينما كتب المعاني تفسر معاني الألفاظ والجمل، بل والآيات التي يحتاج المجتمع إلى معرفتها، فكتب الغريب بيان لمعنى بعض الألفاظ، وكتب المعاني شرح لمعاني بعض الجمل القرآنية والآيات، فكلاهما يلتقي في أمر واحد وهو عدم الاستقصاء، فالأول لا يستقصي كل ألفاظ القرآن، والثاني لا يستقصي كل جمل القرآن وآياته[3].

---

(١) معاجم معاني ألفاظ القرآن الكريم (ص ٣٢).

(٢) المعجم العربي (١/ ٤٩).

(٣) معاني ألفاظ القرآن الكريم للأستاذ الدكتور/ نبيل بن محمد الجوهري (ص: ٢٦١).

ثانياً : اختلاف المناهج في ترتيب كتب غريب القرآن :

تعد حركة التأليف في غريب القرآن الكريم : من الحركات العلمية الأولى في الإسلام، وقد نشأت – في هذا الوقت – للحاجة إليها، كما أسلفت القول ؛ ولذلك بدأت في عصر مبكر، لا يعدو النصف الأول من القرن الأول للهجرة [(١)]، على هيئة روايات، كالروايات المنسوبة لابن عباس رضي الله عنهما، ثم دونت عقب هذا التاريخ بقليل .

والملاحظ : أن الباكورة الأولى – في هذا المجال – لم تسر على طريق معين، من طرق التأليف ؛ لأنه لم يُقصد فيها التأليف لذاته، وإنما قُصد فيها سد حاجة الناس إلى تفسير ما يعسر عليهم فهمه، من ألفاظ القرآن الكريم .

ومن أوضح الأمثلة لذلك : ماروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في مسائل نافع بن الأزرق المذكورة سابقاً ؛ فإنها لم تتبع ترتيباً معيناً [(٢)] . وإن كانت بعض مرويات ابن عباس رضي الله عنهما التفسيرية – وبخاصة تلك التي رواها علي بن أبي طلحة في صحيفته – قد نُقحت، ورُتبت، حسب السور في القرآن الكريم، ثم روعي فيها ترتيب الآيات في كل سورة .

ولم يكن هذا الترتيب من صنع ابن عباس رضي الله عنهما ولكنه كان من صنع صاحب الصحيفة علي بن أبي طلحة ؛ لأنها نسبت إليه، ولم تنسب إلى ابن عباس .

ثم : إن من ترجموا لابن عباس رضي الله عنهما لم ينسبوا إليه كتاباً ألفه ؛ وإنما نسبوا إليه أقوالاً كثيرة في التفسير وحده، وكانت مروية لا مدونة [(٣)] .

ومن ثم تطور التأليف في غريب القرآن، وأصبح مقصورًا لذاته : سار فيه

(١) انظر : المعجم العربي – نشأته وتطوره – د . حسين نصار (١/ ٤٨) .

(٢) انظر : الإتقان (٢/ ٥٦-٨٨).

(٣) المعجم العربي (١/ ٣٩).

المؤلفون على طرق مختلفة [1]، وصلت إلى أربعة طرق :

الطريق الأول : ترتيب الكلمات الغريبة المفسرة، وفقاً للسور، ثم وفقاً للآيات داخل كل سورة.

وهذا الترتيب : يُعد أقدم نظام في حركة التأليف في غريب القرآن الكريم، وكان هي الطريقة السائدة إلى أواخر القرن الثالث الهجري، بل بقي إلى ما بعد ذلك.

وسار على هذا النهج كثير من المؤلفين فيه، ومنهم :

الفرّاء (ت٢٠٧هـ) في : معاني القرآن .

أبو عبيدة (ت٢١٠هـ) في: مجاز القرآن.

ابن قتيبة (ت٢٧٦ هـ) في : غريب القرآن .

الزجاج (ت٣١١هـ) في : معاني القرآن .

الماريني (ت٧٥٠هـ) في : بهجة الأريب في تفسير الغريب .

ابن الهائم (ت٨١٥هـ) في : التبيان في غريب القرآن .

الطريق الثاني: ترتيب الألفاظ المفسرة، حسب ترتيب الحروف الألفبائية، دون مراعاة للسورة والآية، فما يبدأ بحرف الهمزة يوضع في باب الهمزة، وما يبدأ بحرف الباء يوضع في باب الباء، وهكذا إلى باب الياء .

وقد بدأ هذا النظام عند العُزَيْزِي (ت٣٣٠هـ) في كتابه: نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن .

ولم يكن نظامه هذا مثاليًّا ؛ لأنه فصل بين الكلمات التي تبدأ بحرف واحد ؛ بسبب حركاتها ! فما كان مفتوحاً : جعله في ناحية، وما كان مضموماً : جعله في ناحية،

(١) انظر : المعجم العربي (١/ ٤٨)، ومقدمة تحقيق : العمدة في غريب القرآن : (ص ١٩).

وما كان مكسوراً جعله في ناحية أخرى !

كما أنه لم يفرق – في الحرف الأول – بين الأصلي والزائد !

وإن كان عدم تفريقه بينهما يُسهِّل لكثير من الناس، الوصول إلى طلبتهم في الكتاب ؛ حيث لم يكن هذا النظام قد عُرف حتى على مستوى المعاجم اللغوية العربية.

وقد وصل هذا النظام إلى قمته : عند الراغب الأصفهاني (ت في حدود : ٤٢٥هـ) في كتابه : مفردات ألفاظ القرآن ؛ حيث قسم هذا الكتاب إلى كتب، بدأها بكتاب الألف (الهمزة) وحشاه بالكلمات التي تبدأ بحرف الهمزة، ثم رتبها داخل الباب، مراعياً ترتيب الحرف الأول، ثم الثاني، ثم الثالث غالباً [١] .

ثم ثنى بكتاب الباء[٢]، ثم بكتاب التاء [٣]، وهكذا إلى : كتاب الياء [٤] .

وممن سار على منهجه هذا : السمين الحلبي (ت٧٥٦هـ) في عمدة الحفاظ [٥]، والعراقي (ت٨٠٦هـ) في كتابه : ألفية في تفسير ألفاظ القرآن.

الطريق الثالث : ترتيب الكلمات وفق مدرسة القافية في المعاجم، وذلك باعتبار أواخرها أولاً، ثم أوائلها، وسار على هذا النمط محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت بعد ٦٦٦ هـ)، في كتابه: روضة الفصاحة في غريب القرآن [٦].

الطريق الرابع : ترتيب الألفاظ حسب حرفها الأول، ثم الأخير، دون اعتبار لحروف الوسط أو الحروف الزائدة.

---

(١) انظر : مفردات ألفاظ القرآن (ص ٥٧).

(٢) انظر : المصدر السابق : (ص ١٠٦).

(٣) المصدر السابق : (ص ١٦٢).

(٤) المصدر السابق : (ص: ٨٨٩).

(٥) انظر : المعجم العربي (١/ ٤٨)، ومقدمة تحقيق عمدة الحفاظ : (ص: ٥).

(٦) انظر : المعجم العربي (١ / ٤٨).

وقد سار على هذا الطريق : أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) في كتابه : تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب .

فقد ذكر – في حرف الشين [١] – مواده، حسب الترتيب التالي :

شنأ – شطأ

شوب – شعب – شهب – شرب – شيب .

شمت – شتت .

شحح، ثم : شمخ، ثم : شرد – شدد – شيد .

شكر – شطر – شجر – شعر .

وهكذا، إلى آخر مواد الشين [٢] .

وقد كان منهجه هذا، ومنهج الرازي قبله منهجين غريبين عند العلماء، ولذلك لم ينسج أحد منهم على منوالهما، ولم يسر على طريقهما أحد ممن جاء بعدهما[٣].

---

(١) تحفة الأريب (ص ١٨١).

(٢) المصدر السابق : (ص: ١٩٠).

(٣) انظر: معاجم معاني ألفاظ القرآن الكريم أ.د . فوزي يوسف الهابط (ص: ٢٦)، ومعاني ألفاظ القرآن الكريم للأستاذ الدكتور/ نبيل بن محمد الجوهري (ص٢٥٩) .

ثالثاً : اختلاف أهل الغريب في معالجتهم وشرحهم لألفاظه :

اختلف أهل غريب القرآن الكريم – فيما بينهم – اختلافا بيّنا، في شرح اللفظ القرآني الغريب، وبيانه.

فمنهم : من مال إلى الاختصار الشديد، فاقتصر في بيان معنى الكلمة على أقرب مرادف لها يبين معناها بكلمة أو كلمتين، ويُمَثِّل هذا أكثر الكتب المؤلفة في القرون الثلاثة الأول وبعض الكتب المؤلفة بعد ذلك، مثل كتاب ابن عزيز السجستاني: " نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن العظيم"، وكتاب مكي بن أبي طالب: "تفسير المشكل من غريب القرآن"، وكتاب أبي حيان الأندلسي: تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب ؛ الذي يمكن اعتباره أشد الكتب اختصاراً؛ حيث اقتصر على الشرح اللغوي السريع، للفظ القرآني، دون أن يبين الآية التي ورد فيها، أو يذكر السورة التي احتوته، أو يذكر أحداً من اللغويين أو المفسرين، أو يستشهد بأية أو شواهد شعرية[1] .

وإليك نموذجاً من تفسيره المختصر؛ يوضح لك صدق ما قيل حوله[2]:

من حرف الميم [3] :

ملأ : ﴿المَلأ﴾: الأشراف .

مقت : ﴿مَقتاً﴾ : بغُضاً

مشج : ﴿أَمشَاجٍ﴾: أخلاط، واحدها : مَشَجٌ، ومَشِيجٌ ومِشْجٌ، وهو هنا : اختلاط النطفة بالدم .

---

(١) المعجم العربي (١/ ٤٦).

(٢) انظر: معاجم معاني ألفاظ القرآن الكريم أ.د . فوزي يوسف الهابط (ص: ٢٧- ٣١).

(٣) تحفة الأريب : (ص ٢٨٠).

مرج : ﴿مَرَجَ البَحرَينِ﴾: خلَّى بينهما ، مرجْت الدابّة : خليتها ترعى .

وقيل : خلطهما .

﴿مَرِيج﴾: مختلط .

ومن أهل الغريب من مال إلى الإطالة والتوسع في جمع المادة العلمية، وأسهب في بيان معاني الكلمات القرآنية، فبين دلالة اللفظ في الأصل اللغوي، ثم بين المعنى الحقيقي من المعنى المجازي، وفصل المعاني الفرعية، وأتى ببعض التعريفات اللغوية والاصطلاحية للفظ، وعرج على ما قد يحتاج إليه قارئ الكتاب مما يتطلبه المقام، ولو كان من علوم أخرى[1]، حتى أضحى كتابه " موسوعة علمية صغيرة، فقد يحوي علم اللغة، والنحو، والصرف، والتفسير، والقراءات، والفقه، والمنطق، والحكمة، والأدب، والنوادر،وأصول الفقه، والتوحيد" [2].

ورأْس هذا الاتجاه : هو الراغب الأصفهاني (المتوفى في حدود ٤٢٥هـ)[3] . في كتابه : مفردات ألفاظ القرآن .

وعلى الرغم من هذا الإسهاب، وهذا الإطناب : فقد عده بعض المعجميين[4] قمة التأليف في غريب القرآن الكريم، من حيث الترتيب والعلاج، واعتبره رائداً – في ترتيبه وعلاجه –[5].

وقد سار على نهجه هذا السمين الحلبي (ت٧٥٦هـ) في كتابه : عمدة الحفاظ

---

(١) انظر: معاني ألفاظ القرآن الكريم للأستاذ الدكتور/ نبيل بن محمد الجوهري (ص٢٦٣).

(٢) من مقدمة تحقيق مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ت. صفوان داووي (ص ٢٦).

(٣) انظر : المصدر السابق : ص ٣٨ .

(٤) وهو الدكتور. حسين نصار – المعجم العربي (١/ ٤٩).

(٥) المصدر السابق : ص ٤٤ .

في تفسير أشرف الألفاظ [1] .

وإليك نموذجاً من كتاب المفردات للراغب الأصفهاني، تلمس منه صدق ما وصف به الكتاب :

قال في مادة (مرد): «قال الله تعالى : ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴾ الصافات: ٧ ، والمارد، والمَرِيد – من شياطين الإنس والجن – : المتعرِّى من الخيرات، من قولهم : شجرٌ أمْرَد ؛ إذا تَعَرَّى من الورق .

ومنه قيل : رَمْلَةٌ مَرْداء : لم تُنْبِت شيئا.ومنه : الأمْرَد ؛ لتجرُّده عن الشَّعْرِ .

ورُوِى : (أَهْلُ الجَنَّة مُرْدٌ) [2] فقيل : حُمِلَ على ظاهِرِه، وقيل معناه : مُعَرَّوْن من الشَّوَائب، والقَبَائِح .

ومنه قيل : مَرَدَ فُلاَنٌ عن القبائِح، ومَرَدَ عن المحاسِنِ، وعن الطاعة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ [التوبة: ١٠١]، أي : ارْتَكَسُوا عن الخير، وهم على النفاق.

وقوله: ﴿مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ [النمل: ٤٤] أي : مُمَلَّسٌ، من قولهم : شجرة مَرْداء ؛ إذا لم يكن عليها ورق، وكأن المُمرّد : إشارة إلى قول الشاعر:

---

(١) مقدمة التحقيق : (ص ١٥).

(٢) رواه ـ بلفظه وزيادة ـ الترمذي في سننه ، كتاب صفة الجنة ، باب ما جاء في صفة ثياب أهل الجنة ، وقال : حديث حسن غريب ، والدارمي في سننه ، كتاب الرقاق ، باب في أهل الجنة ونعيمها ، وللحديث شواه كثيرة ـ بلفظ قريب وزيادة ـ عند أحمد في مسنده ١٣ / ٣١٥ ، ١٤ / ٢١٠ ، ١٥ / ٢٢١ ، ٣٦ / ٣٥٣ ، ٤٠٠ ، ٤٢١ ، وقال الهيثمي : "رواه أحمد، وإسناد الرواية الأولى حسن متصل" ، ورواه الطبراني في الكبير ، قال العيثمي : "بإسنادين أحدهما حسن" ، وفي الأوسط ، قال الهيثمي : "وإسناده جيد" ، وفي الصغير والأوسط ، قال الهيثمي : "وإسناده حسن" . انظر مجمع الزوائد ، كتاب البعث ، باب كيف يحشر الناس؟ وباب كيف يبعث المؤمنون يوم القيامة ؟ وكتاب أهل الجنة ، باب كيف يدخل أهل الجنة الجنة؟.

في مَجْدَلٍ شُيِّدَ بُنْيانُه   يَزِل عَنْه ظُفُرُ الظَّافِرِ [١]

ومَارِدٌ : حِصُن معروف .

وفي الأمثال : تمرّدَ مارِدٌ، وعَزَّ الأَبْلَقُ، قاله مَلِكٌ امتنع عليه هذان الحِصْنَان»[٢].

ومن أهل الغريب : من توسط بين الأمرين - حيث عَدل عن الاختصار الشديد، وتجاوز الإطالة – فاكتفى بشرح اللفظ والاستدلال عليه تارة بالشعر، ومرة بدليل من القرآن، وتارة بدليل من السنة، ومن الأمثلة على ذلك : صنيع ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) في كتابه : تفسير غريب القرآن .

على الرغم من هذا الوصف فإنني أذهب إلى أن ابن قتيبة كان معتدلاً في تفسير غريبه، ولم يحدث منه توسع إلا في بابين ساقهما في أول الكتاب :

الباب الأول: اشتقاق أسماء الله الحسنى وصفاته وإظهار معانيها [صفحة٦ـ٢٠]

والباب الثاني: تأويل حروف كثرت في الكتاب [صفحة ٢١-٢٧]

وقد كان توسعه - في هذين البابين - معتدلا، وعلى قدر الحاجة، حيث لم يسق خلافات لا داعي لها .

أما تفسيره لغريب القرآن، بعد هذين البابين فقد كان تفسيراً متوسطاً، لايمكننا أن نصفه بالطول، أو بالقصر، وقصارى ما نستطيع أن نقوله - في هذا المجال - : هو أن الرجل حافظ على وعده الذي وعدنا به في مقدمة كتابه، حين قال [٣] :

"وغرضنا الذي امتثلناه في كتابنا هذا : أن نختصر ونكمل، وأن نوضّح،

---

(١) البيت للأعشى، كما في ديوانه (ص ١٠٨).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن : (٢ / ٣٧١).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص: ٣).

ونُجمل، وأن لا نستشهد على اللفظ المبتذل، ولا نكثر الدلالة على الحرف المستعمل، وأن لا نحشُوَ كتابنا بالنحو، وبالحديث، والأسانيد .. إلخ.

ثم علل منهجه المعتدل هذا بأنه فعل ذلك، حتى لا يسهب في القول، ويطيل الكتاب ؛ وبذلك يقطع منه : طمع المتحفظ، ويباعده من بغية المتأدب[1].

وإليكم نموذجاً من تفسيره لغريب القرآن [2].

سورة الحمد : [الفاتحة]

١ - ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ اختصار؛ كأنه قال: أبدأ باسم الله، أو: بدأت باسم الله.

٢- و(العَالَمُون) أصناف الخلق الرُّوحانيين، وهم : الإنس، والجن، والملائكة، كل صنف منهم : عالَم .

٤- و﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ يوم القيامة ؛ سُمي بذلك : لأنه يوم الجزاء، والحِساب، ومنه يقال: دِنتُه بما صنع، أي : جازيته .

ويقال - في مَثَلٍ- : » كما تَدِينُ تُدَانُ« يراد : كما تَصنع، يُصنَع بك، وكما تُجازِي، تُجازَى .

٦- و﴿الصِّرَاطَ﴾ الطريق، ومثله:﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] ، ومثله : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

٧- ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني : الأنبياء والمؤمنين .

و﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: اليهود .

و﴿الضَّالِّينَ﴾: النصارى

---

(١) تفسير غريب القرآن : (ص ٣).

(٢) المصدر السابق (ص ٣٨).

رابعاً : اختلاف أهل الغريب في عدد الألفاظ المفسرة :

فقد اختلفت كتب الغريب اختلافاً ملحوظا في عدد الكلمات والألفاظ القرآنية التي يشرحونها، فأغلب المؤلفين في الغريب لا يأتون على كل كلمات القرآن، وإنما يأتون على بعضها، ويختلف اختيارهم لهذه الكلمات من مؤلف لآخر، فقد يختار مؤلف بعض الكلمات القرآنية ويترك غيرها، بينما نجد غيره يخالفه في ذلك.

ويرجع هذا الاختلاف بينهم في اختيار الكلمات أو في عددها إلى أمور عدة أهمها ما سبقت الإشارة إليه من النسبية في غرابة اللفظ، فقد تكون بعض الكلمات مشهورة في زمن مؤلف فلا يوردها، وغريبة في زمن آخر فيوردها، إضافة إلى كثرة سؤال الناس عنها.

ولهذا كانت الكتب المؤلفة في الغريب حتى القرن الرابع الهجري تحمل عددا غير كثير من ألفاظ القرآن الكريم؛ لأنهم كانوا قريبي الصلة من العرب الخلص، خاصة كلما اتجهت إلى القرون الأولى، لكن لما عمت العجمة وطمت، وزاد القصور لدى أحفاد العرب الخلص وذراريهم بدأت محاولة الاستيعاب في كل ألفاظ القرآن.

وأكثر كتب الغريب استيعاباً للألفاظ القرآنية هو كتاب: مفردات القرآن للراغب الأصفهاني، ويحوز درجته أو قريبا منه كتاب عمدة الحفاظ للسمين الحلبي[1].

(١) انظر: معاني ألفاظ القرآن الكريم للأستاذ الدكتور/ نبيل بن محمد الجوهري (ص٢٦٠- ٢٦١).

خامساً : اختلافهم في الاعتماد على أقوال أئمة اللغة أو أقوال أئمة التفسير:

اختلفت مناهج أهل غريب القرآن في الاعتماد على أقوال الأئمة من علماء اللغة أو علماء التفسير على ثلاث مناهج:

١- فبالنظر إلى باكورة أقوال العلماء في معاني القرآن وغريبه مثل أقوال ابن عباس وتهذيبها من قبل تلامذته من التابعين، ثم في أوائل المؤلفات في الغريب نجد أنها اعتمدت على أقوال العرب الخلص شعراً في الغالب ونثراً في القليل.

وممن سار على هذا المنوال: أبو عبيدة في "مجاز القرآن"، فهو يأتي بمعنى الكلمة في اللغة ثم يستشهد عليها غالباً بأبيات من الشعر قاربت الألف، ثم ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن بشكل أقل حوالي ٢٤٠ بيتا.

٢- ومن المؤلفين في الغريب من اعتمد في كتابه على أقوال أئمة التفسير، حتى لا تكاد تجد فرقاً بينها وبين كتب التفسير إلا في أنهم لا يفسرون كل كلمات القرآن وجمله وآياته كما يفعل المفسرون، إنما يختارون منها بعض الألفاظ فيفسرونها، ولا يستشهدون بأقوال العرب شعراً أو نثراً إلا في القليل النادر(١).

٣- ومن المؤلفين من خلط في بيان اللفظ القرآني بين أقوال العرب شعراً ونثراً وبين أقوال المفسرين، وهؤلاء أكثر من ألف في الغريب، وأول من فعل ذلك ابن قتيبة؛ فمنهجه – كما نص عليه غير واحد من الباحثين – خليط من منهجي كتب اللغة وكتب التفسير ؛ فهو يضم ظواهرهما معاً ؛ فبينما يفسر الألفاظ لغوياً، ويستشهد عليها كثيراً، بالأشعار، والأحاديث، وأقوال العرب، ويبين وزنها حيناً يفسرها قرآنياً ؛ فيبين – في السور– المدني والمكي أحياناً، ويقتبس أقوال مشهوري المفسرين(٢).

(١) معاني ألفاظ القرآن الكريم (ص٢٦٥).

(٢) المعجم العربي (١/ ٤٢)، وكتب غريب القرآن (ص٦)، ومعاني ألفاظ القرآن الكريم (ص٢٦٥).

أهم المؤلفات في غريب القرآن مرتبة على وفاة مؤلفيها :

سبقت الإشارة إلى أن كثيراً من الباحثين بذلوا جهودا عظيمة في إحصاء الكتب المؤلفة في غريب القرآن، وحاولوا استقصاءها، وأكبر عدد وصلوا إليه في ذلك هو إحصاء محقق كتاب غريب القرآن للسجستاني - أحمد عبد القادر صالحية – حيث عدّ أكثر من مائة وتسعين مصنفاً[1] ، واعتمد عليه الشيخ محمد صبحي حلاق في تحقيقه لتفسير غريب القرآن للصنعاني، ووصل عند الأستاذ الدكتور/ فوزي يوسف الهابط، في بحثه المعنون بـ: (معاجم معاني ألفاظ القرآن الكريم) مائة وسبعة عشر مصنفاً.

وقد اعتمدت في هذا السرد على هذه البحوث وغيرها ، مع إبعاد ما تبين لي الخطأ في ذكره، إما لعدم صحة نسبته إلى المؤلف، أو عدم كونه من كتب غريب القرآن.

وهاكها مرتبة على وفيات مؤلفيها:

١- غريب القرآن – لابن عباس رضي الله عنهما (ت ٦٨هـ) .

٢- غريب القرآن – لعطاء بن أبي رباح القُرشي (ت١١٤هـ) :

وهو من مرويات عبد الله بن عباس ﵄، لكن عطاء بن أبي رباح قام بتهذيبه، وتنقيحه [2].

وهذا الكتاب يوجد مخطوطا، ضمن مجموع، بمكتبة عاطف أفندي بتركيا[3] .

٣- تفسير غريب القرآن المجيد – للإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي

---

(١) بما فيها: كتب غريب القرآن المجهولة المؤلف، وقد رأيت استبعاد ذلك أيضاً.

(٢) انظر : معجم المعاجم : (ص: ٧)، ومقدمة تحقيق: العمدة في غريب القرآن : (ص٢١).

(٣) انظر : معجم المعاجم : (ص٧).

طالب (ت١٢٢هـ) .

وقد شَكَّكَ بعض المؤلفين، في نسبة هذا الكتاب إلى زيد [١].

وقد حُقق هذا الكتاب ضمن رسالة للحصول على العالمية العالية (الدكتوراه) وعنوانها: (ظاهرة الغريب في اللغة العربية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مع تحقيق تفسير غريب القرآن لزيد بن علي).

وأثبت المحقق نسبة الكتاب، للإمام زيد بن علي .

وقد نوقشت هذه الرسالة : في كلية الآداب بجامعة عين شمس بالقاهرة، خلال عام١٩٨٦م .

٤- معاني القرآن - لواصل بن عطاء، البصري، الغزَّالي (ت١٣١هـ)[٢].

٥- غريب القرآن - لأبي سعيد : أبان بن تغلب بن رباح البكري، الجريري - بالولاء - القارئ (ت١٤١هـ) [٣]. وقد ذُكر أن اسم هذا الكتاب : معاني القرآن [٤].

٦- غريب القرآن - لمحمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث الكلبي، أبي النضر، المفسر (ت١٤٦هـ) [٥] .

٧- غريب القرآن – لابن أيوب، المقرئ، أبي جعفر (عاش في النصف الثاني

---

(١) معجم مصنفات القرآن الكريم (٣/ ٢٩٤).

(٢) انظر : معجم الأدباء (١٩/ ٢٤٣-٢٤٧) وميزان الاعتدال (٣/ ٢٦٧)، وطبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٣٥٦).

(٣) هدية العارفين أسماء الكتب والمؤلفين للبغدادي :(ص: ١)، ومعجم مصنفات القرآن الكريم (٣/ ٣٠٠)، ومعجم المعاجم (ص: ٧).

(٤) طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٣)، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١/ ١).

(٥) وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/ ٣٠٩-٣١١)، وميزان الاعتدال (٣/ ٦١-٦٣)، ومعجم المؤلفين (١/ ١٥).

من القرن الثاني الهجري)[1].

والكتاب له نسخة مخطوطة في القرن السابع الهجري، وموجودة بمكتبة عاطف أفندي، بتركيا[2].

٨- معاني القرآن - للرؤاسي : محمد بن الحسن بن أبي سارة، أبي جعفر (ت١٧٠هـ[3]، وقيل : قبل ١٩٣هـ)[4] .

٩- تفسير غريب القرآن - للإمام : مالك بن أنس (ت١٧٩هـ)

وقد طبع مؤخراً تحت عنوان: مرويات الإمام مالك بن أنس في التفسير[5].

١٠- معاني القرآن الصغير - ليونس بن حبيب الضبي بالولاء (ت١٨٢هـ)[6].

١١- معاني القرآن - لعلي بن حمزة الكسائي (ت١٨٩هـ)، وهو كتاب فُقدت مخطوطاته، وأعاد جمعه من بطون المصادر المختلفة :د . عيسى شحاته عيسى، ونشرته : دار قباء بالقاهرة ١٩٩٨م .

١٢- غريب القرآن - لمؤرج بن عمرو بن منيع بن حصين، السدوسي، البصري، أبي فَيْد (ت١٩٥هـ)[7] .

١٣- غريب القرآن - ليحيى بن المبارك بن المغيرة، العدوي، أبي محمد،

---

(١) معجم المعاجم (ص٨)، ومعجم مصنفات القرآن (٣/ ٣٠٠).

(٢) تاريخ التراث العربي - لفؤاد سزكين - ترجمة : د. محمود فهمي حجازي وآخر (١/ ٢٠٣).

(٣) كشف الظنون (٢/ ١٧٣٠).

(٤) معجم المؤلفين (٩/ ١٩١).

(٥) جَمْع :محمد بن رزق الطرهوني، و د .حكمت بشير- نشر :دار المؤيد بالرياض : ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥هـ

(٦) وفيات الأعيان (٧/ ٢٤٥) واسم الكتاب فيه : معاني القرآن الكريم، ومعجم الأدباء (٢٠/ ٣٠)، وطبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٣٨٦).

(٧) معجم الأدباء (١٩/ ١٩٦-١٩٨)، وطبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٢٤١،٢٤٠).

اليزيدي، النحوي (ت ٢٠٢هـ)[١] .

١٤- غريب القرآن - للنضر بن شميل بن خرشة بن يزيد بن كلثوم، البصري، أبي الحسن (ت٢٠٣هـ)[٢] .

١٥- معاني القرآن - لقُطرب : محمد بن المستنير بن أحمد ،البصري، اللغوي (ت٢٠٦هـ)[٣].

١٦- معاني القرآن للفراء، يحيى بن زياد، أبي زكريا (ت٢٠٧هـ) مطبوع[٤].

١٧- مجاز القرآن - لأبي عبيدة، معمر بن المثنى (ت٢١٠هـ) حققه الدكتور / محمد فؤاد سزكين، وطبع غير طبعة .

١٨- معاني القرآن - للأخفش الأوسط : سعيد بن مسعدة، أبي الحسن، النحوي (ت٢١٥هـ) .

حققه الدكتور فائز فارس، ونشرته: دار البشير والأمل بالكويت : ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م.

١٩-غريب القرآن للأصمعي: عبدالملك بن قُرَيب، الباهلي، أبي سعيد (ت٢١٦هـ) .

وقد شكك بعض المعجميين[٥] في نسبة الكتاب إلى الأصمعي، والحق معه؛

---

(١) فهرسة ابن خير الإشبيلي (ص: ٦٧) ، ومعجم المؤلفين (١٣/ ٢٢٠).

(٢) معجم الأدباء : ١٩/ ٢٣٨-٢٤٣، وهدية العارفين : ٢/ ٤٩٤ .

(٣) معجم الأدباء (١٩/ ٥٢-٥٤)، ومفتاح السعادة لطاش كبري زاده (١/ ٦١).

(٤) وهو مطبوع بتحقيق : محمد علي النجار، وأحمد يوسف نجاتي، ونشرته دار الكتب المصرية : ١٩٥٥م وعالم الكتب ببيروت : ١٩٨٠م .

(٥) هو الدكتور / حسين نصار في المعجم العربي (١/ ٤٠).

فقد ذكر الزركشي[١] : أن « الأصمعي – وهو إمام اللغة – كان لا يفسر شيئاً من غريب القرآن » .

ولكن بعض المصادر الكبيرة [٢] نسبته إليه .

٢٠- غريب القرآن - لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) [٣] .

٢١- غريب القرآن – لمحمد بن سلاَّم بن عبيد الله بن سالم، البصري، الجُمحي، أبي عبد الله (ت٢٣١هـ) [٤] وقيل : إنه توفي سنة ٢٣٢ هـ[٥] .

٢٢- غريب القرآن – لعبد الله بن يحيى بن المبارك، العدوي، البغدادي، المعروف باليزيدي (ت٢٣٧هـ) .

حققه : محمد سليم الحاج، ونشرته عالم الكتب ببيروت : ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

٢٣- غريب القرآن - لابن السكيت : يعقوب بن إسحاق بن يوسف (ت٢٤٤هـ)[٦] .

٢٤- غريب المصاحف - لأبي بكر: محمد بن عبد الله الوراق (ت٢٤٩هـ)[٧].

٢٥- غريب القرآن –لمحمد بن عبد الله بن قادم، الكوفي، البغدادي، أبي جعفر،

---

(١) البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٩٥).

(٢) انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي (٢/ ١١٣) ، وطبقات المفسرين للداوودي (١/ ٣٥٥).

(٣) غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٣٤) ، والفهرست لابن النديم (ص ٣٧، ٣٨).

(٤) بغية الوعاة :(١/ ١١٥)، طبقات المفسرين للداوودي (٢/ ١٥٢).

(٥) الفهرست (ص: ١١٣)، معجم المؤلفين (١٠/ ٤١).

(٦) هدية العارفين (٢/ ٢٣).

(٧) الفهرست (ص٥٢) .

صاحب الفراء (كان حياً ٢٥١هـ) [١] .

٢٦- غريب القرآن – لمحمد بن الحسن بن دينار، الأحول، الكوفي، أبي العباس (ت٢٥٩هـ) [٢] .

٢٧- معاني القرآن – لسلمة بن عاصم، أبي محمد، البغدادي، النحوي (ت بعد ٢٧٠هـ). وقد وصف ابن الأنباري كتابه، بأنه: من أجود الكتب[٣].

٢٨- تفسير غريب القرآن - لابن قتيبة، أبي محمد : عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ) .

وقد حققه : السيد أحمد صقر، وصدر في غير طبعة .

٢٩- معاني القرآن - لإسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل، الجهضمي، الأزدي (ت٢٨٢هـ)[٤] .

٣٠- كتاب الحروف في معاني القرآن – إلى سورة طه – للمبرد : محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، أبي العباس (ت٢٨٦هـ) [٥] .

٣١- غريب القرآن - لثعلب : أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار، الشيباني، أبي العباس (ت٢٩١هـ)[٦] .

---

(١) هدية العارفين (٢/ ١٥)، وإيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون للبغدادي (٤/ ١٤٧)- ، ومعجم المؤلفين (١٠/ ٢٣١).

(٢) طبقات المفسرين (٢/ ١٤٣)، والفهرست (ص: ٥٢)، ومعجم المعاجم (ص١٠) .

(٣) غاية النهاية (١/ ٣١١)، وطبقات المفسرين (١/ ١٩٥)، وكشف الظنون (٢/ ١٧٣٠).

(٤) كشف الظنون (٢/ ١٧٣٠).

(٥) غاية النهاية (٢/ ٢٨٠)، طبقات المفسرين (٢/ ٢٦٩).

(٦) طبقات المفسرين (١/ ٩٧)، ومفتاح السعادة (١/ ١٨١) .

٣٢- معاني القرآن - لابن كيسان : محمد بن أحمد بن إبراهيم، أبي الحسن، النحوي (ت٢٩٩هـ) [١] .

٣٣- غريب القرآن - لأبي جعفر الطبري، المقرئ: أحمد بن محمد بن يزداد بن رستم[٢]، قيل: إنه توفى في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري [٣]، وقيل : إنه كان حيا سنة ٣٠٤هـ [٤]، وبعض المصادر : لم تحدد تاريخ وفاته[٥] .

٣٤- غريب القرآن - لمحمد بن العباس بن محمد بن محمد بن يحيى بن المبارك، اليزيدي، البغدادي (ت٣١٠هـ) [٦] .

٣٥- تفسير الغريب - للخلاّل الحنبلي : أحمد بن محمد بن هارون، أبي بكر

---

(١) طبقات المفسرين (٢/ ٥٤)، وكشف الظنون (٢/ ١٧٣٠) .

(٢) نسب بعض الباحثين (كمحقق العمدة ص: ٢٦، ومحققة المشكل ص: ٦٥) هنا كتاب: غريب القرآن للإمام محمد بن جرير الطبري، ووقع ذلك لبساً منهم بهذا الكتاب؛ للشبه بين اسم المؤلفَيْن وتطابق كنيتهما ونسبتهما.

والدليل على ذلك أنهم أحالوا إلى الفهرست لابن النديم: (ص٣٧) والمذكور هناك هو لابن رستم، ولم يذكر شيئا عن ابن جرير.

وقد سبق من مؤلفات ابن جرير الطبري ذكر كتاب: "الغرائب"، ذكره الداوودي في طبقات المفسرين (١/ ١١٥) ولم يذكر شيئا عن مضمونه، وقد نسب بعضهم – كالدكتور/ فوزي الهابط (ص: ٤٤)- كتاب: "غريب القرآن" للطبري اعتماداً على ذلك، فالله أعلم.

(٣) غاية النهاية (١/ ١١٥)، والفهرست (ص٦٥).

(٤) أنباه الرواة (١/ ١٦٣)، ومعجم المؤلفين (٢/ ١٦٨).

(٥) طبقات المفسرين (١/ ٧٢)، وبغية الوعاة (١/ ٣٧٨).

(٦) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦١)، والوافي بالوفيات للصفدي (٣/ ١٩٩) ، ومعجم مصنفات القرآن : (٣/ ٣٠٢).

(ت٣١١هـ)[١] وهو مخطوط، بمخطوطات الظاهرية [٢] .

٣٦- معاني القرآن وإعرابه - للزجّاج، أبي إسحاق : إبراهيم بن السرّى (ت٣١١هـ) .

حققه : د. عبد الجليل شلبي، وطبعته : الهيئة العامة للمطابع الأميرية بالقاهرة سنة ١٩٧٤م، ثم أعيد نشره، عن طريق : عالم الكتب ببيروت : ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

٣٧- غريب القرآن - للأخفش الصغير : علي بن سليمان بن الفضل (ت٣١٥هـ) [٣] .

٣٨- معاني القرآن – لابن الخياط : محمد بن أحمد بن منصور، أبي بكر، النحوي (ت٣٢٠هـ) [٤] .

٣٩- تفسير غريب القرآن لأبي بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت٣١٦) [٥].

٤٠- غريب القرآن - لابن دريد، أبي بكر : محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ) وقد اتفقت المصادر، على أنه لم يتُم هذا الكتاب [٦] .

٤١- غريب القرآن – للبلخي، أبي زيد: أحمد بن سهل(ت ٣٢٢هـ)[٧].

---

(١) البداية والنهاية (١١/ ١٦٦)، ومعجم مصنفات القرآن (٣/ ٢٩٥) .

(٢) الأعلام للزركلي (١/ ٢٠٦).

(٣) المعجم العربي (١/ ٤٢)، ومعجم المعاجم (ص:١٠).

(٤) نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري (ص: ٢٤٧)، وكشف الظنون (٢/ ١٧٣٠) .

(٥) ذكره كحالة في المنتخب من مخطوطات المدينة المنورة (ص: ٦)، بمكتبة عارف حكمت في ١٨٨ صفحة تمت كتابتها عام ١٠٤٠هـ .

(٦) طبقات المفسرين (٢/ ١٢١)، وكشف الظنون (٢/ ١٢٠٨).

(٧) طبقات المفسرين (١/ ٤٢-٤٤)، والفهرست (ص: ٥٣).

٤٢- غريب القرآن-للجعد الشيباني، أبي بكر محمدبن عثمان بن مسبح(ت٣٢٢هـ)[١].

٤٣- غريب القرآن - لنفطويه: إبراهيم بن محمد بن عرفة (ت٣٢٣هـ)[٢].

٤٤- معاني القرآن - لعبد الله بن محمد بن سفيان، الخزاز (ت ٣٢٥هـ)[٣].

٤٥- نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن العظيم – للسجستاني، أبي بكر : محمد بن عُزيّز (ت٣٣٠هـ) .

طبع على هامش مصحف شريف، بمراجعة : عبد الحليم بسيوني سنة ١٣٣٧هـ.

وحققه د. يوسف مرعشلي، ونشرته دار المعرفة ببيروت: ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، كما طبع بدار طلاس بدمشق ١٩٩٣م بتحقيق: أحمد عبد القادر صلاحية.

٤٦- غريب القرآن - للعروضي : أحمد بن محمد بن أحمد (توفي بعد ٣٣٦هـ)[٤].

٤٧- معاني القرآن – للنحاس : أحمد بن محمد بن إسماعيل، أبي جعفر، المعروف: بالمرادي، المصري، النحوي (ت٣٣٨هـ) .

حققه :الشيخ محمد علي الصابوني، ونشرته: جامعة أم القرى: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٤٨- كتاب : ياقوتة الصراط في غريب القرآن - لغلام ثعلب، أبي عمر : محمد

---

(١) طبقات المفسرين (٢/ ١٩٣)، ومعجم المعاجم (ص: ١١).

(٢) معجم الأدباء (١/ ٢٥٦)، وإنباه الرواة (١/ ٢١٥)، ووفيات الأعيان (١/ ٤٧).

(٣) إنباه الرواة (٢/ ١٧١)، وطبقات المفسرين (١/ ٢٤٨).

(٤) معجم الأدباء (٤/ ٢٣٤،٢٣٣)، والفهرست (ص: ٥٢)، ومعجم المؤلفين (٢/ ٧٣).

بن عبد الواحد، المعروف : بالزاهد، المطرز (ت ٣٤٥هـ) [١]، وقد قام بتحقيقه : د . محمد بن يعقوب تركستاني، وطبع بمكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة سنة ١٤٢٣هـ.

٤٩- معاني القرآن - لابن درستويه : عبد الله بن جعفر بن درستويه بن المرزبان، الفارسي، الفسوي، أبي محمد (ت٣٤٧هـ) [٢] .

٥٠- غريب القرآن - للعروضي، أبي الحسن : إبراهيم بن عبد الرحمن ،لم يحدد تاريخ وفاته[٣]، ولكن قيل : إنه من طبقة ابن درستويه [٤] .

٥١- غريب القرآن،

٥٢- والتقريب في كشف الغريب – كلاهما لابن شجرة : أحمد بن كامل، أبي بكر، القاضي، البغدادي (ت٣٥٠هـ) [٥] .

ويبدو أنه ألف الغريب، ثم بدا له أن يختصره ؛ فألف : التقريب[٦].

٥٣- الإشارة في غريب القرآن – للداشي : محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون، أبي بكر، الموصلي، النقاش (ت ٣٥١هـ) [٧] .

٥٤- غريب القرآن - لابن خالويه : أبي عبد الله، الحسين بن أحمد بن حمدان،

---

(١) فهرسة ابن خير (ص: ٦٠)، والبرهان في علوم القرآن (١/ ٢٩).

(٢) طبقات المفسرين (١/ ٢٢٤)، ولم يذكر هذا الكتاب ضمن مؤلفاته، ولكن ذكره : كشف الظنون : (٢/ ١٧٣٠).

(٣) الفهرست (ص: ٥٢)، معجم المعاجم (ص: ١٢).

(٤) المعجم العربي (١/ ٤٢).

(٥) معجم الأدباء (٤/ ١٠٤، ١٠٥)، وطبقات المفسرين (١/ ٦٣-٦٥).

(٦)معاجم معاني ألفاظ القرآن الكريم (ص: ٤٧).

(٧) طبقات المفسرين (٢/ ١٣٢)، ومفتاح السعادة (٢/ ٨١).

الهمذاني (ت٣٧٠هـ) .

وهو مطبوع بتحقيق : محمود الطناحي، وعبد الفتاح الحلو .

٥٥- غريب القرآن - للرمّاني، أبي الحسن : علي بن عيسى بن علي (ت٣٨٤هـ)[١] .

٥٦- كتاب الغريبين : غريب القرآن والحديث – لأبي عبيد الهروي : أحمد ابن محمد (ت٤٠١هـ) .

طبع غير طبعة، وآخر طبعاته: طبعة في ستة أجزاء، بتحقيق : أحمد فريد المزيدي، ونشر: مكتبة الباز بمكة المكرمة: ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

وقد عُني الباحثون بهذا الكتاب، وانصب اهتمامهم حوله : فأفرده بعضهم تحت عنوان: غريب القرآن، في مجلد خاص، ومنه نسخة مخطوطة، في مكتبة القرويين بفاس، تحت رقم : ٢٢١ .

وتعقبه بعضهم بالنقد والتصحيح :

ومن ذلك :

أ- التنبيه على خطأ الغريبين - لأبي الفضل، بن أبي منصور، محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر، السلامي، الفاسي، ثم البغدادي (ت٥٥٠هـ) وتوجد منه نسخ مخطوطة. وقد كانت مآخذه على الغريبين : في اللغة [٢] .

ب - هفوات الغريبين – لمحمد بن أبي بكر بن عيسى، الأصفهاني (ت٥٨١هـ).

وزاد عليه بعضهم، ومن ذلك :

---

(١) نسبه إليه القفطى – في إنباه الرواة (٢/ ٢٩٥، وذكر الداوودي في طبقات المفسرين (١/ ٤١٨) : أن له كتابا في التفسير، دون أن يحدد اسمه .

(٢) معجم المؤلفين (١٢/ ٧٢).

أ- المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث - للأصفهاني، السابق الذكر، وقد حققه د.عبد الكريم العزباوي، ونشرته : جامعة أم القرى : ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

ب- المشرع الروي في الزيادة على غريبي الهروي – لابن عسكر : محمد بن علي بن الخضر، الغساني، المالقي (ت٦٣٦هـ) .

واختصره بعضهم الآخر، ومن ذلك :

مختصر الغريبين - لمجد الدين أبي المكارم : علي بن محمد النحوي (ت٥١٦هـ) .

وقد أفاد أئمة اللغة، والأدب، والتفسير ،من كتاب الغريبين هذا، فيما ألفوا بعده.[(١)]

٥٧- تفسير غريب القرآن - للمهدي، القياني : الحسين بن القاسم بن علي (ت٤٠٤هـ)[(٢)]

٥٨- غريب القرآن - لأبي بكر : محمد بن الحسن بن فورك، الأنصاري، الأصبهاني (ت٤٠٦هـ) [(٣)] .

وهو مخطوط بمكتبة سليم أغا بإصطنبول، في ١٣٩ ورقة، تحت رقم ٢٢٧[(٤)].

٥٩- تفسير غريب القرآن وتأويله على الاختصار - لمحمد بن أحمد بن عبدالرحمن بن صمادح، التجيبي، الأندلسي (ت٤١٩هـ) .

---

(١) العمدة في غريب القرآن - مقدمة التحقيق : (ص٣٠، ٣١).

(٢) هدية العارفين (١/ ٣٧)، ومعجم مصنفات القرآن (٣/ ٢٩٦).

(٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب - لابن العماد الحنبلي (٣/ ١٨٢- ١٨٣) ومعجم المؤلفين (٩/ ٢٠٨)، ومعجم مصنفات القرآن (٣/ ٢٠٤).

(٤) الأعلام : ٦ / ٨٣ .

وقد استخرجه من تفسير الطبري [1].

٦٠- مفردات ألفاظ القرآن - للراغب الأصفهاني : الحسين بن محمد، أبي القاسم (ت في حدود ٤٢٥هـ) [2] .

ظهر في طبعات عديدة، ومنها طبعة محققة تحقيقاً جيداً، للدكتور : صفوان الداوودي، ونشرتها :دار القلم بدمشق، والدار الشامية ببيروت: ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .

٦١- العمدة في غريب القرآن – لأبي محمد : مكيّ بن أبي طالب القيسيّ (ت٤٣٧هـ).

حققه وشرحه : د . يوسف المرعشلي، ونشرته مؤسسة الرسالة ببيروت : ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ثم أعادت طباعته : ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

وقد شكك د. علي حسين البواب [3] في نسبة هذا الكتاب إلى مكيّ ابن أبي طالب؛ لأن من أرخوا لمكيّ لم ينسبوه إليه، بالإضافة إلى اختلاف الشرح والتناول - في هذا الكتاب - عن باقي كتب مكيّ، التي ألّفها في الموضوع نفسه.

٦٢- تفسير المشكل من غريب القرآن - لمكيّ بن أبي طالب القيسيّ (ت٤٣٧هـ) .

حققه : د. علي حسين البواب، ونشرته : مكتبة المعارف بالرياض : ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م .

---

(١) معجم المؤلفين (٨/ ٢٧٥).

(٢) مقدمة التحقيق : (ص: ٣٨) .

(٣) مقدمة تحقيق تفسير المشكل من غريب القرآن - لمكى بن أبي طالب :(ص: ٩).

كما حققته: هدى المرعشلي في رسالة ماجستير، وطبع في دار النور الإسلامي ببيروت، سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٦٣- تقريب الغريبين (غريب أبي عبيد وابن قتيبة) لأبي الفتح : سُلَيم ابن أيوب، الرازي (ت٤٤٧هـ) ، له مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم١٠١٧ تفسير[(١)] .

٦٤- غريب القرآن - لمحمد بن يوسف بن عمر بن علي، الكَفَرْ طَابِي .

اختلف مؤرخوه في تاريخ وفاته :

فقيل : إنه توفي في رمضان ٤٥٣هـ [(٢)] .

وقيل : إنه توفي في سنة ٥٠٣هـ [(٣)] .

وقد اعتَمد صاحب معجم المؤلفين [(٤)] : التاريخ الأول .

٦٥- غريب القرآن - لمحمد بن أحمد بن مطرف الكتاني[(٥)]، وقيل : الكناني (بالنون)[(٦)] (ت٤٥٤هـ) .

وله -أيضاً- :

٦٦- كتاب : القُرطين، جمع فيه بين كتابي : غريب القرآن، ومشكل القرآن،

(١) معجم المعاجم (ص٤١).

(٢) معجم الأدباء (١٩/ ١٢٣)، ومعجم مصنفات القرآن (٣/ ٣٠٢).

(٣) كشف الظنون (٢/ ١٢٠٨)، وهدية العارفين (٢/ ٧٨).

(٤) (١٢/ ١٣٢).

(٥) غاية النهاية (٢/ ٨٩)، ومعجم المؤلفين (٩/ ٢١) .

(٦) الأعلام (٦/ ٢٠٦)، ومعجم مصنفات القرآن (٣/ ٣٠٣).

لابن قتيبة، ولم يتصرف في أي من الكتابين بزيادة أو نقص، وإنما جمع - فقط - بين أقوالهما في كل مسألة، مع تمييز ما في الغريب : بحرف (غ) وما في المشكل : بحرف (ش) [1] وقد طبع الكتاب في جزأين، ونشرته دار المعرفة ببيروت، دون تأريخ، أو تحقيق .

٦٧- الزوائد والنظائر في غريب القرآن - للدامغاني : محمد بن علي بن محمد بن حسين بن عبد الملك (ت٤٧٨هـ) [2]، وقد حَقق الكتاب – تحت هذا الاسم - : محمد حسن أبو العزم، ونشره : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر : ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م ثم حققته : فاطمة يوسف الخيمي، تحت اسم : الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ومعانيها، ونشرته : مكتبة الفارابي بدمشق : ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م .

والكتاب مرتب على حروف المعجم .

٦٨- غريب القرآن - لأبي زكريا : يحيى بن علي بن محمد، الشيباني، الخطيب التبريزي (ت٥٠٢هـ) [3] .

٦٩- غريب القرآن - للزاهد البخاري :محمد بن عبد الرحمن بن أحمد، علاء الدين (ت٥٤٦هـ) [4] .

٧٠- البيان في غريب القرآن - لأبي البركات بن الأنباري (ت٥٧٧هـ) .

---

(١) المعجم العربي (١/ ٤٩) .

(٢) معجم البلدان (٢/ ٤٣٣)، ومعجم المؤلفين (١١/ ٤٨، ٤٩).

(٣) نزهة الألباء (ص٣٧٢)، وبغية الوعاة (٢/ ٣٣٨، ومعجم المؤلفين(١٣/ ٢١٤).

(٤) كشف الظنون (٢/ ١٢٠٨)، وهدية العارفين (٢/ ٩١).

حققه : طه عبد الحميد، ونشرته : الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٦٩م.

٧١- غريب القرآن والحديث - لابن الخراط : عبد الحق بن عبد الرحمن، الإشبيلي (ت٥٨٢هـ) [١] .

٧٢- نفس الصباح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه، لأبي جعفر أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة الأنصاري الخزرجي (ت ٥٨٢هـ)، وقد طبع الكتاب في المغرب بتحقيق الأستاذ/ محمد عز الدين المعيار الإدريسي سنة ١٤١٤هـ

٧٣- مفردات القرآن - لأحمد بن علي بن السمين، البغدادي، الحلبي - أيضاً - (ت٥٩٦هـ) وقيل عن كتابه :« وهو من أحسن الكتب المؤلفة في هذا الشأن » [٢].

٧٤- تذكرة الأريب في تفسير الغريب - لابن الجوزي : عبد الرحمن بن علي بن محمد، القُرشي، أبي الفرج (ت ٥٩٧هـ) .

وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق : د . علي حسين البواب، ونشرته - في طبعته الأولى - مكتبة المعارف بالرياض : ١٤٠٧هـ .

٧٥- غريب القرآن وشواذ الروايات – لموفق الدين الإسكندري : عيسى ابن عبد العزيز بن عيسى، اللخمي، أبي القاسم (ت ٦٢٩هـ) [٣] .

٧٦- غريب القرآن - لأبي يحيى : عبد الرحمن بن عبد المنعم بن محمد،

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات - للنووي (١/ ٢٩٢)، والأعلام(٣/ ٢٨١).

(٢) كشف الظنون (٢/ ١٢٠٨)، وهدية العارفين (١/ ٨٩).

(٣) غاية النهاية (١/ ٦٠٩-٦١١)، وهدية العارفين (١/ ٨٠٨).

الخزرجي، الأندلسي (ت٦٦٣هـ) [١] .

٧٧- روضة الفصاحة في غريب القرآن [٢] - لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر، الرازي، الحنفي، زين الدين - كان في (قونية) سنة ٦٦٦هـ وكان هذا آخر العهد به .

وقيل إنه أتم كتابه هذا سنة ٦٦٨هـ .

وقد رتب كتابه هذا: حسب نظام مدرسة القافية المعجمية؛ فجعل الحرف الأخير بابا، والأول فصلاً، وضم فيه شيئاً من الإعراب، والمعاني [٣].

٧٨- التيسير العجيب في تفسير الغريب لابن المنير أحمد بن محمد بن منصور المالكي الاسكندراني (ت ٦٨٣هـ) منظومة شرح فيها ألفاظ القرآن الغريبة من سورة الفاتحة إلى سورة الناس في ٢٤٨٢ بيتاً، وطبعت بمكتبة دار الغرب الإسلامي بتحقيق سليمان بن إبراهيم ملا أوغلو سنة ١٩٩٤م.

٧٧- نظم غريب القرآن - لعز الدين، أبي محمد : عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميري، المعروف بالديريني (ت٦٩٤هـ) [٤] .

طبع باسم التيسير في التفسير في جزأين، بتحقيق: د. مصطفى محمد الذهبي، ونشرته مكتبة نزار مصطفى الباز سنة ١٤٢٠هـ.

---

(١) بغية الوعاة (ص٢٩٩، ٣٠٠)، وكشف الظنون (٢/ ١٢٠٨).

(٢) في معجم المعاجم (ص: ١٤) : غريب القرآن - فقط .

(٣) كشف الظنون (٢/ ١٢٠٨)، والأعلام (٦/ ٥٥)، ومعجم المؤلفين (٩/ ١١٢)، والمعجم العربي (١/ ٤٥).

(٤) معجم المؤلفين (٥/ ٢٤٠)، ومعجم المعاجم (ص: ١٤).

٧٨- الحسام المرهف في تفسير غريب المصحف - لمحمد بن إدريس بن علي بن عبد الله بن الحسن بن إدريس (ت٧٣٠هـ) [١] وقيل في حدود سنة ٧٢٩هـ [٢].

٧٩- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب - لأبي حيان : محمد بن يوسف بن علي بن حيان، الغرناطي، الجياني، الأندلسي (ت٧٤٥هـ).

حقق، وطبع غير مرة .

٨٠- بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب - لعلاء الدين: علي بن عثمان بن إبراهيم، المارديني المصري، المعروف بابن التركماني (ت٧٥٠هـ)، حُقق، وطبع غير مرة .

٨١- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ - لأحمد بن يوسف بن عبد الدائم، المعروف : بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ) سار على نهج الراغب الأصفهاني، وأخذ من مفرداته ؛ ولذلك صار من أحسن كتب الغريب القرآني . وقد حقق وطبع غير مرة[٣] .

٨٢- ألفية في غريب القرآن - للعراقي : عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، أبي الفضل (ت٨٠٦هـ) .

---

(١) كشف الظنون (٢/ ٦٨٧)، ومعجم المؤلفين (٩/ ٣٤).

(٢) هدية العارفين (٢/ ١٤٧).

(٣) انظر : مقدمة التحقيق : (ص: ٥)، وقد حُقق هذا الكتاب وطبع أكثر من مرة؛ فقد حقق في رسالة (ماجستير) من إعداد الباحث : طلال بن مصطفى عرقسوس، قُدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة : ١٤٠١هـ، لكنه لم يطبع، وحققه محمد باسل عيون السود، وطبع بدار الكتب العلمية ببيروت: ١٤١٧هـ وهو مرجعنا هنا .

وهو مطبوع بهامش كتاب : التيسير في علوم التفسير - للديريني [(١)] .

وقد التزم العراقي - في ألفيته - أن يرتب ألفاظها، وفقاً لحروفها الأصول، بالتدرج من أولها إلى آخرها.

كما التزم أن يذكر الألفاظ، بصورتها التي هي عليها -في القرآن- ما أمكنه ذلك.

وكان يقتصر على ذكر الكلمة، وشرحها، باختصار .

وقد نثرت هذه الألفية في رسالة لمصطفى بن حنفي، الذهبي، المصري (ت١٢٨٠هـ) وسيأتي ذكرها في مكانها .

٨٣- نظم غريب القرآن - لأبي الفتح : نصر الله بن محمد، التستري، البغدادي (ت٨١٢هـ)[(٢)] .

٨٤- التبيان في تفسير غريب القرآن - لابن الهائم المصري : أحمد بن محمد (ت٨١٥هـ) .

وقد اعتَمد فيه : على كتاب محمد بن عُزيّز السجستاني (ت٣٣٠هـ) ولكنه : هذبه، واختصره، وزاده ترتيباً [(٣)] .

وقد حَقق هذا الكتاب : د . فتحي الدابولي، ونشرته : دار الصحابة للتراث بطنطا:١٤١٢هـ / ١٩٩٢م . ثم حققه د. ضاحي عبد الباقي محمد، ونشره: دار الغرب الإسلامي عام ٢٠٠٣م.

---

(١) معجم مصنفات القرآن (٣/ ٢٩٢).

(٢) هدية العارفين (٢/ ٤٩٣)، ومعجم المعاجم (ص: ١٥).

(٣) المعجم العربي (١/ ٤٧).

٨٥- غريب القرآن - للمقريزي : أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد (ت٨٤٥هـ)[١] ولم يعثر على كتابه هذا [٢] .

٨٦- تقريب الغريب - لابن حجر العسقلاني، أبي الفضل :أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ)[٣].

٨٧- الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز - لأبي زيد، الثعالبي، الجزائري : عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت٨٧٥هـ) [٤] .

٨٨- تهذيب تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب – لقاسم بن قطلو بغا ابن عبد الله، زين الدين الجمالي (ت٨٩٧هـ) [٥] .

وقد اختَصر - في كتابه هذا - كتاب أبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) - السابق الذكر- ورتبه ترتيباً جيداً .

ولعل كتابه هذا، هو المسمى : غريب القرآن، الذي أشار إليه بعض المترجمين له[٦].

٨٩- مفحمات الأقران في مبهمات القرآن - لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) .

---

(١) معجم المؤلفين (٢/ ١١)، ومقدمة تحقيق: العمدة (ص: ٣٤).

(٢) المعجم العربي (١/ ٤٧).

(٣) كشف الظنون (١/ ٤٦٤)، و معجم مصنفات القرآن (٣/ ٢٩٦).

(٤) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي (٤/ ١٥٢) ، وهدية العارفين (١/ ٥٣٢)، وقد سُمي الكتاب فيه : الذهب الإبريز في غرائب القرآن العزيز .

(٥) كما في : شذرات الذهب (٧/ ٣٢٦) وهدية العارفين (١/ ٨٣٠).

(٦) شذرات الذهب (٧/ ٣٢٦)، ومعجم مصنفات القرآن (٣/ ٣٠٣).

وقد حققه : د . مصطفى ديب البُغا - ونشرته : مؤسسة علوم القرآن بدمشق : ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م .

ورُتب هذا الكتاب : حسب ترتيب سور القرآن، وآياته .

٩٠- غريب القرآن - لابن الشِّحْنَة : عبد البر بن محمد بن محمد بن محمود، الحلبي، القاهري (ت٩٢١هـ) [١] . وهو مخطوط[٢] .

٩١- غريب القرآن - للناشري :حمزة بن عبد الله بن محمد، تقي الدين (ت٩٢٦هـ) [٣] .

٩٢- شذور الإبريز في تفسير غريب القرآن [٤] - لمحمد بن عبد القادر بن أحمد بن إسرائيل بن إسماعيل، الإسرائيلي، الحباني (ت١٠١٥هـ) [٥] .

٩٣- التيسير العجيب في تفسير الغريب – لأبي العباس : أحمد بن القاضي وجيه الدين، أبي المعالي : محمد بن محمد بن أبي العافية، المكناسي، الزناتي (ت١٠٢٥هـ) يوجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة لا له لي بتركيا، ونسخة أخرى في مكتبة رشيد أفندي بتركيا أيضاً [٦] .

(١) هدية العارفين (١/ ٤٩٨)، ومعجم المؤلفين (٥/ ٧٧).

(٢)ورد ذكره في فهرس المكتبة الأزهرية (١/ ١٥٣)، وانظر : معجم المعاجم (ص: ١٥)، ومعجم مصنفات القرآن (٣/ ٣٠٤).

(٣) شذرات الذهب (٨/ ١٤٢)، ومعجم المؤلفين (٤/ ٧٩).

(٤) ورد في معجم المؤلفين (١٠/ ١٨٠) باسم: « شذور الإبريز في لغات الكتاب العزيز » .

(٥) الأعلام (٦/ ٢١٢)، ومعجم مصنفات القرآن (٣/ ٩٩ ، ١٠٠ ، ٢٩٨) .

(٦) الأعلام (١/ ٢٣٦) (ولم يشر صاحبه إلى وجود هذا الكتاب بين كتب المؤلف)، والعمدة في غريب القرآن : (ص: ٣٥).

٩٤- مجمع البحرين ومطلع النيرين في غريب الحديث والقرآن الشريفين[١]

– لفخر الدين : طريح بن محمد بن أحمد بن طريح، الرماحي، المسهلي، النجفي، المعروف بالطريحي (ت١٠٨٥هـ) [٢] وقد طبع هذا الكتاب [٣] .

٩٥- تفسير غريب القرآن لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني اليمني (ت١١٨٢هـ)، توجد منه نسخة في الجامع الكبير بصنعاء، وحققه على نفس النسخة الشيخ/ محمد صبحي حلاق، وطبع سنة ١٤٢١هـ بدار ابن كثير بلبنان.

٩٦- رسالة في تفسير غريب القرآن العظيم – لمصطفى بن حنفي بن حسن، الذهبي، المصري (ت١٢٨٠هـ) .

وهي رسالة صغيرة، نثر فيها صاحبها : ألفية العراقي –السابقة الذكر– وسار على ترتيبها، إلا أنه : اختصرها ؛ فحذف بعض ألفاظها، وبعض أقوالها في التفسيرات المختلفة، ولذلك جاءت رسالة هينة، ولا قيمة تذكر لها [٤] .

وقد طبعت (طبعة حجر) في مطبعة : السيد محمد شعراوي، بالقاهرة[٥].

٩٧- فتح المنان بتفسير غريب جمل القرآن – للشبلنجي : مؤمن بن حسن

---

(١) ورد في هدية العارفين (١/ ٤٣٣) باسم: « مجمع البحرين ومطلع النيرين في تفسير غريب القرآن » فقط .

(٢) إيضاح المكنون (٢/ ٤٣٣)، ومعجم المؤلفين (٥/ ٤١).

(٣) معجم المطبوعات العربية والمعربة، ليوسف سركيس (٢/ ١٨٤٥)، ومقدمة تحقيق العمدة في غريب القرآن (ص: ٣٥).

(٤) المعجم العربي (١/ ٤٧).

(٥) معجم المطبوعات (١/ ٩١٢)، والمعجم العربي (١/ ٤٧).

مؤمن (ت١٣٠٨هـ) [١] .

٩٨- تفسير غريب القرآن-لمحمود إبراهيم وهبه- طبع الكتاب:١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م في مصر.

٩٩- هدية الإخوان في تفسير ما أبهم على العامة من ألفاظ القرآن – لمصطفى بن يوسف بن عبد القادر، الأسير، الحسيني، البيروتي(ت١٣٣٣)وقد طبع الكتاب غير طبعة[٢] .

١٠٠- معجم القرآن – لعبد الرؤوف المصري . وهو معجم لشرح مفردات القرآن وغريبه .

وقد رتبه صاحبه حسب الترتيب الألفبائي، وطبع-في جزأين-ط٢ سنة ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م .

١٠١- معجم غريب القرآن مستخرجاً من صحيح البخاري – لمحمد فؤاد عبد الباقي . وقد طُبع بدار إحياء الكتب العربية بالقاهرة : ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م .

وهو يجمع بين ما أخذه البخاري من صحيفة علي بن أبي طلحة – السابقة الذكر – ومسائل نافع بن الأزرق، في كتاب واحد .

ولكنه لا يذكرها بنصها ؛ بل يذكر المادة، ثم الآية المذكورة فيها، ويتبعها رقم الآية، ثم رقم السورة، في صلب الكتاب، ثم يذكر تفسير اللفظ الغريب في الهامش أسفل الصفحات .

وقد رتب ما أخذه من البخاري، ثم ما أخذه من مسائل نافع : ترتيباً ألفبائياً

(١) الأعلام (٨/ ٢٩١)، وإيضاح المكنون (٢/ ١٧٤).

(٢) معجم المطبوعات (١/ ٤٤٩).

١٠٢- كلمات القرآن : تفسير وبيان - للشيخ حسنين مخلوف .

وقد رُتب حسب ترتيب السور، ثم الآيات في داخلها .

وهو مختصر، وصغير الحجم، وقد طبع غير طبعة، وتم تأليفه : ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م.

١٠٣- تفسير غريب القرآن الكريم - لحمدي عبيد الدمشقي .

انتهى من تأليفه : ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .

وقد اختاره من كتب أئمة اللغة، وعلماء التفسير .

وطبع هذا الكتاب : على هوامش مصحف شريف، حسب ترتيب السور وآياتها .

لكنه أخطأ في أرقام الآيات الموجودة بجوار كلماتها المفسرة ؛ إذ كان يذكر الرقم السابق للآية !

والمعروف - في المصاحف - : أن أرقام الآيات تتلوها، ولا تسبقها .

وقد نشرت هذا المصحف المفسر : دار عالم الكتب .

١٠٤- قاموس قرآني - جمع وتأليف : حسن محمد موسى - وقد طبع بالإسكندرية : ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م .

١٠٥- معجم ألفاظ القرآن الكريم – وضعته لجنة من أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة، على رأسها : الشيخ إبراهيم حمروش – يرحمه الله – وطبعته الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر – طبعة كاملة – في مجلدين سنة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م .

وهو معجم مرتب على حروف الهجاء ؛ لشرح معاني ألفاظ القرآن الكريم

على الإجمال، مع الدلالة على موضع كل كلمة في الآيات والسور التي ذكرت فيها[1].

١٠٦- غريب القرآن - للشيخ نديم الجسر .

طبع قبل عام ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م[2] .

١٠٧- الهادي إلى تفسير غريب القرآن - للدكتور سالم محيسن، والدكتور / شعبان إسماعيل - طبعته دار الأنصار بالقاهرة سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

١٠٨- أوضح البيان في شرح مفردات وجمل القرآن - لمحمد كريم راجح.

طبع على هامش مصحف شريف، حسب ترتيب السور، ثم الآيات، ونشرته : دار المعرفة ببيروت : ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

١٠٩- منظومات في مسائل قرآنية – للشيخ محمد الطاهر،التليلي، السوني، الجزائري.

وهو يتضمن عدة أقسام منظومة، تدور حول القرآن الكريم، ومنها، قسم خاص بنظم غريب القرآن .

وقد نشرته : المؤسسة الوطنية للكتاب، بالجزائر : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م .

١١٠- المفتاح النوراني على المدخل الربّاني للمفرد الغريب في القرآن - للشيخ محمد باي بلعالم - انتهى من تأليفه في : صفر ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م .

وطبع في باتنه بالجزائر، وخرج في جزأين .

وهو شرح للنظم السابق الذكر .

---

(١) العمدة في غريب القرآن (ص٣٦).

(٢) المصدر السابق (ص: ٣٧).

١١١- السراج في بيان الغريب للدكتور / محمد بن عبد العزيز الخضيري.

وهو كتاب مختصر صغير الحجم، سهل العبارة، صدرت طبعته الأولى سنة ١٤٢٩هـ ضمن سلسلة كتاب البيان الصادرة عن مجلة البيان.

١١٢- تفسير غريب القرآن، تأليف: كاملة الكواري. صدر من دار ابن حزم سنة ١٤٢٩هـ.

١١٣- وجه النهار الكاشف عن معاني كلام الواحد القهار . تأليف: د.عبدالعزيز بن علي الحربي . نشره: دار ابن حزم (بيروت) عام (١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م) .



الفصل الثاني

الغريب في تفسير الطبري

وفيـه ثلاثة مباحث : -

- المبحث الأول : منهج الطبري في عرض الغريب.
- المبحث الثاني : خصائص منهج الطبري في الغريب.
- المبحث الثالث : موارد الطبري في غريب القرآن.

* * * * * * * *

المبحث الأول

منهج الطبري في عرض الغريب

* * * ** * * *

منهج الطبري في عرض الغريب

كان الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – ذا معرفة واسعة واطلاع عميق باللغة العربية؛ لذلك وُجدت له ترجمة في طبقات اللغويين والأدباء مع كونه مفسراً فقيهاً، قال القفطي في صدر ترجمته له: « العالم الكامل الفقيه المقرئ النحوي اللغوي الحافظ الإخباري جامع العلوم، لم ير في فنونه مثله »[1].

ولقد اهتمّ الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – بالألفاظ الغريبة في تفسيره وأولاها عناية كبيرة؛ إذ تعد معرفة اللفظة واشتقاقها ومدلولاتها أول مراحل التفسير وأولى لبناتها، وعليها الأساس والبناء.

وبناء على تعدد مصادر الطبري وموارده في الغريب فقد تنوع منهجه في عرض الكلمات الغريبة ودراستها، ويمكن إجمال منهج الطبري في عرض الغريب في النقاط التالية:

---

(١) إنباه الرواة (٣/ ٨٩).

١- منهجه في تحليل اللفظة الغريبة:

للإمام الطبري مع اللفظة القرآنية منهج دقيق وتعامل جيد، فهو يعمد إلى تحليل اللفظة تحليلاً معجمياً، ويمكن اختصار هذا المنهج في النقاط التالية:

١) إرجاع الكلمة إلى أصلها.

فقد اهتم الطبري بإرجاع الكلمات الغريبة إلى أصلها اللغوي، وذكر مشتقاتها، والاستشهاد على ذلك من كلام العرب وأشعارها، للاحتجاج بذلك على المعنى الذي اختاره.

وقد زاد عدد الكلمات التي تكلم الطبري عن أصلها عن مائة وخمسين كلمة [١].

ومن الأمثلة على ذلك: قوله: " وأصل الفسق في كلام العرب: الخروج عن الشيء، يقال منه: فسقت الرطبة، إذا خرجت من قشرها؛ ومن ذلك سميت الفأرة فويسقة، لخروجها عن جحرها، فكذلك المنافق والكافر سميا فاسقين لخروجهما عن طاعة ربهما، ولذلك قال جل ذكره في صفة إبليس: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾ الكهف: ٥٠ يعني به: خرج عن طاعته، واتباع أمره[٢].

وقوله: "وأصل الهمود: الدروس والدثور، ويقال منه: همدت الأرض تهمد همودا، ومنه قول الأعشى ميمون بن قيس:

قالَتْ قُتَيْلَةُ ما لِجِسمَك شاحِبا ... وأرَى ثِيابكَ بالِياتٍ هُمَّدَا [٣]

والهمد: جمع هامد، كما الركع جمع راكع[٤].

---

(١) كالفرقان في (١ / ٩٥)، والغيب في (١ / ٢٤٢)، والختم في (١ / ٢٦٥)، والمرض في (١ / ٢٨٦)، والملأك في (١ / ٤٧٣)، والظلم في (١ / ٥٥٩)، والزكاة في (١ / ٦١١)، والرجم في (١ / ١١٠)، والصبر في (١ / ٦١٧)، والخشوع في (١/ ٦٢٣)، والانكدار في (٢٤/ ١٣٢)، والفاقرة (٢٣ / ٥١٢)، والكفل (٢٢ / ٤٣٥)، والعشو (٢٠ / ٥٩٥)، والزور (١٧ / ٥٢٣)... وغيرها.

(٢) جامع البيان (١ / ٤٣٤).

(٣) البيت لأعشى بن قيس في ديوانه (ص ٢٢٧).

(٤) جامع البيان (١٦/ ٤٦٥ - ٤٦٦).

وربما ذكر للكلمة أكثر من أصل كما قال – في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ ﴾ التوبة: ٤٧ –: « يقول : ولأسرعوا بركائبهم السير بينكم.

وأصله من إيضاع الخيل والركاب ، وهو الإسراع بها في السير ، يقال للناقة إذا أسرعت السير : وضعت الناقة تضع وضعا وموضوعا ، وأوضعها صاحبها : إذا جد بها وأسرع يوضعها إيضاعا ، ومنه قول الراجز :

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذِعُ   **أُخِبُّ فِيهَا وَأَضَعُ** [1]

وأما أصل الخلال : فهو من الخلل : وهي الفرج تكون بين القوم في الصفوف وغيرها ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : « تراصوا في الصفوف لا يتخللكم أولاد الحذف » [2].

ومن هذا القبيل: الإشارة إلى أصل تسمية بعض الأشياء بأسمائها كقوله:

« وإنما سميت السماء سماء لعلوها على الأرض وعلى سكانها من خلقه، وكل شيء كان فوق شيء آخر فهو لما تحته سماء؛ ولذلك قيل لسقف البيت سماؤه، لأنه فوقه مرتفع عليه ولذلك قيل: سما فلان لفلان: إذا أشرف له وقصد نحوه عاليا عليه»[3].

---

(١) البيت لدريد بن الصمة، قاله يوم غزوة حنين، كما في سيرة ابن هشام (٤ / ٨٢)، وانظره في تهذيب اللغة – (١/ ٣٣٠)، ولسان العرب (٨ / ٣٩٦).

(٢) جامع البيان (١١ / ٤٨٣).والحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣٠/ ٥٨٣ برقم ١٨٦١٨) والحاكم في مستدركه (١/ ٣٣٧) حديث رقم (٧٨٦)، من حديث البراء.

وقال الحاكم: « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ »، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١١٩٢، و ٢٠٧٢).

والحذف: هي الغنم الصِّغار الحِجازيَّة واحِدتُها حَذَفة، انظر: الصحاح في اللغة (٤/ ٢٨)، والنهاية في غريب الأثر (١ / ٩١٨).

(٣) جامع البيان (١ / ٣٨٨)، وانظر كلامه في سبب تسمية الزكاة زكاة (١ / ٦١٢)، واليهود يهوداً جامع البيان (٢ / ٣٢) والمناسك مناسك (٢ / ٥٧٠)، والربوة ربوة (٤ / ٦٧٣)، ومكة بكة (٥ / ٥٩٤)، والكعبة كعبة (٩ / ٥) وغيرها.

بل قد يجمع بين ذكر أصل الكلمة، وسبب تسميتها كما في لفظة (الصلاة)، حيث يقول: « وأما الصلاة في كلام العرب فإنها الدعاء كما قال الأعشى :

لَـهَا حَارِسٌ لا يَبْرَحُ الدَّهْرَ بَيْتَهَا ... وَإِنْ ذُبِحَتْ صَلَّى عَلَيْهَا وَزَمْزَمَا[1]

يعني بذلك : دعا لها ، وكقوله الآخر أيضا :

وَقَابَلَهَا الرِّيحَ فِي دَنِّهَا ... وصَلَّى عَلَى دَنِّهَا وَارْتَسَمْ[2]

وأرى أن الصلاة المفروضة سميت صلاة ؛ لأن المصلي متعرض لاستنجاح طلبته من ثواب الله بعمله مع ما يسأل ربه فيها من حاجاته تعرض الداعي بدعائه ربه استنجاح حاجاته وسؤله »[3].

٢) مفارقة الكلمة عن شبيهها.

إذ يورد الطبري – عند تناوله تفسير بعض الكلمات الغريبة – ما يقارب الكلمة من نفس مادتها مما يخالفها في المعنى؛ ليبين الفرق بينهما.

فلما فسر قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ﴾ آل عمران: ٥٢ بقوله:« فلما وجد عيسى منهم الكفر »، قال: « والإحساس : هو الوجود ، ومنه قول الله عز وجل : ﴿هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ﴾ مريم: ٩٨ . فأما الحس بغير ألف ، فهو الإفناء والقتل ، ومنه قوله: ﴿إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ﴾ آل عمران: ١٥٢ والحس أيضا : العطف والرقة[4].

وعند تفسيره لكلمة {مقاليد} في قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣﴾ الزمر: ٦٣.

(١) البيت في ديوانه (ص ٢٠٠).

(٢) البيت للأعشى أيضا، كما في ديوانه (ص ٢٩).

(٣) جامع البيان (١ / ٢٤٨).

(٤) جامع البيان (٥ / ٤٣٥).

قال: « يقول تعالى ذكره : له مفاتيح خزائن السموات والأرض ، يفتح منها على من يشاء ، ويمسكها على من أحب من خلقه ؛ واحدها : مقليد . وأما الإقليد : فواحد الأقاليد »[1].

وقوله – عند تفسير قوله:﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ ﴾ النجم: ٢ –: « ويعني بقوله: ﴿وَمَا غَوَىٰ ﴾: وما صار غويا ، ولكنه رشيد سديد ؛ يقال : غَوَى يَغْوِي مِنَ الْغَيِّ ، وَهُوَ غَاو ، وَغَوِيَ يَغْوَى مِنَ اللَّبَنِ : إِذَا بَشِمَ » [2].

٣) ذكر أوجه استعمال الكلمة:

فعند تفسيره لبعض الألفاظ القرآنية يستطرد إلى ذكر أوجه استعمالها في كلام العرب، ويستشهد على كل وجه منها.

كقوله: « وللإذن في كلام العرب أوجه : منها الأمر على غير وجه الإلزام ، وغير جائز أن يكون منه قوله : ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ البقرة: ١٠٢ **لأن الله** جل ثناؤه قد حرم التفريق بين الرجل وحليلته بغير سحر فكيف به على وجه السحر على لسان الأمة . **ومنها التخلية بين المأذون له والمخلى بينه وبينه . ومنها العلم بالشيء،** يقال منه : قد أذنت بهذا الأمر ، إذا علمت به ، آذن به إذنا ؛ ومنه قول الحطيئة :

أَلاَ يَا هِنْدُ إِنْ جَدَّدْتِ وَصْلاً ... وَإِلاَّ فَأْذَنِينِي بِانْصِرَامِ [3]

يعني فأعلميني » [4].

---

(١) جامع البيان (٢٠ / ٢٤١).

(٢) جامع البيان (٢٢ / ٨).

(٣) لم أجده في ديوانه المطبوع.

(٤) جامع البيان (٢ / ٣٦١).

وقوله أيضاً: « وذلك أن السكر في كلام العرب على أحد أوجه أربعة: أحدها: ما أسكر من الشراب، والثاني: ما طعم من الطعام، كما قال الشاعر:

جَعَلْتُ عَيْبَ الأَكْرَمِينَ سَكَرَا[1]

أي طعما

والثالث: السكون، من قول الشاعر:

.... **وَجَعَلَتْ عَيْنُ الْـحَرُورِ تَسْكُرُ**[2]

والرابع: المصدر من قولهم: سكر فلان يسكر سكرا وسكرا وسكرا[3].

وعلى كل حال.. فقد كانت المفردة القرآنية محل عناية واهتمام من الطبري، استخدم فيها هذه الأساليب وغيرها من الأساليب التي اتخذها أصحاب معاجم اللغة في بيان دلالة الألفاظ ما أهله بأن يعد من أصحاب المعاجم الذين دوّنوا ألفاظ اللغة؛ لما زخر به كتابه من التحقيقات اللغوية وبيان المفردات بشواهدها[4].

٢- منهجه في تناول الكلمات التي قرئت بأكثر من وجه:

فمن مواضع عرض الطبري للغريب: وجود قراءتين أو أكثر في الكلمة القرآنية، فيتناولها بالشرح والتفصيل، ويبين معنى الكلمة واشتقاقها في كل قراءة؛ ثم يرجح

---

(١) البيت للمثنى بن جندل الطهوي، وقد استشهد به أبو عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٣٣٧، ٣٣٨).

(٢) أورد هذا البيت غير واحد من أهل اللغة دون نسبة، انظر: الصحاح (٤/ ١٦٥٢)، ولسان العرب (٤/ ٣٧٢).

(٣) جامع البيان (١٤/ ٢٨٤)، وانظر ما ذكر في كلمة (النحب) فبقوله تعالى: { فمنهم من قضى نحبه}. (١٩/ ٦١).

(٤) انظر: التفسير اللغوي (ص: ١٩٢).

القراءة التي يختارها إن اختار[1]، أو يبين صحة القراءتين معتمداً في ذلك كله على الشواهد اللغوية[2].

فمثال اختياره لإحدى القراءتين في الكلمة: ما ذكره عند لفظة (قرح) حيث يقول: « اختلف القراء في قراءة ذلك[3]، فقرأته عامة قراء أهل الحجاز والمدينة والبصرة : ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ﴾ آل عمران: ١٤٠ كلاهما بفتح القاف ، بمعنى : إن يمسسكم القتل والجراح يا معشر أصحاب محمد ، فقد مس القوم من أعدائكم من المشركين قرح قتل وجراح مثله.

وقرأ عامة قراء الكوفة : ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قُرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قُرْحٌ مِّثْلُهُ ﴾ بضم القاف فيهما جميعا بمعنى ان يمسسكم الم الجرح فقد مس القوم منكم مثله.

وأولى القراءتين بالصواب ، قراءة من قرأ : ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ﴾ بفتح القاف في الحرفين لإجماع أهل التأويل على أن معناه القتل والجراح ، فذلك يدل على أن القراءة هي الفتح. وكان بعض أهل العربية يزعم أن القرح والقرح لغتان بمعنى واحد ، والمعروف عند أهل العلم بكلام العرب ما قلنا[4].

---

(١) ومسألة اختيار الطبري بين القراءات المتواترة والترجيح بينها من المسائل التي تعقب العلماء الطبري فيها، وكتب فيها دراسات وبحوث كثيرة ما بين مدافع عنه وناقد له، ككتاب: (ظاهرة نقد القراءات ومنهج الطبري فيها) للدكتور/ إسماعيل طحان، وكتاب: (دفاع عن القراءات المتواترة في مواجهة الطبري المفسر) للدكتور/ لبيب السعيد، ورسالة (القراءات المتواترة التي أنكرها ابن جرير الطبري في تفسيره والرد عليه من أول القرآن إلى آخر سورة التوبة) لمحمد عارف الهروي، وكتاب: (الاختيار في القراءات منشأه ومشروعيته وتبرئة الإمام الطبري من تهمة إنكار القراءات المتواترة) للدكتور/ عبد الفتاح شلبي. وليس هنا محل مناقشة ذلك الموضوع.

(٢) انظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم (ص: ١٩٤).

(٣) فقد قرأ شعبة وحمزة والكسائي وخلف: كلمة (قرح) (والقرح) في جميع المواضع بضم القاف، والباقون بفتحها. انظر: السبعة في القراءات (ص: ٢١٦)، تحبير التيسير في القراءات العشر (ص: ٣٢٧).

(٤) جامع البيان – (٦ / ٧٩).

ومثله لما ذكر القراءتين في لفظة (قبلاً) قال: « وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندنا ، قراءة من قرأ : ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ الأنعام: ١١١ بضم القاف والباء ، لما ذكرنا من احتمال ذلك الأوجه التي بينا من المعاني ، وأن معنى القبل داخل فيه ، وغير داخل في القبل معاني القبل"[١].

ومثال جمعه للقراءات الواردة في الكلمة الغريبة:

ما أورده عند الكلام على القراءات الواردة في لفظة (قدره)، قال: « واختلف القراء في قراءة القدر ، فقرأه بعضهم: ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾ البقرة: ٢٣٦ بتحريك الدال إلى الفتح من القدر ، توجيها منهم ذلك إلى الاسم من التقدير ، الذي هو من قول القائل : قدر فلان هذا الأمر.

وقرأ آخرون بتسكين الدال منه ، توجيها منهم ذلك إلى المصدر من ذلك ، كما قال الشاعر:

وَما صَبَّ رِجْلِي فِي حَدِيدِ مُجَاشِعٍ مَعَ القَدَرِ إلاَّ حَاجَةً لِي أُرِيدُهَا[٢]

والقول في ذلك عندي أنهما جميعا قراءتان قد جاءت بهما الأمة ، ولا يحيل القراءة بإحداهما معنى في الأخرى ، بل هما متفقتا المعنى ، فبأي القراءتين قرأ القارئ ذلك ، فهو للصواب مصيب "[٣].

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً: ما أورده في كلمة (حرج) حيث يقول: "واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعضهم : ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ الأنعام: ١٢٥ بفتح الحاء والراء من {حرجا}، وهي قراءة عامة المكيين والعراقيين ، بمعنى : حرجة على ما وصفت.

---

(١) جامع البيان (٩ / ٤٩٦).

(٢) البيت للفرزدق كما في ديوانه (٢١٥).

(٣) جامع البيان (٤ / ٣٠٧).

وقرأ ذلك عامة قراء المدينة : {ضيقا حرِجا} بفتح الحاء وكسر الراء.

ثم اختلف الذين قرؤوا ذلك في معناه ، فقال بعضهم : هو بمعنى الحرج ، وقالوا : الحَرَجُ بفتح الحاء والراء، والحَرِجُ بفتح الحاء وكسر الراء بمعنى واحد ، وهما لغتان مشهورتان ، مثل الدَّنَفُ والدَّنِفُ ، والوَحَدُ والوَحِدُ ، والفَرَدُ والفَرِدُ.

وقال آخرون منهم : بل هو بمعنى الإثم من قولهم : فلان آثم حرج ، وذكر عن العرب سماعا منها : حرج عليك ظلمي ، بمعنى : ضيق وإثم.

والقول عندي في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان ولغتان مستفيضتان بمعنى واحد ، وبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب لاتفاق معنييهما ، وذلك كما ذكرنا من الروايات عن العرب في الوحد والفرد بفتح الحاء من الوحد والراء من الفرد وكسرهما بمعنى واحد »[1].

٣- منهجه في الاستفادة من كلام السابقين له في تفسير الغريب.

لم يقتصر الإمام الطبري في تفسير المفردات القرآنية على ما وهبه الله من العلم باللغة العربية ودقائقها، وإنما رجع إلى أقوال من سبقه من مفسري السلف، وأقوال علماء اللغة.

فلا يكاد يفسر كلمة غريبة إلا ويورد ما ذكره أهل التأويل من السلف فيها، سواء عند اختلافهم أو اتفاقهم، ثم يذكر أقوال أهل العلم باللغة العربية فيها.

ومع حرصه على النقل والاستفادة من هؤلاء وأولئك فإنه ليس مجرد ناقل، وإنما يقف معهم موقف العالم الناقد البصير، فيرجح ويختار ويعلق ويخطئ.

(١) جامع البيان (٩/ ٥٤٧).

ومما يلاحظ هنا أن منهج الطبري – رحمه الله – في الغالب – تقديمُ أقوال السلف ثم إتباعها بأقوال علماء اللغة، لكنه لم يلتزم ذلك، فقد يورد أقوال أهل اللغة في معنى الكلمة ثم يذكر أقوال المفسرين.

ففي تفسير كلمة (مقمحون) يقول: « وقوله: ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ يس: ٨ والمقمح : هو المقنع ، وهو أن يحدر الذقن حتى يصير في الصدر ، ثم يرفع رأسه في قول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة وفي قول بعض الكوفيين : هو الغاض بصره، بعد رفع رأسه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل... ثم أخرجه عن جمع من السلف »[1].

كما أنه يقتصر عند تفسير بعض الكلمات القرآنية على أقوال السلف فقط دون الرجوع إلى أقوال أهل اللغة، أو على أقوال أهل اللغة فقط إذا لم يكن للسلف قول في تفسير الكلمة.

وسيأتي مزيد بيان لمنهج الطبري في التعامل مع أقوال من سبقه من المفسرين وعلماء اللغة عند الحديث على موارد الإمام الطبري في المبحث الثالث من هذا الفصل – إن شاء الله –.

٤- منهجه في التعامل مع الأقوال المختلفة في تفسير الغريب:

يكثر اختلاف المفسرين من السلف في تفسيرهم للألفاظ والمفردات القرآنية، ويتنوع سبب الاختلاف من موضع لآخر، فقد يكون لكون اللفظة من المشترك اللغوي، أو للنظر في سياقها ، أو لغير ذلك.

وقد تعامل الطبري مع هذا الموضوع بمنهج واضح ودقيق.

---

(١) جامع البيان (١٩/ ٤٠٣).

فأحياناً يرجح إما مراعاة للسياق، أو احتجاجاً بالإجماع أو غير ذلك، وأحياناً يجمع بين الأقوال لكون اللفظ يعمه، وأحياناً يسكت عنها بدون تعليق.

فمثال ترجيحه بين الأقوال: ما اختاره في معنى (متربة)، حيث يقول: « وأولى الأقوال في ذلك بالصحة قول من قال: عني به: أو مسكينا قد لصق بالتراب من الفقر والحاجة ، لأن ذلك هو الظاهر من معانيه . وأن قوله : {متربة}. إنما هي مفعلة من ترب الرجل : إذا أصابه التراب »[1].

ومثال جمعه بين الأقوال: ما رجحه في معنى (الفلق) بقوله : « والصواب من القول في ذلك ، أن يقال : إن الله جل ثناؤه أمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ الفلق: ١. والفلق في كلام العرب : فلق الصبح ، تقول العرب : هو أبين من فلق الصبح ، ومن فرق الصبح . وجائز أن يكون في جهنم سجن اسمه فلق . وإذا كان ذلك كذلك ، ولم يكن جل ثناؤه وضع دلالة على أنه عني بقوله {برب الفلق}. بعض ما يدعى الفلق دون بعض ، وكان الله تعالى ذكره رب كل ما خلق من شيء ، وجب أن يكون معنيا به كل ما اسمه الفلق ، إذ كان رب جميع ذلك[2].

ومثال إيراده الأقوال دون تعليق عليها:

ما ذكره في كلمة (القمل)؛ إذ قال: « وأما القمل ، فإن أهل التأويل اختلفوا في معناه .

فقال بعضهم : هو السوس الذي يخرج من الحنطة.

وقال آخرون : بل هو الدبى ، وهو صغار الجراد الذي لا أجنحة له.

---

(١) جامع البيان (٢٤ / ٤٣١)، ومثله اختياره من المعاني المذكورة عن السلف وأهل اللغة في معنى كلمة (فضحكت)، انظر: جامع البيان (١٢ / ٤٧٨).

(٢) جامع البيان (٢٤ / ٧٤٥)، وقد درست هذا المثال في قسم الدراسة التطبيقية (ص: ٥٠٧)، ومثل هذا ما رجحه في تفسير (الماعون) انظر: (٢٤ / ٦٧٨).

وقال آخرون : بل القمل : البراغيث.

وقال بعضهم : هي دواب سود صغار.

وحكى بسنده في ذلك كله عمن قال بها من السلف، ثم نقل أقوال علماء اللغة بقوله: « وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يزعم أن القمل عند العرب : الحمنان ، والحمنان: ضرب من القردان واحدتها : حمنانة فوق القمقامة . القمل جمع واحدتها قملة ، وهي دابة تشبه القمل تأكلها الإبل فيها بلغني ، وهي التي عناها الأعشى في قوله :

قَوْمٌ يُعَالِجُ قُمَّلاً أَبْنَاؤُهُمْ ... وَسَلاَسَلاً أُجُدًا وَبَابًا مُؤْصَدًا [(١)]

وكان الفراء يقول : لم أسمع فيه شيئا ، فإن لم يكن جمعا فواحده قامل ، مثل ساجد وراكع ، وإن يكن اسما على معنى جمع ، فواحدته : قملة.

وقال بعضهم : هو من الجعلان"[(٢)].

ثم سكت ولم يرجح شيئاً.

٥- منهجه في الاستشهاد على تفسير الألفاظ الغريبة :

حينما يتعرض الإمام الطبري لتفسير الكلمة الغريبة فإنه في بعض الأحيان يكتفي بتفسيره لها دون استشهاد لقوله، وفي أحايين كثيرة يؤيد تفسيره بشواهد؛ لذا يكون الكلام في هذه النقطة من ناحيتين:

---

(١) البيت لأعشى بن قيس في ديوانه (ص ١٥٤).

(٢) جامع البيان (١٠ / ٣٨٣ - ٣٨٥)، ومثل هذا ما صنعه بعد إيراده أقوال أهل التأويل من السلف في كلمة (دسر) (٢٢ / ١٢٥)، وكذلك بعد إيراد أقوال أهل اللغة في معنى كلمة (ينقض) (١٥ / ٣٤٦).

الأولى: تفسير اللفظة دون الاستشهاد عليها:

ويكون ذلك – في الغالب – في تفسيره للكلمة ضمن المعنى الإجمالي الذي يورده عقب ذكر الآية مباشرة، وقد يكون في غير ذلك[1].

مثاله: قوله – عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ الكهف: ٤٢ – « يقول: وهي خالية على نباتها وبيوتها »[2].

ففيه تفسير لكلمتي (خاوية، وعروشها) دون الاستشهاد عليهما.

ومثله قوله في تفسيرقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾ الكهف: ٤٥ –« يقول: فأصبح نبات الأرض يابسا متفتتا »[3].

وقال في تفسير قوله: ﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾﴾ القمر: ٢٩: « يقول: فتناول الناقة بيده فعقرها »[4].

الثانية: تفسير اللفظة الغريبة ثم الاستشهاد عليه:

وهذا من السمات البارزة لمنهج الإمام الطبري في تفسيره أنه حينما يتعرض لكلمة غريبة فإنه يذكر معناها، ثم يؤيد ذلك بأدلة وحجج تشهد لما ذهب إليه.

وتتنوع عنده هذه الشواهد، وأهمها أربعة:

١) الاستشهاد بالقرآن. ٢)الاستشهاد بالحديث. ٣) الاستشهاد بأقوال السلف، ٤) الاستشهاد بالشعر العربي.

---

(١) انظر: التفسير اللغوي (ص: ١٨٩).

(٢) جامع البيان (١٥ / ٢٦٨).

(٣) جامع البيان (١٥ / ٢٧٢).

(٤) جامع البيان (٢٢ / ١٤٣).

١) الاستشهاد بالقرآن:

يستشهد الإمام الطبري على تفسيره للكلمة الغريبة بشواهد من القرآن الكريم جاءت بنفس الكلمة أو إحدى مشتقاتها، كقوله – عند تفسير قوله تعالى – ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ البقرة: ٢٢٠ – : «ولذلك قيل : عنت فلان : إذا شق عليه وجهده فهو يعنت عنتا، كما قال تعالى ذكره : ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ التوبة: ١٢٨ يعني ما شق عليكم وآذاكم وجهدكم ، ومنه قوله تعالى ذكره : ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ النساء: ٢٥ فهذا إذا عنت العانت ، فإن صيره غيره كذلك قيل : أعنته فلان في كذا : إذا جهده وألزمه أمرا جهده القيام به يعنته إعناتا ، فكذلك قوله : ﴿لَأَعْنَتَكُمْ﴾ معناه : لأوجب لكم العنت بتحريمه عليكم ما يجهدكم ويحرجكم مما لا تطيقون القيام باجتنابه وأداء الواجب له عليكم فيه[١].

وقوله في تفسير لفظة (الفدية): "وإنما قيل للفدية من الشيء والبدل منه عدل ، لمعادلته إياه وهو من غير جنسه ؛ ومصيره له مثلا من وجه الجزاء ، لا من وجه المشابهة في الصورة والخلقة ، كما قال جل ثناؤه : ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ الأنعام: ٧٠ بمعنى : وإن تفد كل فدية لا يؤخذ منها[٢].

وقال –في تفسير قوله تعالى: ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ يوسف: ٨٤ – يقول : « فهو مكظوم على الحزن ، يعني أنه مملوء منه ، ممسك عليه ، لا يبينه ، صرف المفعول منه إلى فعيل ومنه قوله : ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ آل عمران: ١٣٤ »[٣].

وغيرها من المواضع التي يستشهد بالقرآن الكريم على ما يفسر به كلمة غريبة[٤].

---

(١) جامع البيان (٣/ ٧١٠).

(٢) جامع البيان (١ / ٦٣٩).

(٣) جامع البيان (١٣ / ٢٩٣).

(٤) كاستشهاده (٥/ ٢٠٢) بقوله تعالى {ربنا لا تزغ قلوبنا} على تفسير قوله { في قلوبهم زيغ }. واستشهاده =

٢) الاستشهاد بالحديث:

مما يستشهد به الطبري على صحة تفسير اللفظة الغريبة: الحديث النبوي.

ومنه قوله - في تفسير الأميين -: « يعني بالأميين : الذين لا يكتبون ولا يقرؤون، ومنه قول النبي ص: « إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب »[١].

وقوله – بعد ذكر أقوال السلف في تفسير كلمة (مِرَّة) -: « وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بالمرة: صحة الجسم وسلامته من الآفات والعاهات ، والجسم إذا كان كذلك من الإنسان ، كان قويا.

وإنما قلنا إن ذلك كذلك ، لأن المرة واحدة المرر ، وإنما أريد به : ذو مرة سوية وإذا كانت المرة صحيحة ، كان الإنسان صحيحا ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تحل الصدقة لغني ، ولا لذي مرة سوي) »[٢].

وقوله – في تفسير كلمة (ثجاجا) -: "وإنما الثج : الصب المتتابع . ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : (أفضل الحج العج والثج)[١] : يعني بالثج : صب دماء الهدايا والبدن بذبحها ، يقال منه : ثججت دمه ، فأنا أثجه ثجا ، وقد ثج الدم ، فهو يثج ثجوجا"[٢].

= بقوله: {هل تحس منهم من أحد} على تفسير قوله: {فلما أحس عيسى منهم الكفر}، (٥/ ٤٣٥)، وغيرها.

(١) جامع البيان (٢/ ١٥٣)، والحدبث: أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصوم ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : لا نكتب ولا نحسب رقم (١٩١٣)، ومسلم في صحيحه في كتاب الصيام ، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلالف .... رقم (١٠٨٠).

(٢) جامع البيان (٢٢ / ١١). **والحديث** أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة ، باب من يعطى من الصدقة وحد الغنى رقم (١٦٣٤)، والترمذي في كتاب الزكاة ، باب ما حاء من لا تحل له الصدقة وحسنه رقم (٦٥٢)، والنسائي في المجتبى في كتاب الزكاة ، باب إذاغ لم يكن عنده دراهم وكان له عدلها رقم (٢٥٩٦)، وابن ماجه في كتاب الزكاة ، باب من سأل عن ظهر غنى رقم (١٨٣٩)، والحاكم في مستدركه كتاب الزكاة رقم (١٤٧٧) وقال: على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وقال الذهبي : على شرطهما. وصححه الألباني في إرواء الغليل (٣/ ٣٨٢).

٣) الاستشهاد بأقوال السلف:

كان الإمام الطبري يعتمد ما جاء عن السلف في تفسير الغريب، فهو يسوق أقوالهم في بيان المفردات سياق من يبين اللغة بشواهدها من كلام العرب، فيجعل تفسيرهم حجة في معنى اللفظ، وهذا الأسلوب ظاهر من استقراء كتابه، وطريقته فيعرض لأقوالهم، وإن كان اعترض على بعضها من حيث اللغة، وهو قليل، فهو لا يخرج عن الإطار الذي انتهجه"[٣].

ومن الأمثلة على الاستشهاد بأقوال السلف على تفسير المفردات قوله: "وتأويل قوله : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ البقرة: ٢ لا شك فيه ، ثم روى بسنده عن مجاهد[٤]: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ، قال: لا شك فيه[٥].

وقوله: « وأما تأويل قوله : ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ﴾ البقرة: ٤٨ فإنه يعني : لاتغني. ثم روى بسنده عن السدي[٦] قوله: أما تجزي : فتغني » [٧].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الحج ، باب ما جاء في فضل التلبية والنحر رقم (٨٢٧)، وابن ماجه في سننه في كتاب المناسك ، باب التلبية رقم (٢٩٢٤)، والدارمي في سننه في كتاب المناسك باب أي الحج أفضل (٢/ ٣١)، والحاكم (١/ ٤٥١)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) جامع البيان (٢٤ / ١٥).

(٣) انظر: التفسير اللغوي (ص: ١٩٦).

(٤) **مجاهد** : هو أبو الحجَّاج مجاهد بن جَبْر المخزومي مولاهم ، المكي ، من تلاميذ ابن عباس ، كان ثقة إماماً في العلم والتفسير ، توفي سنة ١٠٢هـ ، وقيل غير ذلك . انظر : سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤٩- ٤٥٧)، وطبقات المفسرين للداوودي (٢/ ٣٠٥).

(٥) جامع البيان (١ / ٢٣١).

(٦) **السدي** : هو الإمام المفسر أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الحجازي ثم الكوفي الأعور السدي الكبير ، أحد موالي قريش ، كان من علماء التفسير ، توفي سنة ١٢٧هـ . انظر: السير (٥/ ٢٦٤) وتهذيب التهذيب (١/ ٢٧٣، ٢٧٤).

(٧) جامع البيان (١ / ٦٣٢).

وفي قوله تعالى: - ﴿ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ ﴾ البقرة: ١٤٨ – يقول: « يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ﴾ فبادروا وسارعوا من الاستباق ، وهو المبادرة والإسراع ثم أخرج بسنده عن الربيع[١]، قوله : ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ يقول : فسارعوا في الخيرات[٢].

٤) الاستشهاد بالشعر العربي[٣] :

يرى الباحثون في الدراسات القرآنية[٤] أن حبر الامة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – هو الذي أصل هذا المنهج ونهجه للمفسرين بعده، وكان يقول: « إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر؛ فإن الشعر ديوان العرب» [٥].

وقد أكثر الإمام الطبري من الاستدلال بالأشعار على تفسير الألفاظ الغريبة، اقتداءً بترجمان القرآن في ذلك، ولعلمه أن الشعر ديوان العرب، ولما كان يتمتع به من باع طويل في لغة العرب وأشعارهم، وحفظ متقن له[٦].

---

(١) **الربيع**: هو الربيع بن أنس بن زياد البكري الخراساني المروزي، عالم مرو في زمانه، توفي سنة (١٣٩هـ).
انظر: السير (٦/ ١٦٩)، وتقريب التهذيب(٢٠٥).

(٢) جامع البيان (٢ / ٦٧٩).

(٣) كتب الدكتور عبد الرحمن الشهري رسالته للدكتوراه في (الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم)، وهي دراسة قيمة امتازت بكثرة الإحصاءات، وقد استفدت منه في هذا الموضوع.

(٤) انظر: الشاهد الشعري (ص: ١٩٠).

(٥) أخرجه ابن الأنباري بإسناده إلى ابن عباس في كتابه إيضاح الوقف والابتداء (١/ ١٠١).
لم أقف على هذا الأثر بهذا اللفظ فيراجع . نبيل .

(٦) ذكر الحموي عن الطبري أنه كان يحفظ من الشعر للجاهلية والإسلام ما لا يجهله إلا جاهل به، معجم الأدباء (٥/ ٣٥٤).

وقد انتهج هذا المنهج وطبقه في تفسيره، واعتنى - رحمه الله - بالشواهد الشعرية اللغوية الكثيرة في توضيح الألفاظ الغريبة أو لبيان أصلها الاشتقاقي أو لبيان ما طرأ عليها من تطور دلالي، أو نحو ذلك من مسائل تتعلق بالمفردة القرآنية.

وتعتبر الشواهد الشعرية من أكثر الشواهد التي استشهد بها الطبري – رحمه الله – على تفسير معاني الكلمات الغريبة، فقد كان حريصاً على الشعر في الاحتجاج لما يذهب إليه.

وقد وصل عدد الشواهد الشعرية عنده إلى (٢٢٦٠) شاهدا، وفاق بذلك جميع المؤلفين في الغريب والمعاني[1].

وقد اعتمد الطبري على الشاهد الشعري في الاستدلال اللغوي على غريب القرآن وشرح المفردات وفي شرح الأساليب النحوية والبلاغية وغير ذلك.

وفاقت شواهد الغريب في تفسيره جميع الشواهد الشعرية، فبلغت أكثر من النصف من شواهده، وهي أكثر من جميع الشواهد الشعرية عند أبي عبيدة الذي يمثل الاستشهاد اللغوي عنده ٩٥٪ وكل الشواهد الشعرية عند ابن قتيبة متعلقة بالغريب.

أما الفراء فأغلب شواهده: الشواهد النحوية، ولا يكاد يوجد عند الأخفش شاهد لغوي[2].

---

(١) فقد بلغ عدد الشواهد الشعرية عند أبي عبيدة (٩٥٢)، وتلاه الفراء بـ(٧٨٥ شاهداً)، ثم الزجاج بـ(٥٩٦ شاهدا) والنحاس (٤٦٤ شاهد)، والراغب (٤٧٧ شاهد)، بينما أقلهم: ابن قتيبة الذي بلغ عنده عدد الشواهد الشعرية (١٨٢ فقط)

وقد جعل الدكتور/ عبد الرحمن الشهري السبب في تفوق الطبري وغيره من المفسرين في الاستشهاد بالشواهد الشعرية على أصحاب المعاني : التقدم الزمني لأصحاب المعاني، حيث جاء بعدهم المفسرون فاستفادوا منهم، وزادوا عليهم. انظر: الشاهد الشعري (ص: ٧٣١).

(٢) انظر: الشاهد الشعري (ص: ٤١٠، ٥٧٠، ٧٤٢- ٧٤٣).

وقد أضاف الطبري كثيراً من شواهد غريب القرآن لم يستعملها من قبله حتى من أصحاب الغريب[1]، مثل ما ذكره عند تفسير لفظة (مآبا)[2]. يعني: مرجعا؛ وهو مفعل، من قولهم: آب فلان من سفره، كما قال عبيد:

وَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَؤُوبُ وَغَائِبُ المَوْتِ لاَ يؤُوبُ[3].

والقاعدة عند الإمام الطبري في الاستشهاد بالشعر في التفسير هي: أنه يعتمد على الشاهد الشعري ويكتفي به في الاستشهاد إذا لم يرد في القرآن الكريم ما يستشهد بها أو لم يرد عن النبي أو الصحابة أو التابعين في ذلك تفسير للفظة.

ولذا يقول الطبري عند تفسير قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]: «والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله عز وجل: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ وجائز أن يكون ذلك الفلك كما قال مجاهد كحديدة الرحى، وكما ذكر عن الحسن كطاحونة الرحى، وجائز أن يكون موجا مكفوفا، وأن يكون قطب السماء. وذلك أن الفلك في كلام العرب هو كل شيء دائر، فجمعه أفلاك، وقد ذكرت قول الراجز:

بَاتَتْ تُنَاصي الْفَلَكَ الدَّوَّارَا[4]

وإذ كان كل ما دار في كلامها فلكا، ولم يكن في كتاب الله، ولا في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا عمن يقطع بقوله العذر، دليل يدل على أي ذلك هو من أي، كان الواجب أن نقول فيه ما قال، ونسكت عما لا علم لنا به»[5].

---

(١) الشاهد الشعري (ص: ٤١٠، ٥٧٠).

(٢) جامع البيان (٢٤ / ٥٣).

(٣) البيت لعبيد بن الأبرص كما في ديوانه ص (١٦).

(٤) البيت لم أجده منسوبا لقائل، وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (٢/ ٣٨) وذكر بعده قوله: حتى الصَّباحِ تعمَل الأقْتارَا.

(٥) جامع البيان (١٦ / ٢٦٧).

فبين أنه عند عدم وجود التفسير من القرآن أوالسنة الصحيحة أو الصحابة أو التابعين فإنه يصار إلى ما في اللغة الصحيحة بشواهدها الموثوقة ويكتفى بذلك[1].

أما إذا ورد عن السلف تفسير للفظة فلا حاجة عند ذلك لتفسير أهل اللغة ولا لشواهد الشعر، بل تفسير السلف أولى، وإن استشهد باللغة فلتأييد ما ورد عن السلف، ومن ذلك قوله – عند تفسير كلمة (طه)- « والذي هو أولى بالصواب عندي من الأقوال فيه : قول من قال : معناه : يا رجل ، لأنها كلمة معروفة في عك فيما بلغني ، وأن معناها فيهم : يا رجل ، أنشدت لمتمم بن نويرة :

هَتَفْتُ بِطَهَ فِي الْقِتَالِ فَلَمْ يُجِبْ ... فَخِفْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُوَائِلاَ[2]

وقال آخر :

إِنَّ السَّفَاهَةَ طَهَ مِنْ خَلاَئِقِكُمْ ... لاَ بَارَكَ اللهُ فِي الْقَوْمِ الْـمَلاَعِينِ[3]

فإذا كان ذلك معروفا فيهم على ما ذكرنا، فالواجب أن يوجه تأويله إلى المعروف فيهم من معناه ، ولا سيما إذا وافق ذلك تأويل أهل العلم من الصحابة والتابعين »[4].

مع العلم أن الإمام الطبري قد التزم بما قرره العلماء في الاحتجاج بشعر الشعراء، حيث لم يستشهد بشعر أحد من الشعراء المحدثين[5].

وسيأتي – إن شاءالله – مزيد بيان وتوضيح لمنهج الطبري في التعامل مع الشواهد الشعرية.

---

(١) الشاهد الشعري (ص: ٤٠٣).

(٢) قائله متمم بن نويره، كما قال الطبري، وانظر: تفسير الثعلبي (٦/ ٢٣٦).

(٣) قائله يزيد بن مهلهل، كما نسبه إليه غير واحد، انظر الكشاف، (٣/ ٥٢)، الدر المصون (٨/ ٦).

(٤) جامع البيان (١٦ / ٨).

(٥) الشاهد الشعري (ص: ٤٤٥).

منهج الطبري في الاستشهاد بهذه الشواهد والترتيب بينها:

لم يسلك الإمام الطبري في الاستشهاد بهذه الشواهد على معاني المفردة القرآنية منهجاً موحداً، فأحياناً يجمع بين هذه الشواهد، وأحياناً يكتفي ببعضها، كما أنه لم يلتزم ترتيباً معيناً لإيراد هذه الشواهد، فقد يقدم هذا ويؤخر ذاك أحياناً، ويعكس ذلك أحياناً أخرى:

فمثال تقديمه شاهد القرآن على شاهد الشعر: قوله - عند تفسير كلمة (الإملاء) : « ويعني بالإملاء : الإطالة في العمر والإنساء في الأجل ؛ ومنه قوله جل ثناؤه : ﴿وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا﴾ مريم: ٤٦ أي حينا طويلا ؛ ومنه قيل : عشت طويلا وتمليت حينا والملا نفسه الدهر ، والملوان : الليل والنهار ، ومنه قول تميم بن مقبل :

أَلاَ يَا دِيَارَ الحَيِّ بِالسَّبُعَانِ   أَمَلَّ عَلَيْهَا بِالْبِلَى المَلَوَانِ [1].

يعني بالملوان الليل والنهار[2].

وقال - عند تفسير قوله ﴿فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ البقرة: ٢٢٦ -: "وأصل الفيء: الرجوع من حال إلى حال ، ومنه قوله تعالى ذكره : ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ﴾ الحجرات: ٩ إلى قوله : ﴿حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ الحجرات: ٩ يعني : حتى ترجع إلى أمر الله . ومنه قول الشاعر :

فَفَاءَتْ وَلَمْ تَقْضِ الَّذِي أَقْبَلَتْ لَهُ   وَمِنْ حَاجَةِ الإِنْسَانِ مَا لَيْسَ قَاضِيَا [3].

---

(١) البيت لابن مقبل كما في ديوانه (ص ٣٣٦)،. وانظر: مجاز القرآن (١/ ٣٣٣)، ومفردات ألفاظ القرآن (٢/ ٣٨٧)

(٢) جامع البيان (٦/ ٢٥٩ - ٢٦٠).

(٣) البيت لسحيم عبد بني الحسحاس ، كما في ديوانه (ص: ١٩)

يقال منه : فاء فلان يفيء فيئة مثل الجيئة ، وفيئا . والفيئة : المرة . فأما في الظل ، فإنه يقال : فاء الظل يفيء فيوءا وفيئا ، وقد يقال فيوءا أيضا في المعنى الأول ، لأن الفيء في كل الأشياء بمعنى الرجوع[1] .

ومثال تقديم الشاهد الشعري على الشاهد من القرآن: قوله: « وأصل السحت : كلب الجوع ، يقال منه : فلان مسحوت المعدة : إذا كان أكولا لا يلفى أبدا إلا جائعا . وإنما قيل للرشوة السحت ، تشبيها بذلك ؛ كأن بالمسترشي من الشره إلى أخذ ما يعطاه من ذلك مثل الذي بالمسحوت المعدة من الشره إلى الطعام ، يقال منه : سحته وأسحته ، لغتان محكيتان عن العرب ، ومنه قول الفرزدق بن غالب:

وَعَضُّ زَمَانٍ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعِ … مِنَ الْمَالِ إلا مُسْحَتًا أَوْ مُجَلَّفُ[2] .

يعني بالمسحت : الذي قد استأصله هلاكا بأكله إياه وإفساده ، ومنه قوله تعالى : ﴿فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾ طه: ٦١ ، وتقول العرب للحالق: اسحت الشعر، أي استأصله »[3] .

وكذلك قوله – عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ البقرة: ١٠٤ –: « يقال منه : نظرت الرجل أنظره نظرة بمعنى انتظرته ورقبته . ومنه قول الحطيئة :

وَقَدْ نَظَرْتُكُمُ أَعْشَاءَ صَادِرَةٍ … لِلْخِمْسِ طَالَ بِهَا حَوْزِي وَتَنْسَاسِي[4] .

ومنه قول الله عز وجل : ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ الحديد: ١٣ يعني به انتظرونا »[5].

(١) جامع البيان (٤ / ٥٢).

(٢) البيت للفرزدق، كما في ديوانه (ص: ٥٥٦).

(٣) جامع البيان (٨ / ٤٣٥).

(٤) البيت للحطيئة كما نسبه له الطبري، انظر ديوانه (ص: ٥٣).

(٥) جامع البيان (٢ / ٣٨٣ – ٣٨٤).

ومثال تقديمه الشاهد من الحديث على الشاهد الشعري: قوله – عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ الرعد: ١٣ –: « وقوله ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾: يقول تعالى ذكره : والله شديدة مماحلته في عقوبة من طغى عليه وعتا وتمادى في كفره ، والمحال : مصدر من قول القائل : ماحلت فلانا فأنا أماحله مماحلة ومحالا ، وفعلت منه : محلت أمحل محلا : إذا عرض رجل رجلا لما يهلكه ، ومنه قوله: « وماحل مصدق »[(١)]، ومنه قول أعشى بني ثعلبة :

فَرْعُ نَبْعٍ يَهْتَزُّ فِي غُصُنِ المَجْـ ... ـدِ غَزِيرُ النَّدَى شَدِيدُ المِحَالِ »[(٢)].

ومثله قوله : « وأصل القفو: العضه والبهت . ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: « نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو أمنا ولا ننتفي من أبينا »[(٣)] وكان بعض البصريين ينشد في ذلك بيتا:

وَمِثْلُ الدُّمَى شُمُّ العَرَانِينِ ساكِنٌ ... بِهِنَّ الحَيَاءُ لا يُشِعْنَ التَّقافِيا[(٤)].

---

(١) هذا من حديث بلفظ: (القرآن شافع مشفع وماحل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار) أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم (١٢٤) بإسناد جيد ، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٣١) رقم (٣٠٠٥٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٣٢) ، رقم (٨٦٥٥) ، وقال عنه الهيثمي (٧/ ١٦٤): "رواه الطبراني وفيه الربيع بن بدر وهو متروك"، وأبو نعيم فى الحلية (٤/ ١٠٨)، والبزار قي مسنده رقم (١٢٢).

(٢) جامع البيان (١٣ / ٤٨٢ – ٤٨٣)، والبيت للأعشى كما ذكر الطبري. انظر: (ديوانه ، ص: ١٠).

(٣) رواه ابن ماجه في سننه كتاب الحدود، باب من نفى رجلا من قبيلة (رقم ٢٦١٢)، قال البوصيري: "هذا إسناد صحيح رواته ثقات" انظر: إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (٨/ ٧) رقم (٧٥٠٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ٣٣٦) رقم (٢٦٦١). ورواه أحمد في مسنده (٥/ ٢١٢) والطيالسي في مسنده ٢/ ٣٧٧ ، ٣٧٨ (طبعة دار هجر الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م) رقم (١١٤٥)، والضياء في المختارة رقم (١٤٨٨ ، ١٤٨٩) كلهم من حديث الأشعث بن قيس.

(٤) البيت للنابغة الجعدي كما في ديوانه (ص: ١٨٠): وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (١ / ٣٧٩)

يعني بالتقافي: التقاذف »[1].

ومثال تقديم الشاهد الشعري على الشاهد من الحديث:

قوله – عند تفسير قوله ﴿ فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ﴾ طه: ٦٤ -: « اختلفت القراء في قراءة قوله : ﴿ فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ﴾ فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة ﴿ فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ﴾ بهمز الألف من { فأجمعوا } ، ووجهوا معنى ذلك إلى : فأحكموا كيدكم ، واعزموا عليه، من قولهم : أجمع فلان الخروج ، وأجمع على الخروج ، كما يقال : أزمع عليه ، ومنه قول الشاعر :

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْمُنَى لا تَنْفَعُ ... هَلْ أَغْدُوَنْ يَوْمًا وَأَمْرِي مُجْمَعُ[2]

يعني بقوله : "مجمع" قد أحكم وعزم عليه ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : «من لم يجمع على الصوم من الليل فلا صوم له »[3].

وقوله: «وقال آخرون: معنى ذلك معجلون إلى النار مقدمون إليها وذهبوا في ذلك إلى قول العرب: أفرطنا فلانا في طلب الماء، إذا قدموه لإصلاح الدلاء والأرشية

(١) جامع البيان (١٤ / ٥٩٥)، وانظر: جامع البيان (١٢/ ٢٣١)، (٢ / ٣٦٦).

(٢) البيت لم أجد من نسبه ، وهو من شواهد الفراء في معاني القرآن (١/ ٤٧٣)، والأزهري في تهذيب اللغة (١/ ٢٥٣).

(٣) جامع البيان (١٦/ ١٠٤ – ١٠٥). **والحديث** هكذا أورده الطبري هنا وفي موضع آخر (١٢/ ٢٣١) عند قوله تعالى {فأجمعوا أمركم}، ولم أجده بهذا اللفظ، وأخرجه بلفظ قريب أو بمعناه مالك في موطئه، كتاب الصيام، باب ما جاء في إجماع الصيام قبل الفجر، وأبو داود في سننه كتاب الصوم، باب النية في الصيام ٢/ ٣٤١ رقم (٢٤٥٤)، والترمذي في سننه كتاب الصوم، باب ما جاء لا صيام لمن لم يعزم من الليل ٢/ ١٧٨ ، ١٧٩ رقم (٧٣٠) ، والنسائي في المجتبى كتاب الصوم، باب النية في الصيام ٤/ ١٩٦ ـ ١٩٨ رقم (٢٣٣٠ ـ ٢٣٤٢)، وفي السنن الكبرى كتاب الصيام، باب النية في الصيام ٣/ ١٦٩ ـ ١٧٣ (ط الرسالة) رقم (٢٦٥٢ ـ ٢٦٦٤)، وابن ماجه في سننه كتاب الصيام، باب ما جاء في فرض الصوم من الليل والخيار في الصوم ٢/ ٥٤٢ رقم (١٧٠٠)، وصححه الألباني في الإرواء (٤/ ٢٥).

وتسوية ما يحتاجون إليه عند ورودهم عليه، فهو مفرط، فأما المتقدم نفسه فهو فارط، يقال: قد فرط فلان أصحابه يفرطهم فرطا وفروطا: إذا تقدمهم وجمع فارط فراط، ومنه قول القطامي:

واسْتَعْجَلُونا وكانُوا مِنْ صَحابَتِنا كَمَا تَعَجَّل فُرَّاطٌ لِوُرَّادِ [1]

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: " أنا فرطكم على الحوض ": أي متقدمكم إليه وسابقكم " حتى تردوه "[2].

ومن أبرز الأمثلة على عدم التزام الطبري منهجا واحداً في ترتيب الشواهد: أنه قد يوسط شاهداً شعرياً بين شاهدين من القرآن.

كما في قوله – عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الأنعام: ١٤: « يقال من ذلك : فطرها الله يفطرها ويفطرها فطرا وفطورا ، ومنه قوله : ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣﴾ الملك: ٣ يعني : شقوقا وصدوعا ، يقال : سيف فطار : إذا كثر فيه التشقق ، وهو عيب فيه ، ومنه قول عنترة :

وَسَيْفِي كَالْعَقِيقَةِ فَهْوَ كِمْعِي سِلاحِي، لا أَفَلَّ وَلا فُطَارَا [3]

ومنه يقال : فطر ناب الجمل : إذا تشقق اللحم فخرج ، ومنه قوله : ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾ الشورى: ٥ أي يتشققن ويتصدعن »[4].

---

(١) البيت – كما نسبه الطبري – للقطامي كما في ديوانه ص (٩٠).

(٢) جامع البيان (١٤ / ٢٦٥). **والحديث** أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق، باب في الحوض، وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته.

(٣) البيت لعنترة– كما نسبه إليه الطبري – في ديوانه في أشعار الستة الجاهلين (ص: ٣٨٤).

(٤) جامع البيان (٩ / ١٧٦).

أو يوسط شاهداً من القرآن بين شاهدين من الشعر، كقوله – عند الحديث عن كلمة (واصبا) –: « وقوله: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ﴾ النحل: ٥٢ يقول جل ثناؤه: وله الطاعة والإخلاص دائما ثابتا واجبا، يقال منه: وصب الدين يصب وصوبا ووصبا، كما قال الديلي:

لا أَبْتَغِي الحَمْدَ القَلِيلَ بَقاؤُهُ   يَوْما بِذَمّ الدَّهْرِ أجْمَعَ وَاصِبا[1]

ومنه قول الله: ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ٩﴾ الصافات: ٩، وقول حسان:

غَيَّرَتْهُ الرِّيحُ تَسْفِي بِهِ   وهَزِيمٌ رَعْدُهُ وَاصِبٌ[2]»[3].

٦- منهج الطبري في التعامل مع الشواهد الشعرية:

تقرر فيما سبق أن الشعر ديوان العرب، وأن ما خفي معناه على بعض العرب بيانه في شعرهم.

ولما كان الإمام الطبري – رحمه الله – إماماً في العربية، تجلت معرفته بشعر العرب في توظيفه لبيان الغريب القرآني.

ولما حظيت به الشواهد الشعرية عند الطبري من تنوع في العرض مع الألفاظ القرآنية أفردتها هنا[4].

---

(١) البيت لأبي الأسود الدؤلي، وهو الذي يقصده الطبري بالديلي، وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٣٦١).

(٢) البيت لحسان بن ثابت – كما نسبه الطبري – وهو في ديوانه (ص ٦١).

(٣) جامع البيان (١٤/ ٢٤٦ – ٢٤٧).

(٤) استفدت في هذا مما أورد الدكتور/ عبد الرحمن بن معاضة الشهري عن استشهاد الطبري بالشعر في تفسيره، وقد تطرق في ذلك إلى جوانب عديدة وجاء بإحصاءات جيدة.

وفي تعامل الطبري مع الشواهد الشعرية جوانب عديدة ألخصها فيما يلي:

١) نسبة الشاهد الشعري لقائله:

فمنهج الطبري قائم على نسبة الشواهد الشعرية إلى قائليها إلا إذا رواها الثقات، وقد بلغ عدد الشواهد الشعرية المنسوبة (٩٦٠ شاهداً)، وغير المنسوب (١٢٩٨شاهداً)

والشواهد التي نسبها أقل من حيث العدد من الشواهد التي أغفلها، غير أن كثيراً من الشواهد التي أغفلها يبعد أن يكون للجهل بها؛ لشهرتها كأبيات المعلقات[1].

بل قد يورد الشاهد في مواضع منسوباً لقائله، في حين يبهمه في مواضع أخرى[2].

ومع حرصه على توثيق الشواهد ونسبتها إلا أنه ربما وهم في نسبة شاهد إلى غير قائله[3].

٢) ضبط رواية الشاهد الشعري:

يقو م الإمام الطبري – أحياناً – بضبط رواية الشاهد الشعري، كما صنع – عند كلامه على كلمة (التأويل) – قال: « وأما معنى التأويل في كلام العرب فإنه التفسير والمرجع والمصير ، وقد أنشد بعض الرواة بيت الأعشى :

عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ تَأَوُّلُ حُبِّهَا   تَأَوُّلَ رِبْعِيِّ السِّقَابِ فَأَصْحَبَا[4]

ويعني بقوله : وتأول حبها تفسير حبها ومرجعه ، وإنما يريد بذلك أن حبها كان صغيرا في قلبه ، فآل من الصغر إلى العظم ، فلم يزل ينبت حتى أصحب فصار قديما

---

(١) الشاهد الشعري (ص: ٤٤٥).

(٢) انظر: المواضع التالية في جامع البيان (٢/ ١٨٩، ٣/ ٦٤٠- ٦٤١، ١٦/ ٤٣).

(٣) انظر: الشاهد الشعري (ص: ٥٤٧).

(٤) البيت للأعشى – كما نسبه الطبري – وهو في ديوانه (ص: ٨٨).

كالسقب الصغير الذي لم يزل يشب حتى أصحب فصار كبيرا مثل أمه ، وقد ينشد هذا البيت :

عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ توابع حُبِّهَا   توالي رِبْعِيِّ السِّقَابِ فَأَصْحَبَا [1].

فقد نبه على أن للشاهد رواية أخرى لا شاهد فيها على المراد توثيقا للروايتين[2].

٣) شرح الشاهد الشعري:

وربما قام الطبري بشرح الشاهد الشعري وبيان معنى تركيبه ونظمه، مثل صنيعه – عند قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ الفاتحة: ٥ فقد استشهد بقول الشاعر:

ولَوْ أَنّ مَا أسْعَى لأَدْنَى مَعِيشةٍ   كَفاني، ولم أطلُبْ، قليلٌ من المالِ [3].

قال: يريد بذلك : كفاني قليل من المال ولم أطلب كثيرا [4].

ولما استشهد بقول النابغة:

وَقَدْ خِفْتُ، حَتَّى مَا تَزِيدُ مَخَافَتِي   عَلَى وَعِلٍ فِي ذِي المَطَارَة عَاقِلِ [5].

قال: والمعنى : حتى ما تزيد مخافة الوعل على مخافتي [6] .

وهو لا يتوسع في هذا إلا في مواطن الخلاف والردود على غيره في فهم الشاهد والاستشهاد به، والغالب شرح المفردات؛ لأنه في الغالب يذكر معنى البيت قبل أن

---

(١) جامع البيان (٥ / ٢٢٢).

(٢) الشاهد الشعري (ص: ٥٥٦).

(٣) البيت لامرئ القيس كما في ديوانه (١/ ٧١).

(٤) جامع البيان (١ / ١٦٣).

(٥) البيت – كما نسبه الطبري – للنابغة كما في ديوانه (ص: ٩٠).

(٦) جامع البيان (٣/ ٤٨).

يذكره، فيكتفي بذلك عن شرحه، وغالباً ما يكون هذا الشرح مختصراً أو مأخوذاً من اللفظة المستشهد لها في التفسير، مثل قوله: "وأصل الكفر عند العرب تغطية الشيء ولذلك سموا الليل كافرا لتغطية ظلمته ما لبسته ، كما قال الشاعر :

فَتَذَكَّرَا ثَقَلا رَثِيدًا، بَعْدَ مَا ... أَلْقَتْ ذُكاءُ يَمِينَهَا في كافِرِ [1].

وقال لبيد بن ربيعة :

.... **فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومَ غَمَامُهَا** [2].

يعني غطاها »[3] .

كما أن شرحه للشاهد الشعري يعتمد على نوع المسألة التي يدرسها، فإن كانت مسألة لغوية معجمية شرحها شرحاً معجميا، وإن كانت مسألة نحوية فإنه يشرحها شرحاً نحوياً.

٤) الشواهد الشعرية بين القبول والرد:

تعامل الطبري مع الشواهد الشعرية بحذر ودقة، فلا يستشهد بكل شاهد، وإنما يستشهد بالشعر العربي الصحيح الأصيل المحتج به.

وقد أكد على أن القرآن الكريم لا يحمل على شواذ الشواهد الشعرية، فقال في موضع: "إن كتاب الله جل ثناؤه نزل بأفصح لغات العرب ، وغير جائز توجيه شيء منه إلى الشاذ من لغاتها وله في الأفصح الأشهر معنى مفهوم ووجه معروف"[4].

---

(١) البيت لثعلبة بن صعير المازني ، انظر: شرح المفضليات (ص: ٢٥٧).

(٢) البيت للبيد – كما نسبه الطبري – وهو في ديوانه (٦ / ٩٨) . وصدر البيت : "يَعْلُو طَرِيقَةَ مَتْنِهَا مُتَوَاتِرًا".

(٣) جامع البيان (١ / ٢٦٢).

(٤) جامع البيان (١٠ / ٨٠).

كما قعّد قاعدة أخرى: بأن " كلام الله لا يوجه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب إلا أن تقوم حجة على شيء منه بخلاف ذلك فيسلم لها "[1].

لذا رد الاستشهاد ببيت على تفسير كلمة (أكبرن) بمعنى (حضن)، فقال:

وقد زعم بعض الرواة أن بعض الناس أنشده في أكبرن بمعنى حضن بيتا لا أحسب أن له أصلا ، لأنه ليس بالمعروف عند الرواة ، وذلك :

نَأْتِي النِّسَاءَ عَلَى أَطْهَارِهِنَّ وَلا نَأْتِي النِّسَاءَ إِذَا أَكْبَرْنَ إِكْبَارَا[2].

وزعم أن معناه : إذا حضن[3].

٥) منهجه في إيراد الشاهد الشعري:

تنوع منهجه في إيراد الشاهد الشعري.

- فأحياناً يورد البيت كاملاً، وهو الأغلب – كما سبق –.
- وأحياناً يقوم بتجزئة البيت، فيستشهد بشطره، أو بما يزيد عن الشطر.

فمثل الاستشهاد بشطر البيت: قوله – : "وقوله : {اعتراك} افتعل ، من عراني الشيء يعروني : إذا أصابك ، كما قال الشاعر :

.... مِنَ القَوْمِ يَعْرُوهُ اجْتِرَاءٌ وَمَأْثَمُ[4].

وقوله: « وغسق الليل : هو إقباله ودنوه بظلامه ، كما قال الشاعر:

آبَ هَذَا اللَّيْلُ إِذْ غَسَقَا[5] ....

---

(١) جامع البيان (١٢ / ٤٠٧).

(٢) البيت لم أجده منسوباً إلى قائل، وهو في تهذيب اللغة (١٠ / ١٢٠)، ولسان العرب (٥ / ١٢٥).

(٣) جامع البيان (١٣ / ١٣٢).

(٤) جامع البيان (١٢ / ٤٤٩)، وعجزه: تَذَكَّرَ ذَخْلاً عِنْدَنَا ، وهو فاتِكٌ ....
وهو لأبي خراش الهذلي، كما في ديوان الهذليين (٢ / ١٤٧).

(٥) جامع البيان (١٥ / ٣٠)، وهو صدر بيت لعبيد الله بن قيس الرقيات. وعجزه: واشتكيت الهم والأرقا .

ومثال استشهاده بما يزيد على الشطر:

قوله: « والكتاب هو خط الكاتب حروف الكاتب المعجم ، مجموعة ومفترقة ، وسمي كتابا وإنما هو مكتوب ، كما قال الشاعر في البيت الذي استشهدنا به :

.....................وفيها كِتابٌ مثلَ ما لَصِقَ الغِراءُ[1].

٦) منهجه في الترتيب بين الدلالة اللغوية والشاهد:

وقد تنوع منهجه في هذا على أنواع:

١) أن يذكر الدلالة اللغوية ثم يأتي بالشاهد الشعري شاهداً لها، مثل قوله – في تفسير كلمة (زنيم) – " وقوله : ﴿زَنِيمٍ﴾ القلم: ١٣. والزنيم في كلام العرب : الملصق بالقوم وليس منهم ؛ ومنه قول حسان بن ثابت :

وأَنْتَ زَنِيمٌ نِيطَ فِي آلِ هاشِمٍ كَما نِيطَ خَلْفَ الرَّاكِب القَدَحُ الفَرْدُ[2].

وقال آخر :

زَنِيمٌ لَيْسَ يَعْرِفُ مَن أَبُوهُ بَغِيُّ الأمّ ذُو حَسَبٍ لَئِيمِ »[3].

---

(١) جامع البيان (١ / ٩٩)، وتكملة البيت كما استشهد به الطبري في موضع سابق (١ / ٩٧)

تُؤَمِّل رَجْعةً مِنّي، وفيها ... كِتابٌ مثلَ ما لَصِق الغِرَاءُ.

وقال محقق الطبري (ت: محمود شاكر): لم أجد هذا البيت في شيء من المراجع التي بين يدي.

(٢) البيت لحسان بن ثابت – كما نسبه –، وهو في ديوانه (ص ١٦٠).

(٣) جامع البيان (٢٣ / ١٦٤)، والبيت غير منسوب إلى قائل، وقد تمثل به عكرمة كما في الدر المنثور (١٤/ ٦٢٧)، واستشهد به جمع من المفسرين، انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٨ / ٢٣٤).

٢) أن تتعدد الدلالة اللغوية للكلمة ولبعضها شواهد من القرآن، وللبعض الآخر شواهد من الشعر، فيستشهد على كل دلالة بما يوجد لها من الشاهد، مثل قوله – عند الكلام على كلمة (تتلو) – :

"ولقول القائل : هو يتلو كذا في كلام العرب معنيان : أحدهما الاتباع ، كما يقال: تلوت فلانا إذا مشيت خلفه وتبعت أثره ، كما قال جل ثناؤه : {هنالك تتلو[1] كل نفس ما أسلفت}[سورة يونس:٣٠] يعني بذلك تتبع . والآخر : القراءة والدراسة ، كما تقول : فلان يتلو القرآن ، بمعنى أنه يقرؤه ويدرسه ، كما قال حسان بن ثابت :

نبيٌّ يرى ما لا يرى الناسُ حولهُ ويتلو كتابَ اللهِ في كلّ مشهدِ[2][3].

٣) أن تتعدد الدلالة اللغوية وجميعها شواهد من الشعر.

مثاله: ما أورده عند تفسير كلمة { مخمصة}، حيث قال: "يعني تعالى ذكره بقول : ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ ﴾المائدة: ٣ فمن أصابه ضر في مخمصة ، يعني في مجاعة ، وهي مفعلة مثل المجبنة والمبخلة والمنجبة ، من خمص البطن ، وهو اضطماره ، وأظنه هو في هذا الموضع معني به اضطماره من الجوع وشدة السغب ، وقد يكون في غير هذا الموضع اضطمارا من غير الجوع والسغب ، ولكن من خلقة ، كما قال نابغة بني ذبيان في صفة امرأة بخمص البطن :

وَالبَطنُ ذُو عُكَنٍ خَمِيصٌ لَيِّنٌ وَالنَّحْرُ تَنْفُجُهُ بِثَدْيٍ مُقْعَدِ[4].

(١) وهذا على قراءة: حمزة والكسائي، والباقون يقرؤون بالباء الموحدة (تبلوا)، انظر: السبعة في القراءات (١/ ٣٢٥)، إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر (١ / ٣١٢).

(٢) البيت لحسان بن ثابت – كما نسبه –، وهو في ديوانه (ص ٨٨)، ورواية الديوان: (في كل مسجد)، بدل (في كل مشهد).

(٣) جامع البيان (٢ / ٣٢٠).

(٤) البيت للنابغة – كما نسبه الطبري – وهو في ديوانه (ص: ٦٦)

فمعلوم أنه لم يرد صفتها بقوله خميص بالهزال والضر من الجوع ، ولكنه أراد وصفها بلطافة طي ما على الأوراك والأفخاذ من جسدها ، لأن ذلك مما يحمد من النساء . ولكن الذي في معنى الوصف بالاضطمار والهزال من الضر ، من ذلك قول أعشى بني ثعلبة :

تَبِيتُونَ فِي المَشْتَى مِلاءً بُطُونُكُمْ　　　وَجَارَاتُكُمْ غَرْثَى يَبِتْنَ خَمَائِصَا[1] .

يعني بذلك : يبتن مضطمرات البطون من الجوع والسغب والضر ، فمن هذا المعنى قوله : في مخمصة[2] .

هذا فيض من غيض من اهتمام الإمام الطبري بالاستشهاد بالشعر في تفسير الألفاظ المفردة، وتعامله مع تلك الشواهد، بما يفيد في التعرف على دلالة الكلمة الغريبة وأصولها واشتقاقاتها، وهو "يعد بحق أقدر المفسرين على الاستفادة من الشاهد الشعري وأبصرهم بمواطنه اللاحقة به للاعتماد عليه أو الاعتضاد به في تفسير القرآن الكريم، وقل من جاء بعده من المفسرين إلا وانتفع بما كتبه وسار عليه في تفسيره مما يتعلق بالشاهد الشعري على وجه الخصوص"[3] .

٧- منهجه في التعامل مع تكرار الكلمات الغريبة :

من منهج الطبري – رحمه الله تعالى – في عرض الغريب عدم تكرار الكلام على كلمة سبق أن تكلم عليها، وإنما يحيل إلى الموضع الأول رغبة في الإيجاز وعدم إعادة نفس الكلام مرة أخرى.

(١) البيت – كما نسبه الطبري – للأعشى في ديوانه (ص: ١٠٩).

(٢) جامع البيان (٨/ ٩١- ٩٢).

(٣) الشاهد الشعري (٤١٧-٤١٨).

وللإحالة إلى المواضع السابقة لدراسة الكلمة له عدة طرق منها:

١) ذكر معنى الكلمة مختصراً ثم الإشارة إلى تقدم دراستها.

مثاله: قوله – عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ البقرة: ٩٩ –: «وقد دللنا فيما مضى من كتابنا هذا على أن معنى الكفر الجحود بما أغنى عن إعادته هاهنا . وكذلك بينا معنى الفسق وأنه الخروج من الشيء إلى غيره »(١).

– وقوله: « قد دللنا فيما مضى قبل على معنى إقامة الصلاة وأنها أداؤها بحدودها وفروضها ، وعلى تأويل الصلاة وما أصلها ، وعلى معنى إيتاء الزكاة وأنه إعطاؤها بطيب نفس على ما فرضت ووجبت ، وعلى معنى الزكاة واختلاف المختلفين فيها ، والشواهد الدالة على صحة القول الذي اخترنا في ذلك بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع »(٢).

– وكقوله: « وقد دللت فيما مضى على أن الاعتداء أصله تجاوز الحد في كل شيء بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع »(٣).

– وقوله: « وقد بينا فيما مضى قبل من كتابنا أن الخشوع التذلل والخضوع ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع »(٤).

٢) الإشارة إلى تقدم دراسة الكلمة دون ذكر معناها، وذلك أغلبها.

كقوله: « وقد دللنا على معنى الهبوط فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع »(٥).

– وكقوله: « وقد تقدم بياننا قبل بالشواهد عن معنى الخسار بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع »(١).

---

(١) جامع البيان (٢/ ٣٠٦).

(٢) جامع البيان (٢/ ٤٢٥ – ٤٢٦).

(٣)المصدر السابق (٢/ ٥٩).

(٤)المصدر السابق (١٧/ ١٠).

(٥) المصدر السابق (٢/ ١٣٥).

- وقوله: « وقد دللنا على معنى الظالم فيما مضى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضوع »[2].

- وقوله: « وقد ذكرنا معنى الدين في غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته »[3].

- وقوله: « وقد بينا معنى اللعنة فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته »[4].

- وقوله: « وقد بينت العهد فيما مضى بما أغنى عن إعادته »[5].

٣) الإشارة إلى تقدم دراسة الكلمة واختلاف أهل التأويل فيها.

كقوله: « وقد بينت فيما مضى قبل معنى التقديس بشواهده ، وذكرت اختلاف المختلفين فيه بما أغنى عن إعادته »[6].

- وقوله: « وقد بينت معنى الطور بشواهده ، وذكرنا اختلاف المختلفين فيه فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع »[7].

- وقوله: « وقد بينا معنى الروح فيما مضى بذكر اختلاف أهل التأويل فيها بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع »[8].

- وقوله: « وقد بينا فيما مضى معنى الإبلاس بشواهده ، وذكر المختلفين فيه بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع »[9].

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٥٨).
(٢)المصدر السابق (٢/ ٢٧٥).
(٣)المصدر السابق (١٤/ ٢٤٩).
(٤)المصدر السابق (٢/ ٧٤١).
(٥) جامع البيان (٣/ ٨٦).
(٦)المصدر السابق (٢٢/ ٥٥١).
(٧) المصدر السابق (٢١/ ٥٦٠).
(٨) المصدر السابق (٢٠/ ٥٤٢).
(٩) المصدر السابق (٢٠/ ٦٤٨).

- وقوله: « وقد مضى بياننا عن معنى (الآناء) بشواهده ، وحكاية أقوال أهل التأويل فيها بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع »[1].

٤) **الإشارة إلى تقدم دراسة الكلمة واختلاف أهل التأويل فيها،** مع إيراد بعض أقوالهم التي لم يذكرها في الموضع الأول كقوله: « وقد بينا معنى الإهطاع ، وما قال أهل التأويل فيه فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ، غير أنا نذكر في هذا الموضع بعض ما لم نذكره هنالك »[2].

وقال في موضع آخر: « وقد بينا معنى المهل فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع من الشواهد ، وذكر اختلاف أهل التأويل فيه ، غير أنا نذكر من أقوال أهل العلم في هذا الموضع ما لم نذكره هناك »[3].

ويقول أيضاً: « وقد اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : {تحبرون} وقد ذكرنا ما قد قيل في ذلك فيما مضى ، وبينا الصحيح من القول فيه عندنا بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع، غير أنا نذكر بعض ما لم يذكر هنالك من أقوال أهل التأويل »[4].

وربما أعاد إيراد بعض أقوال أهل التأويل كلها لفائدة يريدها كقوله:

« وقد ذكرنا اختلاف المختلفين ، والصواب من القول عندنا فيما مضى قبل في معنى القانت ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ؛ غير أنا نذكر بعض أقوال أهل التأويل في ذلك في هذا الموضع، ليعلم الناظر في الكتاب اتفاق معنى ذلك في هذا الموضع وغيره »[5].

---

(١) المصدر السابق (٢٠ / ١٧٧).

(٢) جامع البيان (٢٣ / ٢٧٧).

(٣) المصدر السابق (٢١ / ٥٥).

(٤) المصدر السابق (٢٠ / ٦٤٢).

(٥) المصدر السابق (٢٠ / ١٧٥).

وقد تكررت الإشارة إلى المواضع السابقة لدراسة الكلمات في تفسير الطبري قرابة ثلاثمائة مرة، وذلك يبين منهج ابن جرير في ذلك وأنه يحرص ألا يكرر ما سبق تناوله ودراسته من الكلمات الغريبة.

وهذا كله فيما إذا كان المعنى واحداً في كل المواضع أما إذا اختلف المعنى لكون الكلمة لها إطلاقات متعددة فإنه يشير لذلك كقوله:

« والدين في هذا الموضع، بتأويل الحساب والمجازاة بالأعمال »، ... ثم استشهد عليه من القرآن وأشعار العرب، ثم قال:« وللدين معانٍ في كلام العرب، غير معنى الحساب والجزاء، سنذكرها في أماكنها إن شاء الله »[1].

وقال في موضع آخر: «وقد يتفرع الظلم في معان يطول بإحصائها الكتاب، وسنبينها في أماكنها إذا أتينا عليها إن شاء الله تعالى وأصل ذلك كله ما وصفنا من وضع الشيء في غير موضعه»[2].

(١) جامع البيان (١ / ١٥٧).

(٢) جامع البيان (١ / ٥٦٠).

المبحث الثاني

خصائص منهج الطبري في الغريب

* * * ** * * *

خصائص منهج الطبري في الغريب

تميز منهج الإمام الطبري في تناول الألفاظ الغريبة ودراستها بخصائص عديدة، أبرز أهمها في النقاط التالية:

١- الاعتماد على أقوال السلف في تفسير الغريب:

اعتمد الإمام الطبري في بيان الألفاظ الغريبة في القرآن على أقوال السلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم، وجعل ما يرد عنهم حجة في معنى اللفظ، ويندر أن يخرج عن مجموعها ، بل جعل الضابط للاعتماد على اللغة في تفسير الغريب هو أن لا يكون التفسير خارجاً عن ما قاله السلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم[١].

وأكد ذلك في مقدمة تفسيره فقال –وهو يتحدث عن وجوه تأويل القرآن –:

« والثالث منها[٢]: ما كان علمه عند أهل اللسان الذي نزل به القرآن ، وذلك علم تأويل غريبه وإعرابه ، لا يُوصَلُ إلى علم ذلك إلا من قبلهم.

فإذ كان ذلك كذلك ، فأحق المفسرين بإصابة الحق في تأويل القرآن الذي إلى علم تأويله للعباد سبيل ، أوضحهم حجة فيما تأول وفسر ، مما كان تأويله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دون سائر أمته ، من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الثابتة عنه ، إما من جهة النقل المستفيض ، فيما وجد فيه من ذلك عنه النقل المستفيض ، وإما من جهة نقل العدول الأثبات ، فيما لم يكن فيه عنه النقل المستفيض ، أو من

---

(١) انظر: التفسير اللغوي (ص: ١٩٥).

(٢) كان – رحمه الله – ذكر الوجهين الأولين وهما:

١- ما لا سبيل إلى الوصول إليه ، وهو الذي استأثر الله بعلمه ، وحجب علمه عن جميع خلقه.

٢- ما خص الله بعلم تأويله نبيه صلى الله عليه وسلم ، دون سائر أمته، ولا سبيل لهم إلى علم ذلك ، إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم لهم تأويله. انظر: جامع البيان (١ / ٨٨).

جهة الدلالة المنصوبة على صحته ، وأوضحهم برهانا فيما ترجم وبين من ذلك ، مما كان مدركا علمه من جهة اللسان ، إما بالشواهد من أشعارهم السائرة ، وإما من منطقهم ولغاتهم المستفيضة المعروفة ، كائنا من كان ذلك المتأول والمفسر ، بعد أن لا يكون خارجا تأويله وتفسيره ما تأول وفسر من ذلك عن أقوال السلف من الصحابة والأئمة والخلف من التابعين وعلماء الأمة »[1].

وفي تعامل الإمام الطبري – مع أقوال السلف في تفسير الغريب وعرضه ظواهر أتعرض لها فيما يلي:

١) إذا اتفق السلف على تفسير للغريب فإنه يفسره به ثم يحتج عليه بما روي عن السلف في ذلك.

فمثلا لما فسر (العوان) في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ البقرة: ٦٨ بأنها: النصف التي قد ولدت بطنا بعد بطن[2]... قال: وبنحو الذي قلنا في ذلك تأوله أهل التأويل.... ثم أخرج ذلك بأسانيده عن السلف من الصحابة والتابعين[3].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۝٢﴾ النساء: ٢ يقول: « وأما الحوب : فإنه الإثم ، يقال منه : حاب الرجل يحوب حَوْبًا وحُوبًا وحيابة ، ويقال منه : قد تحوب الرجل من كذا ، إذا تأثم منه ... والكبير : العظيم ، فمعنى ذلك أن أكلكم أموال اليتامى مع أموالكم ، إثم عند الله عظيم.... وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل »[4].

(١) جامع البيان (١ / ٨٨– ٨٩).

(٢) المصدر السابق (٢ / ٨٧).

(٣) المصدر السابق (٢ / ٨٨ – ٩٠).

(٤) المصدر السابق (٦ / ٣٥٦)، وانظر مثل هذين المثالين في المواضع التالية: (٢ / ١٢٠)، (٢/ ٥١٧)، (٢/ ٦٥٩)، (٣/ ٣٠١)، (٤ / ٥٤٢)، (٧ / ٢٥٢)، (١٤ / ١٨١)، (٢٣ / ١٣٥).

٢) أما إذا اختلف السلف في تفسير الكلمة الغريبة فإنه يذكر جميع أقوالهم بأسانيدها ثم يختار ما يراه راجحاً من بين أقوالهم، أو يجمع بينها ويحمل الكلمة عليها جميعا.

فمثال الأول: ما صنعه مع أقوال السلف في معنى: (الغساق) في قوله: ﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝٥٧ ﴾ ص: ٥٧ ؛ **إذ أورد الخلاف عنهم في معناها**، ثم قال: « وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال : هو ما يسيل من صديدهم ، لأن ذلك هو الأغلب من معنى الغسوق ، وإن كان للآخر وجه صحيح »[1].

ومما يلاحظ هنا أن الطبري – رحمه الله – لم يعتبر تقدّم طبقة للسلف عن طبقة، فلا يعتمد تقديم أقوال الصحابي على من دونه، إذا كان الأمر يعود للاجتهاد[2].

ومثال الثاني: قوله – بعد ذكر أقوال السلف في معنى قوله تعالى: ﴿ أَن تَرْجُمُونِ ﴾ الدخان: ٢٠ –: « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما دل عليه ظاهر الكلام ، وهو أن موسى ÷ استعاذ بالله من أن يرجمه فرعون وقومه ، والرجم قد يكون قولا باللسان، وفعلا باليد والصواب أن يقال : استعاذ موسى بربه من كل معاني رجمهم الذي يصل منه إلى المرجوم أذى ومكروه ، شتما كان ذلك باللسان ، أو رجما بالحجارة باليد »[3].

ولا يخرج الطبري عن مجموع أقوال السلف إلا نادراً، ولهذا نجده يرد أقوال اللغويين كثيراً – ولو كان لها وجه – إذا كان خارجاً عن أقوال أهل التأويل من السلف – كما سيأتي –.

ومثال خروجه عن أقوال السلف: ما اختاره في معنى كلمة { واهجروهن }، بعد ذكر أقوال السلف والتعقيب عليها –فقال: « فإذا كان في كلّ هذه المعاني ما ذكرنا

---

(١) جامع البيان (٢٠ / ١٣٠).

(٢) انظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم (ص: ١٩٦).

(٣) جامع البيان (٢١ / ٣٢- ٣٣).

من الخلل اللاحق، فأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يكون قوله:"واهجروهن"، موجَّهًا معناه إلى معنى الرّبط بالهجار، على ما ذكرنا من قيل العرب للبعير إذا ربطه صاحبه بحبل على ما وصفنا:"هَجَره فهو يهجره هجْرًا»[1].

فهذا المعنى الذي اختاره لم يقل به أحد من السلف، وإنما هو من معاني الكلمة عند العرب.

أما إذا انفرد أحد السلف بقول فإن الطبري لا يجد غضاضة في ردّه إذا كان لا يعرف له أصل في كلام العرب، فقد عقب على ما رواه عن ابن زيد في تفسير قوله ﴿مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤﴾ النبأ: ١٤. قال : كثيرا – بقوله: « ولا يعرف في كلام العرب من صفة الكثرة الثج »[2].

وكقوله: « وأما القول الذي حكي عن الضحاك في معنى فالق أنه خالق ، فقول إن لم يكن أراد به أنه خالق منه النبات والغروس بفلقه إياه ، **لا أعرف له وجها ، لأنه لا يعرف في كلام العرب فلق الله الشيء بمعنى: خلق** »[3].

وكقوله: « فأما التأويل الذي حكي عن مجاهد في قوله : {راعنا} أنه بمعنى خلافا، **فما لا يعقل في كلام العرب** ؛ لأن راعيت في كلام العرب إنما هو على أحد وجهين : أحدهما بمعنى فاعلت من الرعية ، وهي الرقبة والكلاءة . والآخر بمعنى إفراغ السمع ، بمعنى أرعيته سمعي . وأما راعيت بمعنى خالفت ، فما لا وجه له مفهوم في كلام العرب »[4].

---

(١) جامع البيان (٦/ ٧٠٧).

(٢) المصدر السابق (٢٤/ ١٥).

(٣) المصدر السابق (٩/ ٤٢٢).

(٤) المصدر السابق (٢/ ٣٨١).

٢- قبول المحتملات اللغوية الواردة عن السلف:

إن تعدد النصوص والأقوال في تفسير المفردة القرآنية الواحدة يوسع من الطاقة الدلالية للنص ويعطيه أبعاداً ومستويات متفاوتة ومتعددة من الفهم والتفسير.

ولقد كان الصحابة على إحساس قوي بما يصطلح عليه اليوم بتعدد الدلالة في القرآن الكريم، ولهذا كانت تختلف أقوالهم في كثير من المواضع، وكل يجر الكلام إلى جانب، وفي الحقيقة المطالب متحدة، وإلى هذه النكتة أشار أبو الدرداء بقوله: لا يكون أحد فقيها حتى يحمل الآية الواحدة على محامل متعددة"[١].

ولقد كان للطبري مع أقوال السلف - في تفسيرهم للكلمات الغريبة - التي تحتملها اللغة مواقف جميلة، فقد اهتم بإبقاء الكلمات على عمومها، والجمع بين الأقوال التي ظاهرها الاختلاف وباطنها الاتفاق.

سواء كانت الكلمة من المشتركات اللفظية: فقد قرر أنه « غير مستحيل اجتماع المعاني الكثيرة للكلمة الواحدة باللفظ الواحد في كلام واحد »[٢].

ومن أمثلة ذلك قوله – عند تفسير قوله تعالى: ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا﴾ الأعراف: ١٨٩ فقال – بعد أن ذكر أقوال السلف في المراد بالصلاح- : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله أخبر عن آدم وحواء أنهما دعوا الله ربهما بحمل حواء ، وأقسما لئن أعطاهما في بطن حواء صالحا ليكونان لله من الشاكرين . والصلاح قد يشمل معاني كثيرة . منها الصلاح في استواء الخلق . ومنها الصلاح في الدين ، والصلاح في العقل والتدبير . وإذ كان ذلك كذلك ، ولا خبر عن الرسول يوجب الحجة بأن ذلك على بعض معاني الصلاح دون بعض ، ولا فيه من العقل دليل وجب

---

(١) الكلام منقول عن كتاب: دراسة الطبري للمعنى (ص: ٩٢) بتصرف يسير.

(٢) جامع البيان (١/ ٢٢٥).

أن يعم كما عمه الله ، فيقال إنهما قالا لئن آتيتنا صالحا بجميع معاني الصلاح[1].

وكقوله – بعد ذكر أقوال السلف في معنى (الحسنة) في قوله: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ البقرة: ٢٠١ –: « والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إن الله جل ثناؤه أخبر عن قوم من أهل الإيمان به وبرسوله ، ممن حج بيته ، أنهم يسألون ربهم الحسنة في الدنيا ، والحسنة في الآخرة ، وأن يقيهم عذاب النار . وقد تجمع الحسنة من الله عز وجل العافية في الجسم ، والمعاش ، والرزق ، وغير ذلك ، والعلم ، والعبادة ... وإنما قلنا إن ذلك أولى التأويلات بالآية ؛ لأن الله عز وجل لم يخصص بقوله مخبرا عن قائل ذلك من معاني الحسنة شيئا ، ولا نصب على خصوصه دلالة دالة على أن المراد من ذلك بعض دون بعض ، فالواجب من القول فيه ما قلنا من أنه لا يجوز أن يخص من معاني ذلك شيء ، وأن يحكم له بعمومه على ما عمه الله »[2].

أو كان من التفسير بمثال اللفظ العام الذي يكثر في تفسير السلف.

ومن أمثلته: قوله – بعد أن ذكر أقوال السلف في تفسير (الأسباب) في قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾ البقرة: ١٦٦ –: « وكل هذه المعاني أسباب يتسبب في الدنيا بها إلى مطالب ، فقطع الله منافعها في الآخرة عن الكافرين به في الدنيا ؛ لأنها كانت بخلاف طاعته ورضاه فهي منقطعة بأهلها ؛ فلا خلال بعضهم بعضا ينفعهم عند ورودهم على ربهم ولا عبادتهم أندادهم ولا طاعتهم شياطينهم ، ولا دافعت عنهم أرحام فنصرتهم من انتقام الله منهم ، ولا أغنت عنهم أعمالهم بل صارت عليهم حسرات ، فكل أسباب الكفار منقطعة ، فلا معنى أبلغ في تأويل قوله : ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾ من صفة الله ، وذلك ما بينا من جميع أسبابهم دون بعضها على ما قلنا في ذلك. ومن ادعى أن المعنى بذلك خاص من الأسباب سئل البرهان على دعواه من

(١) جامع البيان (١٠ / ٦٢٢).

(٢) المصدر السابق (١٠ / ٦٢٢).

أصل لا منازع فيه ، وعورض بقول مخالفه فيه ، فلن يقول في شيء من ذلك قولا إلا ألزم في الآخر مثله »[1].

وكقوله – بعد ذكرأقوال السلف في تفسير (البشرى) في قوله: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ يونس: ٦٤ –: « وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أن لأوليائه المتقين البشرى في الحياة الدنيا، ومن البشارة في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له ؛ منها بشرى الملائكة إياه عند خروج نفسه برحمة الله ، كما روي عن النبي ص: « إن الملائكة التي تحضره عند خروج نفسه ، تقول لنفسه : اخرجي إلى رحمة الله ورضوانه »[2]، ومنها : بشرى الله إياه ما وعده في كتابه وعلى لسان رسوله ه من الثواب الجزيل ، كما قال جل ثناؤه : ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾ الآية البقرة: ٢٥. وكل هذه المعاني من بشرى الله إياه في الحياة الدنيا بشره بها، ولم يخصص الله من ذلك معنى دون معنى، فذلك مما عمه جل ثناؤه أن ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ »[3].

٣- التعامل الجيد مع أقوال اللغويين :

فلم يكن منهج الطبري مقتصراً على أقوال السلف في تفسير الكلمات الغريبة، وإنما استفاد استفادة كبيرة من أقوال علماء اللغة في ذلك، لكنه كان يتعامل معهم بدقة وحذر، فلا يقبل من أقوالهم ما خالف أقوال السلف، بل حتى ما لم يقل به أحد من

---

(١) جامع البيان (٨/ ٣٨٣).

(٢) هذا جزء من حديث البراء بن عازب الطويل المشهور، ولم أجد هذه العبارة إلا عند الطبري في تهذيب الآثار ٢/ ٥٠٠ رقم (٧٢٣)، والحديث أخرجه أبو داود في سننه في كتاب السنة ، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر ٤/ ٢٣٩، رقم (٤٧٥٣)، وأحمد في مسنده ٣٠/ ٤٩٩، رقم (١٨٥٣٤)، وقال الهيثمى (٣/ ٥٠): "رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح"، والحاكم ١/ ٩٣ ـ ٩٨، رقم (١٠٧) وقال: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه". والبيهقى فى شعب الإيمان (١/ ٣٥٥، رقم ٣٩٥) وقال : "هذا حديث صحيح الإسناد".

(٣) جامع البيان (١٢/ ٢٢٥).

السلف، وإن كان له وجه في اللغة.

لذا نجده يردّ أقوال الفراء في تفسير كلمة {لاغية} لمخالفته لقول السلف:

فقال: « وزعم بعض نحويي الكوفيين أن معنى ذلك : لا يسمع فيها حالفة على الكذب، ولذلك قيل لاغية ؛ ولهذا الذي قاله مذهب ووجه ، لولا أن أهل التأويل من الصحابة والتابعين على خلافه، وغير جائز لأحد خلافهم فيما كانوا عليه مجمعين»[1].

ويردّ قول أبي عبيدة في تفسير كلمة (حرد) لأنه لم يقل به أحد من السلف، فقال: « وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يتأول ذلك : وغدوا على منع، ويوجهه إلى أنه من قولهم : حاردت السنة إذا لم يكن فيها مطر ، وحاردت الناقة إذا لم يكن لها لبن ، كما قال الشاعر :

فإِذَا ما حارَدَتْ أَوْ بَكَأَتْ ... فَتَّ عَنْ حاجِبِ أُخْرَى طِينُها[2].

وهذا قول لا نعلم له قائلا من متقدمي العلم قاله وإن كان له وجه ، فإذا كان ذلك كذلك ، وكان غير جائز عندنا أن يتعدى ما أجمعت عليه الحجة ، فما صح من الأقوال في ذلك إلا أحد الأقوال التي ذكرناها عن أهل العلم »[3].

٤- الترجيح بين الأقوال المختلفة في تفسير اللفظة القرآنية بقواعد ثابتة:

إذا كان الاختلاف في تفسير اللفظة القرآنية اختلاف تضاد وتعارض لا يمكن معه الجمع بينها، فإن الإمام الطبري – رحمه الله – يرجح بينها، ويختار القول الذي ظهر له رجحانه بالأدلة والقرائن.

---

(١) جامع البيان (٢٤ / ٣٣٤).

(٢) لم أجده منسوباً إلى قائل، وقد استشهد به جمع من المفسرين، انظر: الكشف والبيان (١٠/ ١٧)، وأصحاب المعاجم ، انظر: لسان العرب (١٣/ ٥١).

(٣) جامع البيان (٢٣ / ١٧٨ – ١٧٩).

ومن أبرز القواعد والضوابط التي كان الطبري يرجح بها بين الأقوال المختلفة في تفسير الغريب:

١) ثبوت الرواية عن النبي ج بأحد الأقوال.

فإذا ثبت تفسير الكلمة الغريبة عن النبي ص لم يلتفت إلى غيره.

ومثال ذلك قوله – بعد سرد الأقوال في تفسير قوله: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ﴾ آل عمران: ١٨٠ –: « وأولى الأقوال بتأويل هذه الآية التأويل الذي قلناه في ذلك في مبدأ قوله : ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ﴾ للأخبار التي ذكرنا في ذلك عن رسول الله ص ؛ ولا أحد أعلم بما عنى الله تبارك وتعالى بتنزيله منه عليه الصلاة والسلام »[1].

وفي تفسير المعيشة الضنك في قوله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ طه: ١٢٤ قال: « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : هو عذاب القبر الذي حدثنا به أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدثنا عمي عبد الله بن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن دراج ، عن ابن حجيرة ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أتدرون فيم أنزلت هذه الآية : ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ طه: ١٢٤ ؟ أتدرون ما المعيشة الضنك ؟ " قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : عذاب الكافر في قبره ، والذي نفسي بيده إنه يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا ، أتدرون ما التنين ؟ تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة أرؤس ، ينفخون في جسمه ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة »[2].

---

(١) جامع البيان (٦/ ٢٧٦).

(٢) المصدر السابق (١٦/١٩٨)، وانظر أيضاً منه: (١٨ / ٣٩٢). والحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه ٧/ ٣٩٣، رقم (٣١٢٢) وأبو يعلي في مسنده (١١/ ٥٢٣، رقم: (٦٦٤٤)، والحديث حسن، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٢١٧)، وكذا حسنه الشيخ شعيب الأرناءوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان.

٢) إجماع الحجة من أهل التأويل على تفسير الغريب.

فإذا أجمع السلف على تفسير كلمة غريبة فإن ذلك مرجح قوي عنده، ومثاله قوله – عند تفسير قوله: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ البقرة: ١٢١ –: « والصواب من القول في تأويل ذلك أنه بمعنى : يتبعونه حق اتباعه، من قول القائل : ما زلت أتلو أثره ، إذا اتبع أثره ؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن ذلك تأويله »[١].

ومثله: قوله: « وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال : عني بقوله: {حسوما} متتابعة ، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك »[٢].

٣) سياق الآيات.

فإذا اختلف في تفسير كلمة غريبة وكان سياق الآيات التي وردت فيها تلك الكلمة مؤيداً لأحد الأقوال، فإنه يختاره ويرجحه.

ومثاله: لما حكى الأقوال المختلفة في تفسير قوله – عن زوجة إبراهيم –﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ ﴾هود: ٧١ – قال: « وأولى الأقوال التي ذكرت في ذلك بالصواب قول من قال : معنى قوله : فضحكت : فعجبت من غفلة قوم لوط عما قد أحاط بهم من عذاب الله وغفلتهم عنه.

وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب لأنه ذكر عقيب قولهم لإبراهيم : ﴿لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ﴾ هود:٧٠. فإذ كان ذلك كذلك، وكان لا وجه للضحك، والتعجب من قولهم لإبراهيم: لا تخف، كان الضحك والتعجب إنما هو من أمر قوم لوط »[٣].

---

(١) جامع البيان (٢ / ٤٩٢– ٤٩٣).

(٢) جامع البيان (٢٣ / ٢١٤).

(٣) جامع البيان (١٢ / ٤٧٨).

٤) المعروف من كلام العرب:

كثيرا ما يرجح الطبري من المعاني التي يذكرها المفسرون في تفسير الألفاظ القرآنية المعنى الأغلب في استعمال العرب، والمعروف في كلامهم، بل قرر قاعدة بأن «توجيه معاني كلام الله إلى المعروف من كلام من خوطب به أولى من توجيهه إلى المجهول منه ما وجد إليه السبيل »[(١)].

لذا رجح في قوله تعالى: ﴿ تَكُونُ لَنَا عِيدًا ﴾ المائدة: ١١٤ أن يكون معناه: تكون لنا عيدا، نعبد ربنا في اليوم الذي تنزل فيه ونصلي له فيه ، كما يعيد الناس في أعيادهم، قال: لأن المعروف من كلام الناس المستعمل بينهم في العيد ما ذكرنا دون القول الذي قاله من قال معناه : عائدة من الله علينا »[(٢)].

وقوله – عند تفسير قوله تعالى: ﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ طه: ١٠٧ –: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : عنى بالعوج : الميل ، وذلك أن ذلك هو المعروف في كلام العرب »[(٣)].

وقوله – عند تفسير قوله سبحانه –: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ الأنبياء: ١٠٤ –: « وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال : السجل في هذا الموضع الصحيفة ، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب ، ولا نعرف لنبينا صلى الله عليه وسلم كاتبا كان اسمه السجل ، ولا في الملائكة ملكا ذلك اسمه »[(٤)].



(١) جامع البيان (٩/ ١٢٤)

(٢) المصدر السابق بنفس الجزء والصفحة.

(٣) جامع البيان (١٦/ ١٦٦).

(٤) المصدر السابق (١٦/ ٤٢٥).

المبحث الثالث

موارد الطبري في غريب القرآن

* * * ** * * *

موارد الطبري في غريب القرآن

يظهر جليا من خلال نقول الإمام الطبري - رحمه الله تعالى – في تفسيره أنه أفاد كثيراً من الذين سبقوه، واعتمد عليهم في جوانب كثيرة، لكن لم ينص الإمام الطبري على طبيعة المصادر التي نقل منها في تفسيره، وما إذا كانت تلك المصادر مدونة مكتوبة، أو نقل منها باالرواية، وهذا ما يعنيه الأستاذ فؤاد سزكين بقوله : ليس هناك من تصور واضح وحقيقي للمصادر التي اعتمد عليها الطبري[١].

ويمكن القول بأن السمة الغالبة في تفسير الطبري هي الرجوع إلى أقوال السلف في التفسير، والاعتماد على ما وصل إليه بالرواية عن الصحابة والتابعين.

لكن يتأكد من خلال النظر في طبقات المفسرين وسرد مراحل التأليف في التفسير[٢]، ومن خلال المصادر التي تحدثت عن موارد الإمام الطبري في تفسيره أن الطبري –بجانب اعتماده على روايات شفوية –اعتمد على مصادر مدونة في التفسير وغيره[٣].

لكن يبقى صعوبة تمييز المصادر الكتابية من الشفهية تمييزا واضحاً[٤]؛ لما سبق من عدم نص الطبري على طبيعة مصادره، ووجود كل من الصنفين.

ويمكن إجمال الموارد التي استقى منها الطبري كلامه في غريب القرآن في مصدرين هما:

---

(١) تاريخ التراث العربي (١/ ٥١٩).

(٢) انظر: الإتقان (١/ ٩٣)، وتاريخ التفسير لقاسم القيسي (ص: ٥٣ وما بعدها).

(٣) ممن أكد ذلك ياقوت الحموي - كما سيأتي نقل كلامه في ذلك - ، كذلك حاول سزكين أن يستنبط من الأسانيد التي يأتي بها الطبري في تفسيره أنه أخذ من مصادر مكتوبة.

كما أكد ذلك د. حسين الحربي ونص على عدد من السلف الذين جمعوا التفسير المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين. انظر: منهج الإمام ابن جرير الطبري في الترجيح (ص ١٢-١٣).

(٤) انظر: المنهج النقدي في تفسير الطبري (ص ١٠٠).

١- أقوال السلف من أهل التأويل.

٢- أقوال علماء اللغة.

مع عدم إغفال ما كان الطبري عليه من التبحر في علوم اللغة العربية والمعرفة بدقائقها، وما يتصل بها من قواعد النحو والصرف، والدراية بأشعار العرب وعاداتها في كلامها، ما جعله ليس مجرد ناقل للأقوال، وإنما يقف معها موقف العالم الناقد البصير.

١- أقوال السلف من أهل التأويل:

تعتبر الأقوال المأثورة عن السلف في التفسير أهم موارد الإمام الطبري في تفسير الغريب، وقل أن يفسر كلمة غريبة إلا ويرجع إلى أقوالهم.

وقد ذكر ياقوت في معجم الأدباء من اعتمد الطبري على أقوالهم من السلف، قائلاً: « وذكر – أي الطبري – فيه من كتب التفاسير المصنفة عن ابن عباس خمسة طرق، وعن سعيد بن جبير طريقين، وعن مجاهد بن جبر ثلاثة طرق، وربما كان عنه في مواضع أكثر من ذلك، وعن قتادة بن دعامة ثلاثة طرق، وعن الحسن البصري ثلاثة طرق، وعن عكرمة ثلاثة طرق، وعن الضحاك بن مزاحم طريقين، وعن عبد الله بن مسعود طريقاً، وتفسير عبد الرحمن بن زيد أسلم، وتفسير ابن جريج، وتفسير مقاتل ابن حيان سوى ما فيه من مشهور الحديث عن المفسرين وغيرهم، وفيه من المسند حسب حاجته إليه، ولم يتعرض لتفسير غير موثوق به، فإنه لم يدخل في كتابه شيئاً عن كتاب محمد بن السائب الكلبي، ولا مقاتل بن سليمان، ولا محمد بن عمر الواقدي لأنهم عنده أظناء والله أعلم »[(١)].

وقد سبق – في المبحثين السابقين – تفصيل منهج الطبري في التعامل مع أقوال السلف.

(١) انظر: معجم الأدباء (٢ / ٣٦٨).

٢- علماء اللغة الذين ألفوا في غريب القرآن.

فقد نقل الإمام الطبري – رحمه الله – كثيراً عن أئمة اللغة الذين ألفوا في غريب القرآن ومعانيه.

وفي هذا يقول ياقوت الحموي: « وذكر فيه مجموع الكلام والمعاني من كتاب علي بن حمزة الكسائي، ومن كتاب يحيى بن زياد الفراء، ومن كتاب أبي الحسن الأخفش، ومن كتاب أبي علي قطرب وغيرهم مما يقتضيه الكلام عند حاجته إليه، إذ كانوا هؤلاء هم المتكلمون في المعاني وعنهم يؤخذ معانيه وإعرابه، وربما لم يسمهم إذا ذكر شيئاً من كلامهم »[١].

ولا شك أن هؤلاء ليسوا بمرتبة واحدة في رجوع الطبري إلى أقوالهم وإفادته منها، فمنهم من أكثر النقل عنه كأبي عبيدة، والفراء، وسنعرج في الصفحات التالية على كيفية اعتماده على هذه الكتب وإفادته منها فيما يتعلق بغريب القرآن.

أما الكسائي، وهو: أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي الكسائي، له مكانة عالية في علم اللغة والنحو، فهو إمام مدرسة الكوفة النحوية، وأحد القراء السبعة المشهورين، توفي سنة (١٨٢هـ)[٢].

وقد كان الكسائي من أوائل من ألف في معاني القرآن.

ولقد صرح الطبري باسم الكسائي في تفسيره في سبعة وأربعين موضعاً، أغلبها في القراءات والمسائل النحوية، أما ما يتعلق بتفسير معاني الكلمات الغريبة، فهي قليلة.

كقوله: « وقال القاسم[٣]، عن الكسائي أنه قال: « الرجم في جميع القرآن: الشتم»[٤].

---

(١) انظر: معجم الأدباء (٢ / ٣٦٨).

(٢) انظر ترجمته: في السير (٩/ ١٣١)، وغاية النهاية لابن الجزري (١/ ٢٧٤).

(٣) يقصد به: أبا عبيد القاسم بن سلام – كما سيأتي –، وهو: **أبو عبيد** القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي الأنصاري، ذو التصانيف الكثيرة في القراءات والفقه واللغة والشعر، وكانت وفاته سنة (٢٢٤هـ)، انظر: تذكرة الحفاظ(٢/ ٤١٧)، ومعرفة القراء الكبار (١/ ١٧٠).

(٤) جامع البيان (١٤ / ٣٣).

إلا أنه ربما نقل عنه في توجيه القراءات مما يخدم تفسير اللفظة القرآنية.

كقوله في توجيه القراءتين في قوله: (الرشد) وكان الكسائي يقول : هما لغتان بمعنى واحد ، مثل : السُّقْم والسَّقَم ، والحُزْن والحَزَن ، وكذلك الرُّشْد والرَّشَد[1].

وقوله في توجيه قراءة { السدين} بفتح السين وضمها: "وكان الكسائي يقول : هما لغتان بمعنى واحد[2].

وقوله – في توجيه القراءة بكسر الضاد في كلمة { الضيق} –: وحكي عن الكسائي أنه كان يقول : الضيق بالكسر : في المعاش والموضع ، وفي الأمر الضيق[3].

كذلك ربما نقل عنه في بعض المواضع التفريق بين بعض الاستعمالات للكلمة:

كقوله: « وقد ذكر عن الكسائي أنه كان يفرق بين الإلحاد واللحد ، فيقول في الإلحاد : إنه العدول عن القصد ، وفي اللحد إنه الركون إلى الشيء »[4].

وقوله: « كان الكسائي يقول: العرب تقول: أسقيناهم نهرا وأسقيناهم لبنا: إذا جعله له شربا دائما، فإذا أرادوا أنهم أعطوه شربة قالوا: سقيناهم، فنحن نسقيهم بغير ألف »[5].

ومثله قوله: « وقد كان الكسائي فيما ذكر أبو عبيد عنه يقول : إذا أريد أنه أتبعهم خيرا أو شرا فالكلام أتبعهم بهمز الألف ، وإذا أريد اتبع أثرهم أو اقتدى بهم فإنه من اتبعت مشددة التاء غير مهموزة الألف »[6].

---

(١) جامع البيان (١٠ / ٤٤٥).

(٢) المصدر السابق (١٥ / ٣٨٥).

(٣) المصدر السابق (٩ / ٥٤٨).

(٤) المصدر السابق (١٠ / ٥٩٨).

(٥) المصدر السابق (١٤ / ٢٧٠).

(٦) المصدر السابق (١٢ / ٢٧٣).

كما أن مما أفاده الطبري عن الكسائي - مما يخدم تفسير اللفظة القرآنية -: ما ينقل عنه مما سمعه من العرب.

كقوله: « وحكي عن الكسائي أنه قال: سمعت " ما علمك أهلك إلا مض ومض "، وهذا كأف وأف . ومن قال: " أفا " جعله مثل سحقا وبعدا »[1].

« ذكر الكسائي أنه سمعهم يقولون: إن كنت لقليل هون المؤنة منذ اليوم، قال: وسمعت: الهوان في مثل هذا المعنى، سمعت منهم قائلا يقول لبعير له: ما به بأس غير هوانه، يعني خفيف الثمن، فإذا قالوا: هو يمشي على هونه، لم يقولوه إلا بفتح الهاء، كما قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ الفرقان: ٦٣ »[2].

أوما يحكيه من لغات بعض القبائل في بعض الكلمات:

كقوله: « وحكي عن تميم أنها تقول : يبيق ، وقد حكي وبق يبق وبوقا ، حكاها الكسائي »[3].

وقوله: « حدثني الحارث ، قال : قال أبو عبيد : كان الكسائي يحكيها ، يعني : {هيت لك} قال : وقال : وهي لغة لأهل حوران وقعت إلى الحجاز ، معناها : تعال . قال : وقال أبو عبيد : سألت شيخا عالما من أهل حوران ، فذكر أنها لغتهم يعرفها»[4].

فهذه من المجالات التي أفادها الطبري من الكسائي فيما يتعلق بتوضيح الألفاظ القرآنية أو ما يخدم ذلك.

والملاحظ أن الطبري ينقل عن الكسائي بواسطة، ولعله لم يطلع على كتابه؛ فهو

---

(١) جامع البيان (١٤ / ٥٤٨).

(٢) المصدر السابق (١٤ / ٢٥٧).

(٣) المصدر السابق (١٥ / ٢٩٨).

(٤) المصدر السابق (١٣ / ٧٤).

ينقل عنه كثيراً عن طريق الفراء[1]، أو أبو عبيد[2]، أو غيرهما[3]، أو يبهم الواسطة ويكتفي بقوله: حكي عنه، أو ذكر عنه[4].

وربما حذف الواسطة وأسند القول إليه، كقوله: وكان الكسائي يقول [5]، أو ذكر الكسائي[6].

وربما حكى قوله بالتعبير بقوله: "قال بعضهم".

وأكثر ما جاء في ذلك في المسائل النحوية[7] إلا قوله: "وقد قال بعضهم: "النبي" و"النبوة" غير مهموز ، لأنهما مأخوذان من " النَّبْوَة " ، وهي مثل " النَّجْوَة "، وهو المكان المرتفع ، وكان يقول: إن أصل"النبي" الطريق ، ويستشهد على ذلك ببيت القطامي:

لَمَّا وَرَدْنَ نَبِيًّا وَاسْتَتَبَّ لنا ... مُسْحَنْفِرٌ كَخُطُوطِ السَّيْحِ مُنْسَحِلُ [8]

ويقول : إنما سمي الطريق نبيا ، لأنه ظاهر مستبين من النبوة . ويقول . لم أسمع أحدا يهمز النبي »[9].

فهذه إطلالة على إفادة الطبري عن الكسائي فيما يتعلق بمعاني المفردات، أو ما

---

(١) انظر: جامع البيان (١٠/ ١٩٤)، (١٠/ ٤٦٠)، (٢٤ / ٦٢٨).

(٢) انظر: المصدر السابق (١٢/ ٢٧٣)، (١٠ / ٦٣٨) ، (١٤ / ٣٣)، (١٢ / ٢٧٣).

(٣) انظر: المصدر السابق (١٤ / ٣٣).

(٤) انظر: المصدر السابق (٩ / ٥٤٨)، (١٠ / ٥٩٨)، (١٤ / ٥٤٨)،

(٥)المصدر السابق (١٥ / ٣٨٥)، (١٤ / ٢٧٠).

(٦) المصدر السابق (١٤ / ٢٥٧).

(٧) المصدر السابق (١٤ / ٢٥٧)، جامع البيان (٤ / ٥٩٩)، (٥ / ٣٠٢)، وربما وصفه ببعض المتأخرين من أهل العربية، جامع البيان (٦ / ٢٦٨).

(٨) البيت للقطامي كما نسبه له الطبري، انظر ديوانه : (ص: ٤).

(٩) المصدر السابق (٢ / ٣١).

يخدم ذلك، وهي - كما هو ظاهر – ليست مثل إفادته عن الفراء وأبي عبيدة – كما سيأتي -؛ لكون الطبري لم يطلع – على ما يبدو - على كتاب الكسائي، واعتماده على من نقل عن الكسائي وأبرزهم تلميذه: الفراء.

وأما قطرب، وهو أبو علي محمد بن المستنير ، النحوي . لازم سيبويه وتوفي سنة ٢٠٦ هـ[١] ، وهو من المؤلفين أيضاً في معاني القرآن، لكن كتابه مفقود.

وقد ذكره ياقوت – كما سبق – من الذين أفاد الطبري منهم في تفسيره، لكن – وبعد البحث - لم يظهر لي إفادة الطبري عنه في تفسيره سواء في تفسير الغريب أو غير ذلك.

إلا في موضع واحد أشار الشيخ محمود شاكر إلى نقل الطبري عنه في قوله: " وأصل"الكرسي" العلم. ومنه قيل للصحيفة يكون فيها علم مكتوب"كراسة"، ومنه قول الراجز في صفة قانص:

حَتَّى إِذَا مَا اختَارهَا تَكَرَّسَا[٢]

يعني علم. ومنه يقال للعلماء"الكراسي"، لأنهم المعتمد عليهم، كما يقال:"أوتاد الأرض". يعني بذلك أنهم العلماء الذي تصلح بهم الأرض، ومنه قول الشاعر:

يَحُفُّ بِهِمْ بِيضُ الْوُجُوهِ وَعُصْبَةٌ   كَرَاسِيُّ بِالأَحْدَاثِ حِينَ تَنُوبُ[٣]

قال الشيخ / محمود شاكر – معلقاً على هذا – "هذا التفسير مأخوذ من قول قطرب كما سيأتي ، أنهم العلماء ، ولكن أصل مادة اللغة يدل على أن أصل ذلك هو ذلك هو الشيء الثابت الذي يعتمد عليه ، كالكرسي الذي يجلس عليه ، وتسمية العلماء بذلك مجاز محض .

---

(١) انظر : تاريخ العلماء النحويين (ص: ٨٢)؛ وطبقات المفسرين ، للداودي (٢ / ٢٥٤).

(٢) سيأتي الكلام حول هذا البيت عند دراسة الكلمة في القسم الثاني ص (٢٣٨) إن شاء الله.

(٣) جامع البيان (ت/ شاكر) (٥ / ٤٠٢)، وسيأتي الكلام على البيت في قسم الدراسة ص (٢٣٨).

وقد اعتمد الشيخ فيما ذهب إليه هنا على نقل الزمخشري قوله : "ويقال للعلماء الكراسي" مع إنشاد البيت في أساس البلاغة عن قطرب"[(١)].

وأما الفراء[(٢)]، وهو: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله الديلمي، الإمام، المفسر، اللغوي، عالم أهل الكوفة بالنحو بعد الكسائي المتوفى سنة (٢٠٧هـ)[(٣)].

وقد ألف كتابه معاني القرآن ولم يفسر الفراء جميع آيات القرآن، وإنما تناول ما أشكل من الآيات فقط، بناءً على الهدف الذي ألفه له[(٤)]، وهو تفسير المشكل من القرآن.

وقد غلب على الكتاب: الطابع النحوي والتقعيد للمسائل النحوية.

ومع اعتماد الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – على معاني القرآن للفراء اعتمادا ملحوظاً، إلا أن جل المسائل التي نقلها عنه تتعلق بالنحو، وتوجيه القراءات والاستشهاد لها.

---

(١) انظر: أساس البلاغة (١ / ٥٤٠) (كرس).

(٢) قدم الباحث/ عبد الله بن محمد بن أسعد الظلمي رسالته في الدكتوراه في (أقوال الفراء وموقف الطبري منها في تفسيره)، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، – وهو بحث غير منشور – استفدت منها كثيراً فيما كتبت هنا.

(٣) انظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء (١٠ / ١١٨)، وإنباه الرواة (٤/ ٧). وطبقات المفسرين للداودي (١/ ٢٨).

(٤) في بيان سبب تأليف الفراء لمعانيه يقول ابن خلكان: " وكان سبب إملائه كتاب " المعاني " أن أحد أصحابه، وهو عمر بن بكير، كان يصحب الحسن بن سهل – المقدم ذكره – فكتب إلى الفراء إن الأمير الحسن لا يزال يسألني عن أشياء من القرآن لا يحضرني عنها جواب، فإن رأيت أن تجمع لي أصولاً وتجعل ذلك كتاباً يرجع إليه فعلت، فلما قرأ الكتاب قال لأصحابه: اجتمعوا حتى أملي عليكم كتاباً في القرآن، وجعل لهم يوماً". وفيات الأعيان (٦ / ١٧٨).

نقول الطبري عن الفراء في تفسير المفردات الغريبة وما يخدم ذلك:

بناء على ما سبق نجد أن إفادة الطبري من الفراء في توضيح الألفاظ القرآنية ، وتفسير الآيات قليلة بالنسبة للمسائل النحوية، ومع ذلك فالمادة المنقولة في تفسير الكلمات الغريبة غزيرة، خصوصاً أنَّ كثيراً مما ينقله عنه في توجيه القراءات والشواهد الشعرية تخدم توضيح المفردات القرآنية.

لذا يمكن تلخيص إفادة الطبري من الفراء فيما يتعلق بالمفردات القرآنية في النقاط التالية:

١) نقل قول الفراء في اشتقاق بعض المفردات:

فقد ينقل الطبري في اشتقاق بعض الكلمات قولا للفراء في ذلك ويقتصر عليه، كما في كلمة (رمضان) حيث نقل قول الفراء في اشتقاقها وسبب تسمية شهر رمضان بهذا الاسم فقال: « وأما رمضان فإن بعض أهل المعرفة بلغة العرب كان يزعم أنه سمي بذلك لشدة الحر الذي كان يكون فيه حتى ترمض فيه الفصال كما يقال للشهر الذي يحج فيه ذو الحجة ، والذي يرتبع فيه ربيع الأول وربيع الآخر»[1].

٢) التوجيه اللغوي لمعنى الكلمة:

فقد ينقل الطبري أقوال المفسرين في معنى كلمة ثم يورد توجيه الفراء اللغوي لهذا المعنى.

من ذلك ما ذكره في معنى التخوف في قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾ النحل: ٤٧؛ إذ أورد قول من قال: معناه التنقص وذكر شواهدهم ثم قال: « وكان الفراء يقول: العرب تقول: تحوفته: أي تنقصته، تحوفا، أي أخذته من حافاته وأطرافه، قال: فهذا الذي سمعته . وقد أتى التفسير بالخاء وهو بمعنى، قال: ومثله ما قرئ بوجهين قوله:

(١) جامع البيان (٣/ ١٨٧).

﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا﴾ المزمل: ٧ ، و " سبخا "»[١].

٣) نقل ما يحكيه الفراء في معنى كلمة في لغة بعض القبائل العربية:

كما جاء في تفسير كلمة (حقبا) قال: « وذكر بعض أهل العلم بكلام العرب ، أن الحقب في لغة قيس : سنة »[٢].

٤) نقل الشواهد الشعرية عنه للاحتجاج بها على تفسير كلمة أو لفظة غريبة.

فمن مجالات استفادته منه فيما يخدم المفردة القرآنية: نقل الشواهد الشعرية عنه للاحتجاج بها على تفسير كلمة أو لفظة غريبة.

مثاله: كلمة (عوج) في قوله تعالى: ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ الأعراف: ٤٥ قال: « والعرب تقول للميل في الدين والطريق : (عوج) بكسر العين ، وفي ميل الرجل على الشيء والعطف عليه : عاج إليه يعوج عياجا وعِوَجًا وعَوَجًا ، بالكسر من العين والفتح ، كما قال الشاعر :

قِفَا نَسْأَلْ مَنَازِلَ آلِ لَيْلى ... عَلَى عِوَجٍ إِلَيْهَا وَانْثِنَاء[٣]

ذكر الفراء أن أبا الجراح أنشده إياه بكسر العين من عوج ، فأما ما كان خلقة في

(١) المصدر السابق (١٤ / ٢٣٥).

(٢) جامع البيان (١٥ / ٣١٠)ن وانظر: معاني القرآن للفراء (٢ / ١٥٤).

(٣) لم أجد من نسبه إلى قائل، وهو موجود هكذا في تهذيب اللغة (٣/ ٣١) ولسان العرب (٢/ ٣٣١)، وقد ورد في تفسير الطبري (ت/ التركي): (قفا نبكي)، وما أوردته هو الموجود في كتب المعاجم السالفة الذكر، وهو الذي أثبته الشيخ محمود شاكر في تحقيقه للطبري، وقال: « وفي المطبوعة : ((قفا نبكي)) ، وهو من سوء قراءة الناشر للمخطوطة ، وصوابه ما أثبت كما في رواية اللسان أيضًا ». جامع البيان (ت/ محمود شاكر) (١٢/ ٤٤٨).

الإنسان ، فإنه يقال فيه : عَوَج ساقه ، بفتح العين » [١].

٥) نقل أقوال العرب وأمثالهم للاحتجاج بها على معنى كلمة.

ومن مجالات استفادة الطبري من الفراء فيما يخدم اللفظة القرآنية: نقل أقوال العرب وأمثالهم للاحتجاج بها على معنى كلمة.

مثل ما جاء في معنى (اللمم) حيث نقل عن الفراء قول العرب في معناها فقال:

« ذكر الفراء أنه سمع العرب تقول : ضربه ما لمم القتل ، يريدون ضربا مقاربا للقتل قال : وسمعت من آخر : أَلَمَّ يَفْعَلُ في معنى : كاد يفعل »[٢].

٦) نقل احتجاج الفراء بكلام العرب على تفسير كلمة غريبة.

ففي كلمة (تقرض) أورد أقوال السلف في تفسيره بأنه (الترك) ثم نقل قول الكوفيين بقوله: « وأما الكوفيون فإنهم يزعمون أنه المحاذاة ، وذكروا أنهم سمعوا من العرب قرضته قبلا ودبرا ، وحذوته ذات اليمين والشمال ، وقبلا ودبرا : أي كنت بحذائه ، قالوا : والقرض والحذو بمعنى واحد »[٣] .

منهج الطبري في نقل أقوال الفراء وعزوها :

سلك الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – في نقله أقوال الفراء وعزوها إليه طرقا كثيرة وأساليب متنوعة منها:

١) التصريح باسمه:

صرح الطبري في نقله عن الفراء باسمه في أربعة وثلاثين موضعاً[٤]، جلها تتعلق بالشواهد الشعرية وتفسير الكلمات القرآنية.

---

(١) جامع البيان (١٠ / ٢٠٨).

(٢) جامع البيان (٢٢ / ٦٩).

(٣) جامع البيان (١٥ / ١٨٧).

(٤) وهذا غير المواضع التي يرد فيها اسمه في الأسانيد، وهي: خمسة وثلاثون موضعاً، فيكون عدد ورود اسم الفراء في جامع البيان: تسعة وستون موضعاً .

٢) عدم التصريح باسمه:

في أغلب نقول الإمام الطبري عن الفراء لم يصرح باسمه، وإنما يطلق عليه مصطلح: "بعض نحويي الكوفة"، أو: "بعض أهل العربية من الكوفيين"، أو: "بعض أهل العلم بكلام العرب" أو" .... بلغات العرب"، وقد يضيف فيه: "من أهل الكوفة" أو: "بعض أهل العربية"، أو "بعض من قصرت معرفته عن توجيه هذا الكلام وجهته"، وقد يبهم ويقول: "وقد قيل[1]".

٣) النقل عنه دون الإشارة إلى ذلك.

فقد ينقل الإمام الطبري عن الفراء قولاً ولا يشير إلى أنه قوله، وهو موجود بنصه في كتاب الفراء.

موقف الطبري من أقوال الفراء:

لم يكن الإمام الطبري مجرد ناقل لأقوال من استفاد منهم في تفسيره عموما وفي بيان المفردات القرآنية على وجه الخصوص، بل كان له مع هذه النقولات مواقف متنوعة قبولا ورفضاً، توجيهاً وتعليلاً وتأييداً.

وممن تعامل الطبري مع أقواله المنقولة في تفسيره تعاملاً ملحوظاً الفراء، فقد تنوعت مواقفه منها، ويمكن إجمال ذلك في النقاط التالية:

١- الاقتصار على ما نقل عنه والاحتجاج به:

فقد ينقل الطبري قولا للفراء ويكتفي به، ما يدل على قناعته واحتجاجه به.

مثاله: قوله: « وكان بعض أهل العربية يقول : الحسوم : التباع ، إذا تتابع الشيء فلم ينقطع أوله عن آخره قيل فيه حسوم ؛ قال : وإنما أخذوا – والله أعلم – من حسم

(١) انظر: أقوال الفراء وموقف الطبري منها في تفسيره.

الداء إذا كوى صاحبه؛ لأنه لحم يكوى بالمكواة ، ثم يتابع عليه »[1].

٢- مناقشة كلامه ورده بالدليل والتعليل:

فقد يذكر الطبري في تفسير كلمة قرآنية أقوال السلف في معناها، ويرجح، ثم يذكر قول الفراء ويتعقبه ويرده.

مثاله: قوله: « وقد زعم بعض من قصرت معرفته عن توجيه الكلام وجهته أن قوله : {كل له قانتون} خاصة لأهل الطاعة وليست بعامة . وغير جائز ادعاء خصوص في آية عام ظاهرها إلا بحجة يجب التسليم لها »[2].

وقد يكون لقول الفراء وجه في اللغة لكنه يرده لعدم وروده عن السلف

مثل قوله – عند تفسير قوله – ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ الكهف: ٨١: « وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك : وأقرب أن يرحما به ، والرحم : مصدر رحمت ، يقال : رحمته رحمة ورحما .... وقد يتوجه الكلام إلى أن يكون معناه . وأقرب أن يرحما به ، غير أنه لا قائل من أهل تأويل تأوله كذلك . فإذ لم يكن قال به قائل ، فالصواب فيه ما قلنا لما بينا »[3].

٣- اختيار قوله مع بيان السبب:

قد يختار الإمام الطبري – من بين الأقوال المختلفة في تفسير اللفظة القرآنية – قول الفراء إذا كان الدليل يؤيده، كموافقته لقول السلف أو غير ذلك.

٤- مناقشة كلامه ورده بالدليل:

هذا هو الغالب في تعامل الطبري مع الأقوال المختلفة في تفسير الكلمة الغريبة؛ إذ يقوم منهجه على ترجيح القول المختار بالدليل ومناقشة القول الضعيف ورده.

(١) جامع البيان (٢٣ / ٢١٤).

(٢) المصدر السابق (٢ / ٤٦٤).

(٣) المصدر السابق (١٥ / ٣٦١).

كرده قول الفراء – في تفسير كلمة (تذودان) فقال: « وقوله: ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ القصص: ٢٣ يقول : ووجد من دون أمة الناس الذين هم على الماء ، امرأتين تذودان ، يعني بقوله : ﴿تَذُودَانِ﴾ تحبسان غنمهما ؛ يقال منه : ذاد فلان غنمه وماشيته : إذا أراد شيء من ذلك يشذ ويذهب ، فرده ومنعه يذودها ذودا . وقال بعض أهل العربية من الكوفيين : لا يجوز أن يقال : ذدت الرجل بمعنى : حبسته ، إنما يقال ذلك للغنم والإبل . وقد روي عن النبي ٥: « إني لبعقر حوضي أذود الناس عنه بعصاي »[1]؛ فقد جعل الذود في الناس ؛ ومن الذود قول سويد بن كراع :

أَبِيتُ عَلَى بَابِ الْقَوَافِي كَأَنَّمَا أَذُودُ بِهَا سِرْبًا مِنَ الْوَحْشِ نزعا[2].

وقول الآخر :

وَقَدْ سَلَبَتْ عَصَاكَ بَنُو تَمِيمٍ فَمَا تَدْرِي بأَيّ عَصًا تَذُودُ [3][4].

٤- رد قوله دون مناقشة أو تعليل:

الأصل عند الإمام الطبري مناقشة الأقوال مع الاستدلال للقول الراجح، أو الاقتصار – أحياناً – على ترجيح أحد الأقوال مع الاستدلال، إلا أنه قد يخرج عن هذا الأصل ويكتفي في رده للقول بتضعيفه دون مناقشة أو استدلال للقول الآخر.

ولعل هذا فيما إذا اتضح سبب الضعف كمخالفته لقول السلف.

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها ، باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته رقم (٢٣٠١) بلفظ: « إني لبعقر حوضي أذود الناس لأهل اليمن أضرب بعصاي حتى يرفض عليهم .. الحديث ».

(٢) البيت لسويد بن كراع العكلي ، وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (٢ / ١٠١).

(٣) البيت لجرير كما في ديوانه (ص ١٦٠ – ١٦٨).

(٤)جامع البيان (١٨ / ٢٠٧).

مثل ما ذكره عند تفسير قوله: ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ الشعراء: ١٢٩ حيث فسره بقوله : (كأنكم تخلدون) ثم ذكر قول ابن عباس وقتادة الموافق له، ثم ذكر قول ابن زيد أن (لعل) استفهام، ثم أورد قول الفراء بقوله: « وكان بعض أهل العربية يزعم أن لعلكم في هذا الموضع بمعنى : (كيما) »[1].

٥- ذكر قوله مع أقوال غيره دون تعليق أو ترجيح:

سبق في الحديث على منهج الطبري في عرض الغريب أن الطبري – في بعض الأحايين – يذكر الأقوال المختلفة في شرح المفردة القرآنية ولا يعقبها بتعليق أو ترجيح أو جمع، وقد يكون من بين تلك الأقوال: قول الفراء.

ومثاله: ما ذكره الطبري – في تفسير قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ ﴾ الأنبياء: ٦١ -: «فقيل [2]: معنى ذلك: على رؤوس الناس، وقال بعضهم: معناه : بأعين الناس ومرأى منهم ، وقالوا : إنما أريد بذلك : أظهروا الذي فعل ذلك للناس، كما تقول العرب إذا ظهر الأمر وشهر : كان ذلك على أعين الناس، يراد به كان بأيدي الناس »[3].

٤- الجمع بين قوله وقول غيره.

من القواعد التي قررها الإمام الطبري – رحمه الله – في تفسيره: حمل اللفظ على عمومه، وعدم تخصيصه إلا بدليل يجب التسليم له.

لذا نجد الطبري – في مواضع عديدة من تفسيره – يجتهد في الجمع بين الأقوال المختلفة التي ينقلها عن السلف واللغويين في تفسير الغريب، إذا كان اللفظ يشملها، سواء كانت بعض تلك الأقوال منقولة عن الفراء أم لا .

ومن المواضع التي جمع فيها بين قول الفراء وقول غيره:

---

(١) المصدر السابق (١٧ / ٦١٣).

(٢) وهذا قول الفراء كما في معاني القرآن (٢ / ٢٠٦).

(٣) جامع البيان (١٦ / ٢٩٨).

قوله – عند تفسير كلمة (يجرمنكم) فقال: « وأما أهل المعرفة باللغة ، فإنهم اختلفوا في تأويلها ، فقال بعض البصريين : معنى قوله : {ولا يجرمنكم} : لا يحقن لكم ؛ لأن قوله : {لا جرم أن لهم النار} هو حق أن لهم النار.

وقال بعض الكوفيين : معناه : لا يحملنكم . وقال : يقال : جرمني فلان على أن صنعت كذا وكذا : أي حملني عليه.

واحتج جميعهم ببيت الشاعر :

وَلَقَدْ طَعَنْتَ أَبَا عُيَيْنَةَ طَعْنَةً ... جَرَمَتْ فَزَارَةُ بَعْدَهَا أَنْ يَغْضَبُوا [(1)].

فتأول ذلك كل فريق منهم على المعنى الذي تأوله من القرآن ، فقال الذين قالوا: {لا يجرمنكم} لا يحقن لكم معنى قول الشاعر : جرمت فزارة : أحقت الطعنة لفزارة الغضب.

وقال الذين قالوا معناه : لا يحملنكم : معناه في البيت : جرمت فزارة أن يغضبوا: حملت فزارة على أن يغضبوا.

وقال آخر من الكوفيين : معنى قوله : {لا يجرمنكم} لا يكسبنكم شنآن قوم . وتأويل قائل هذا القول قول الشاعر في البيت : جرمت فزارة : كسبت فزارة أن يغضبوا . قال : وسمعت العرب تقول : فلان جريمة أهله ، بمعنى : كاسبهم ، وخرج يجرمهم : يكسبهم.

وهذه الأقوال التي حكيناها عمن حكيناها عنه متقاربة المعنى ؛ وذلك أن من حمل رجلا على بغض رجل فقد أكسبه بغضه ، ومن أكسبه بغضه فقد أحقه له » [(2)].

---

(1) البيت لأبى أسماء بن الضريبة وقيل بل هو لعطية بن عفيف كما في الاقتضاب: (ص ٣١٣) ، وهو فى الكتاب لسيبويه (١/ ٤١٨).

(2) جامع البيان (٨/ ٤٤ – ٤٥).

وأما أبو عبيدة، وهو : مَعْمَر بن المثَنَّى التيمي البصري، كان من بحور العلم، واسعاً في علم اللسان والنحو وأيام الناس، توفي سنة (٢١٠هـ) [١].

وقد ألف كتابه "مجاز القرآن ، واهتم فيه بتفسير الكلمات الغريبة إضافة إلى بعض الأوجه النحوية والإعرابية.

وقد رجع الإمام الطبري إلى هذا الكتاب ونقل عنه [٢] مادة علمية متنوعة، أغلبها في بيان المفردات اللغوية وإيضاح معانيها والاستدلال عليها بكلام العرب، فقد بلغت عدد نقولاته عنه في بيان المفردات اثنين وخمسين موضعاً، وهي أكثر ما نقله الطبري عنه وأفاده، بخلاف الأوجه الأخرى التي أفادها منه؛ إذ هي أقل من ذلك[٣].

إضافة إلى استفادته منه في مجالات تخدم توضيح المفردة القرآنية: من توجيه للقراءات، أو مسائل صرفية تتعلق بالمفردة القرآنية كبيان أصلها، أو تصريفاتها، أو مصادرها المشتقة منها، أو نقل كلام أئمة اللغة عن طريقه، أو نقل أقوال العرب وأمثالهم، أو نقل الشواهد الشعرية المحتج بها في تفسير الكلمات الغريبة، أو توجيه القراءات فيها.

منهج الطبري في نقل أقوال أبي عبيدة وعزوها:

وقد سلك الطبري – رحمه الله تعالى – في نقله عن أبي عبيدة طرقا كثيرة وأساليب متنوعة منها:

---

(١) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (١٣/ ٢٥٢)، ومعجم الأدباء (٧/ ١١٤)، وشذرات الذهب (٢/ ١٠٧).

(٢) كتب فضيلة الدكتور/ بدر بن ناصر البدر بحثاً علمياً قيماً في (أقوال أبي عبيدة في جامع البيان وموقفه منها)، وهو من مطبوعات عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقد استفدت منه كثيراً فيما كتبت هنا.

(٣) انظر: أقوال أبي عبيدة في جامع البيان وموقفه منها (ص: ٤٧، ٤٨).

وقد بلغ عدد جميع المواضع التي نقل فيها الطبري عن أبي عبيدة – سواء بالتصريح باسمه أو بالتلويح له، أو عدم الإشارة إليه: مائة وثمانية وعشرين موضعاً.

١) التصريح بكنيته واسمه:

فقد صرح الطبري عند عزوه إلى أبي عبيدة بكنيته واسمه أو أحدهما في واحد وعشرين موضعاً، الأغلب فيها الجمع بين كنيته واسمه إذ جاء ذلك في أربعة عشر موضعاً، بينما اقتصر على ذكر اسمه فقط في ستة مواضع، واقتصر على ذكر كنيته في موضع واحد[١].

٢) عدم التصريح بكنيته ولا باسمه:

كان الإمام الطبري – رحمه الله – في أغلب ما ينقله عن أبي عبيدة لا يصرح بكنيته ولا باسمه، وإنما يطلق عليه مصطلحات أخرى ، إما بنسبته إلى أهل العلم، أو أهل العربية، أو بنسبته إلى بلده البصرة، أو نحويي البصرة، وهكذا:

وهذه هي المصطلحات مرتبة حسب كثرة ورودها[٢]:

أولا: بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة، أطلق عليه هذا في أحد عشر موضعاً.

ثانياً: قال بعض البصريين، أطلق عليه هذا في تسعة مواضع.

ثالثاً: قال بعض أهل البصرة، أطلق عليه هذا في ثمانية مواضع.

رابعاً: زعم بعض أهل العربية، أطلق عليه هذا في سبعة مواضع.

خامساً: بعض نحويي البصرة، أطلق عليه هذا في خمسة مواضع .

سادساً: مصطلحات أطلقها عليه في أربعة مواضع، وهي:

- وقال آخرون.
- بعض أهل العربية من أهل البصرة.

(١) انظر: أقوال أبي عبيدة في جامع البيان وموقفه منها (ص: ٤٣).

(٢) انظر: أقوال أبي عبيدة في جامع البيان وموقفه منها (ص: ٤٤- ٤٦).

- بعض أهل العلم بكلام العرب.

سابعاً: بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين، أطلق عليه هذا في ثلاثة مواضع.

ثامناً: مصطلحات أطلقها عليه في موضعين، وهما:

- وقد قيل.

- آخر منهم أي من البصريين.

تاسعاً: مصطلحات لم تطلق عليه إلا مرة واحدة:

- بعض أهل العربية من البصريين.

- بعض أهل البصرة من أهل اللغة.

- من نحويي البصريين.

- آخر من البصريين.

- بعض أهل العلم بالعربية من أهل البصرة.

- بعض من ينتسب إلى معرفة كلام العرب من البصريين.

- بعض من لا علم له بأقوال السلف من أهل التأويل.

- أهل الغريب، وذكره معهم.

- بعضهم يقول أي بعض نحويي البصرة.

- بعض أهل المعرفة بكلام العرب.

- بعض أهل العلم بلغات العرب من أهل البصرة.

- غير واحد من أهل البصرة.

٣) النقل عنه دون الإشارة إلى ذلك.

فقد نقل الإمام الطبري عن أبي عبيدة دون الإشارة إليه في سبعة وعشرين موضعاً، معظمها في بيان المفردات وبيان معانيها، والاستشهاد على ذلك من كلام العرب شعره ونثره.

كقوله: « وأما معنى التأويل في كلام العرب فإنه التفسير والمرجع والمصير ، وقد أنشد بعض الرواة بيت الأعشى :

عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ تَأَوُّلُ حُبِّهَا ... تَأَوُّلَ رِبْعِيِّ السِّقَابِ فَأَصْحَبَا [(١)]

ويعني بقوله : وتأول حبها تفسير حبها ومرجعه ، وإنما يريد بذلك أن حبها كان صغيرا في قلبه ، فآل من الصغر إلى العظم ، فلم يزل ينبت حتى أصحب فصار قديما كالسقب الصغير الذي لم يزل يشب حتى أصحب فصار كبيرا مثل أمه[(٢)].

فهذا الكلام منقول بنصه عن مجاز القرآن[(٣)] لأبي عبيدة لكنه لم يشر لذلك.

موقف الطبري من أقوال أبي عبيدة:

لم يكن الإمام الطبري مجرد ناقل لأقوال من استفاد منهم في تفسيره عموما وفي بيان المفردات القرآنية على وجه الخصوص، بل كان له مع هذه النقولات مواقف متنوعة قبولا ورفضاً، وتوجيهاً وتعليلاً وتأييداً.

ويمكن تلخيص أبرز مواقف الطبري مع أقوال أبي عبيدة التي نقلها عنه في تفسير الألفاظ القرآنية أو ما يخدمه في النقاط التالية:

---

(١) البيت للأعشى – كما نسبه الطبري – وهو في ديوانه (ص: ٨٨)، وقد سبق في صفحة (١٤٢).

(٢) جامع البيان (٥ / ٢٢٢).

(٣) مجاز القرآن (١ / ٨٦-٨٧).

١- الاقتصار على ما نقل عنه والاحتجاج به:

فقد يقتصر الطبري في بيان المفردات على ما ينقله عن أبي عبيدة – سواء بالتصريح به أو التلميح – كما سبق- مما يدل على قناعته واحتجاجه به.

ومن الأمثلة على ذلك: ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾ القصص: ٢٩ « يقول : قال موسى لأهله : تمهلوا وانتظروا : إني أبصرت نارا ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا﴾ يعني من النار ﴿بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ يقول: أو آتيكم بقطعة غليظة من الحطب فيها النار ، وهي مثل الجذمة من أصل الشجرة ؛ ومنه قول ابن مقبل :

بَاتَتْ حَوَاطِبُ لَيْلَى يَلْتَمِسْنَ لَهَا ... جَزْلَ الجِذَا غيرَ خَوَّارٍ وَلا دَعِرِ[١][٢] ».

٢- مناقشة كلامه ورده بالدليل والتعليل:

كما أن الطبري كان يقبل من أقوال أبي عبيدة ويعتمد بعض آرائه لقيام الدليل على صحتها أو رجحانها، كذلك كان يخطئ بعض آرائه ويضعفها ويردها بالتعليل والدليل.

ومن الأمثلة على ذلك: قوله: « وقد زعم بعض أهل البصرة من أهل اللغة أن معنى الحسيب في هذا الموضع : الكافي ، يقال منه : أحسبني الشيء يحسبني إحسابا ، بمعنى : كفاني ، من قولهم : حسبي كذا وكذا.

قال: وهذا غلط من القول وخطأ ، وذلك أنه لا يقال في أحسبني الشيء : أحسبني على الشيء فهو حسيب عليه ، وإنما يقال : هو حسبه وحسيبه ، والله يقول : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ٨٦﴾ النساء: ٨٦ [٣]».

(١) البيت لتميم بن مقبل – كما نسبه الطبري – ، وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (٢ / ١٠٣).

(٢) جامع البيان (١٨/ ٢٣٩)، وقد نقل هذا القول عن أبي عبيدة ولم يشر انظر: مجاز القرآن (٢ / ١٠٢).

(٣) جامع البيان (٧/ ٢٧٩).

وربما بالغ في الرد عليه، وتعنيفه على ما قال، وتجهيله ووصفه بأنه لا علم له بأقوال السلف من المفسرين، ويكون ذلك غالباً في ما إذا خالف ما أجمع عليه أهل التأويل من السلف.

ومن أمثلة ذلك: قوله: « وكان بعض من لا علم له بأقوال السلف من أهل التأويل ممن يفسر القرآن برأيه على مذهب كلام العرب يوجه معنى قوله : ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ يوسف: ٤٩ إلى: وفيه ينجون من الجدب والقحط بالغيث ، ويزعم أنه من العصر ، والعصر التي بمعنى المنجاة ، من قول أبي زبيد الطائي :

صَادِيًا يَسْتَغِيثُ غَيْرَ مُغَاثٍ ... وَلَقَدْ كَانَ عُصْرَةَ الْمَنْجُودِ [١]

أي المقهور ، ومن قول لبيد :

فَبَاتَ وَأَسْرَى الْقَوْمُ آخِرَ لَيْلِهِمْ ... وَمَا كَانَ وقافًا بِغَيْرِ مُعَصَّرِ [٢]

وذلك تأويل يكفي من الشهادة على خطئه ، خلافه قول جميع أهل العلم من الصحابة والتابعين [٣].

٣- اختيار قوله مع بيان السبب:

قد يختار الإمام الطبري – من بين الأقوال المختلفة في تفسير اللفظة القرآنية – قول أبي عبيدة ويرجحه على غيره، وغالباً ما يكون ذلك فيما إذا روي عن السلف مثله، أو أجمعوا عليه، وقد يكون غير ذلك.

مثاله: قوله الطبري: « وقد ذكر بعض أهل العلم بكلام العرب أن العرب لا

(١) البيت لأبي يزيد الطائي – كما نسبه الطبري –، انظر: أمالي اليزيدي (ص: ٨)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ١٣٨).

(٢) البيت للبيد – كما نسبه الطبري –، وكما في ديوانه في الستة الشعراء (ص: ٦)، وهو في الزاهر في معاني كلمات الناس (٢ / ٥٥)، ولسان العرب (١٤ / ٣٧٧).

(٣) جامع البيان (١٣ / ١٩٧).

تحد القنطار بمقدار معلوم من الوزن ، ولكنها تقول : هو قدر وزن ، وقد ينبغي أن يكون ذلك كذلك ؛ لأن ذلك لو كان محدودا قدره عندها لم يكن بين متقدمي أهل التأويل فيه كل هذا الاختلاف. فالصواب في ذلك أن يقال : هو المال الكثير ، كما قال الربيع بن أنس ، ولا يحد قدر وزنه بحد(١).

وقد لا يوافق المفسرون - أو غالبيتهم - الطبريَّ في اختياره لقول أبي عبيدة وترجيحه؛ وذلك لأدلة ترجح خلاف ما ذهب إليه.

ومثال ذلك قوله: « وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يذهب بقوله: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾ الإسراء: ٤٧ إلى معنى: ما تتبعون إلا رجلا له سحر: أي له رئة، والعرب تسمي الرئة سحرا، والمسحر من قولهم للرجل إذا جبن: قد انتفخ سحره، وكذلك يقال لكل ما أكل أو شرب من آدمي وغيره: مسحور ومسحر، كما قال لبيد:

فإنْ تَسْأَلِينَا فِيم نَحْنُ فإنَّنَا ... عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الأنامِ المُسَحَّر (٢)

وقال:

.... ونُسْحَرُ بالطَّعامِ وبالشَّرَابِ (٣)

أي نغذى بهما . فكأن معناه عنده كان: إن تتبعون إلا رجلا له رئة، يأكل الطعام، ويشرب الشراب، لا ملكا لا حاجة به إلى الطعام والشراب، والذي قال من ذلك غير بعيد من الصواب(٤).

فقد ردّ كثير من المفسرين هذا التفسيرمن أبي عبيدة، كابن قتيبة، وابن كثير،

---

(١) جامع البيان (٥ / ٢٦٠).
(٢) البيت للبيد – كما نسبه الطبري –، وهو في ديوانه (ص: ٨٠).
(٣) هذا عجز بيت من قول امرئ القيس، وصدره: أَرَانا مُوضِعِينَ لأَمْرِ غَيْبٍ. انظر ديوانه (ص: ٩٧).
(٤) جامع البيان (١٤ / ٦١٢-٦١٣).

والألوسي[1]، وسيأتي في قسم الدراسة التطبيقية – إن شاء الله –.

٤-اختيار قول غيره مع بيان السبب:

يختار الطبري – في بعض المواضع – ما يذكره غير أبي عبيدة ويرجحه على قوله، إذا كان الحق معهم والدليل يؤيدهم.

ومن أمثلة ذلك قوله في تفسير قوله: ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ الطور: ٣٧ – بعد أن ذكر بعض الأقوال – وقال آخرون : بل معنى ذلك : أم هم الأرباب ، وممن قال ذلك معمر بن المثنى ، وقال : يقال : تسيطرت علي : أي اتخذتني خولا لك.

ثم رجح وقال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك : أم هم الجبارون المتسلطون المستكبرون على الله ، وذلك أن المسيطر في كلام العرب الجبار المتسلط ، ومنه قول الله: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ الغاشية: ٢٢ يقول : لست عليهم بجبار متسلط[2].

٥- الجمع بين قوله وقول غيره.

من القواعد التي قررها الإمام الطبري – رحمه الله – في تفسيره: حمل اللفظ على عمومه، وعدم تخصيصه إلا بدليل يجب التسليم له.

لذا نجد الطبري – في مواضع عديدة من تفسيره – يجتهد في الجمع بين الأقوال المختلفة التي ينقلها عن السلف واللغويين في تفسير الغريب، إذا كان اللفظ يشملها، سواء أكانت بعض تلك الأقوال منقولة عن أبي عبيدة أم لا.

ومن المواضع التي جمع فيها بين قول أبي عبيدة وقول غيره:

قوله: « وقد اختلف أهل العربية في معناه ، فقال بعض أهل البصرة منهم :

---

(١) انظر: تفسير غريب القرآن (ص: ٢١٧)، تفسير ابن كثير (٣/ ٤٤)، روح المعاني (١٥/ ٩٠).

(٢) جامع البيان (٢١ / ٥٩٨).

معنى المحنوذ : المشوي ، قال : ويقال منه : حنذت فرسي ، بمعنى سخنته وعرقته . واستشهد لقوله ذلك ببيت الراجز :

ورَهِبَا مِنْ حَنْذِهِ أَنْ يَهْرَجَا(1)

وقال آخر منهم : حنذ فرسه : أي أضمره ، وقال : قالوا حنذه يحنذه حنذا : أي عرقه.

وقال بعض أهل الكوفة : كل ما انشوى في الأرض إذا خددت له فيه فدفنته ، وغممته ، فهو الحنيذ والمحنوذ . قال : والخيل تحنذ إذا ألقيت عليها الجلال بعضها على بعض لتعرق . قال : ويقال : إذا سقيت فأحنذ ، يعني أخفس ، يريد : أقل الماء وأكثر النبيذ.

وهذه الأقوال التي ذكرناها عن أهل العربية وأهل التفسير ، متقاربات المعاني بعضها من بعض » (2).

٦- ذكر قوله مع أقوال غيره دون تعليق أو ترجيح:

سبق في الحديث على منهج الطبري في عرض الغريب أن الطبري – في بعض الأحايين – يذكر الأقوال المختلفة في شرح المفردة القرآنية ولا يعقبها بتعليق أو ترجيح أو جمع، وقد يكون من بين تلك الأقول: قول أبي عبيدة.

ومن أمثلة ذلك: قوله: « والأساطير: جمع إسطارة وأسطورة مثل أفكوهة وأضحوكة ، وجائز أن يكون الواحد إسطارا مثل أبيات وأبابيت وأقوال وأقاويل، من قول الله تعالى : ﴿ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ﴿٢﴾ ﴾ الطور: ٢ من سَطَرَ يَسْطُرُ سطرا.

فإن كان من هذا، فإن تأويله: ما هذا إلا ما كتبه الأولون. وكان بعض أهل العلم –

(1) هذا من رجز العجاج كما في ديوانه (ص: ٩)، وبعده قوله:. تَذَكَّرَا عَيْنًا رِوًى وَفَلَجَا
(2)جامع البيان (١٢ / ٤٦٧).

وهو أبو عبيدة معمر بن المثنى - بكلام العرب يقول: الإسطارة: لغة الخرافات والترهات. وكان الأخفش يقول: قال بعضهم: واحده أسطورة، وقال بعضهم: إسطارة، قال: ولا أراه إلا من الجمع الذي ليس له واحد، نحو العبابيد والمذاكير والأبابيل »[1].

وأما الأخفش، وهو: سعيد بن مَسْعَدة البلْخي، البصري، أبو الحسن، المعروف بالأخفش الأوسط، من أئمة العربية، وأحد نحاة البصرة الذين لزموا سيبويه، مات سنة (٢١٥هـ)[2].

فقد ألف هو الآخر كتاباً في معاني القرآن، لكن أغلب ما فيه هو ما يتعلق بالأوجه النحوية والإعرابية، أما تفسير الكلمات والألفاظ القرآنية فنادر.

وقد نقل عنه الطبري بالتصريح باسمه في ثلاثة مواضع فقط من تفسيره[3]، وغالباً يطلق عليه: بعض نحويي البصرة[4]، أو آخر من البصريين[5]، أو ما شابه ذلك.

وقد قامت محققة كتاب معاني القرآن للأخفش بالتنبيه على المواضع التي نقلها الطبري عن الأخفش في مواضعها من الكتاب، ثم عقدت لها فهرسًا في آخر الكتاب سمّته " فهرس مقابلات النقول" ذكرت أنها تتبعت جميع أجزاء تفسير الطبري في المواضع التي نسبها إلى "بعض نحويي البصرة" وقابلتها بكتاب معاني القرآن للأخفش، فوجدتْ أن نقوله وقعت في مائتين وسبع وأربعين موضعاً[6].

وجلّ هذه النقول متعلقة بالأوجه الإعرابية والنحوية – كما هي طبيعة كتاب

---

(١) جامع البيان (٩/ ٢٠٠).

(٢) انظر ترجمته: إنباه الرواة (٢/ ٣٦)، وبغية الوعاة (١/ ٥٩٠).

(٣) انظر : جامع البيان (٩ / ٢٠٠) (٢٢ / ٣١٩).

(٤) انظر : المصدر السابق (٢٠ / ٦٢٣).

(٥) انظر : المصدر السابق (٢٤ / ٢٢٥).

(٦) انظر : معاني القرآن للأخفش تحقيق د. هدى قراعة (ص: ٧) (٢/ ٦٤٧- ٧٠١).

الأخفش- أما في الغريب فقليل جداً، ومنها قول الطبري – عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ﴾ المائدة: ٢ – « : فقال بعض البصريين: معنى قوله : ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾: لا يحقن لكم »[1].

فهؤلاء الذين نص الحموي – كما سبق – في إفادة الطبري عن كتبهم، وهم – كما ترى – ليسوا بمنزلة واحدة في رجوع الطبري إلى أقوالهم في الغريب، فمن مكثر في النقل والإفادة عنهم كالفراء وأبي عبيدة، ومن متوسط – أو دون ذلك - كالكسائي، ومن مقل في النقل عنه في الغريب كالأخفش، ومن دون ذلك كقطرب.

رجوع الطبري إلى غريب القرآن لابن قتيبة:

وممن حُكِيَت إفادةُ الطبري عنه ورجوعه إلى كتابه: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الكاتب صاحب التصانيف، كان رأساً في علم اللسان العربي والأخبار وأيام الناس، توفي سنة ٢٧٦هـ[2].

وألف كتابه: (تفسير غريب القرآن) بعد كتابه (تأويل مشكل القرآن)، تتمة له، وقاصدا للاختصار في كليهما، راجعاً إلى كلام المفسرين وأهل اللغة مع الاستشهاد بأشعار العرب.

وقد أكد محقق هذا الكتاب أن من الذين انتفعوا بهذا الكتاب ورجعوا إليه: الإمام الطبري، فيقول: « ومما يستلفت النظر أن أبا جعفر الطبري قد انتفع بكتاب الغريب انتفاعاً كبيراً ونقل ألفاظه في بعض المواطن نقلاً حرفياً، دون أن يشير إلى ابن قتيبة بأية إشارة واضحة أو مبهمة كالواضحة، مثل ما فعل مع الفراء وأبي عبيدة، وكثير من المواطن التي لم ينقل فيها ألفاظ ابن قتيبة، وعبر فيها بألفاظه وأسلوبه، يجد فيها القارئ الحصيف ريح كلام ابن قتيبة، وما أشبههما إلا ببحر كبير عارم الموج مر

---

(١) جامع البيان (٨/ ٤٤)، وهذا تفسير الأخفش، كما في معاني القرآن (١ / ٢٥).

(٢) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٩٦-٣٠٢) و بغية الوعاة (٢/ ٦٣) .

بجدول صغير فاستاق ماءه ومضى به »[1].

والمحقق لم يُحِلْنا إلى أي موضع لنقل الطبري عن ابن قتيبة سواء بالنص أو بالمفهوم، كما أن تشبيهه نقل الطبري عن الفراء وأبي عبيدة بنقله عن ابن قتيبة – في عدم الإشارة إليهم – مخالف للواقع؛ فقد صرح الطبري – كما سبق – باسم الفراء وأبي عبيدة، ولمح إليهما بالأوصاف والمصطلحات في عشرات المواضع من كتابه.

والطبري معاصر لابن قتيبة بينهما ولادته بعد وفاة الفراء وأبي عبيدة بعشر سنوات وبضع.

والطبري - وإن كان كتب تفسيره بعد وفاة ابن قتيبة بسبع سنوات، إلا أنه – لم يظهر لي – بالمقارنة بين الكتابين – ما يمكن القطع به بأن الطبري نقله عن ابن قتيبة، خصوصاً أنهما يردان نفس الموارد؛ إذ ينقلان تفسير السلف، ويرجعان إلى كتابي الفراء وأبي عبيدة. والعلم عند الله تعالى.

(١) مقدمة السيد أحمد صقر لكتاب غريب القرآن لابن قتيبة (ص: د).



القسم الثاني

القسم الثاني

الدراسة التطبيقية

نماذج من الغريب عند الطبري

دراسة تطبيقية مقارنة

{الله}

قال الله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١﴾ الفاتحة: ١

قال أبو جعفر الطبري[1]:

« وأما تأويل قول الله: { الله }، فإنه على معنى ما روي لنا عن عبد الله بن عباس : هو الذي يأله كل شيء، ويعبده كل خلق . ... ثم أخرج بسنده عن عبد الله بن عباس ، قال : الله ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين.

فإن قال لنا قائل : فهل لذلك في فعل ويفعل أصل كان منه بناء هذا الاسم ؟ قيل: أما سماعا من العرب فلا ، ولكن استدلالا .

فإن قال : وما دل على أن الألوهية هي العبادة ، وأن الإله هو المعبود ، وأن له أصلا في فعل ويفعل ؟ قيل : لا تمانع بين العرب في الحكم لقول القائل يصف رجلا بعبادة ويطلب ما عند الله جل ذكره : تأله فلان بالصحة ولا خلاف . ومن ذلك قول رؤبة بن العجاج :

لِلهِ دَرُّ الغانِيات المُدَّهِ ... سَبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ مِن تَأَلُّهِي [2]

يعني : من تعبدي وطلبي الله بعملي.

ولا شك أن التأله التفعل من أله يأله، وأن معنى أله إذا نطق به : عبد الله. وقد جاء منه مصدر يدل على أن العرب قد نطقت منه بفعل يفعل بغير زيادة.

وذلك ما حدثنا به سفيان بن وكيع، قال حدثنا أبي، عن نافع بن عمر، عن عمرو

(١) جامع البيان (١ / ١٢١- ١٢٥)

(٢) البيت لرؤبة بن العجاج ، كما في ديوانه (ص: ١٦٥).

بن دينار، عن ابن عباس: أنه قرأ(ويذرك وإلاهتك) [سورة الأعراف: ١٢٧] قال: عبادتك، ويقال : إنه كان يُعبَدُ ولا يَعْبُد.

ولا شك أن الإلاهة – على ما فسره ابن عباس ومجاهد – مصدر من قول القائل: أله الله فلان إلاهة، كما يقال: عبد الله فلان عبادة، وعبر الرؤيا عبارة. فقد بين قول ابن عباس ومجاهد هذا: أن "أله" عبد، وأن "الإلاهة" مصدره....

وأن يكون قول القائل "الله" – من كلام العرب أصله "الإله".

الدراسة والتحليل:

ذهب الإمام الطبري – رحمه الله – في لفظ الجلالة (الله) إلى أنها **مشتقة** من: الألوهة والتأله، وأن **أصل** (الله): "الإله"، أسقطت الهمزة التي هي فاء الاسم، فالتقت اللام التي هي عين الاسم، واللام الزائدة التي دخلت مع الألف الزائدة وهي ساكنة، فأدغمت في الأخرى فصارتا في اللفظ لامًا واحدة مشددة.

وقد استدل الإمام الطبري على ما ذهب إليه بثلاثة أدلة:

الأول: ما روي عن ابن عباس م أنه قال: " **الله ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين** ".

الثاني: بقراءة ابن عباسب: { ويذرك وإلاهتك } . قال : عبادتك، أي : أنه كان يُعْبَد ولا يَعْبُد ، وكذا قال مجاهد وغيره.

الثالث: بما سمع من العرب، كقول الشاعر:

للهِ دَرُّ الغانِيات المُدَّهِ ... سَبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ مِن تَأَلُّهِي.

فقد صرح الشاعر بلفظ المصدر ، وهو التأله ، من أله يأله إلاهة وتألهًا.

وقد اختلف العلماء في: هل لفظ الجلالة (الله) مشتق أم جامد؟ على قولين:

القول الأول: أنه مشتق، وهو الذي ذهب إليه الطبري، وكثير من العلماء.

إلا أنهم اختلفوا في المادة التي اشتق منها وأَصْلِه الذي أخذ منه، على أقوال هي:

١- **أنه مشتق من مادة (أله)**، وأله لفظ مشترك بين معان ثلاثة هي : العبادة، والتحير والفزع.

فمن معنى العبادة: أَلَهَ يَأْلُهُ إِلهةً وتَأَلُّهاً كعَبد يعبُدُ عبادَةً وتَعَبُّداً زنةً ومعنى. ومنه بيت رؤبة الذي استشهد به الطبري، وقراءة ابن عباس المتقدمة.

فهو مشتق من " إله "، وهو فِعال بمعنى مفعول ، أي معبود.

وهذا الذي ذهب إليه الطبري، وعليه جمع غفير من اللغويين

كابن فارس[1] حيث يقول:« (أله) الهمزة واللام والهاء أصل واحد وهو التعبد فالإله "الله" تعالى وسمي بذلك لأنه معبود ويقال تأله الرجل إذا تعبد»[2].

والجوهري[3] قال في مادة (أله): « أله بالفتح إلاهة، أي عبد عبادة. ومنه قرأ ابن عباس رضي الله عنهما: (ويذرك وإلاهتك) بكسر الهمزة. قال. وعبادتك. وكان يقول: إن فرعون كان يعبد في الأرض، ومنه قولنا " الله " وأصله إلاه على فعال، بمعنى مفعول، لأنه مألوه أي معبود، كقولنا: إمام فعال بمعنى مفعول، لأنه مؤتم به »[4].

---

(١) **ابن فارس**: هو: أحمد بن فارس بن زكريا، أبو الحسين، اللغوي، من أعيان أهل العلم، وأفراد الدهر، أصله من قزوين، كان واسع الأدب متبحراً في اللغة العربية، فقيهاً شافعياً ثم مالكياً، ، توفي سنة (٣٦٩هـ). انظر: إنباه الرواة (١/ ١٢٧)، وطبقات المفسرين (١ / ٥٩).

(٢) مقاييس اللغة (١/ ١٢٧).

(٣) **الجوهري**: هو إسماعيل بن حماد أبو نصر الفارابي، كان من أعاجيب الزمان، ذكاءً وفطنةً وعلماً وكان إماما في اللغة والأدب، قرأ العربية على أبي على الفارسي والسيرافي، وصنف كتبا منها الصحاح ومقدمة في النحو وعروض الورقة. توفي سنة (٣٩٣ هـ)، انظر: معجم الأدباء (٦/ ١٥١)، وشذرات الذهب (٣/ ١٤٢).

(٤) الصحاح في اللغة (٦ / ٢٢٢٣)، وانظر: تهذيب الصحاح للزنجاني(٣/ ٨٩٧) .

<u>ومن معنى التحير</u>: أَلِه يَأْلَهُ أَلَهاً - كفرح يفرح فرحا - إِذا تحيّر، ومعناه أَنَّه تَحَيَّرُ العقول في إِدارك كمال عظمته، وكُنْه جلال عزّته.

وهذا قول أبي عمرو بن العلاء، قال: هو من (ألهت في الشيء) إذا تحيرت فيه فلم تهتد إليه[1]، وهذا قول ابن الأثير[2]، وحكاه ابن منظور[3].

<u>ومن معنى الفزع</u>: أَلِه إِليه يألَهَ كِسمع يسمع - إِذا فَزِعَ إِليه، ولجأَ إليه؛ لأَنه سبحانه المَفْزَعُ الذي يُلْجأُ إليه في كل أَمر.

ومعناه : أن الخلق يفزعون ويتضرعون إليه في الحوادث والحوائج فهو يألههم أي يجيرهم فسمي إلها كما يقال : إمام للذي يؤتم به ولحاف ورداء وإزار وكساء للثوب الذي يلتحف به ويرتدي به[4].

وروي عن الضحاك[5] أنه قال: إنما سمي "الله" إلها، لأن الخلق يتألهون إليه في حوائجهم، ويتضرعون إليه عند شدائدهم[6].

وعلى كونه من مادة (أله): فالهمزة أصلية والألف قبل الهاء زائدة ، فأصل لفظ الجلالة (الله): "**<u>الإله</u>**"، أسقطت الهمزة التي هي فاء الاسم، فالتقت اللام التي هي

(١) انظر: الكشف والبيان (١ / ٩٧).

(٢) انظر: النهاية في غريب الأثر (١ / ١٥٦).

(٣) انظر: لسان العرب (١٣ / ٤٦٧).

وابن منظور: هو: محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الأفريقي، أبو الفضل، اللغوي، توفي سنة (٧١١هـ)، انظر: الدرر الكامنة (٦/ ١٥ – ١٦)، وبغية الوعاة (١/ ٢٤٨).

(٤) الكشف والبيان (١ / ٩٧).

(٥) **الضحاك**: هو الضحاك بن مزاحم الهلالي الخراساني صاحب التفسير ، كان من أوعية العلم ، وله باع في التفسير والقصص، توفي سنة ١٠٢هـ، وقيل غير ذلك، انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩٨–٦٠٠)، وتقريب التهذيب (ص: ٢٨٠).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (١ / ١٠٣).

عين الاسم، واللام الزائدة التي دخلت مع الألف الزائدة وهي ساكنة، فأدغمت في الأخرى فصارتا في اللفظ لاما واحدة مشددة، كما قال﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي ﴾ الكهف: ٣٨ أي : لكن أنا.

وهذا الذي ذكره الطبري – كما تقدم –، وهو قول الكسائي والفراء[١]، وابن قتيبة[٢].

وقيل: إن أصلها : **"إلاه"** ، مثل فعال ، فأدخلت الألف واللام بدلا من الهمزة، قال سيبويه : مثل الناس ، أصله : أناس. نقل ذلك عن الخليل[٣].

وقيل: إن أصلها : **"إلاه"** ، مثل فعال – كالسابق – إلا أن أصحاب هذا القول يرون أنه لما أدخلت عليه الألف واللام حذفت الهمزة تخفيفا لكثرته في الكلام، وليستا عوضا عنها ولو كانتا عوضا منها لما اجتمعتا مع المعوض منه في قولهم الإلاه ، وقطعت الهمزة في النداء للزومها تفخيما لهذا الاسم. وهذا قول الجوهري[٤].

٢- أن مادته من (واو ولام وهاء)، مشتق من (وله) ، أي طرب.

قال الراغب: « وتسميته بذلك لكون كل مخلوق والها نحوه إما بالتسخير فقط كالجمادات والحيوانات وإما بالتسخير والإرادة معا كبعض الناس ومن هذا الوجه قال بعض الحكماء: الله محبوب الأشياء كلها وعليه دل قوله تعالى : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ الإسراء: ٤٤ »[٥].

فأصله: على هذه المادة: "وِلاَه" ثم أبدلت الواو همزة كما أبدلت في إشاح وإعاء،

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١ / ١٢٤).

(٢) تفسير غريب القرآن (١/ ٩).

(٣) انظر: معاني القرآن للنحاس (١/ ٥٢) تفسير ابن كثير (١ / ١٢٤).

(٤) الصحاح في اللغة (٦ / ٧٣).

(٥) مفردات القرآن (١ / ٨٣).

والأصل : وشاح ووعاء، فصار اللفظ به : إلاها ، ثم فعل به ما تقدم من حذف همزته والإدغام ، ويعزى هذا القول للخليل.

ورد هذا القول بوجهين[1]:

أحدهما : أنه لو كانت الهمزة بدلا من واو لجاز النطق بالأصل ، ولم يقله أحد ، ويقولون : إشاح ووشاح وإعاء ووعاء .

والثاني : أنه لو كان كذلك لجمع على أولهة كأوعية وأوشحة فترد الهمزة إلى أصلها ، ولم يجمع » إله « إلا على آلهة .

قال السمين: وللخليل أن ينفصل عن هذين الاعتراضين بأن البدل لزم في هذا الاسم لأنه اختص بأحكام لم يشركه فيها غيره، ثم جاء الجمع على التزام البدل[2].

٤- **أنه مشتق من لاه يليه أي ارتفع** ، فكانت العرب تقول لكل شيء مرتفع: لاهاً، فكانوا يقولون إذا طلعت الشمس: لاهت، وإلاهة بكسر الهمزة وفتحها لارتفاعها.

٥- **أنه مشتق من لاه يلوه لياها** . أي احتجب، لأن العرب إذا عرفت شيئا ثم حجب عن أبصارها سمته إلها قال : لاهت العروس تلوه لوها إذ حجبت[3]، قال الشاعر:

لَاَهَتْ فَمَا عَرَفَتْ يَوْمًا بِخَارِجَةٍ ... يَا لَيْتَهَا خَرَجَتْ حَتَّى رَأَيْنَاهَا[4]

قالوا وذلك إشارة إلى ما قال تعالى : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾

---

(١) انظر: البحر المحيط (١ / ٢٨)، الدر المصون (١ / ٦).

(٢) الدر المصون (١ / ٦).

(٣) الكشف والبيان (١ / ٩٧).

(٤) لم أجد هذا البيت في كتب اللغة، وذكره بعض المفسرين ولم ينسبوه، انظر: الكشف والبيان (١/ ٩٨) الجامع لأحكام القرآن (١٧ / ١٠١).

الأنعام:١٠٣ والمشار إليه بالباطن في قوله : ﴿وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ الحديد: ٣ [١].

فالألف على هذين القولين أصلية، فحينئذ أصل الكلمة "لاه"، ثم دخل عليه حرف التعريف فصار اللاه، ثم أدغمت لام التعريف في اللام بعدها لاجتماع شروط الإدغام، وفخمت لامه.

القول الثاني:

وذهب جماعة من أهل العلم إلى أن لفظ الجلالة (الله) اسم مرتجل لا اشتقاق له من فعل وإنما هو اسم موضوع له تبارك وتعالى والألف واللام لازمة له، لا لِتَعريفٍ ولا لغيره بل هكذا وضع الاسم، ونقل القرطبي ذلك عن جماعة من العلماء منهم الشافعي والخطابي وإمام الحرمين والغزالي وغيرهم[٢].

وحكي ذلك عن الخليل وسيبويه أيضاً[٣]، قال الثعلبي في تفسيره: فقال الخليل بن أحمد وجماعة: (الله) اسم علم موضوع غير مشتق بوجه[٤].

ونقل عنه الأزهري[٥] أنه قال: « وليس من الأسماء التي يجوز منها اشتقاق فِعْل، كما يجوز في الرَّحمن الرّحيم »[٦].

---

(١) مفردات القرآن (١ / ٨٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١ / ١٠٣).

(٣) فقد سبق أن نقل عنهما القول بالاشتقاق، قال ابن الجوزي: "وفيه عن الخليل روايتان إحداهما أنه ليس بمشتق.... والثانية رواها عنه سيبويه أنه مشتق". زاد المسير (١ / ٩)، وانظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٢٣).

(٤) الكشف والبيان (١ / ٩٦).

(٥) **الأزهري**: هو: محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري الهروي، أبو منصور اللغوي الشافعي، كان رأساً في اللغة والفقه، ثقة، ثبتاً، ديناً، امتحن بالأسر لمعارضته القرامطة، توفي: سنة (٣٧٠هـ)، انظر: معجم الأدباء (٥/ ٢٣٢٣)، ووفيات الأعيان (٤/ ٣٣٤).

(٦) تهذيب اللغة – (٢ / ٣٧٠).

وهو قول الزجاج حيث يقول في تفسير أسماء الله الحسنى: " وذهب جماعة ممن يوثق بعلمه إلى أنه غير مشتق وعلى هذا القول المعول ولا تعرج على قول من ذهب إلى أنه مشتق"[1].

وهو الذي اختاره الرازي، ونسبه إلى الخليل وسيبويه، وأكثر الأصوليين والفقهاء[2].

واختاره النيسابوري[3]، والسمين الحلبي[4].

واستدل أصحاب هذا القول بوجوه، منها[5]:

١- أنه لو كان مشتقًا لاشترك في معناه كثيرون.

٢- أن بقية الأسماء تذكر صفات له، فتقول: الله الرحمن الرحيم الملك القدوس، فدل أنه ليس بمشتق، قالوا: فأما قوله تعالى: ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ﴾ إبراهيم: ١ - ٢ على قراءة الجر[6] فجعل ذلك من باب عطف البيان.

٣- قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ مريم: ٦٥ ، فليس المراد من الاسم في هذه الآية الصفة وإلا لكذب قوله : ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ فوجب أن يكون المراد اسم العلم ، فكل من أثبت لله اسم علم قال ليس ذاك إلا قولنا الله.

قال ابن كثير: « وفي الاستدلال بهذه على كون هذا الاسم جامدًا غير مشتق نظر،

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (١/ ٢٥).

(٢) التفسير الكبير (١ / ١٤٤).

(٣) وضح البرهان في مشكلات القرآن (١/ ٩١).

(٤) انظر: الدر المصون (١ / ٥).

(٥) انظر: التفسير الكبير للرازي (١ / ١٤٣)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٣٨٩).

(٦) وهي قراءة جمهور القراء (ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائى ويعقوب)، وقرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر بالرفع. انظر: النشر في القراءات العشر (٢/ ٢٩٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٣٤١).

والله أعلم »[1].

الترجيح:

بالنظر والتأمل في أدلة القولين في اشتقاق لفظ الجلالة (الله) وعدم اشتقاقه، يترجح لدي :

أولاً: القول بأن لفظ الجلالة مشتق، وذلك لوجوه:

١- صحة الأدلة التي تفيد الاشتقاق، وقوتها.

٢- قوله: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾ الأنعام: ٣ أي : المعبود في السماوات والأرض ، كما قال : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ الزخرف: ٨٤[2].

٣- عدم وجود مانع يمنع القول بالاشتقاق – مع كونه الأصل -.

ثانياً: أما المادة التي اشتق منها هذا اللفظ، فيظهر لي أن مذهب الطبري ومن وافقه هو أمثل المذاهب، وأنسبها لعقيدة المسلمين القائمة على تمييز "الرب" بمعنى فاعل: خالق رازق مدبر مجيب.....الخ .و"الله" بمعنى مفعول: معبود مطلوب مقصود. والعلم عند الله تعالى.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٢٤).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ١٢٤).

{ رب }

قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢﴾ الفاتحة: ٢

في تفسير هذه المفردة القرآنية يقول الإمام أبو جعفر الطبري[١]: « فإن الرب في كلام العرب منصرف على معان :

١- **فالسيد المطاع فيهم يدعى ربا** ، ومن ذلك قول لبيد بن ربيعة :

وأَهْلكْنَ يومًا ربَّ كِنْدَة وابنَه ... ورَبَّ مَعدٍّ ، بين خَبْتٍ وعَرْعَرِ

يعني برب كندة : سيد كندة .

ومنه قول نابغة بني ذبيان :

تَخُبُّ إلى النُّعْمَانِ حَتَّى تَنالَهُ ... فِدًى لكَ من رَبٍّ طَرِيفِي وَتَالِدِي

٢- **والرجل المصلح للشيء يدعى ربا** . ومنه قول الفرزدق بن غالب :

كانُوا كَسَالِئَةٍ حَمْقَاءَ إذْ حَقَنَتْ ... سِلاءَها فِي أَدِيم غَيْرِ مَرْبُوبِ

يعني بذلك : في أديم غير مصلح . ومن ذلك قيل : إن فلانا يرب صنيعته عند فلان ، إذا كان يحاول إصلاحها وإدامتها . ومن ذلك قول علقمة بن عبدة :

فكُنْتَ امرَأً أَفْضَتْ إليك رِبَابَتي ... وَقَبْلَكَ رَبَّتْني، فَضِعْتُ رُبُوبُ[٢]

يعني بقوله أفضت إليك : أي وصلت إليك ربابتي ، فصرت أنت الذي ترب أمري فتصلحه لما خرجت من ربابة غيرك من الملوك الذين كانوا قبلك علي ، فضيعوا

---

(١) جامع البيان (١ / ١٤٢- ١٤٣)

(٢) البيت لعلمة كما في ديوانه (ص: ٢٩).

أمري وتركوا تفقده . وهم الربوب واحدهم رب ؛ والمالك للشيء يدعى ربه.

وقد يتصرف أيضا معنى الرب في وجوه غير ذلك ، غير أنها تعود إلى بعض هذه الوجوه الثلاثة.

فربنا جل ثناؤه السيد الذي لا شبه له ، ولا مثل في مثل سؤدده ، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه ، والمالك الذي له الخلق والأمر ».

الدراسة والتحليل:

ذكر الإمام الطبري – رحمه الله – هنا أن كلمة (الرب) في كلام العرب تطلق على ثلاثة معان:

١- السيد، ٢- المصلح، ٣- المالك.

واستدل لكل معنىً من أشعار العرب، ثم أكّد أن قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾، يحتوي على هذه المعاني الثلاثة كلها، فالله هو السيد، والمصلح، والمالك.

وقد ذكر أصحاب الغريب وأهل اللغة هذه المعاني الثلاثة لكلمة (الرب) ما بين مورد لها جميعاً أو مقتصر على بعضها.

فممن اقتصر على معنىً واحد:

ابن قتيبة – رحمه الله – قال: « والرب: المالك. يقال: هذا ربُّ الدار، وربُّ الضَّيْعة، وربُّ الغلام. أي: مالكُه؛ قال الله سبحانه: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يوسف: ٥٠ ؛ أي: إلى سيِّدك. ولا يقال لمخلوق: هذا الرب؛ معرَّفا بالألف واللام؛ كما يقال لله. إنما يقال: هذا ربُّ كذا. فيعرَّفُ بالإضافة. لأن الله مالكُ كل شيء. فإذا قيل: الربُّ، دلَّت الألف واللام على معنى العموم. وإذا قيل لمخلوق: ربُّ كذا وربُّ كذا؛ نُسِب إلى شيء خاص: لأنه لا يَملِك شيئًا غيره »[1].

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٩).

واقتصر على هذا المعنى أيضاً: المارديني في بهجة الأريب[1].

ومن اللغويين: الجوهري حيث يقول: رَبُّ كلِّ شيءٍ: مالكُهُ. والربُّ: اسم من أسماء الله عَزَّ وجَلَّ، ولا يقال في غيره إلا بالإضافة[2].

وممن ذكر المعاني كلها أو زاد عليها:

السجستاني: قال : « الرب: السيد، والرب: المالك، والرب: زوج المرأة »[3].

ومثله ذكر أبو حيان[4].

وقال أبو عبيد الهروي: « وكل من ملك شيئاً فهو رب، .... ويقال لكل من قام بإتمام شيء وإصلاحه : قد ربّه يربّه، فهو رب له »[5].

وقال النحاس: « قال أهل اللغة الرب المالك ... وأصل هذا انه يقال ربه يربه ربا وهو راب ورب اذا قام بصلاحه »[6].

وقال ابن الهائم: « (رب) الرب السيد والمالك وزوج المرأة، والمصلح والمربي والملك والمعبود »[7].

ومن اللغويين: ابن الأَنباريّ[8]، قال: « والرَّبّ : يَنْقسم على ثلاثة أَقْسام : يكون

---

(١) انظر: بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب (٢٦).

(٢)الصحاح (١ / ١٣٠) [ربب].

(٣) غريب القرآن للسجستاني (٢٤٢).

(٤) انظر: تحفة الأريب (٣٨- ٣٩).

(٥) الغريبين في القرآن والحديث (٣/ ٦٩٧- ٦٩٨).

(٦) معاني القرآن (١/ ٥٩ - ٦٠).

(٧) التبيان تفسير غريب القرآن (١ / ٥١).

(٨) **ابن الأنباري**: هو الإمام الحافظ أبو بكر، محمّد بن القاسم بن بشّار ابن الأنباري، المقرىء، النحوي، سمع من محمّد بن يونس الكديمي، وأبي العبّاس ثعلب. حدّث عنه: أبو عمر بن حيوية، وأحمد بن =

الرَّبُّ : المالك ؛ ويكون الرَّبّ : السيِّدَ المُطاع ، قال الله تعالى : ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾ يوسف: ٤١ أي سيده؛ ويكون الرَّبُّ : المُصْلح »[١].

وقال ابن فارس: « الراء والباء يدلُّ على أُصولٍ. فالأول إصلاح الشيءِ والقيامُ عليه. فالرّبُّ: المالكُ، والخالقُ، والصَّاحب. والرّبُّ: المُصْلِح للشّيء ... والله جلّ ثناؤُه الرَّبُّ؛ لأنه مصلحُ أحوالِ خَلْقه » [٢].

وفي تاج العروس: قال أَبو منصور[٣]: « والرَّبُّ يُطْلَقُ في اللُّغَة على المَالِكِ، والسَّيِّدِ، والمُدَبِّرِ ، والمُرَبِّي ، والمُتَمِّمِ » [٤].

وقد ذكر جمع من المفسرين هذه المعاني الثلاثة لكلمة الرب، واقتصر بعضهم على بعض منها أو زاد.

قال ابن عطية: « والرب في اللغة : المعبود ، والسيد المالك ، والقائم بالأمور المصلح لما يفسد منها ، والملك ، - تأتي اللفظة لهذه المعاني-» ، ثم استشهد عليها من كلام العرب[٥].

= نصر الشذائي. صنّف في علوم القرآن، والغريب ، والمشكل. توفي سنة: (٣٢٨هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٧٤)، وطبقات النحويين (ص: ١٥٣).

(١) الزاهر في معانى كلمات الناس (١/ ٤٠٣)، ونقله عنه الأزهري في تهذيب اللغة (١٥ / ١٢٨).

(٢) مقاييس اللغة (٢ / ٣٨١ - ٣٨٢) (رب).

(٣) لعله يقصد به الأزهري، لكن لم أجده في تهذيب اللغة، وذكر أبن منظور في اللسان (١/ ٣٩٩) مثله بقوله: « قال: الرَّبُّ يُطْلَق في اللغة على المالكِ والسَّيِّدِ والمُدَبِّر والمُرَبِّي والقَيِّم والمُنْعِمِ»، ولم يتبين لي القائل..

(٤) تاج العروس (٢ / ٤٥٩) (رب).

(٥) المحرر الوجيز (١ / ٢).

وذكر مثله القرطبي[1]، وابن جزي الكلبي، إلا أنه قال بدل (المعبود) (الإله)، وهو بمعناه[2].

واقتصر ابن كثير على المعاني الثلاثة التي ذكرها الطبري[3].

الترجيح:

بالنظر إلى ما سبق يتبين لي أن المعاني التي ذكرها الإمام الطبري في معنى لفظة (الرب)، صحيحة، من حيث إطلاقها في اللغة، ومن حيث إطلاقها على الله سبحانه وتعالى.

أما اقتصار بعض علماء الغريب وأهل اللغة على بعض هذه المعاني، فلا يعني إنكارهم لها أو ردهم إياها، وإنما اقتصروا على المعنى الأبرز من تلك المعاني.

وأما من زاد معانيَ أخرى على ما ذكرها الطبري، فلا شك في صحتها أيضاً، لكنها ترجع – عند التأمل – إلى تلك المعاني الثلاثة، كما أشار إلى ذلك الطبري. والله تعالى أعلم.

(١) الجامع لأحكام القرآن (١ / ١٣٦ – ١٣٧).

(٢) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١ / ٢).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٣).

{ طغى }

وردت هذه المادة باشتقاقاتها في مواضع كثيرة من القرآن الكريم.

ومن المواضع التي درس فيها الإمام الطبري هذه المادة:

قوله تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ البقرة: ١٥

حيث قال [١]: « **والطغيان الفعلان ، من قولك : طغى فلان يطغى طغيانا إذا تجاوز في الأمر حده فبغى ومنه قول الله** ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ العلق: ٦ - ٧ **أي يتجاوز حده . ومنه قول أمية بن أبي الصلت :**

وَدَعَا اللهَ دَعْوَةً لاتَ هَنَّا بَعْدَ طُغْيَانِه، فَظَلَّ مُشِيرَا [٢] ».

وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ البقرة: ٢٥٦، حيث يقول [٣]: « والصواب من القول عندي في الطاغوت أنه كل ذي طغيان على الله فعبد من دونه ، إما بقهر منه لمن عبده ، وإما بطاعة ممن عبده له ، وإنسانا كان ذلك المعبود ، أو شيطانا، أو وثنا ، أو صنما ، أو كائنا ما كان من شيء.

وأرى أن أصل الطاغوت: الطغووت ، من قول القائل : طغا فلان يطغى : إذا عدا قدره فتجاوز حده ، كالجبروت من التجبر ، والخلبوت من الخلب ، ونحو ذلك من الأسماء التي تأتي على تقدير فعلوت بزيادة الواو والتاء ، ثم نقلت لامه أعني لام الطغووت، فجعلت له عينا ، وحولت عينه فجعلت مكان لامه، كما قيل : جذب وجبذ وجابذ وجاذب ، وصاعقة وصاقعة ، وما أشبه ذلك من الأسماء التي على هذا المثال.

---

(١) جامع البيان (١ / ٣٢٠)

(٢) البيت لأمية بن الصلت كما في ديوانه ص (٣٤).

(٣) جامع البيان (٤ / ٥٥٨)

إلى أن قال [1] .....: « فإن قال لنا قائل: وكيف قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ ﴾ البقرة: ٢٥٧ فجمع خبر الطاغوت بقوله يخرجونهم، والطاغوت واحد؟.

قيل: إن الطاغوت اسم لجماع وواحد وقد يجمع طواغيت، وإذا جعل واحده وجمعه بلفظ واحد كان نظير قولهم: رجل عدل وقوم عدل، ورجل فطر وقوم فطر، وما أشبه ذلك من الأسماء التي تأتي موحدة في اللفظ واحدها وجمعها، وكما قال العباس بن مرداس [2]:

فَقُلْنَا أَسْلِمُوا إِنَّا أَخُوكُمْ ... فَقَدْ بَرِئَتْ مِنَ الإِحَنِ الصُّدُورُ [3] ».

الدراسة والتحليل:

درس الطبري هذه المفردة القرآنية (طغى) في تفسيره في الموضعين السابقين.

وذهب إلى أن هذه المادة تدل على: **تجاوز الحد في الأمر**.

وهذا محل إجماع من أهل اللغة:

قال الخليل: « وكلُّ شيءٍ يجاوز القَدْرَ فقد طَغَى مثلَ ما طَغَى الماءُ على قَوْمِ نُوْحٍ وكما طغَتِ الصَّيْحةُ على ثَمُودَ » [4].

---

(١) جامع البيان (٤ / ٥٦٦- ٥٦٧)

(٢) **العباس بن مِرْداس** السُّلَمي الشاعر، أسلم قبل فتح مكة ، وحضر مع النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم الفتح في تسع مائة ونيف من سُلَيم بالقنا والدروع على الخيل ، كان ممن أعطاه المصطفى صلى الله عليه وسلم في المؤلفة قلوبهم يوم حنين، انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص ٥٠١)، والثقات لابن حبان (٣/ ٢٢٨).

(٣) البيت لعباس بن مرداس كما نسبه له الطبري، وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٧٩)، وانظره في: لسان العرب (١٤/ ١٩).

(٤) كتاب العين - (٤ / ٤٣٥)

وقال ابن فارس: « (طغى) الطاء والغين والحرف المعتل أصلٌ صحيح منقاس، وهو مجاوَزَة الحدِّ في العِصيان »[1].

وهذا الذي ذكره جمع من أهل الغريب[2].

ثم تطرق الإمام الطبري في تفسير كلمة { الطاغوت } إلى ثلاثة أمور أخرى:

الأول: اشتقاقه.

الثاني: هل الطاغوت جمع أم مفرد.

الثالث: المراد به.

أما الأول: فاختار أن أصل الطاغوت : **(الطغووت)**، على وزن **(فعلوت)** كالجبروت والملكوت، ثم نقلت لامه ، فجعلت له عينا ، وحولت عينه فجعلت مكان لامه، فصارت **(طوغوت)**، على وزن **(فلعوت)** ثم قلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار: **(طاغوت)**.

ونص على هذا جمع من أهل العلم[3].

وذهب بعضهم إلى أن أصله: (طغيوت) لأنه من طغيت تطغى، أي من الياء، قالوا: وهو أكثر بدلالة قوله – عز وجل: ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.... ثم يقال فيه ما قيل في الأول[4].

---

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٣٢٢)، وانظر: الصحاح في اللغة (١/ ٤٢٥)، تهذيب اللغة (٨/ ١٥٣).

(٢) انظر: التبيان لابن الهائم (٥٢)، الغريبين (٤/ ١١٧٢) مفردات القرآن للراغب (١ / ٥٢٠)، عمدة الحفاظ (٢/ ٤٠٦).

(٣) انظر: المحتسب (١/ ١٣١)، الكشاف (٤/ ١٢٠)، معاني القرآن للنحاس (١/ ٢٧٠)، المحرر الوجيز (٢/ ١٤١)، مفاتيح الغيب (٧/ ١٦)، مفردات القرآن (١/ ٥٢١)، البحر المحيط (٢/ ٥٩٩)، الدر المصون (١/ ٥٨٧).

(٤) التبيان في إعراب القرآن (١ / ٢٠٥)

ولا تعارض بين القولين فكلاهما جائز؛ لجواز أن يكون من ذوات الواو أو من ذوات الياء ، فيقال: طغى يطغى ، وطغى يطغو[1].

والواو أقوى، لجمعه على طواغيت.

قال ابن جني في ذلك: " فأما على أن يكون من طغوت فلا سؤال فيه؛ وذلك أن الألف على هذا كانت بدلًا من لام طغوت، فلما احتاج إلى تحريك الألف المنقلبة عنها ردها إلى أصلها وهو الواو، فقال : طواغيت"[2].

وقالَ ابنُ سيدَه [3]: وإنّما آثَرْتُ طوَغوتاً في التقدير على طَيغُوتٍ لأنَّ قَلْبَ الواوِ عنْ مَوْضِعَها أكْثَرُ منْ قَلْبِ الياءِ في كلامِهِم[4].

والثاني: أن الطاغوت **اسم** يطلق على الواحد وعلى الجمع، مثل قولهم : رجل عدل وقوم عدل، ورجل فطر وقوم فطر، واستشهد عليه بقول العباس بن مرداس:

---

(١) قال الخليل: " الطُّغْيان : الواوُ لغةٌ فيه وقد طَغَوْتِ وطَغَيْتُ، والاسمُ الطَّغْوَى". كتاب العين (٤/ ٤٣٥)، وروى ابن جني في المحتسب (١/ ١٣٢) عن قطرب وغيره: طَغَا يَطْغُو طُغُوًّا وطُغْوَانا، وحكاه الأزهري في تهذيب اللغة (٨/ ١٥٣) عن الليث، والكسائي، والفراء، وذكره الجوهري في الصحاح في اللغة (١ / ٤٢٥).

قال مكي: « وقد يجوز أن يكون أصل لامه واوا فيكون أصله طغووتا لأنه يقال : طغى يطغى ويطغو ، وطغيت وطغوت ».

(٢) المحتسب لابن جنى (١ / ١٣١).

(٣) **ابن سيده**: هو علي بن إسماعيل، أبو الحسن بن سِيدَه المرسي الأندلسي، من أئمة اللغة والأدب، وكان ضريرا، من تصانيفه: المحكم والمحيط الأعظم، الأنيق في شرح حماسة أبي تمام، وغيرها. توفي سنة (٤٥٨هـ). انظر سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٤٤-١٤٦)، و الأعلام (٥/ ٦٩).

(٤) المحكم والمحيط الأعظم (٦ / ٤٣).

فَقُلْنَا أَسْلِمُوا إِنَّا أَخُوكُمْ ... فَقَدْ بَرِئَتْ مِنَ الإِحَنِ الصُّدُورُ

وهذا قول جمهور اللغويين:

قال سيبويه: « فأمَّا الطَّاغوت فهو **اسمٌ واحدٌ مؤنث**، يقع على الجميع كهيئة للواحد »[1].

وهو - على هذا - اسم جنس يقع للكثير والقليل[2].

وهذا قول الكسائي[3]، والأخفش[4]، والجوهري[5]، وأبي عبيدة[6]، والزجاج[7]، وغيرهم[8].

وذهب بعض علماء اللغة إلى أن الطاغوت مصدر، كرهبوت وجبروت، يوصف به الواحد والجمع.

وهذا مذهب أبي علي الفارسي[9]، وتلميذه أبي الفتح بن جني.

قال ابن جني: وذلك أن الطاغوت وزنها في الأصل فَعَلُوت، وهي مصدر بمنزلة الرغَبوت والرهَبوت والرحَموت ... ويدل على أنها في الأصل مصدر وقوع

(١) الكتاب (٣/ ٢٤٠).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (١ / ٣١٠)، التسهيل لعلوم التنزيل (١ / ١٣٦).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (٨/ ١٥٤).

(٤) معانى القرآن للأخفش (١/ ١٤٩).

(٥) الصحاح في اللغة (١ / ٤٢٦).

(٦) مجاز القرآن (١ / ٧٩).

(٧) إعراب القرآن للزجاج (١ / ١٧٨).

(٨) انظر: التبيان تفسير غريب القرآن (١/ ١٣٦)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ١٢٨)، مفردات القرآن (١/ ٥٢١).

(٩) انظر: المخصص لابن سيده (٥/ ١٥٠)، المحرر الوجيز (١/ ٣١٠)، مفاتيح الغيب (٧/ ١٦).

الطاغوت على الواحد والجماعة بلفظ واحد، فجرى لذلك مجرى قوم عدل ورضًا، ورجل عَدلٌ ورضا، ورجلان عدل ورضا[1].

ومردّ القولين واحد؛ إذ يطلق (الطاغوت) – في كلا القولين – على الواحد، وعلى الجمع، وعلى المذكر والمؤنث[2]، أو يقال: إنه في الأصل مصدر ثم أزيل عنه معنى المصدر وصار اسما لطائفة مما فيه هذا المصدر، يطلق على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كشأن المصدر[3].

وجاء (الطاغوت) في القرآن واحداً مذكراً في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾ النساء: ٦٠ ، وواحداً مؤنثاً : في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا﴾ الزمر: ١٧ ، وجمعاً في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾البقرة: ٢٥٧.

وحكي عن المبرد أن (الطاغوت) جمع[4]، قال ابن عطية، " وذلك مردود "[5].

واختار في الثالث: أن الطاغوت عام لكل ذي طغيان على الله فعبد من دونه ، إما بقهر منه لمن عبده ، وإما بطاعة ممن عبده له ، وإنسانا كان ذلك المعبود ، أو شيطانا، أو وثنا ، أو صنما ، أو كائنا ما كان من شيء.

وهذا مذهب جماعة من علماء الغريب والتفسير.

قال الإمام مالك : الطاغوت كل ما عبد من دون الله من صنم أو كاهن أو

---

(١) المحتسب (١ / ١٣٠- ١٣١).

(٢) انظر: معانى القرآن للأخفش (٣/ ٤٠)، المحكم والمحيط الأعظم (٦ / ٤٣)، التبيان في إعراب القرآن (١ / ٢٠٥).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (٢ / ٥٠٢).

(٤) انظر: المخصص لابن سيده (٥/ ١٥٠)، المحرر الوجيز (١/ ٣١٠)، مفاتيح الغيب (٧/ ١٦).

(٥) المحرر الوجيز (١/ ٣١٠).

ساحر أو كيفما تصرف الشرك فيه [1].

قال أبو عبيدة: "كلّ معبود من حجر أو مدر أو صورة أو شيطان فهو جبت وطاغوت"[2].

وقال الراغب: " والطاغوت عبارة عن كل متعد ، وكل معبود من دون الله"[3].

وروي عن السلف تفسير الطاغوت ببعض أفراده، فقال عمر بن الخطاب ومجاهد والشعبي والضحاك وقتادة والسدي: { الطاغوت } : الشيطان .

وقال ابن سيرين وأبو العالية : { الطاغوت } : الساحر.

وقال سعيد بن جبير ورفيع وجابر بن عبد الله وابن جريج : { الطاغوت } : الكاهن .

وهكذا فسر بعض أهل الغريب { الطاغوت } ببعض أفراده.

قال أبو عبيدة: الطاغوت : الأصنام ، والطواغيت من الجن والانس شياطينهم[4].

وفسره بعضهم بالشيطان[5].

والصحيح أن هذه أمثلة في الطاغوت؛ لأن كل واحد منها له طغيان؛ فَمَثَّلَ

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٢ / ٤٠٨).

(٢) مجاز القرآن (١ / ١٢٩).

(٣) مفردات القرآن (١/ ٥٢٠ - ٥٢١)، وانظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (١٢٨) تفسير المشكل لمكي (١٤٤)، نفس الصباح (٢٣٣).

(٤) مجاز القرآن (١ / ٧٩)، ومثله قال السجستاني في غريبه (١٣٣) وابن الهائم في التبيان (١٣٦) والهروي في الغريبين (٤/ ١١٧٢)، والمارديني في بهجة الأريب (٥٥).

(٥) كابن الجوزي في تذكرة الأريب (٨٠)، ومكي في العمدة (٩٢)

هؤلاء المفسرون بأفراد من العام[1].

والأَوْلى بقاء اللفظ على عمومه، وعدم تخصيصه، كما رجحه الطبري وغيره من المفسرين[2]؛ لأن من القواعد المقررة لدى المحققين: أنه يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[3].



(١) انظر: المحرر الوجيز (١/ ٣١٠)، مفاتيح الغيب (٧ / ١٦)، معاني القرآن للنحاس (١/ ٢٦٩)، البحر المحيط (٢ / ٦١٧).

(٢) انظر: التفسير القيم لابن القيم (١ / ٣١٩)، أضواء البيان (١ / ١٥٩).

(٣) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٥٢٧).

{ استوى }

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ البقرة: ٢٩

في هذه المفردة القرآنية ذكر الإمام الطبري اختلاف أهل التأويل فيها[١]:

١- فقال بعضهم : معنى استوى إلى السماء ، أقبل عليها ، كما تقول : كان فلان مقبلا على فلان ثم استوى علي يشاتمني واستوى إلي يشاتمني ، بمعنى : أقبل علي وإلي يشاتمني . واستشهد على أن الاستواء بمعنى **الإقبال** بقول الشاعر :

أَقُولُ وَقَدْ قَطَعْنَ بِنَا شَرَوْرَى سَوَامِدَ وَاسْتَوَيْنَ مِنَ الضُّجُوعِ[٢]

فزعم أنه عنى به أنهن خرجن من الضجوع ، وكان ذلك عنده بمعنى أقبلن.

وهذا من التأويل في هذا البيت خطأ ، وإنما معنى قوله : واستوين من الضجوع عندي: استوين على الطريق من الضجوع خارجات ، بمعنى استقمن عليه.

٢- وقال بعضهم : لم يكن ذلك من الله جل ذكره بتحول ، ولكنه بمعنى فعله ، كما تقول : كان الخليفة في أهل العراق يواليهم ثم تحول إلى الشام ، إنما يريد تحول فعله.

٣- وقال بعضهم : قوله ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ يعني به : **استوت** كما قال الشاعر:

(١) جامع البيان - (١ / ٤٥٤- ٤٥٧)

(٢) البيت لتميم بن مقبل كما في ديوانه (ص: ١٣١)، وانظر: معجم ما استعجم (٣/ ٧٩٥).

أَقُولُ لَهُ لَمَّا اسْتَوَى فِي تُرَابِهِ عَلَى أَيِّ دِينٍ قَتَّلَ النَّاسَ مُصْعَبُ(١)

٤- وقال بعضهم : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ **عمد** إليها. وقال : بل كل تارك عملا كان فيه إلى آخر فهو مستو لما عمد ومستو إليه.

٥- وقال بعضهم : الاستواء : هو **العلو** ، والعلو : هو الارتفاع. وممن قال ذلك الربيع بن أنس.

قال أبو جعفر : الاستواء في كلام العرب منصرف على وجوه : منها **انتهاء شباب الرجل وقوته** ، فيقال إذا صار كذلك : قد استوى الرجل.

ومنها **استقامة** ما كان فيه أود من الأمور والأسباب ، يقال منه : استوى لفلان أمره : إذا استقام له بعد أود . ومنه قول الطرماح بن حكيم :

طَالَ عَلَى رَسْمِ مَهْدَدٍ أَبَدُهُ وَعَفَا وَاسْتَوَى بِهِ بَلَدُهْ(٢)

يعني : استقام به ، ومنها **الإقبال** على الشيء بالفعل ، كما يقال : استوى فلان على فلان بما يكرهه ويسوؤه بعد الإحسان إليه.

ومنها **الاستيلاء والاحتواء** كقولهم : استوى فلان على المملكة ، بمعنى احتوى عليها وحازها.

ومنها **العلو والارتفاع** ، كقول القائل : استوى فلان على سريره ، يعني به علوه عليه.

قال أبو جعفر : وأولى المعاني بقول الله جل ثناؤه : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ **علا عليهن وارتفع فدبرهن** بقدرته وخلقهن سبع سموات.

والعجب ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى

---

(١) لم أجد هذا البيت في غير تفسير الطبري.

(٢) البيت لطرماح بن حكيم – كما نسبه الطبري – وهو في ديوانه (ص: ١١٠).

ٱلسَّمَآءِ ﴾ الذي هو بمعنى العلو والارتفاع هربا عند نفسه من أن يلزمه بزعمه إذا تأوله بمعناه المفهم كذلك أن يكون إنما علا وارتفع بعد أن كان تحتها ، إلى أن تأوله بالمجهول من تأويله المستنكر ، ثم لم ينج مما هرب منه . فيقال له : زعمت أن تأويل قوله : {استوى} أقبل ، أفكان مدبرا عن السماء فأقبل إليها ؟ فإن زعم أن ذلك ليس بإقبال فعل ولكنه إقبال تدبير، قيل له : فكذلك فقل : **علا عليها علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال** . ثم لن يقول في شيء من ذلك قولا إلا ألزم في الآخر مثله ، ولولا أنا كرهنا إطالة الكتاب بما ليس من جنسه لأنبأنا عن فساد قول كل قائل قال في ذلك قولا لقول أهل الحق فيه مخالفا، وفيما بينا منه ما يشرف بذي الفهم على ما فيه له الكفاية إن شاء الله تعالى.

الدراسة والتحليل:

بعد ما ذكر الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – أقوال العلماء في تأويل قوله تعالى: ﴿ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ أشار إلى الوجوه التي تأتي عليها هذه المفردة:

فذكر أربعة وجوه:

الوجه الأول: انتهاء شباب الرجل وقوته ، فيقال إذا صار كذلك : قد استوى الرجل.

الوجه الثاني: استقامة ما كان فيه أود من الأمور والأسباب ، يقال منه : استوى لفلان أمره : إذا استقام له بعد أود . ومنه قول الطرماح بن حكيم :

طَالَ عَلَى رَسْمٍ مَهْدَدٍ أَبَدُهُ   وَعَفَا وَاسْتَوَى بِهِ بَلَدُهْ

يعني : استقام به .

الوجه الثالث: الإقبال على الشيء بالفعل ، كما يقال : استوى فلان على فلان بما يكرهه ويسوءه بعد الإحسان إليه.

الوجه الرابع: الاستيلاء والاحتواء كقولهم : استوى فلان على المملكة ، بمعنى

احتوى عليها وحازها.

الوجه الخامس: العلو والارتفاع، كقول القائل: استوى فلان على سريره، يعني به علوه عليه.

وهذا المعنى هو الذي رجحه الإمام الطبري في تفسير الآية فقال: " وأولى المعاني بقول الله جل ثناؤه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ **علا عليهن وارتفع فدبرهن** بقدرته وخلقهن سبع سموات".

وما رجحه الطبري هنا في معنى الاستواء هو قول جمهور السلف.

فقد ذكر السلف لمعنى الاستواء ألفاظاً أربعة كلها مترادفة، فقالوا هو: الارتفاع والعلو والصعود والاستقرار، فهذه الألفاظ الأربعة جاءت مروية بأسانيد عن الصحابة وغيرهم، وكلها بمعنىً واحد، وهو الاستواء.

١- فقال ابن عباس – في المشهور عنه[1] – وأبو العالية[2]، والحسن[3]، والربيع بن

---

(١) انظر: تفسير البغوي (١/ ٧٨)، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٤٩٧) عنه قال: « وإنما سمي العرش عرشاً لارتفاعه» .

(٢) ذكره البخاري عنه معلقا في صحيحه: كتاب التوحيد، باب "وكان عرشه على الماء"، وأخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٧٥).

و**أبو العالية**: هو: رفيع بن مهران الرِّياحي البصري، أبو العالية، الإمام، المقرئ، المفسر، الحافظ، من كبار التابعين، وأحد الأعلام، أسلم في خلافة أبي بكر الصدِّيق – رضي الله عنه – توفي سنة (٩٣هـ).

انظر: السير (٤/ ٢٠٧)، وغاية النهاية (١/ ٢٨٤).

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٧٥). و**الحسن** هو: أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري، كان إماماً في العلم والعمل، وهو تابعي من الطبقة الثالثة، وكانت وفاته سنة (١١٠هـ)، انظر: تقريب التهذيب(١٦٠)، وطبقات المفسرين للداوودي (١/ ١٥٠).

أنس[1]: استوى: **ارتفع**.

وقال الإمام البغوي – رحمه الله -: قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف: أي ارتفع إلى السماء[2].

٢- وقال مجاهد: استوى: **علا**.

٣- وقال ابن عباس في رواية عنه، والكلبي[3]، ومقاتل[4]: استوى: **استقر**.

٤- وروي عن ابن عباس أيضا: استوى **صعد**.

قال ابن القيم في النونية[5]:

---

(١) أخرجه عنه الطبري في جامع البيان (١/ ٤٥٦). **والربيع**: هو الربيع بن أنس بن زياد البكري الخراساني، كان عالم مرو في زمانه، سجن بمرو ثلاثين سنة، سمع منه ابن المبارك، رمي بالتشيع توفي سنة ١٣٩هـ، انظر: سير الأعلام النبلاء (٦/ ١٦٩)، والكاشف (١/ ٣٠٣).

(٢) تفسير البغوي (١ / ٧٨) عند تفسير قوله تعالى {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ}.

(٣) **الكلبي**: هو محمد بن السائب بن بشر الكلبي ، أبو النضر الكوفي ، النسابة المفسر ، متهم بالكذب ورمي بالرفض وهو متروك الحديث ت ١٤٦ هـ . انظر : تهذيب الكمال ((٦/ ٣١٨)، التقريب (٥٩٠١).

(٤) **مقاتل بن سليمان** هو: ابن بشير الأزدي الخراساني، أبو الحسن البلخي، صاحب التفسير، قال عنه ابن المبارك: "ما أحسن تفسيره لو كان ثقة"، وقال ابن حجر: "كذبوه وهجروه ورمي بالتجسيم"، توفي سنة ١٥٠هـ. انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٨/ ٤٠٥)، وميزان الاعتدال (٤/ ١٧٣).

(٥) انظرها في الكافية الشافية مع شرح هراس (١/ ٢١٥).

فَلَهُمْ عِبَارَاتٌ عَلَيْهَا أَرْبَعٌ قَدْ حُصِّلَتْ لِلْفَارِسِ الطَّعَّانِ

وَهِيَ اسْتَقَرَّ وَقَدْ عَلَا وَكَذَلِكَ ارْ تَفَعَ الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانِ

وَكَذَاكَ قَدْ صَعِدَ الَّذِي هُوَ رَابِعٌ وَأَبُو عُبَيْدَةَ صَاحِبُ الشَّيْبَانِيِّ

يَخْتَارُ هَذَا الْقَوْلَ فِي تَفْسِيرِهِ أَدْرَى مِنَ الْجُهْمِيِّ بِالْقُرْآنِ

وممن روي عنه من أهل اللغة إحدى هذه المعاني في الاستواء: **الخليل بن أحمد الفراهيدي**، فقد قال في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: **"ارتفع إلى السماء"**.

قال ابن عبد البر: « وذكر النضر بن شميل[1] – وكان ثقة مأموناً جليلاً في علم الديانة واللغة- قال: "حدثني الخليل - وحسبك بالخليل- قال: أتيت أبا ربيعة الأعرابي وكان من أعلم من رأيت، فإذا هو على سطح، فسلمنا فرد علينا السلام وقال لنا: استووا فبقينا متحيرين ولم ندر ما قال؟ فقال لنا أعرابي إلى جنبه: إنه أمركم أن ترتفعوا، قال الخليل: هو من قول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ فصلت: ١١ فصعدنا إليه"[2].

وأبو عبيدة معمر بن المثنى، فقد قال في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ أي علا، يقال: استويت فوق الدابة وعلى البعير وعلى الجبل وفوق البيت، أي علوت عليه وفوقه[3].

وقال الأخفش: استوى أي **علا**، ويقول: استويتُ فوق الدابة وعلى ظهر الدابة:

(١) هو النضر بن شميل بن خَرَشَة بن يزيد المازني التميمي، أبو الحسن. أحد الأعلام بمعرفة أيام العرب ورواية الحديث وفقه اللغة. ولد بمرو، وانتقل إلى البصرة مع أبيه فأقام زمناً، وعاد إلى مرو، فولي قضاءها، وتوفي بها، سنة (٢٠٣هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٢٨)، وإنباه الرواة (٣/ ٣٤٨).

(٢) التمهيد (٧/ ١٣٢).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ١٥)، وانظر: (١/ ٢٧٣).

أي علوته[1].

وقد روي **عن أبي العباس ثعلب**[2] أنه قال: « استوى: أقبل عليه وإن لم يكن معوجاً، ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ ، و﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ الأعراف: ٥٤:علا، واستوى الوجه: اتصل، واستوى القمر: امتلأ، واستوى زيد وعمرو: تشابها واستوى فعلاهما وإن لم تتشابه شخوصهما، هذا الذي نعرفه من كلام العرب »[3].

واختار هذا القول جمع من المفسرين، وذلك تمسكاً بظاهر لفظ { استوى } وتفويضاً لعلم كيفية هذا الارتفاع إلى الله عز وجل .

الأقوال الأخرى:

وقد ذهب جمع من أهل اللغة والتفسير إلى تفسير (الاستواء) في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ **بمعنى: الإقبال والقصد،** قال البغوي: وهذا قول ابن كيسان والفراء وجماعة من النحويين[4].

فمن أهل الغريب:

قال الفراء: الاستواء فى كلام العرب على جهتين : إحداهما أن يستوى الرجل وينتهى شبابه، أو يستوى عن اعوجاج ، فهذان وجهان. ووجه ثالث أن تقول : كان مقبلا على فلان ثم استوى عليّ يشاتمنى وإليّ سواء، على معنى: أقبل إليّ وعليّ، فهذا

---

(١) تهذيب اللغة (٤ / ٣٤٠).

(٢) هو أحمد بن يحيى الشيباني إمام الكوفيين في النحو واللغة، كان حجة، ثقة، ديناً، صالحاً، مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة، توفي سنة إحدى وتسعين ومائتين".انظر: تاريخ بغداد(٥/ ٢٠٤).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٢/ ٣٩٩-٤٠٠)، واجتماع الجيوش الإسلامية(ص٢٦٤-٢٦٥).

(٤) تفسير البغوي (١ / ٧٨).

معنى قوله : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ والله أعلم[1].

وقال ابن قتيبة: « ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ عمد لها. وكل من كان يعمل عملا فتركه- بفراغ أو غير فراغ- وعمد لغيره فقد استوى له واستوى إليه » [2].

وقال الزجاج في تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ فصلت: ١١: معنى استوى عَمَدَ إلى السماءِ وَقَصَدَ[3].

وقال السجستاني: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾ أي قصد لها ليخلقها[4].

وهذا قول غير واحد من أهل الغريب [5].

ومن اللغويين:

قال الجوهري: واستوى إلى السماء، أي قصد"[6].

وقال الأزهري: وأخبرني المنذري عن أحمد ابن يحيى أنه قال: في قول الله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ قال: الاستواء الإقبال على الشيء، و ﴿ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ قصد[7].

(١) معاني القرآن للفراء (١ / ٢٥).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص: ٤٥).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤ / ٣٨١)، وانظر منه أيضاً: (١ / ١٠٧).

(٤) غريب القرآن للسجستاني (١/ ١١٤).

(٥) انظر: غريب القرآن وتفسيره لليزيدي (ص: ٦٦)، تذكرة الأريب تفسير الغريب (ص: ٥٣)، والتبيان في تفسير غريب القرآن (١/ ٧٣)، وتفسير المشكل من غريب القرآن (ص: ٢٦)، والعمدة (ص: ٧٢، ١٩٩)، ونفس الصباح (١/ ١٧٣)، بهجة الأريب (١/ ٨٣).

(٦) الصحاح في اللغة (٦/ ٢٣٥).

(٧) تهذيب اللغة (٤ / ٣٤٠).

ومن المفسرين الذين اختاروا هذا القول:

قال الثعلبي: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي عمد إلى خلق السماء وقصد تسويتها[1].

قال البغوي في تفسير آية فصلت: " أي عمد إلى خلق السماء"[2].

وقال ابن كثير: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ البقرة: ٢٩ أي: قصد إلى السماء، والاستواء هاهنا تَضَمَّن معنى القصد والإقبال؛ لأنه عدي بإلى[3].

وقال السعدي: ﴿ ٱسۡتَوَىٰٓ ﴾ ترد في القرآن على ثلاثة معاني: فتارة لا تعدى بالحرف، فيكون معناها، الكمال والتمام، كما في قوله عن موسى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ﴾ القصص: ١٤ وتارة تكون بمعنى "علا "و "ارتفع "وذلك إذا عديت بـ "على "كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ الأعراف: ٥٤ ﴿ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾ الزخرف: ١٣ وتارة تكون بمعنى "قصد "كما إذا عديت بـ "إلى "كما في هذه الآية، أي: لما خلق تعالى الأرض، قصد إلى خلق السماوات[4].

وذهب لهذا القول الثاني جمع غفير من أهل التفسير[5].

ولا يلزم من ذهاب بعض المفسرين إلى تفسير الاستواء في قوله تعالى: {ثم استوى إلى السماء} بالقصد والإقبال أن يكون مذهبه في صفة الاستواء: التأويل.

(١) الكشف والبيان (١ / ١٩٩٨).

(٢) تفسير البغوي (٧ / ١٦٥).

(٣) تفسير ابن كثير (١ / ٢١٣).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٨).

(٥) انظر: الكشاف (١/ ١٥٢) (٤/ ١٩٣)، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (١/ ١٣١)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٢٨)، تفسير الخازن (١/ ٤٤)، (٦/ ١٠٥) الدر المصون (١/ ١٧٢)، تفسير النسفي (١/ ٧٦) تفسير البيضاوي (١/ ٢٧١)، تفسير الجلالين (ص: ٧) السراج المنير (١/ ٤٢).

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين[1] – رحمه الله – عن القول الثاني في تفسير ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ وهو الذي رجحه[2] – « وهذا القول ليس صرفاً للكلام عن ظاهره، وذلك لأن الفعل (استوى) اقترن بحرف يدل على الغاية والانتهاء، فانتقل إلى معنى يناسب الحرف المقترن به»[3].

ولهذا نجد عدداً من المفسرين الذين فسروا هذه الآية بالقصد والإقبال، فسروا الاستواء في بقية مواضعه على ما فسره به سلف الأمة.

فهذا ابن قتيبة – وقد تقدم نقل كلامه في هذه الآية – يقول عند قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ قال أبو عبيدة : علا . قال : وتقول استويت فوق الدابة، واستويت فوق البيت، وقال غيره: استوى: استقر. واحتج بقول الله عز وجل : ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ المؤمنون: ٢٨ أي استقررت في الفلك[4].

وقال البغوي: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ قال الكلبي ومقاتل: استقر. وقال أبو عبيدة: صعد. وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء، وأما أهل السنة فيقولون: الاستواء على العرش صفة لله تعالى، بلا كيف، يجب على الرجل الإيمان به، ويكل العلم فيه إلى الله عز وجل. وسأل رجل مالك بن أنس عن قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ ، كيف استوى؟ فأطرق رأسه مليًّا، وعلاه[5].

وقال ابن كثير: « وأما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ الأعراف: ٥٤ فللناس في

---

(١) هو: محمد بن صالح بن سليمان العثيمين، أبو عبدالله، الفقيه، العلاّمة، ولد سنة ١٣٤٧هـ بعنيزة ، كان عضواً في هيئة كبار العلماء ، له دروس في شتى الفنون، وله مصنفات عديدة، توفي سنة (١٤٢١هـ).انظر ترجمته في: الجامع لحياة العلامة محمد بن صالح العثيمين: لوليد الحسين. وابن عثيمين الإمام الزاهد: لناصر بن مسفر الزهراني.

(٢) كما في تفسير سورة البقرة له (١/ ١٠٩).

(٣) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٣/ ٣١٢).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص: ٢٧٧)، ومثله فعل الخزرجي في نفس الصباح (٢/ ٤٨٧).

(٥) تفسير البغوي (٣/ ٢٣٥).

هذا المقام مقالات كثيرة جدا، ليس هذا موضع بسطها، وإنما يُسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه وغيرهم، من أئمة المسلمين قديما وحديثا، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل. والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه، و ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ الشورى: ١١ بل الأمر كما قال الأئمة -منهم نُعَيْم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري -: "من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر". وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة، على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى، ونفى عن الله تعالى النقائص، فقد سلك سبيل الهدى[١].

فهذه النصوص عن هؤلاء الأعلام وغيرهم[٢] دالة على أنهم يفرقون بين لفظ الاستواء المقترن بـ: (إلى) وبين لفظ الاستواء المقترن بـ: (على)؛ ففسروا المقترن بـ: (إلى) بالقصد والإقبال، وفسروا المقترن بـ: (على) بالارتفاع والاستقرار.

الترجيح:

بالنظر والتأمل في أقوال أهل العلم في لفظة (الاستواء) يتبيّن لي – والعلم عند الله – أن السلف من الصحابة والتابعين لم يكونوا يفرقون بين لفظ الاستواء المقترن بـ: (إلى) وبين لفظ الاستواء المقترن بـ (على) بل فسروها بالارتفاع والعلو والاستقرار كما تقدم نقله.

وهذا المذهب أسلم وأبعد عن الوقوع في الزلل في تفسير كتاب الله؛ فإن قول

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٢٦-٤٢٧).

(٢) انظر: تفسير قوله تعالى: {ثم استوى على العرش} عند ابن جزي الكلبي في التسهيل (١/ ٥٠٣) وعند السعدي (ص: ٢٩١، ٥٠١)، وعند العثيمين (١/ ١٠٩-١١٠).

السلف وإجماعهم مقدم على كل تفسير شاذ كما تقرر في قواعد علم التفسير[1].

أضف لذلك أن كون الاستواء بمعنى القصد، محل نظر ومناقشة عند أهل اللغة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -: « ومن قال : استوى بمعنى عمد : ذكره في قوله : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ لأنه عدي بحرف الغاية كما يقال : عمدت إلى كذا وقصدت إلى كذا ولا يقال : عمدت على كذا ولا قصدت عليه **مع أن ما ذكر في تلك الآية لا يعرف في اللغة أيضا ولا هو قول أحد من مفسري السلف ؛ بل المفسرون من السلف قولهم بخلاف ذلك كما قدمناه عن بعضهم**[2].

وقال ابن القيم: "إن ظاهر الاستواء وحقيقته هو العلو والارتفاع كما نص عليه جميع أهل اللغة والتفسير المقبول"[3].

وقال ابن عبد البر: "والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم، وهو العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار والتمكن فيه"[4].

وقال ابن القيم رحمه الله: "إن لفظ (الاستواء) في كلام العرب الذي خاطبنا الله بلغتهم، وأنزل به كلامه نوعان: مطلق، ومقيد.

فالمطلق: ما لم يوصل معناه بحرف مثل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ وهذا معناه: كمل وتم، يقال استوى النبات، واستوى الطعام.

وأما المقيد فثلاثة أضرب:

أحدها: مقيد بإلى كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ ، واستوى فلان إلى السطح

---

(١) انظر: قواعد الترجيح (١/ ٢٨٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٥ / ٥٢١).

(٣) مختصر الصواعق (٢/ ١٤٥).

(٤) التمهيد (٧/ ١٣٢).

وإلى الغرفة، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى المعدى بإلى في موضعين من كتابه:

الأول: في سورة البقرة في قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾.

الثاني: في سورة فصلت ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾ **وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف.**

والثاني: المقيد بعلى، كقوله تعالى: ﴿ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾، وقوله: ﴿ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ﴾ هود: ٤٤ ، وقوله: ﴿ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾ الفتح: ٢٩ **وهذا أيضاً معناه العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة.**

الثالث: المقرون بواو "مع" التي تعدي الفعل إلى المفعول معه، نحو استوى الماء والخشبة، بمعنى ساواها. وهذه معاني الاستواء المعقولة في كلامهم"(١).

فعلم من هذا أن الأسلم تفسير لفظ الاستواء بما فسّره به السلف سواء عدِّيَ بعلى أو بإلى، وإن كان لقول بعض من فسر المعدى بإلى بالقصد والإقبال محل من النظر، والعلم عند الله تعالى.

أما المعدّى بعلى فالأمر فيه أوضح من الشمس في رابعة النهار، ومذهب أهل السنة والجماعة في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾، ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ جلي وقويّ، ومصادره متوفرة لمن أراد الحق وابتغى الوسيلة إليه.

قال أبو البقاء الكفوي: "واعلم أن الله تعالى أخبر بأنه على العرش استوى وأخبر رسوله بالنزول وغير ذلك فكل ما ورد من هذا القبيل دلائل التوحيد فلا يتصرف فيها بتشبيه وتعطيل فلولا إخبار الله تعالى وإخبار رسوله ما تجاسر عقل أن يحوم حول ذلك الحمى وتلاشى دون ذلك عقل العقلاء ولب الألباء فالله سبحانه

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ١٢٦-١٢٧).

وفي من عباده بما أخبر ودل على نفسه بما أظهر ورفع حجابا من الحجب عن وجه الكبرياء وكشف شيئا من سبحات العظمة والعلاء فكل أخبار الصفات تجليات إلهية وكشوف جلية عقل من عقل وجهل من جهل فلا تبعد عن الله بالتشبيه وقد قرب منك ولا تفر منه بالتعطيل وقد دنا إليك أطلق لسان الاستواء وأعرض عن الكيفية وهكذا سائر الصفات فهو سبحانه بما تجلى لعباده بهذا الإخبار ظاهر وبما قصرت العقول عن إدراك كنهها وكيفيتها باطن فلا ينكشف من عظم شأنه ما بطن ولا يتشف من علو سلطانه ما انكمن[1].

---

(١) الكليات (١ / ١٥١).

{ الملائكة }

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ البقرة: ٣٠

قال الإمام أبو جعفر الطبري[1]: « **والملائكة جمع ملأك ، غير أن واحدهم بغير الهمز أكثر وأشهر في كلام العرب منه بالهمز ، وذلك أنهم يقولون في واحدهم ملك من الملائكة ، فيحذفون الهمز منه ، ويحركون اللام التي كانت مسكنة لو همز الاسم . وإنما يحركونها بالفتح ، لأنهم ينقلون حركة الهمزة التي فيه بسقوطها إلى الحرف الساكن قبلها، فإذا جمعوا واحدهم ردوه فى الجمع إلى الأصل وهمزوا، فقالوا : ملائكة . وقد تفعل العرب نحو ذلك كثيرا في كلامها، فتترك الهمز في الكلمة التي هي مهموزة فيجري كلامهم بترك همزها في حال، وبهمزها في أخرى ، كقولهم : رأيت فلانا ، فجرى كلامهم بهمز رأيت ، ثم قالوا : نرى وترى ويرى ، فجرى كلامهم في يفعل ونظائرها بترك الهمز، حتى صار الهمز معها شاذا مع كون الهمز فيها أصلا . فكذلك ذلك في ملك وملائكة ، جرى كلامهم بترك الهمز من واحدهم ، وبالهمز في جميعهم.**

وربما جاء الواحد منهم مهموزا كما قال الشاعر :

فَلَسْتُ لإِنْسِيٍّ وَلَكِنْ لَمَلأَكٍ ... تَنَزَّلَ مِن جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ[2]

وقد يقال في واحدهم : مألك ، فيكون ذلك مثل قولهم : جبذ وجذب ، وشأمل وشمأل ، وما أشبه ذلك من الحروف المقلوبة .

---

(١) جامع البيان - (١ / ٤٧٢- ٤٧٥)

(٢) البيت لعلقمة الفحل كما في ديوانه (ص: ١٣٢)، وهو من شواهد سيبويه كما في الكتاب (٤/ ٣٨٠).

غير أن الذي يجب إذا سمي واحدهم مألك ، أن يجمع إذ جمع على ذلك: مآلك، ولست أحفظ جمعهم كذلك سماعا ، ولكنهم قد يجمعون ملائك وملائكة ، كما يجمع أشعث : أشاعث وأشاعثة ، ومسمع : مسامع ومسامعة . قال أمية بن أبي الصلت في جمعهم كذلك :

وَفِيهِمَا مِنْ عِبَادِ اللهِ قَوْمٌ مَلائِك ذُلِّلوا وهُمُ صِعَابُ[1]

الدراسة والتحليل:

ذهب الإمام الطبري في تفسيره لكلمة { ملائكة } أنه جمع (ملأك)، لكن الأكثر في المفرد أن تنقل حركة الهمزة إلى اللام الساكن قبلها ثم تحذف، فيقال (ملك).

ويأتي على الأصل (ملأك) لكنه قليل، واستشهد عليه بقول الشاعر:

فَلَسْتُ لإِنْسِيٍّ وَلَكِنْ لَمَلأَكٍ تَنَزَّلَ مِن جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ

وقد تقلب فيقال: (مألك)، والجمع على هذا - قياساً - (مآلك)، لكنه لم يحفظ ذلك سماعاً؛ إذ يأتي الجمع على (ملائك، وملائكة).

وهذا الذي ذهب إليه الطبري في أصل لفظة {الملائكة} هو قول جمهور العلماء من اللغويين وأصحاب الغريب والمفسرين.

١- ذهب الجمهور إلى أن أصله (مَلأَكٌ) من (ل أ ك) مشتقة من قولهم: لأَكَه؛ أي: أرسله، فحذفت همزة (مَلأَك) لكثرة الاستعمال وألقيت حركتها على اللاّم.

واستدلوا على أنه من هذا الأصل بقول الشاعر:

(١) البيت لأمية بن الصلت – كما نسبه الطبري – وهو في ديوانه (ص: ١٩)، وفي اللسان (١٢/ ٤٩٦).

أَلِكْنِي إلى قَوْمِي السَّلامَ رِسَالَةً بآيَةِ ما كَانُوا ضِعَافًا ولا عُزْلا[1]

وبقول الشاعر:

فَلَسْتُ لإِنْسِيٍّ وَلَكِنْ لَمَلأَكٍ تَنَزَّلَ مِن جَوِّ السَّماءِ يَصُوبُ

وبقولهم في جمعه: مَلائِك ومَلائكة؛ فردوا المحذوف إليه.

وهذا مذهب الزجاج، والأزهري، والزمخشري[2].

٢- وقيل: إنه مشتق من (أ ل ك) فأصله (مَأْلَك) من الأَلُوكة؛ وهي: الرسالة، ثم قلبت اللاّم بالتقديم، فقيل: مَلأَك، ثم نُقِلَتْ حركةُ الهمزةِ إلى اللامِ وحُذِفَتِ الهمزةُ تخفيفاً؛ لكثرة الاستعمال؛ فقالوا: مَلَك.

وهذا قول جمع من اللغويين:

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: « والمَلَكُ واحد الملائكة، إنما هو تخفيف **الملأك**، والأصل **مألك**، فقدموا اللام وأخروا الهمزة، فقالوا: **ملأك**، وهو مَفعَل من الألوك وهو الرسالة، واجتمعوا على حذف همزته كهمزة يرى وقد يتمونه في الشعر عند الحاجة، قال:

فَلَسْتُ لإِنْسِيٍّ وَلَكِنْ لَمَلأَكٍ تَبارِكَ من فَوْق السّماواتِ مُرْسِلُهُ[3]

وقال ابن سيده: " وَإِنَّمَا قدمت بَاب: مَألكة على بَاب: مَلأَكة؛ لِأَن مألكة أصل، وملأكة فرع مقلوب عَنْهَا"[4].

---

(١) البيت لعمرو بن شأس، كما نسبه له سيبويه في الكتاب (١/ ١٩٧)، وانظره أيضاً في لسان العرب (١٠/ ٣٩٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ١١٢)، تهذيب اللغة (١٠/ ٢٠٢)، الكشاف (١/ ١٢٤).

(٣) العين (٥/ ٣٨٠-٣٨١).

(٤) المحكم والمحيط الأعظم (٧/ ٩٠).

وحكي عن الكسائي، وهو قول الجوهري[1].

ونص عليه من المفسرين: البغوي، والواحدي، والراغب، والبيضاوي[2].

واستدلوا بقوله:

أَبْلِغْ أبا دَخْتَنُوسَ مَأْلُكَةً غيرَ الذي قد يُقال مِلْكَذِبِ[3]

وبقول الآخر:

وغلامٌ أَرْسَلَتْه أمُّه بِأَلوكٍ فَبَذَلْنَا ما سَأَلْ[4]

وبقول الآخر:

أَبْلِغِ النُّعْمانَ عني مَأْلُكا أَنَّه قد طالَ حَبْسي وانتظاري[5]

٣- أنه مشتق من (م ل ك)، من المُلْك ووزنه (فَعَل) وشذَّ جمعُه على فعائِلة، فالشذوذ في جَمْعِه فقط.

وممن قال بهذا الرأي أبو عبيدة، قال في مجاز القرآن عن {الملائكة}: الهمزة فيها مجتلبة، لأن واحدها ملك بغير همزة"[6].

---

(١) في الصحاح (٤/ ١٦١١).

(٢) انظر: تفسير البغوي (١/ ١٠١)، الوسيط للواحدي (١/ ١١٢)، تفسير الراغب الأصفهاني (١/ ١٣٨)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٦٧).

(٣) البيت نسب لمهر بن كعب، كما في تاج العروس (٢٧/ ٤٨)، وذكره غير واحد من أهل اللغة دون نسبة، انظر: الخصائص (١ / ٣١١)، والصحاح في اللغة (٢ / ١٨٢)، ولسان العرب (١٠/ ٣٩٢).
ودخْتَنُوسُ: اسمُ بِنْتِ حَاجِبِ بْنِ زُرَارَةَ التَّمِيمِيِّ، ويقال: دَخْدَنُوسُ، سَمَّاها أبوها باسم ابْنَةِ (كِسْرَى). تهذيب اللغة (٧ / ٢٧٨).

(٤) البيت للبيد بن ربيعة، كما في ديوانه (ص: ٥٤).

(٥) هذا البيت منسوب لعدي بن زيد كما في الاشتقاق لابن دريد (ص: ٢٦)، ومقاييس اللغة (١/ ١٣٣)، والمحكم والمحيط الأعظم (٧/ ٨٩)، والبيت من قصيدة يخاطب بها النعمان بن المنذر، وكان النعمان قد حبسه، انظر القصة في نهاية الأرب في فنون الأدب (١٥/ ٢٥٠).

(٦) مجاز القرآن (١/ ٣٥).

وحكي عن ابن كيسان[1]، واستبعده غير واحد[2].

٤- وقيل: هو مشتقٌّ من: لاكَه يَلُوكه أي: أداره يُديره، لأنَّ المَلَكَ يُديرُ الرسالةَ في فيه، فأصل مَلَك: مَلْوَك، فنُقِلَتْ حركةُ الواوِ إلى اللامِ الساكنةِ قبلها، فتحَرَّك حرفُ العلة وانفتح ما قبلَه فَقُلب ألفاً فصارَ ملاكاً مثل مَقَام، ثم حُذِفَت الألفُ تخفيفاً فوزنُه مَفَل بحذفِ العينِ، وأصلُ ملائكة ملاوِكة فقُلبت الواوُ همزةً، ولكنَّ شرطَ قلبِ الواوِ والياءِ همزةً بعد ألفِ مفاعل أن تكونَ زائدةً نحو عجائز ورسائل.

٥- قال النضر بن شميل: «لا اشتقاقَ للملك عند العرب»، قال ابن عاشور: «يريد أنهم عربوه من اللغة العبرانية ويؤيده أن التوراة سمت الملك ملاكا بالتخفيف، وليس وجود كلمة متقاربة اللفظ والمعنى في لغتين بدال على أنها منقولة من إحداهما إلى الأخرى إلا بأدلة أخرى »[3].

الترجيح:

والراجح أنه لا قلب فيه؛ فهو من (ل أك) كما ذهب الجمهور، ولو كان من (أ ل ك) لظهر في بعض تصاريفه، ولقالوا في جمعه (مَآلكة) وقد جاء الجمع على الأصل (ل أ ك) وهو (ملائكة) وقد ورد في القرآن الكريم أكثر من سبعين مَرَّة، ولسلامة هذا المذهب من ارتكاب القلب[4].



(١) انظر: الهداية الى بلوغ النهاية (١/ ٢١٣)، المحرر الوجيز (١/ ١١٦)، شرح شافية ابن الحاجب للرضي الأستراباذي (٢/ ٣٤٧)، تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم (١/ ٥٠٧).

(٢) انظر: شرح شافية ابن الحاجب (٢ / ٣٤٧).

(٣) التحرير والتنوير (١/ ٣٩٨).

(٤) انظر: شرح شافية ابن الحاجب (٢ / ٣٤٧)، والتحرير والتنوير (١/ ٣٩٨)، و تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم (١ / ٥٠٧).

{ كرسيه }

قال الله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ البقرة: ٢٥٥

في تفسير هذه الكلمة ذكر الإمام الطبري فيها أقوال المفسرين من السلف، وهي[1].

١- أن معنى : كرسيه علمه سبحانه.

وروى ذلك عن ابن عباس وسعيد بن جبير.

٢- أن الكرسي موضع قدميه سبحانه وتعالى.

وأخرج ذلك عن أبي موسى، والضحاك وغيرهما.

٣-وقال آخرون : الكرسي : هو العرش نفسه. وروى ذلك عن الحسن.

ثم قال أبو جعفر : « ولكل قول من هذه الأقوال وجه ومذهب ، غير أن الذي هو أولى بتأويل الآية ما جاء به الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » ...

إلى أن قال: « وأما الذي يدل على صحته ظاهر القرآن فقول ابن عباس الذي رواه جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير ، عنه أنه قال : هو علمه ، وذلك لدلالة قوله تعالى ذكره : ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ البقرة: ٢٥٥ على أن ذلك كذلك ، فأخبر أنه لا يؤوده حفظ ما علم ، وأحاط به مما في السماوات والأرض ، وكما أخبر عن ملائكته أنهم قالوا في دعائهم : ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ غافر: ٧

فأخبر تعالى ذكره أن علمه وسع كل شيء ، فكذلك قوله : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾.

وأصل الكرسي : العلم ، ومنه قيل للصحيفة يكون فيها علم مكتوب كراسة

(١) انظر: جامع البيان (٤ / ٥٣٧ - ٥٤١).

ومنه قول الراجز في صفة قانص :

حَتَّى إِذَا مَا اختَارهَا تَكَرَّسَا(١)

يعني علم ، ومنه يقال للعلماء : الكراسي ؛ لأنهم المعتمد عليهم ، كما يقال : أوتاد الأرض ، يعني بذلك أنهم العلماء الذين تصلح بهم الأرض ؛ ومنه قول الشاعر :

يَحُفُّ بِهِمْ بِيضُ الْوُجُوهِ وَعُصْبَةٌ   كَرَاسِيُّ بِالأَحْدَاثِ حِينَ تَنُوبُ(٢)

يعني بذلك علماء بحوادث الأمور ونوازلها.

والعرب تسمي أصل كل شيء الكرس ، يقال منه : فلان كريم الكرس : أي كريم الأصل ، قال العجاج :

قَدْ عَلِمَ الْقُدُّوسُ مَوْلَى الْقُدْسِ   أَنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ أَوْلَى نَفْسِ

بِمَعْدِنِ الْمُلْكِ الْقديمِ الْكِرْسِ(٣)

يعني بذلك الكريم الأصل ، ويروى :

فِي مَعْدِنِ الْعِزِّ الْكَرِيمِ الْكِرْسِ.

الدراسة والتحليل:

لم يتعرض أكثر أصحاب الغريب لتفسير هذه الكلمة.

---

(١) قال العلامة محمود شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري: « لم أجد الرجز ... والاستدلال بهذا الرجز على أنه يعنى بقوله : "تكرس" ، علم ، لا دليل عليه ، حتى نجد سائر الشعر ، ولم يذكره أحد من أصحاب اللغة. جامع البيان تحقيق محمود شاكر (٥/ ٤٠٢).

(٢) لم يذكر هذا البيت فيما اطلعت عليه من مصادر لغوية، وذكره جمع من المفسرين نقلا عن الطبري – دون نسبة لقائل –، ونسب الزمخشري إنشاده إلى قطرب، كما في أساس البلاغة (٢/ ١٣٠).

(٣) البيت للعجاج – كما نسبه الطبري –، وهو في ديوانه (ص: ٧٨)، وانظر: الصحاح (٣/ ٩٧٠).

وبالرجوع إلى كلام أهل اللغة في أصل مادة (كرس) نجد أنها تدل على انضمام الشيء مع الشيء واجتماعها ولزوم بعضها بعضاً، واشتقت الكُرَّاسَة من هذا، لأنَّها ورقٌ بعضُه فوقَ بعض[1]، والكرس: أصل الشيء[2].

أما الكُرْسي في اللغة: فهو الشيء الذي يُعْتَمَد عليه ويُجْلَس عليه[3].

والكُرْسيُّ : العِلْمُ أيضاً، والكَرَاسيُّ : العُلَماءُ . ويُقال : كِرْسيٌّ أيضاً[4].

وهذا دالّ على صحة ما ذكره الطبري في أصل الكلمة في اللغة.

أما الكرسي في الآية الكريمة:

فقد اختلف المفسرون فيه على الأقوال التي ذكرها الطبري، وغيرها، على النحو التالي:

١- أن المراد بالكرسي هنا: خلق عظيم من مخلوقات الله غير العرش، والعرش أكبر منه، وهو موضع قدمي الله تعالى، وهذا قول جمهور المفسّرين من السّلف والخلف.

وهذا القول مرويٌّ عن ابن عباس[5]، وأبي موسى الأشعري، والسدي،

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٥ / ١٦٩)، تهذيب اللغة (١٠ / ٣٢)، وعمدة الحفاظ (٣/ ٣٨٦).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن (٢ / ٢٩٢).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٣٨) تهذيب اللغة (١٠ / ٣٢).

(٤) المحيط في اللغة (٦ / ١٨٢)، والقاموس المحيط (ص: ٧٣٥).

(٥) رواه عنه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٣٩) والحاكم في المستدرك (٢/ ٣١٠) مسنداً من طريق سفيان عن عمار الدهني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾، قال: " الكرسي موضع القدمين ولايقدر قدر عرشه، قال الحاكم: « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٦/ ٣٥٤): « رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح».

=⇦

والضحاك، واختاره جمع من المفسرين[1].

٢- أن المراد بالكرسي العرش، وهو المروي عن الحسن البصري - كما سبق -.

٣- أن المراد به: علمه، وهذا مروي أيضاً عن ابن عباس[2] وسعيد بن جبير -

---

=

والحديث موقوف على ابن عباس ووهم من رفعه كما ذكر ذلك ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ٢٢-٢٣)، وابن كثير في تفسيره (١/ ٦٨٠).

وقد أحسن العيني في قوله: « وليت شعري ما الفرق بين كونه موقوفا وبين كونه مرفوعا في هذا الموضع لأن هذا لا يعلم من جهة الوقف ». عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٦/ ٤٨٥).

وهذا هو الصحيح عن ابن عباس، قال الأزهري: قلت : والصحيحُ عن ابن عباس في الكُرْسِيّ ما رواهُ الثَّوْرِيُّ وغيرهُ عن عمارٍ الدُّهْنِي عن مُسْلمٍ البَطِينِ عن سعيد بن جُبَيْرٍ عن ابن عباسٍ أنه قال : الكُرْسِيُّ : موضعُ القدمينِ ، وأَما العَرْشُ فإنَّهُ لا يُقدرُ قدرهُ ، وهذه روايةٌ اتفقَ أَهْلُ العلمِ على صِحتها ، والذي روي عن ابن عباس في الكُرْسيّ أَنَّهُ العِلمُ، فَليسَ ممّا يُثبتُه أَهلُ المعرِفةِ بالأخبارِ . تهذيب اللغة (١٠/ ٣٣).

(١) كابن عطية في المحرر الوجيز (١/ ٣٣٦)، والرازي في التفسير الكبير (٧/ ١١)، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١/ ٦٨١)، وابن عجيبة في البحر المديد (١/ ٣٢٦)، والشوكاني في فتح القدير (١/ ٤١٠)، والسعدي في تفسيره (صـ١١٠)، والصابوني في صفوة التفاسير (١/ ١٠٢).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٣٩٧-٣٩٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٢٦٠) والنحاس في معاني القرآن (١/ ٢٦٣) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٣٤، ١٣٥) بسندهم عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وعزاه السيوطي في الدر (٢/ ١٦) إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي.

وقد طعن جمع من أهل العلم في صحة هذه الرواية عن ابن عباس، قال البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٣٤، ١٣٥): « وسائر الروايات عن ابن عباس وغيره تدل على أن المراد بالكرسي المشهور المذكور مع العرش »، وقال الأزهري بعد أن ذكر هذه الرواية: « ليس مما يثبته أهل المعرفة بالأخبار »، تهذيب اللغة (١٠/ ٣٣)، وطعن في ثبوته الحافظ القصاب، في نكت القرآن الدالة على البيان (١/ ١٨٠-١٨٤)، كما ضعفه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى(٦/ ٥٨٤) ، وكذلك فعل الشيخ الألباني، انظر

=

كما سبق -، وهو اختيار الطبري كما هو واضح من كلامه[1]، ورجحه بعض المفسرين[2].

٤- أنّ المراد ملكه، أو قدرته وسلطانه، حكاه جمع من المفسرين[3].

الترجيح:

والذي يظهر لي رجحانه هو قول جمهور المفسّرين من السّلف والخلف بأنّ المراد بالكرسي في الآية موضع قدمي الرب تحت العرش لما يأتي:

١- ما تقدّم من ضعف الرواية عن ابن عباس بتفسيره بالعلم، ومخالفتها للمشهور الصحيح عنه.

٢- أنّ إطلاق الكرسي بمعنى العلم لغةً إما لغة قليلة أو شاذة[4]، وحمل ألفاظ

= سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ١٧٦)، والشيخ العثيمين في تفسير الآية في تفسيره لسورة البقرة (٣/ ٢٥٤).

(١) وهو الذي ذكره عنه جمع من أهل التفسير كالنحاس في معاني القرآن (١/ ٢٦٥)، وابن عطية في المحرر الوجيز (١/ ٣٣٦)، والقرطبي في تفسيره (٣/ ٢٧٦)، وإن كان قوله: « غير أن الذي هو أولى بتأويل الآية ما جاء به الأثر عن رسول الله ﷺ » يوهم بأنه اختار ذلك، والله تعالى أعلم.

(٢) كالماوردي في النكت والعيون (١/ ٣٢٦)، ومحمد رشيد رضا في تفسير المنار، وأبو زهرة في زهرة التفاسير (١/ ٩٤١)، ومحمد سيد طنطاوي في الوسيط (١/ ٤٧١).

(٣) انظر: الكشاف (١/ ٣٢٨)، النكت والعيون (١/ ٣٢٤-٣٢٦)، التفسير الكبير (٧/ ١١-١٢)، زاد المسير (١/ ٣٠٤)، ، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ١٦٥)، البحر المحيط (٢/ ٢٩٠).

(٤) فقد سبق ذكر أقوال أهل اللغة في إطلاق الكرسي على العلم، إلا أنه يوجد من أنكر ذلك، وذلك دليل على قِلَّتِه، قال الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٣٨): "الذي نعرِفه من الكُرْسي في اللغة الشيء الذي يُعْتَمَد عليه ويُجْلَس عليه، وحكى ابن منظور عن أبي عمرو عن ثعلب أنه قال الكرسيّ ما تعرفه العرب من كَرَاسِيِّ المُلوك ويقال كِرْسي أَيضاً. لسان العرب (٦/ ١٩٣).

=

الكتاب على المتبادر من معانيها لغةً – ما لم يدل الدليل على صرفه عن ظاهره – أقوى.

٣- قال ابن تيمية: « وقد نقل عن بعضهم: أن كرسيه علمه، وهو قول ضعيف؛ فإن علم الله وسع كل شيء ؛ كما قال : ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ غافر: ٧. والله يعلم نفسه ، ويعلم ما كان وما لم يكن، فلو قيل: وسع علمه السموات والأرض لم يكن هذا المعنى مناسباً ؛ لاسيما وقد قال تعالى : ﴿وَلَا يَئُودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ البقرة: ٢٥٥ أي : لا يثقله ولا يكرثه ، وهذا يناسب القدرة لا العلم ، والآثار المأثورة تقتضي ذلك »[1].

=

بل قال الشيخ العثيمين: « لا يعرف هذا المعنى لهذه الكلمة في اللغة العربية، ولا في الحقيقة الشرعية ». تفسير القرآن له (٣/ ٢٥٥).

وقال العلامة محمود شاكر في تحقيقه لجامع البيان – عند قول الطبري: « وأصل الكرسي العلم » -: وجَعْلُ أبي جعفر هذا أصلاً، عجب أي عجب! فمادة اللغة تشهد على خلافه ... ولكن أصل مادة اللغة يدل على أن أصل ذلك هو الشيء الثابت الذي يعتمد عليه، كالكرسي الذي يجلس عليه. انظر: كلام محقق جامع البيان (٥/ ٤٠٢).

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٨٤).

{ الربانيون }

قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾
آل عمران: ٧٩

قال أبو جعفر الطبري[1]: « وأولى الأقوال عندي بالصواب في الربانيين أنهم جمع رباني ، وأن الرباني المنسوب إلى الربان : الذي يرب الناس ، وهو الذي يصلح أمورهم ويربها، ويقوم بها ومنه قول علقمة بن عبدة :

وَكُنْتَ امْرَأً أَفَضَتْ إِلَيْكَ رِبَابَتِي وَقَبْلَكَ رَبَّتْنِي فَضِعْتُ رُبُوبُ

يعني بقوله : ربتني : ولي أمري والقيام به قبلك من يربه ويصلحه ، فلم يصلحوه، ولكنهم أضاعوني فضعت.

يقال منه : رب أمري فلان فهو يربه ربا وهو رابه ، فإذا أريد به المبالغة في مدحه قيل : هو ربان ، كما يقال : هو نعسان ، من قولهم : نعس ينعس ، وأكثر ما يجيء من الأسماء على فعلان ما كان من الأفعال ماضيه على فَعِلَ مثل قولهم : هو سكران وعطشان وريان ، من سَكِرَ يسكَر ، وعطِش يعطَش ، ورَوِي يروَى ، وقد يجيء مما كان ماضيه على فعل ، يفعل نحو ما قلنا من نعس ينعس ، ورب يرب.

الدراسة والتحليل:

سبقت دراسة مادة هذه الكلمة، فهي مشتقة من مادة (رب ب) وقد سبق أن هذه المادة تشترك فيها ثلاثة معان، هي: الملك، والسيادة، والإصلاح.

وهنا يرى الطبري أنه بمعنى الإصلاح، ورجح أنّ "الرباني" منسوب إلى "الربان" الذي هو صفة مبالغة في الذي يرب الناس، أي يصلح أمورهم ويربها.

---

(١) جامع البيان (٥/ ٥٢٩- ٥٣٠)

ثم انطلق من هذا إلى ترجيح تعميم لفظ "الربانيين" لكل من يدخل في هذا المعنى، ليشمل جميع الأقوال الواردة عن السلف في تفسير " الربانيين ".

ولم يوافق الطبري فيما ذهب إليه من كون "الرباني" منسوباً إلى "الربان" إلا نزر يسير من أهل العلم.

فممن وافقه على ذلك من أصحاب الغريب والمعاني والمعاجم:

١- المبرّد : حكى الثعلبي وغيره عنه قوله: الرّبانيوّن : أرباب العلم واحدها ربّان وهو الذي يربّ العلم ويربّب النّاس أي يعلّمهم ويصلحهم فيقوم بأمرهم ، و الألف والنون للمبالغة، كما قالوا : ريّان وعطشان وشبعان وغوثان ونعسان من النّعاس ووسنان ثم ضُمّ إليه ياء النسبة [١].

٢- النحاس في قوله: « والرباني الذي يجمع إلى العلم البصر للسياسة مأخوذ من قول العرب: رب أمر الناس يربه إذا أصلحه وقام به فهو راب ورباني على التكثير» [٢].

وحكاه الراغب الأصفهاني بقوله: « الرباني قيل: منسوب إلى الربان، ولفظ فعلان من: فَعِلَ يبنى نحو: عطشان وسكران، وقلما يبنى من فَعَلَ ، وقد جاء نعسان"[٣].

وهذا الذي رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية قائلاً: "اللفظة عربية منسوبة إلى ربان السفينة الذي ينزلها ويقوم لمصلحتها"[٤].

---

(١) الكشف والبيان (٣/ ١٠٢)، ومعالم التنزيل (٢/ ٦٠)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ١٩٥).

(٢) معاني القرآن (١ / ٤٢٩)

(٣) مفردات القرآن (١ / ٣٣٦ - ٣٣٧)، وانظر مثل هذا في: عمدة الحفاظ (٢/ ٦٢)، وتاج العروس (٢ / ٤٦١) (ربب).

(٤) مجموع الفتاوى (١/ ٦٣)، وجامع المسائل لابن تيمية (٣/ ٦٥ - ٦٦).

ووافقه بعضهم في المعنى الذي ذهب إليه دون الإشارة إلى أصل الكلمة.

نقل عن أبي العباس ثعلب قوله: إنما قيل للفقهاء الربانيون لأنهم يربون العلم أي يقومون به[1].

قال أبو حيان: {ربانيين} كاملي العلم يربون العلم، أي يقومون به[2].

ولعل هذا القول موافق لتفسير ابن قتيبة ومكي بقولهما: { الربانيون } واحدهم رباني، وهم العلماء المعلّمون[3].

القول الثاني:

وقد ذهب جماعة من أهل اللغة والمفسرين إلى أن "الربانيين" منسوب إلى "الرب" الذي هو المصدر، بمعنى التربية، وذلك أن العلماء يربون العلم، أي يصلحونه، ثم يربون الناس، فيعلمونهم كما تعلموا، ويصلحونهم كما صلحوا هم به[4].

وهذا القول – وإن اختلف مع القول الأول في نسبة "الرباني" إلا أنه موافق له في المعنى والمؤدى، كما هو واضح[5].

---

(١) انظر: السجستاني(٩٧) والتبيان في تفسير غريب القرآن (١٢٦) والغريبين (٣/ ٦٩٩) وبهجة الأريب (٧٦).

(٢) تحفة الأريب (٣٩).

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (١٠٧)، وتفسير المشكل من غريب القرآن (١٢٩).

(٤) انظر: مفردات القرآن (١ / ٣٣٧)، وعمدة الحفاظ (٢/ ٥٩– ٦٠).

(٥) لذا قال الفخر الرازي في تفسيره (١ / ١١٨٣) " وعلى قول المبرد الرباني مأخوذ من التربية"، وذكره الخازن أيضاً في تفسيره: (١ / ٣٧٢)

القول الثالث:

أن "الرباني" منسوب إلى الرب، أي : الله تعالى ، فالرباني كقولهم : إلهي[1].

وهذا مذهب جماعة من أهل اللغة:

نقل الأزهري عن سيبويه قوله: "زادوا ألفاً ونُوناً في الرّبّاني إذا أرادوا تَخْصيصاً بِعلْم الرّبّ دون غَيْره، كأنّ معناه: صاحبُ العِلْم بالرّبّ دون غَيره من العُلوم[2].

قال: وهذا كما قالوا: رَجُل شَعْرانيّ، ولِحْيانيّ، ورَقَبانيّ، إذا خُصّ بكَثْرة الشّعر، وطُول اللِّحْية، وغِلظ الرّقبة، وإذا نَسبوا إلى (الشّعْر) قالوا: شَعْري، وإلى الرّقبة قالوا: رَقَبيّ[3].

وقال ابن الأنباري: "وقال النحويون الربّاني منسوب إلى الربّ، وقالوا زيدت الألف والنون للمبالغة في النسب كما تقول لِحْيانيّ وجُمّانيّ فتصفه بعظم اللحية والجمة[4].

وقال الجوهري في الصحاح: "والرَبَّانِيُّ: المُتَأَلِّهُ العارف بالله تعالى"[5].

وفي المعجم الوسيط[6]: (الرباني) الذي يعبد الرب والكامل العلم والعمل.

---

(١) مفردات القرآن (١ / ٣٣٧)، بصائر ذوى التمييز (١ / ٧٩١).

(٢) قال المراغي – بعدما حكى عن سيبويه هذا القول – لأنه عالم به مواظب على طاعته كما يقال رجل إلهي إذا كان مقبلا على معرفة الإله وطاعته ، تفسير المراغي (٣/ ١٩٥).

(٣) تهذيب اللغة (١٥ / ١٢٩)، وانظر: تاج العروس (٢ / ٤٦١).

(٤) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ١٦١)، قال ابن الجوزي – بعد ما نقل عن ابن الأنباري هذا القول –: لأن العلم مما يطاع الله به. زاد المسير (١ / ٤١٣).

(٥) الصحاح (١ / ١٣٠) (ربب).

(٦) المعجم الوسيط(٣٢١).

وهذا مذهب أكثر المفسرين:

قال ابن العربي: « { ربانيين } وهو منسوب إلى الرب ... وكأنه يقتدي بالرب سبحانه وتعالى في تيسير الأمور المجملة في العبد على مقدار بدنه من غذاء وبلاء» [1].

وقال السمعاني: « والرباني من طريق المعنى : هو أن يكون على دين الرب وعلى طريق الرب»[2].

وقال الزمخشري: « والرباني منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون كما يقال رقباني ولحياني وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته » [3].

وقال ابن عاشور: « ولكن كونوا ربانيين (أي ولكن يقول كونوا ربانيين أي كونوا منسوبين للربّ ، وهو الله تعالى ، لأنّ النسب إلى الشيء إنما يَكون لمزيد اختصاص المنسوب بالمنسوب إليه .ومعنى ذلك أن يَكونوا مخلصين لله دون غيره .

والربّاني نسبة إلى الرب على غير قياس كما يقال اللِّحياني لعظيم اللحية ، والشَّعراني لكثير الشعرَ»[4].

القول الرابع:

وذهب أبو عبيدة إلى أنّ العرب لم يعرفوا ربانيين[5]، فليست بعربية، وإنما هي عبرانية أو سريانية[6].

ومال لهذا القول: الراغب الأصفهاني فقد قال: "وقيل : رباني لفظ في الأصل

---

(١) أحكام القرآن (٢ / ٣٩)، وذكر مثله القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤ / ١٢٢).

(٢) تفسير السمعاني (١ / ٣٣٥).

(٣) الكشاف (١ / ٤٠٥).

(٤) التحرير والتنوير (٣/ ٢٩٥)، وانظر مثل هذا في تفسير أبي السعود (٢/ ٥٢)، وروح البيان (٢/ ٤٣).

(٥) مجاز القرآن (١ / ٩٧).

(٦) المعرب للجواليقي (ص: ١٦١).

سرياني، وأخلق بذلك ، فقلما يوجد في كلامهم"[1].

قال السمين الحلبي – بعد حكاية هذا القول عن الراغب -: « فقد اختار غير المختار؛ لأنا متى وجدنا لفظاً موافقاً للأصول اشتقاقاً ومعنىً فأي معنىً إلى ادعاء السريانية فيه » [2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – بعد ما حكى عن أبي عبيدة هذا القول -: « قلت: اللفظة عربية منسوبة إلى ربان السفينة الذي ينزلها ويقوم لمصلحتها، ولكن العرب في جاهليتهم لم يكن لهم ربانيون لأنهم لم يكونوا على شريعة منزلة من الله عز وجل، فلهذا لم يشتهر هذا الاسم عنهم »[3].

الترجيح:

بالنظر إلى هذه الأقوال، يظهر لي – والعلم عند الله – ترجيح ما ذهب إليه الطبري – رحمه الله – ومن وافقه من العلماء، أنّ "الرباني" منسوب إلى "ربان"، وليس إلى "الرب"؛ وذلك لوجوه[4]:

١- أنه إذا كان منسوباً إلى الرب فإنه يلزم منه القول بزيادة الالف والنون فيه، والأصل عدم الزيادة في النسبة، كيف وقد وجد ما يمكن التخريج عليه، دون حاجة إلى مخالفة الأصل.

٢- أن نسبتهم إلى الرب لا اختصاص فيها لهم بذلك، بل كل عبد له فهو منسوب إليه إما نسبة عموم أو خصوص، ولم يسم الله أولياءه المتقين ربانيين ولا سمى

(١) مفردات القرآن (١ / ٣٣٧).

(٢) عمدة الحفاظ (٢/ ٦٢).

(٣) مجموع الفتاوى (١/ ٦٣)، جامع المسائل لابن تيمية (٣/ ٦٥ – ٦٦).

(٤) هذه الوجوه منقولة بتصرف من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية النفيس في مجموع الفتاوى (١/ ٦١-٦٢)، جامع المسائل لابن تيمية (٣/ ٦٤).

به رسله وأنبياءه فإن الرباني من يرب الناس كما يرب الرباني السفينة ولهذا كان الربانيون يذمون تارة ويمدحون أخرى ولو كانوا منسوبين إلى الرب لم يذموا قط.

٣- أنه إذا قدر أنهم منسوبون إلى الرب : فلا تدل النسبة على أنهم علماء، نعم تدل على إيمان وعبادة وتأله وهذا يعم جميع المؤمنين؛ فكل من عبد الله وحده لا يشرك به شيئا فهو متأله عارف بالله، والصحابة كلهم كذلك ولم يسموا ربانيين ولا ربيين وإنما جاء أن ابن الحنفية قال لما مات ابن عباس : اليوم مات رباني هذه الأمة وذلك لكونه يؤدبهم بما آتاه الله من العلم.

فالراجح هو ما ذهب إليه الطبري، وذلك يؤكّد تعمقه ورسوخه في علم العربية لغة واشتقاقاً وتصريفاً؛ لذا قال العلامة الشيخ أبو فهر محمود محمد شاكر - رحمه الله – معلقاً على ما رجحه الطبري هنا -: « هذا التفسير قلَّ أن تجده في كتاب من كتب اللغة، وهو من أجود ما قرأت في معنى الرباني، وهو من أحسن التوجيه في فهم معاني العربية ، والبصر بمعاني كتاب الله. فرحم الله أبا جعفر رحمة ترفعه درجات عند ربه»[1].

وقد ورد عن السلف – في صفة من يستحق أن يقال له رباني- أقوال متنوعة: فقيل: إنهم الفقهاء العلماء، وقيل: الحكماء العلماء، وقيل: الحكماء الأتقياء، وقيل غير ذلك[2]، وكلها أقوال متقاربة، تدخل في معنى الرباني؛ الذي يربُّ الناسَ ويُصْلح أمورهم؛ لذا قال الطبري: " فإذا كان الأمر في ذلك على ما وصفنا ، وكان الربان ما ذكرنا ، والرباني: هو المنسوب إلى من كان بالصفة التي وصفت، وكان العالم بالفقه

---

(١) انظر: جامع البيان بتحقيق شاكر (٦ / ٥٤٤) ، الحاشية رقم (٢).

(٢) انظر: جامع البيان (٦ / ٥٤٠- ٥٤٣)، الكشف والبيان (٣/ ١٠٢)، زاد المسير (١/ ٤١٣)، معاني القرآن (١/ ٤٢٨-٤٢٩)، المحرر الوجيز (١ / ٤٧٩)، تفسير القرطبي (٤/ ١٢٢)، التفسير الكبير (٨/ ٩٨)، البحر المحيط (٢/ ٥٢٩-٥٣٠)، النكت والعيون (١/ ٤٠٥).

والحكمة من المصلحين، يرب أمور الناس بتعليمه إياهم الخير، ودعائهم إلى ما فيه مصلحتهم ، وكان كذلك الحكيم التقي لله ، والولي الذي يلي أمور الناس على المنهاج الذي وليه المقسطون من المصلحين أمور الخلق بالقيام فيهم ، بما فيه صلاح عاجلهم وآجلهم، وعائدة النفع عليهم في دينهم ودنياهم ؛ كانوا جميعا مستحقين أنهم ممن دخل في قوله عز وجل ﴿ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ ﴾ فالربانيون إذاً: هم عماد الناس في الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا ... والرباني : الجامع إلى العلم والفقه البصر بالسياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية ، وما يصلحهم في دنياهم ودينهم » [1].

---

(١) جامع البيان (٥/ ٥٣٠- ٥٣١).

{ الربيون }

قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٦

قال أبو جعفر الطبري[1]: « وأما الربيون ، فإن أهل العربية اختلفوا في معناه ، فقال بعض نحويي البصرة : هم الذين يعبدون الرب ، واحدهم ربي.

وقال بعض نحويي الكوفة : لو كانوا منسوبين إلى عبادة الرب لكانوا ربيون بفتح الراء ، ولكنهم العلماء والألوف.

والربيون عندنا: الجماعات الكثيرة ، واحدهم ربي ، وهم جماعة » .

الدرسة والتحليل:

ذكر الإمام الطبري – رحمه الله – قولين في معنى هذه المفردة {ربيون} :

القول الأول: أنهم الذين يعبدون الرب، فكأنه نسبة إلى الرب.

القول الثاني: أنها الجماعات الكثيرة، واحدهم: ربي، وهم جماعة.

وهذا الذي اختاره الطبري، وهو قول جمهور السلف والخلف من اللغويين والمفسرين.

فممن ذهب لهذا القول من اللغويين وأصحاب الغريب:

أبو عبيدة، قال: " الرِّبِّيّون : الجماعة الكثيرة ، والواحد منها رِبِّيٌّ "[2].

وقال **ابن قتيبة:** ﴿ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ ﴾ أي جماعات كثيرة، ويقال الألوف[3].

وقال **السجستاني:** "﴿ رِبِّيُّونَ ﴾: جماعات كثيرة . الواحد ربي"[4].

---

(١) جامع البيان – (٦ / ١١١).

(٢) مجاز القرآن (١ / ١٠٤).

(٣) تفسير غريب القرآن (١١٣).

(٤) غريب القرآن (٢٤٦).

وهذا القول غير مخالف لقول من فسرها بـ: **الألوف**. كالفراء[1]، وابن الأنباري[2]، والجوهري[3]، وهذا مفهوم من كلام ابن قتيبة السابق.

وذكره غير واحد من أهل الغريب[4].

وأصله – على هذا – من الربة، وهي الجماعة، يقال للجمع ربي، كأنه نسب إلى الربة، ثم يجمع ربي بالواو والنون، فيقال: ربيون[5].

وهي ثلاث لغات: الرِّبّة والرُّبّة والرَّبّة[6].

القول الآخر:

ذهب بعض أهل اللغة إلى أنّ {الربيون} منسوب إلى الرب كالربانيين، قالوا: وإنما كسرت راؤه تغييرا في النسب نحو : « إمسي » بالكسر منسوب إلى « أمس » . وقيل : كسر للإتباع[7].

وهذا الذي أشار إليه الطبري بقوله: " **فقال بعض نحويي البصرة: هم الذين يعبدون الرب ، واحدهم ربي** ".

---

(١) معاني القرآن له (١ / ٢٣٧).

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس (١ / ١٦١).

(٣) الصحاح في اللغة (١ / ١٤٩).

(٤) كمكي في تفسير المشكل من غريب القرآن (١٣٣) والهروي في الغريبين (٣/ ٦٩٩)، والرازي في تفسير غريب القرآن العظيم (١٠٤)، وابن المنير في التيسير العجيب (٥٤)، والخزرجي في نفس الصباح (١/ ٢٥٥)، والمارديني في بهجة الأريب (٦٦).

(٥) تفسير غريب القرآن (١١٣)، وانظر: تفسير المشكل من غريب القرآن (١٣٣)، المخصص لابن سيده (١ / ٣١٧).

(٦) انظر: جمهرة اللغة (٢ / ٢٣٣).

(٧) الدر المصون (١ / ٩٤٩).

ويقصد بهذا: **الأخفش**، فقد نقل أبو العباس **ثعلب** عنه قوله: "الرِّبيون : مَنْسوبون إلى الرَّبّ"، ثم قال: يَنْبغي أن تُفتح الرَّاء على قوله[1].

فالأخفش هو المقصود بقول الطبري هنا: **بعض نحويي البصرة**.

وثعلب هو المقصود بقوله هنا: **بعض نحويي الكوفة**.

وممن ذهب إلى هذا أيضاً: ابن فارس؛ حيث يقول: « والرِّبِّيُّ: العارف بالرَّبّ»[2].

وقال الراغب: « وقوله تعالى : ﴿رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ ، فالربي كالرباني »[3].

قال السمين: « وقوله: ﴿مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ جمع ربي، وهو العالم أيضاً، قيل هو نسبة إلى الرب، غير في النسب نحو دهري »[4].

وقال الزّجاج : ربِّيّون ، بكسر الراء وضمها ، وهم الجماعةُ الكَثِيرة، وقال بعضُهم : الرَّبّة : عَشرة آلاف، وقيل : الرِّبِّيون : العُلماء الأَتْقياء الصُّبُر، وكلا القَوْلين حَسَنٌ جَميل"[5].

---

(١) تهذيب اللغة (١٥ / ١٢٩).

(٢) مقاييس اللغة (٢ / ٣٨٢).

(٣) مفردات القرآن (١/ ٣٣٧).

(٤) عمدة الحفاظ (٢/ ٦١– ٦٢)، قال المحقق: ثمة اضطراب في النص، ولعله يريد: نسبة إلى الرب على غير قياس في النسب.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (١ / ٤٧٦).

الترجيح:

بالنظر إلى هذين القولين الواردين في تفسير لفظة {الربيون}، يظهر لي – والعلم عند الله – أنّ ما ذهب إليه الطبري، هو الأولى والأرجح لما يأتي:

١- أنه قول جمهور المفسرين من السلف والخلف[1]، بل حكى بعضهم الإجماع عليه، والقاعدة: أن تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ[2].

٢- صحة الرواية به عن جمع من الصحابة والتابعين، كابن عباس، وابن مسعود، ومجاهد، وقتادة، وغيرهم.

٣- أن استعمال لفظ الربي نسبة للرب ليس معروفا في اللغة بل المعروف فيها هو الأول. وعلى وجوده فإنما يتوجه على قراءة الراء بالفتح، أما على القراءة المشهورة، بالكسر، وعلى قراءة الضم[3]، فلا يمكن توجيهه إلا بتكلف، فعلم أنها لغات[4].

٤- ويرد على الذين جعلوا {الربيين} كالربانيين بوجوه منها[5]:

أ- أنه لو كان المراد بالربيين الربانيين الذين يربون الناس، لما كانوا كثيرين، لأن هؤلاء لا يكونون في القوم إلا قليلاً، وذلك مخالف لنص الآية.

---

(١) قال ابن تيمية: والربيون الكثير عند جماهير السلف والخلف: هم الجماعات الكثيرة. مجموع الفتاوى (١ / ٥٨).

(٢) انظر: قواعد الترجيح (١ / ٢٨٨).

(٣) قراءة جمهور القراء هي بكسر الراء، وما عداها فشاذة، ونسبت قراءته بالضم إلى علي وابن مسعود وابن عباس وعكرمة والحسن وأبي رجاء وعمرو بن عبيد وعطاء بن السائب، كما نسبت قراءتها بالفتح إلى ابن عباس، انظر: المحتسب (١/ ١٧٢)، وإتحاف فضلاء البشر (١/ ٢٢٩).

(٤) انظر مجموع الفتاوى (١ / ٥٨). قال ابن عطية: ويقوي هذا القول في قراءة من قرأ ربيون بفتح الراء وأما في ضم الراء وكسرها فيجيء على تغيير النسب كما قالوا في النسبة إلى الحرم حرمي بكسر الحاء وإلى البصرة بصري بكسر الباء وفي هذا نظر. المحرر الوجيز (١/ ٥٥٠).

(٥) مختصرة من مجموع الفتاوى لابن تيمية (١ / ٥٨).

ب- أن أصحاب الأنبياء لم يكونوا كلهم ربانيين وإن كانوا قد أعطوا علما ومعهم الخوف من الله عز وجل.

ج- أن الأمر بالجهاد والصبر لا يختص بهم ، فالله تعالى يأمر بالصبر والثبات كل من يأمره بالجهاد سواء كان من الربانيين أو لم يكن، ولا مناسبة في تخصيصهم بالذكر دون غيرهم.

{ حسيباً }

قال الله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ۝٦﴾ النساء: ٦

قال أبو جعفر الطبري /: « وكفى بالله كافيا من الشهود الذي يشهدهم والي اليتيم على دفعه مال يتيمه إليه ...

يقال منه: قد أحسبني الذي عندي ، يراد به : كفاني ، وسمع من العرب : لأحسبنكم من الأسودين ، يعني به : من الماء والتمر ، والمحسب من الرجال : المرتفع الحسب ، والمحسب: المكفي »[1].

وقال عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ۝٨٦﴾ النساء: ٨٦:

« وأصل الحسيب في هذا الموضع عندي فعيل من الحساب الذي هو في معنى الإحصاء، يقال منه: حاسبت فلانا على كذا وكذا، وفلان حاسبه على كذا وهو حسيبه، وذلك إذا كان صاحب حسابه .

وقد زعم بعض أهل البصرة من أهل اللغة أن معنى الحسيب في هذا الموضع : الكافي، يقال منه : أحسبني الشيء يحسبني إحسابا ، بمعنى : كفاني ، من قولهم : حسبي كذا وكذا.

وهذا غلط من القول وخطأ، وذلك أنه لا يقال في أحسبنى الشيء : أحسبنى على الشيء فهو حسيب عليه، وإنما يقال: هو حسبه وحسيبه، والله يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ۝٨٦﴾ »[2].

---

(١) جامع البيان – (٦/ ٤٢٩)

(٢) جامع البيان (٧/ ٢٧٨ – ٢٨٩)

وقال عند قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ الأنعام: ٩٦ (١):

والحسبان في كلام العرب : جمع حساب، كما الشهبان جمع شهاب ، وقد قيل : إن الحسبان في هذا الموضع مصدر من قول القائل : حَسَبْتُ الحسابَ أحسُبه حسابا وحُسبانا، وحكي عن العرب : على الله حسبان فلان وحسبته : أي حسابه.

وأحسب أن قتادة في تأويل ذلك بمعنى الضياء ، ذهب إلى شيء يروى عن ابن عباس في قوله: ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الكهف: ٤٠ ، قال : نارا ، فوجَّهَ تأويلَ قوله : ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ إلى ذلك التأويل، وليس هذا من ذلك المعنى في شيء.

وأما (الحسبان) بكسر الحاء ، فإنه جمع الحسبانة : وهي الوسادة الصغيرة ، وليست من الأولين أيضا في شيء ، يقال : حسبته : أجلسته عليها(٢).

الدراسة والتحليل:

في هذه المفردة القرآنية يظهر جليا تبحّر الإمام الطبري في علم اللغة العربية، واطلاعه على وجوه مفرداتها وتصرفاتها.

ففي ثلاث آيات مما ورد فيها مفردة (حسيب) فسرها بمعنيين:

١- الكفاية، وفسر به قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ۝٦﴾.

٢- المحاسبة التي من الإحصاء، وفسر به قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ۝٨٦﴾ ، ورد على أبي عبيدة معمر بن المثنى الذي فسره بالمعنى الأول، حيث يقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ۝٨٦﴾: أي كافيا مقتدرا ، يقال : أحسبني

---

(١) سورة النساء، الآية (٨٦).

(٢) جامع البيان (٩/ ٤٣٠-٤٣١).

هذا أي كفاني[1].

وقد احتج الطبري على ما ذهب إليه بتعدية الفعل بحرف الجر، وذلك لا يكون في ما معناه الكفاية.

وتطرق في الآية الثالثة إلى كلمة (حسبان) التي ترجع مع كلمة (حسيب) إلى المعنى الثاني.

ولم أقف على من ذهب إلى ما ذهب إليه الطبري، غير الإمام أبي جعفر النحاس، الذي نقل مثل ما ذكره الطبري هنا حيث يقول: « ثم قال – عز وجل –: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ قال مجاهد أي حفيظاً، والحسيب عند بعض أهل اللغة البصريين الكافي يقال أحسبه إذا كفاه ومنه: ﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾ النبأ: ٣٦ ، ومنه: ﴿حَسۡبُكَ﴾. وهذا عندي غلط؛ لأنه لا يقال في هذا أحسب على الشيء فهو حسيب عليه، إنما يقال بغير على، والقول: أنه من الحساب يقال حاسب فلاناً على كذا وهو محاسبه عليه وحسيبه أي صاحب حسابه »[2].

والذي يبدو لي أن الإمام أبا جعفر النحاس قد تراجع عن هذا القول في كتابه إعراب القرآن؛ حيث يقول: « ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ قيل محاسبا كما قال أكيل بمعنى مواكل، وقال مجاهد حسيبًا: حفيظًا، وقال أبو عبيدة: كافيًا، قال أبو جعفر: **وهذا أبينها**؛ يقال: أحسبني الشيء أي كفاني، ومنه: ﴿حَسۡبُكَ ٱللَّهُ﴾ الأنفال: ٦٤، وقد بينت أن هذا خطأ في الكتاب الآخر»[3].

وبالنظر إلى أقوال أهل العلم من اللغويين والمفسرين في كلمة (حسيب) يتبين أنها تطلق ويراد بها المعنيان اللذان ذكرهما الطبري، سواء عدي بعلى أو لم يعد بها.

---

(١) مجاز القرآن (١/ ١٣٥).

(٢) معاني القرآن (٢ / ١٥٠ – ١٥١).

(٣) إعراب القرآن (١ / ٤٧٧ – ٤٧٨).

قال أهل اللغة:

قال سيبويه وأما حسب فمعناها الاكتفاء، ومررت برجل حسبك من رجل أي كافيك لا يثنى ولا يجمع لأنه موضوع موضع المصدر[1].

وقال ابن فارس – بعد أن ذكر أن لهذه المفردة أصولاً أربعة [2]-: « والأصل الثاني: الكِفاية. تقول شيء حِسَابٌ، أي كافٍ. ويقال: أحسَبْتُ فلاناً، إذا أعطيتَه ما يرضيه؛ وكذلك حَسَّبْته »[3].

وقال في القاموس: « ... وحَسْبُكَ دِرْهَمٌ: كَفاكَ . وشَيءٌ حِسابٌ : كافٍ ومنه : عَطاءً حِساباً. وهذا رجلٌ حَسْبُكَ من رَجُلٍ أي: كافٍ لَكَ من غَيْرِهِ للواحِدِ والتَّثْنِيَةِ والجمعِ. وحَسِيبُكَ اللهُ أي: انْتَقَمَ اللهُ مِنك. و كَفَى بِاللهِ حَسِيباً أي : مُحاسِباً أو كافِياً»[4].

وقال الفراء في قوله تعالى : ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ٦﴾ ، وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ٨٦﴾ « أي محاسبا ، أو يكون بمعنى كافيا، أي يعطي كل شيء من العلم والحفظ والجزاء بمقدار ما يحسبه، أي يكفيه ، تقول حسبك هذا أي اكتف بهذا »[5].

وكذا ذكر غير واحد من أهل اللغة والمعاجم كون (الحسيب) يطلق على المعنيين

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم (٣/ ٢٠٦).

(٢) وهي: ١- العد، تقول: حَسَبْتُ الشيءَ أَحْسُبُه حَسْباً وحُسْباناً، ومنه: الحسبان بمعنى الظن، والحسب الذي يُعَدُّ من الإنسان. ٢- الكفاية. ٣- الحُسْبَانُ، وهي جمع حُسبانَةٍ، وهي الوِسادة الصغيرة. ٤- الأحسب الذي ابيضَّت جِلدتُه من داءٍ ففسدت شَعرته، كأنَّه أبرص.

(٣) مقاييس اللغة (٢ / ٥٩).

(٤) القاموس المحيط (ص: ٩٤).

(٥) تاج العروس (٢/ ٢٧٣)، وذكر الأزهري مثله عن أبي إسحاق النحوي انظر: تهذيب اللغة (٢/ ٤٢).

دون تفرقة بين ما هو معدّى بنفسه أو معدّى بعلى[1].

وقال الزجاج: " (الحسيب) يجوز أن يكون من حسبت الحساب، ويجوز أن يكون أحسبني الشيء إذا كفاني. فالله تعالى (محسب) أي: كاف فيكون فعيلاً في معنى مفعل كأليم ونحوه[2].

وهذا مذهب أصحاب الغريب أيضاً:

قال ابن قتيبة: « ومنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ۝٨٦﴾ ؛ أي: كافيًا. من قولك: "أَحْسَبَني هذا الشيءُ"، أي: كفاني، و"اللهُ حَسِيبي وحسيبُك" أي: كافينا؛ أي: يكون حَكَمًا بيننا كافيًا. قال الشاعر:

وَنُقْفِي وَلِيدَ الْحَيِّ: إنْ كَانَ جَائِعًا وَنُحْسِبُهُ: إنْ كَانَ لَيْسَ بِجَائِعِ[3].

أي: نُعطيه ما يَكفيه، حتى يقولَ: حَسْبِي »[4].

وقال عند قوله تعالى: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ الإسراء: ١٤ « أي كافيًا . ويقال: حاسبًا ومُحَاسبًا »[5].

وقال السجستاني: «{حسيباً}: فيه أربعة أقوال : كافياً ومقتدراً وعالماً ومحاسباً»[6].

---

(١) انظر: المحيط في اللغة (١/ ٢٠١)، لسان العرب (١/ ٣١٠).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى (ص: ٤٩).

(٣) لم أجده منسوبا، وهو في الصحاح (١/ ١١٠)، واللسان (١٠/ ٣١٠)، وفيه أنها لامرأة من بني قشير.

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة (ص ١٧).

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٢٥٣).

(٦) غريب القرآن للسجستاني (ص: ١٨٧).

وذكر مثله ابن الهائم[1].

وقال الراغب الأصفهاني: " و (حسب) يستعمل في معنى الكفاية، ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ ﴾ آل عمران: ١٧٣ ، أي: كافينا هو، و ﴿ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ ﴾ المجادلة: ٨ ، ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ ﴾، أي: رقيبا يحاسبهم عليه[2].

وكذلك ذهب أهل التفسير إلى الجمع بين المعنيين:

قال الزمخشري – مؤكداً ما ردّه الطبري ، ومجيباً على علته –: "{ حَسِيباً } تمييز، وهو بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى ضاربها وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه، **وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا، ويجوز أن يكون بمعنى الكافي وضع موضع الشهيد فعدّي بعلى لأنّ الشاهد يكفي المدعي ما أهمه"**[3].

وقال الرازي: « ثم قال : ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾ أي هو محاسبكم على أعمالكم وكافي في إيصال جزاء أعمالكم إليكم فكونوا على حذر من مخالفة هذا التكليف، وهذا يدل على شدة العناية بحفظ الدماء والمنع من إهدارها »[4].

وقال القرطبي: ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ ﴾ أي كفى الله حاسبا لأعمالكم ومجازيا بها[5].

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾ معناه حفيظا. وقيل : كافيا ؛ من قولهم : أحسبني كذا أي كفاني ، ومثله حسبك الله. وقال قتادة : محاسبا كما يقال : أكيل بمعنى

---

(١) في التبيان في تفسير غريب القرآن (ص: ١٧٢)، ومثله في: الكليات (١ / ٦٤٨).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن (١ / ٢٣٣).

(٣) الكشاف (٢/ ٦١٠)، ونقل هذا القول البيضاوي في تفسيره بتصرف يسير، انظر: تفسير البيضاوي (١ / ٤٣٥).

(٤) التفسير الكبير (١٠ / ١٥٨).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٥ / ٤٥).

مواكل. وقيل : هو فعيل من الحساب ، وحسنت هذه الصفة هنا ؛ لأن معنى الآية في أن يزيد الإنسان أو ينقص أو يوفي قدر ما يجيء به[1].

وقال أبو حيان: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ أي : حاسباً من الحساب، أو محسباً من الإحساب، وهو الكفاية . فإما فعيل للمبالغة ، وإما بمعنى مفعل"[2].

وهكذا فسر جمع من المفسرين (الحسيب) بالمعنيين دون تفريق بين متعد بنفسه أو متعد بعلى[3].

وقد جاء عن السلف والمفسرين تفسيرات أخرى لكلمة (الحسيب) غير المعنيين المتقدمين:

فقد فسرها بعضهم بـ: (شهيداً)[4].

وفسرها آخرون بـ: (حفيظاً)[5].

وفسرها آخرون بـ: (رقيباً)[6]، وهذا تفسير باللازم.

الترجيح:

والذي يظهر رجحانه لي في هذا – والعلم عند الله تعالى – أن كلمة (الحسيب)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٠٥).

(٢) البحر المحيط (٣/ ٣٢٣).

(٣) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٢/ ١٤٠٧)، تفسير البيضاوي (١/ ٣٧٧)، البحر المحيط (٣/ ١٨٢)، (٧٢٢٨)، فتح القدير (١/ ٧٤٤)، (٤/ ٤٠٦).

(٤) كما أخرج ذلك الطبري في جامع البيان (٦/ ٤٢٩) مسنداً من طريق أسباط عن السدي، وحكي هذا القول عن ابن عباس ومقاتل، انظر: زاد المسير (٢/ ١٨)، والبحر المحيط (٣/ ١٨٢).

(٥) انظر: تفسير مجاهد (ص: ١٦٨).

(٦) كما تقدم في كلام الراغب الأصفهاني في مفردات ألفاظ القرآن (١/ ٢٣٣)، وانظر: عمدة الحفاظ (١/ ٤٠٣) وذكره ابن كثير مع غيره من الأقوال (١/ ٤٥٥).

- وهو اسم من أسماء الله تعالى – يطلق على هذه المعاني جميعاً:

فالله « (الحسيب): العليم بعباده، كافي المتوكلين، المجازي لعباده بالخير والشر بحسب حكمته وعلمه بدقيق أعمالهم وجليلها، وهو (الحسيب) بمعنى الرقيب المحاسب لعباده المتولي جزاءهم بالعدل، وبالفضل، وبمعنى الكافي عبده همومه، وغمومه.

وهو الحسيب أيضاً : الذي يحفظ أعمال عباده من خير، وشر، ويحاسبهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر »[1].

(١) انظر تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (ص: ٣٠ – ٣١) .

{ الجُنُب }

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ النساء: ٣٦

بعد ما سرد الإمام أبو جعفر الطبري – رحمه الله – **أقوال السلف من الصحابة والتابعين** في تفسير ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ ، رجّح القول بأن المراد بالجنب الغريب البعيد، فقال: « وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : معنى الجنب في هذا الموضع : الغريب البعيد، مسلما كان أو مشركا ، يهوديا كان أو نصرانيا ؛ لما بينا قبل أن الجار ذي القربى : هو الجار ذو القرابة والرحم ، والواجب أن يكون الجار ذو الجنابة الجار البعيد ، ليكون ذلك وصية بجميع أصناف الجيران ، قريبهم وبعيدهم»[1].

ثم عرّج على الأصل اللغوي لكلمة (الجنب) مستشهداً – كعادته – بالشواهد الشعرية، فقال: « وبعد فإن الجنب في كلام العرب البعيد كما قال أعشى بني قيس :

أَتَيْتُ حُرَيْثًا زَائِرًا عَنْ جَنَابَةٍ فَكَانَ حُرَيْثٌ فِي عَطَائِيَ جَامِدَا[2]

يعني بقوله : عن جنابة : عن بعد وغربة ، ومنه قيل : اجتنب فلان فلانا : إذا بعد منه، وتجنبه وجنبه خيره : إذا منعه إياه ؛ ومنه قيل للجنب : جنب ، لاعتزاله الصلاة حتى يغتسل .فمعنى ذلك : والجار المجانب للقرابة[3].

الدراسة والتحليل:

ما ذهب إليه الإمام الطبري – رحمه الله – في اشتقاق هذه الكلمة هو المعروف عند أهل اللغة.

(١) جامع البيان (٧/ ١٠).

(٢) ديوان الأعشى (ص: ٤٩)، وانظر: الكامل (ص: ٤٣٦).

(٣) جامع البيان (٧/ ١١).

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: « والجارُ الجُنُبُ الذي جاوَرَكَ من قَوْمٍ آخَرينَ ذو جَنابَةٍ لا قَرابَةَ له في الدارِ ولا في النَّسَبِ قالَ اللهُ - عَزَّ وجَلَّ - : ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ النساء: ٣٦[1].

وقال ابن دريد: "والجار الجُنُب والجَنيب : الغريب ، وكذلك فسِّر في التنزيل ، والله عز وجل أعلم"[2].

وقال أبو بكر ابن الأنباري: « الأصل في تجانب تباعد من ذلك قولهم قد تجنبتُ فلاناً إذا تباعدت منه ومن ذلك قولهم جارٌ جُنُبٌ للبعيد قال الله عز وجل ﴿ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ فمعناه والجار البعيد »[3].

وقال أيضاً: « وقولهم رجل أَجْنَبِيٌّ: معناه غريب ليست بينه وبين المذكور قرابة يقال رجل جُنُبٌ وجانب وأجنبي إذا كانت هذه صفته، ويقال ما يزورنا فلان إلا عن جنابة؛ يراد عن بعد، وكذلك قيل للغريب أجنبي لبعده عن وطنه قال الله عز وجل: ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾ القصص: ١١ أراد عن بعد، وقال عز وجل ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ النساء: ٣٦ فأراد بالجنب ما وصفناه »[4].

وهذا قول جمهور اللغويين[5]، ولا أعرف بينهم خلافاً فيه، يقال: جانَبَهُ وتَجَانَبَهُ واجْتنَبَهُ، ورجل أجنَبِيٌّ وأجْنَبَ وجُنُبٌ وجانِبٌ، و جَنَبَهُ الشيء وجنَّبَهُ تجنيباً، كلها دالة على معنى البعد الذي هو أصل من أصول (جنب).

---

(١) كتاب العين (٦ / ١٤٨)، وانظر مثله في: المحيط في اللغة (٧/ ١٢٨) .

(٢) الاشتقاق (ص: ٢١٢) .

(٣) الزاهر (١ / ٣٧٢).

(٤) المصدر السابق (٢/ ٢٤٤).

(٥) انظر أيضاً: تهذيب اللغة (٤/ ٢٤)، مختار الصحاح (١/ ١١٩) القاموس المحيط (ص: ٨٨)، الكليات (١ / ٥٤٩).

قال ابن فارس: « (جنب) الجيم والنون والباء أصلان متقاربان أحدهما: النّاحية، والآخر البُعْد »[1].

ولهذه المادة – على هذا المعنى – اشتقاقات عديدة في القرآن الكريم[2].

وهذا القول هو قول أصحاب المعاني والغريب:

قال الفراء: ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾: الجار الذي ليس بينك وبينه قرابة[3].

وقال أبو عبيدة[4]: « ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾: الغريب ، يقال : ما تأتينا إلا عن جنابة ، أي من بعيد ، قال علقمة بن عبدة :

فلا تَحْرِمَنِّي نائِلاً عن جَنابَةٍ ... فإنِّى امْرُؤٌ وَسْطَ القِبابِ غَرِيب[5]

وإنما هي من الاجتناب ، وقال الأعشى :

أَتَيْتُ حُرَيْثًا زَائِرًا عَنْ جَنَابَةٍ ... فَكَانَ حُرَيْثٌ فِي عَطَائِيَ جَامِدَا

وقال ابن قتيبة: ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ الغريب، والجنابة: البُعد. يقال: رجل جنب أي غريب[6].

وذكره غير واحد من المصنفين في غريب ومعاني القرآن الكريم[7].

---

(١) مقاييس اللغة (١ / ٤٢٩).

(٢) انظرها في: مفردات ألفاظ القرآن (١ / ١٩٥).

(٣) معاني القرآن (١ / ٢٦٧).

(٤) في مجاز القرآن (١ / ١٢٦).

(٥) ديوان علقمة (١٠٧)، وانظر: المفضليات (ص: ٧٨٩)، والكامل (ص: ٤٣٧).

(٦) غريب القرآن (١ / ١٢٦).

(٧) انظر: معاني القرآن للنحاس (٢/ ٨٣)، وتذكرة الأريب (١/ ١١٦)، والتبيان في تفسير غريب القرآن (١/ ١٦٦)، ومفردات ألفاظ القرآن (١ / ١٩٥).

وما رجحه الطبري في معنى الآية هو قول جمهور المفسرين.

قال الرازي: النوع الثامن : قوله : ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ وقد ذكرنا تفسيره. قال الواحدي : الجنب نعت على وزن فعل ، وأصله من الجنابة ضد القرابة وهو البعيد. يقال : رجل جنب إذا كان غريبا متباعداً عن أهله ، ورجل أجنبي وهو البعيد منك في القرابة. وقال تعالى : ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ﴾ إبراهيم: ٣٥ أي بعدني ، والجانبان الناحيتان لبعد كل واحد منهما عن الآخر ، ومنه الجنابة من الجماع لتباعده عن الطهارة وعن حضور المساجد للصلاة ما لم يغتسل ، ومنه أيضا الجنبان لبعد كل واحد منهما عن الآخر[1].

وقال ابن عاشور: « ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾: الجار الغريب الذي نزل بين القوم وليس من القبيلة ، فهو جُنُب ، أي بعيد ، مشتقّ من الجَانب[2].

وأجاز فريق من المفسرين أن يكون المراد بالجار الجنب البعيد في الجوار، ويكون المراد بالجار ذي القربى: قريب الدار.

قال الزمخشري: « ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾: الذي جواره بعيد وقيل الجار القريب النسب والجار الجنب الأجنبي[3].

وتابعه على هذا جمع من المفسرين[4].

قال الشوكاني: ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ المجانب وهو مقابل للجار ذي القربى والمراد من يصدق عليه مسمى الجوار مع كون داره بعيدة وفي ذلك دليل على تعميم الجيران بالإحسان إليهم سواء كانت الديار متقاربة أو متباعدة وعلى أن الجوار حرمة مرعية

(١) التفسير الكبير (١٠ / ٧٥).

(٢) التحرير والتنوير (٥/ ٥٠)، وانظر: الوجيز للواحدي (١/ ٢٦٤)، تفسير ابن أبي زمنين (١/ ١٢٣)، الجامع لأحكام القرآن (٥ / ١٨٣)، تفسير ابن كثير (٢ / ٢٩٨).

(٣) الكشاف (١ / ٥٤١).

(٤) انظر: تفسير البيضاوي (١ / ١٨٧)، التسهيل (١/ ٢٦٠)، تفسير الجلالين (ص: ١٠٦).

مأمور بها، وفيه رد على من يظن أن الجار مختص بالملاصق دون من بينه وبينه حائل أو مختص بالقريب دون البعيد[1].

قال ابن عطية: « وكأن هذا القول منتزع من الحديث قالت عائشة ك يا رسول الله إن لي جارين فإلى أيهما أهدي قال: إلى أقربهما منك بابا» [2].

وروي عن بعض السلف أن: { الجار الجنب } هو الجار اليهودي والنصراني[3]، فهي عنده قرابة الإسلام وأجنبية الكفر[4].

الترجيح:

هذان القولان الأخيران، وإن كانا لا يخرجان عن الأصل اللغوي لكلمة (الجنب) إذ يصدق عليهما أنهما بعيدان إلا أن القول الأول هو الراجح؛ لأمور:

١- أنه قول جمهور السلف من الصحابة والتابعين، فقد روي عن ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، وعكرمة[5]، والضحاك، وابن زيد، والسدي[6]، وقول جمهور السلف

---

(١) فتح القدير (١ / ٦٩٩).

(٢) المحرر الوجيز (٢ / ٦١)، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الشفعة ، باب أي الجوار أقرب رقم (٢٢٥٩) ، وفي كتاب الهبة ، باب بمن يبدأ بالهدية ؟ رقم (٢٥٩٥) ، وفي كتاب الأدب ، باب حق الجوار في قرب الأبواب رقم (٦٠٢٠).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧ / ١٠) عن نوف الشامي.

(٤) المحرر الوجيز (٢ / ٦١).

(٥) **عكرمة**: هو العلامة الحافظ المفسر عكرمة بن عبد الله المدني، البربري الأصل، أبو عبد الله القرشي مولاهم، من تلاميذ ابن عباس -رضي الله عنهما-، توفي سنة (١٠٤هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ١٢-٣٦)، وتقريب التهذيب (ص٣٩٧).

(٦) انظر: جامع البيان (٧/ ٩ - ١٠).

مقدم على كل قول شاذ[1].

٢- أنه أعم الأقوال؛ إذ يدخل في الآية - مع تفسير ذي القربى بالقريب في النسب - جميع أصناف الجيران سواء منهم المسلم أو الكافر، الملاصق الدار أو غيره، والقاعدة: أن الأصل بقاء اللفظ على عمومه ما لم يرد نص بخصوصه[2].

٣- أن تفسير الجار ذي القربى بقريب الدار ، والجُنُبُ ببعيدها ، بعيد، لأنّ القربى لا تعرف في القرب المكاني[3].

(١) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (١/ ٢٨٨).

(٢) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/ ٥٢٧).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (٥ / ٥٠).

{ واهجروهن }

قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ النساء: ٣٤

في تفسير قوله تعالى (واهجروهن) أورد الإمام الطبري اختلاف أهل التأويل من السلف فيه[1]:

١- فقال بعضهم: المراد: اهجروا جماعهن. وأخرج ذلك عن ابن عباس، وسعيد، والضحاك، والسدي.

٢-وقال آخرون: المراد: اهجروا كلامهن. وأخرج ذلك أيضاً عن ابن عباس، وسعيد، وعكرمة.

٣- وقال بعضهم: المراد: ترك مضاجعتهن على فراش. وروى ذلك عن مجاهد، وقتادة، والشعبي، وإبراهيم النخعي، ومحمد بن كعب القرظي، والحسن البصري.

٤- وقال آخرون: المراد: قولوا لهن هجرا من القول في تركهن مضاجعتكم. وروى ذلك عن ابن عباس وعكرمة أيضاً، وأبي الضحى.

ثم قال الطبري: « ولا معنى للهجر في كلام العرب إلا على أحد ثلاثة أوجه :

أحدها: هجر الرجل كلام الرجل وحديثه ، وذلك رفضه وتركه ، يقال منه : هجر فلان أهله يهجرها هجرا وهجرانا.

والآخر : الإكثار من الكلام بترديد كهيئة كلام الهازئ ، يقال منه : هجر فلان في كلامه يهجر هجرا إذا هذى ومدد الكلمة ، وما زالت تلك هجيراه وإهجيراه ، ومنه قول ذي الرمة :

---

(١) جامع البيان (٦/ ٧٠٥- ٧٠٧).

رَمَى فَأَخْطأَ وَالأَقْدَارُ غَالِبَةٌ فَانْصَعْنَ وَالْوَيْلُ هِجِّيرَاهُ وَالْحُرْبُ [١]

والثالث : هجر البعير إذا ربطه صاحبه بالهجار ، وهو حبل يربط في حقويها ورسغها ، ومنه قول امرئ القيس :

رَأَتْ هَلَكًا بِنَجَافِ الْغَبِيطِ فَكَادَتْ تَجُدُّ لِذَاكَ الْهِجَارَا [٢]

فأما القول الذي فيه الغلظة والأذى فإنها هو الإهجار ، ويقال منه : أهجر فلان في منطقه : إذا قال الهجر وهو الفحش من الكلام ، يهجر إهجارا وهجرا .

فإذ كان لا وجه للهجر في الكلام إلا أحد المعاني الثلاثة ، وكانت المرأة المخوف نشوزها إنما أمر زوجها بوعظها لتنيب إلى طاعته فيما يجب عليها له من موافاته عند دعائه إياها إلى فراشه ، فغير جائز أن تكون عظته لذلك ، ثم تصير المرأة إلى أمر الله وطاعة زوجها في ذلك ثم يكون الزوج مأمورا بهجرها في الأمر الذي كانت عظته إياها عليه.

وإذ كان ذلك كذلك بطل قول من قال : معنى قوله : ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ واهجروا جماعهن.

أو يكون - إذ بطل هذا المعنى - بمعنى : واهجروا كلامهن بسبب هجرهن مضاجعكم ، وذلك أيضا لا وجه له مفهوم لأن الله تعالى ذكره قد أخبر على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم أنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث . على أن ذلك لو كان حلالا لم يكن لهجرها في الكلام معنى مفهوم ، لأنها إذا كانت عنه منصرفة وعليه ناشزا فمن سرورها أن لا يكلمها ولا يراها ولا تراه ، فكيف يؤمر الرجل في حال بغض امرأته إياه وانصرافها عنه بترك ما في تركه سرورها من ترك جماعها ومحادثتها

---

(١) البيت لذي الرمة – كما نسبه الطبري – ، وهو في ديوانه(ص: ١٦).

(٢) البيت لامرئ القيس – كما نسبه الطبري –، وهو في ديوانه (ص: ٩٣)، وانظر: تهذيب اللغة (٦/ ١٣).

وتكليمها ، وهو يؤمر بضربها لترتدع عما هي عليه من ترك طاعته إذا دعاها إلى فراشه ، وغير ذلك مما يلزمها طاعته فيه ؟

أو يكون - إذ فسد هذان الوجهان - يكون معناه : واهجروا في قولكم لهم ، بمعنى : ردوا عليهن كلامكم إذا كلمتموهن بالتغليظ لهن ، فإن كان ذلك معناه ، فلا وجه لإعمال الهجر في كناية أسماء النساء الناشزات ، أعني في الهاء والنون من قوله: ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ ﴾ لأنه إذا أريد به ذلك المعنى ، كان الفعل غير واقع ، إنما يقال : هجر فلان في كلامه ولا يقال : هجر فلان فلانا .

فإذا كان في كل هذه المعاني ما ذكرنا من الخلل اللاحق ، فأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يكون قوله: ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ ﴾ موجها معناه إلى معنى الربط بالهجار على ما ذكرنا من قول العرب للبعير إذا ربطه صاحبه بحبل على ما وصفنا : هجره فهو يهجره هجرا[1].

الدراسة والتحليل:

هذا من الأمثلة النادرة في تفسير الطبري في تعامله – رحمه الله – مع أقوال السلف وما يوجد للكلمة من وجه في اللغة العربية.

فقد كان منهجه مبنياً – كما سبق – على عدم الاعتماد على شيء من التفسير باللغة إذا كان خارجاً عن المأثور عن السلف؛ إذ وجدناه يرد أقوالاً عديدة لعلماء اللغة – أمثال الفراء وأبي عبيدة – لمخالفتها أقوال أهل التأويل من السلف، بل لعدم وجود قائل بها منهم.

أما في هذا المثال فقد رجح الطبري قولاً لم يرد عن أحد من السلف، وهو مخالف

---

(١) جامع البيان (٦/ ٦٩٩- ٧٠٤).

لأقوالهم[1].

وبالرجوع إلى مادة (هجر) في اللغة العربية نجد أنها تدل على معنيين.

١- القطع والصرم، فالهجر ضد الوصل، وكذلك الهِجْران، وهَجَره يَهْجُرُه هَجْراً وهِجْراناً صَرَمَه وهما يَهْتَجِرانِ ويَتَهاجَرانِ.

٢- شَدُّ شيءٍ ورَبْطِه، وشدّ بعيره بالهجار وهو حبل يشدّ به يده إلى رجله ، فهو مهجور.

ومن الأول: الهُجْر: وهو الإفحاش في المَنْطِق، يقال: أَهْجَرَ الرّجُل في مَنْطِقه[2].

فتبين أنّ أقوال السلف السابقة ليست خارجة عن أصل الكلمة اللغوي، كذلك ما اختاره الطبري.

أما أصحاب غريب القرآن ومعانيه فلم يتعرض أكثرهم لتفسير هذه الكلمة، ومن تعرض لها الزجاج فقال: « وقوله عز وجل: ﴿ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾ أي في النوم معهن، والقرب منهن »[3].

والنحاس وقال: « واهجروهن في المضاجع قال سفيان من غير ترك الجماع »[4].

والراغب الأصفهاني بقول: « الهجر والهجران: مفارقة الإنسان غيره؛ إما بالبدن؛ أو باللسان؛ أو بالقلب. قال تعالى: ﴿ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾ كناية عن عدم

(١) ولهذا حرصت على إدخال هذا النموذج في الدراسة التطبيقية، وإن كانت الكلمة لم يتعرض لها كثير من أصحاب الغريب – كما سيأتي –.

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٦ / ٣٤)، وفقه اللغة (١ / ٩٥٠)، وأساس البلاغة (١ / ٤٩٧)، والمخصص (٤ / ٣٩٠)، ولسان العرب (٥ / ٢٥٠).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢ / ٤٧).

(٤) معاني القرآن (٢ / ٧٩).

قربهن »[1].

أما المفسرون فحكى أكثرهم أقوال السلف الأربعة، ومنهم من يرجح ويختار[2]، ومنهم من يكتفي بسردها دون اختيار[3].

أما ما ذهب إليه الطبري رحمه الله فقد ردّه كثير من العلماء، وتتابعوا في نقده، وعدوه زلة قدم لهذا العالم الجليل.

فهذا الزمخشري يقول – بعد حكايته للقول من غير تعيين قائله – : « وهذا من تفسير الثقلاء »[4].

ويقول ابن العربي – وهو ممن أطنب في الرد على هذا القول – يقول: « يا لها هفوة من عالم بالقرآن والسنة ... وعجبا له مع تبحره في العلوم وفي لغة العرب كيف بعد عليه صواب القول، وحاد عن سداد النظر ... إلى أن قال: وإذا ثبت هذا ، وكان مرجع الجميع إلى البعد فمعنى الآية: أبعدوهن في المضاجع، ولا يحتاج إلى هذا التكلف الذي ذكره العالم ، وهو لا ينبغي لمثل السدي والكلبي فكيف أن يختاره الطبري »[5].

واستدرك عليه ابن عطية بقوله: « ورجح الطبري منزعه هذا وقدح في سائر الأقوال وفي كلامه في هذا الموضع نظر »[6].

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن (٢ / ٤٦٤).

(٢) كابن العربي والقرطبي.

(٣) انظر: . أحكام القرآن للجصاص (٣ / ١٥٠)، وزاد المسير (٢/ ٧٦)، وتفسير ابن كثير (٢ / ٢٩٤)، و فتح القدير (١ / ٦٩٤)، وغيرها.

(٤) الكشاف (١ / ٥٠٧).

(٥) أحكام القرآن لابن العربي (٢ / ٢٩٢- ٢٩٣) (باختصار).

(٦) المحرر الوجيز (٢ / ٥٩).

ووصفه غير واحد من العلماء بالتكلف[1].

ونقل القرطبي اعتراض ابن عطية وابن العربي وأقر نقدهما عليه[2]، كما نقل أبو حيان والآلوسي قول الزمخشري ورضيا عنه[3].

بل تعقب الآلوسي قول ابن المنير الذي أراد الاعتذار للطبري ووصف إطلاق الزمخشري بالإفراط[4]، عقبه بقوله: « وأظن أن هذا لو عرض على الزمخشري لنظم قائله في سلك ذلك المفسر ولعد تركه من التفريط»[5].

الترجيح:

الذي يظهر لي – والعلم عند الله – أن ما ذهب إليه الطبري – وإن كان محتملاً في اللغة – غير صحيح؛ لخروجه عن أقوال السلف من الصحابة والتابعين، ولتتابع العلماء عليه بالرد والتضعيف، ولما فيه من الإهانة للمرأة والوضع من كرامتها[6].

أما الراجح مما ذكره السلف فيظهر لي أن الأقوال المذكورة كلها محتملة؛ إذ مرجعها كلها إلى البعد، فيحمل لفظ الهجران عليها كلها على التدرج، إلا ما كان

---

(١) قال الصاحب بن عباد في فقه اللغة (١/ ٩٥٠): وزعم بعض متكلفي المفسرين في قوله تعالى : ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ أي : شدوهن بالهجار)، وجعله الكرماني في غرائب التفسير (١/ ٢٩٥) قولاً يتعجب منه، ونقل عن بعض أهل العلم أنه أنكر عليه، وقال: هذا تعسف.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٥ / ١٧١).

(٣) انظر: البحر المحيط (٣/ ٢٥٢) ، روح المعاني (٥ / ٢٥).

(٤) ونص كلام ابن المنير: « لعل هذا المفسر يتأيد بقوله تعالى : {فإن أطعنكم} ؛ فإنه يدل على تقدم إكراه في أمر ما وقرينة المضاجع ترشد إلى أنه الجماع فإطلاق الزمخشري لما أطلقه في حق هذا المفسر من الإفراط". الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال المطبوع على حاشية الكشاف (١ / ٥٠٧).

(٥) روح المعاني (٥ / ٢٥).

(٦) انظر: استدراكات ابن عطية على الطبري (١/ ٤٩١).

متعارضاً مع الأدلة والقرائن.

وهذا هو المفهوم من كلام ابن العربي الجميل حيث قال: « وإذا ثبت هذا ، وكان مرجع الجميع إلى البعد فمعنى الآية : أبعدوهن في المضاجع ... فالذي قال : يوليها ظهره جعل المضجع ظرفا للهجر ، وأخذ القول على أظهر الظاهر، وهو حبر الأمة ، وهو حمل الأمر على الأقل ، وهي مسألة عظيمة من الأصول. والذي قال يهجرها في الكلام حمل الأمر على الأكثر الموفي، فقال : لا يكلمها ولا يضاجعها ، ويكون هذا القول كما يقول : اهجره في الله ، وهذا هو أصل مالك . .. والذي قال : لا يكلمها وإن وطئها فصرفه نظره إلى أن جعل الأقل في الكلام ، وإذا وقع الجماع فترك الكلام سخافة ، هذا وهو الراوي عن ابن عباس ما تقدم من قوله . والذي قال: يكلمها بكلام فيه غلظ إذا دعاها إلى المضجع جعله من باب ما لا ينبغي من القول . وهذا ضعيف من القول في الرأي ؛ فإن الله سبحانه رفع التثريب عن الأمة إذا زنت وهو العقاب بالقول ، فكيف يأمر مع ذلك بالغلظة على الحرة »[1].

فهذا كلام قيم من عالم جليل، يستنتج منه قبول قولين ورد قولين، وإلى هذا أميل، والله تعالى أعلم.

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٢ / ٢٩٤- ٢٩) (باختصار).

{ فتيلا }

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ ﴿٤٩﴾ النساء: ٤٩

قال أبو جعفر الطبري[(١)]: « وأصل الفتيل : المفتول ، صرف عن مفعول إلى فعيل، كما قيل : صريع ودهين من مصروع ومدهون.

وإذ كان ذلك كذلك ، وكان الله جل ثناؤه إنما قصد بقوله : ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ الخبر عن أنه لا يظلم عباده أقل الأشياء التي لا خطر لها ، فكيف بما له خطر ، وكان الوسخ الذي يخرج من بين أصبعي الرجل أو من بين كفيه إذا فتل إحداهما على الأخرى ، كالذي هو في شق النواة وبطنها ، وما أشبه ذلك من الأشياء التي هي مفتولة ، مما لا خطر له ولا قيمة ، فواجب أن يكون كل ذلك داخلاً في معنى الفتيل ، إلا أن يخرج شيئا من ذلك ما يجب التسليم له مما دل عليه ظاهر التنزيل ».

الدراسة والتحليل:

ذكر الإمام الطبري هنا أصل كلمة (فتيل) وأنه فعيل بمعنى مفعول، فهو مفتول، لكنه لم يشر إلى معنى هذا الأصل في اللغة العربية، وذلك لشهرته.

ثم عرّج على الترجيح في المراد بالفتيل، ورجح أن يكون عاماً لكل ما يشمله اللفظ؛ ليدخل فيه كل مفتول.

وقد انقسم أهل اللغة والغريب والمفسرون في تفسير هذه الكلمة إلى فرقتين:

الأولى: تقتصر على تفسير الفتيل بالخيط الذي في بطن النواة.

وهذا الذي مشى عليه معظم المؤلفين في غريب القرآن:

---

(١) جامع البيان (٧/ ١٣٣).

قال أبو عبيدة: ﴿فَتِيلًا﴾، الفتيل الذي في شقّ النّواة[1].

وقال في موضع آخر: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ وهو المُفْتَلُّ الذي فى شق بطن النواة[2].

وقال ابن قتيبة: والفَتِيلُ: ما في شِقِّ النّواة[3].

وقال السجستاني: ﴿فَتِيلًا﴾: يعني القشرة التي في بطن النواة "[4].

واقتصر على هذا المعنى فقط جمع من المفسرين[5].

الثانية: من أورد المعنيين دون ترجيح.

وهذا صنيع جمهور اللغويين:

قال ابن الأنباري: « والفتيل فيه قولان يقال هو الذي في بطن النواة ويقال هو الذي تفتله بين إصبعيك من الوسخ قال الله عز وجل ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ »[6].

وقال ابن سيده: « والفَتِيلُ : والفَتِيلَةُ : ما فَتَلْتَه بين أَصابِعِكَ، والفَتِيلُ : السَّحاةُ في شَقِّ النَّواةِ »[7].

وقال الصاحب بن عباد: « والفَتِيْلُ : سِحَاءَة في مَشَقِّ النَوَاةِ . وما فَتَلْتَه بَيْنَ

---

(١) مجاز القرآن (١ / ١٢٩).

(٢) مجاز القرآن (١ / ٣٨٦).

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٢٥٩)، وانظر: تأويل مشكل القرآن له (ص: ١٠٤)، معاني القرآن للنحاس (٤ / ١٧٧)، العمدة (ص: ١١٢)، الكليات (١/ ١١٠٩).

(٤) غريب القرآن للسجستاني (١ / ٣٦٠)، وانظر مثله في نفس الصباح (١/ ٢٧٦).

(٥) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ٢٦٦)، الوجيز للواحدي (١/ ٦٤٢)، تفسير البيضاوي (١/ ٢٠١)، التحرير والتنوير (٥/ ٨٤).

(٦) الزاهر (١ / ٢٢٦).

(٧) المحكم والمحيط الأعظم (٩ / ٤٩١).

أصابِعِكَ من خَيْطٍ وغَيْرِه »[1].

وسار على مثل هذا جمع من أهل اللغة وغريب القرآن والتفسير[2].

الترجيح:

الأولى في تفسير كلمة (فتيل) هو: ما ذهب إليه الإمام الطبري – رحمه الله – من حمل اللفظ على عمومه؛ ليشمل كل مفتول؛ لأنّ الله عمم باللفظ كل مفتول، ولم يخصص منه شيئاً، فالأصل بقاء اللفظ على عمومه حتى يرد دليل صحيح على التخصيص[3].

إضافة إلى ذلك أنّ هذا اللفظ يستعمل للتعبير والتمثيل للشيء الحقير[4]، فلا فائدة في تخصيصه ببعض ما يدخل في معناه دون البعض؛ لذا نجد الزمخشري يفسره في موضعين من تفسيره بقوله:﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾: « ولا تنقصون أدنى شيء من أجوركم على مشاق القتال فلا ترغبوا عنه »[5]، « ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شيء»[6].



(١) المحيط في اللغة (٩ / ٤٣٨).

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٤ / ٣٧٦ – ٣٧٧)، تهذيب اللغة (٥ / ١١)، لسان العرب (١١/ ٥١٤)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٦)، ومعاني القرآن للنحاس (٢ / ١٠٩)، وزاد المسير (٢ / ١٠٥)، التبيان تفسير غريب القرآن (١/ ١٦٩)، ومفردات ألفاظ القرآن (٢/ ١٧٤)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٢٧٢)، البحر المحيط (٣/ ٢٧٧)، عمدة الحفاظ (٣/ ١٩٦)، وفتح القدير (١/ ٧٢٠).

(٣) انظر: قواعد الترجيح (٢/ ٥٢٧).

(٤) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١ / ٢٧٢)، فتح القدير (١ / ٧٢٠).

(٥) الكشاف (١ / ٥٦٨).

(٦) الكشاف (٢ / ٦٣٨).

{ يجرمنكم }

قال تعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْ﴾ المائدة: ٢

قال الإمام أبو جعفر الطبري[1]: « وأما أهل المعرفة باللغة، فإنهم اختلفوا في تأويلها:

فقال بعض البصريين: معنى قوله : ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ﴾: **لا يحقن لكم** ؛ لأن قوله : ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ النحل: ٦٢ هو حق أن لهم النار.

وقال بعض الكوفيين: معناه : **لا يحملنكم** . وقال : يقال: جرمني فلان على أن صنعت كذا وكذا : أي حملني عليه.

واحتج جميعهم ببيت الشاعر:

وَلَقَدْ طَعَنْتُ أَبَا عُيَيْنَةَ طَعْنَةً ... جَرَمَتْ فَزَارَةُ بَعْدَهَا أَنْ يَغْضَبُوا[2].

فتأول ذلك كل فريق منهم على المعنى الذي تأوله من القرآن، فقال الذين قالوا : {لا يجرمنكم} لا يحقن لكم معنى قول الشاعر : جرمت فزارة : أحقت الطعنة لفزارة الغضب.

وقال الذين قالوا معناه: لا يحملنكم: معناه في البيت: جرمت فزارة أن يغضبوا: حملت فزارة على أن يغضبوا.

وقال آخر من الكوفيين : معنى قوله : {لا يجرمنكم} **لا يكسبنكم** شنآن قوم . وتأويل قائل هذا القول قول الشاعر في البيت : جرمت فزارة : كسبت فزارة أن يغضبوا . قال : وسمعت العرب تقول : فلان جريمة أهله ، بمعنى : كاسبهم ، وخرج

---

(١) جامع البيان (٨/ ٤٤).

(٢) تقدم تخريج البيت (ص: ١٨٠).

يجرمهم : يكسبهم.

وهذه الأقوال التي حكيناها عمن حكيناها عنه متقاربة المعنى ؛ وذلك أن من حمل رجلا على بغض رجل فقد أكسبه بغضه ، ومن أكسبه بغضه فقد أحقه له .

فإذا كان ذلك كذلك ، فالذي هو أحسن في الإبانة عن معنى الحرف، ما قاله ابن عباس وقتادة ، وذلك توجيههما معنى قوله : ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ ﴾ إلى: ولا يحملنكم شنآن قوم على العدوان.

الدراسة والتحليل:

ذكر الإمام الطبري - رحمه الله تعالى – في هذه المفردة القرآنية { لا يجرمنكم} ثلاثة مذاهب لأهل اللغة.

١- **لا يحقنّ لكم**، ونسبه إلى بعض البصريين، ولعله يقصد به: **الأخفش**، فقد فسره بذلك في معاني القرآن، واستشهد بالآية وقول الشاعر[1].

وهذا قول أبي العباس **المبرد** أيضاً من البصريين، قال في المقتضب: "{ولا يجرمنكم شنآن قوم } أي لا يحقنكم، واستشهد بالبيت[2].

٢- **لا يحملنكم**: ونسبه إلى بعض الكوفيين، ولعله يقصد به: **أبا عبيدة معمر بن المثنى**، فقد قال في مجاز القرآن: «﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ ﴾ مجازه: ولا يحملنّكم، ولا يعدينّكم ... ثم استشهد بالبيت[3].

وهذا قول يونس وهو من الكوفيين أيضاً، قال الأزهري: « وأخبرني الْمُنْذِرِيّ

---

(١) معاني القرآن للأخفش (١ / ٢١٥)، ونسبَ هذا القولَ للأخفش غيرُ واحد من أهل المعاجم، انظر: تهذيب اللغة (١١ / ٤٦)، لسان العرب (١٢/ ٩٠).

(٢) المقتضب (٢ / ٣٥٢).

(٣) مجاز القرآن (١ / ١٤٧)

عن الحُسَين بنُ فهم عن مُحمد بن سلام عن يونس في قوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ ، قال : لا يَحْمِلَنَّكُمْ ، وأَنْشَد بيتَ أبي أسماء » [1].

٣- **لا يكسبنكم**، ونسبه إلى آخر من الكوفيين.

وقد حكى أغلب أهل اللغة والمعاني المعنيين في كلمة {يجرمنكم}، (لا يحملنكم، لا يكسبنكم)، دون المعنى الأول:

قال ابن الأنباري: « ومعنى جرم كسب قال الله عز وجل ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾ معناه: ولا يحملنّكم بغض قوم ولا يكسبنّكم »[2].

وقال الفَراء – في تفسير الآية – : « جاء في التَّفْسير : ولا يَحْمِلَنَّكُم بُغْضُ قَوْمٍ .

قال : وسَمِعْتُ العربَ تقول : فلانٌ جَرِيمَةُ أَهْلِه ، يُريدون كاسِبَهم ، وخَرَجَ يَجْرِمُ قومه ، أي يكسِبهم ، فالمعنى فيها مُتَقارب لا يَكْسِبَنَّكُمْ بُغْضُ قَوْم أَنْ تَعْتَدوا[3].

وقال في موضع آخر: " وقوله : ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ﴾ هود: ٨٩ ، يقول : لا تحملنكم عداوتي أن يصيبكم. وقد يكون : لا يكسبنكم »[4].

وحكى هذين المعنيين جمع من أهل اللغة والمفسرين من دون ترجيح[5].

---

(١) تهذيب اللغة (١١ / ٤٦)

(٢) الزاهر (١ / ٢٣٩).

(٣) معاني القرآن للفراء (١/ ٢٩٩)، وحكاه عنه غير واحد، انظر: تهذيب اللغة (١١/ ٤٦)، لسان العرب (١٢/ ٩٠).

(٤) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٦).

(٥) انظر: مختار الصحاح (١/ ١١٩)، تاج العروس (٣١ / ٣٨٥)، الكليات (١ / ١٥٦١)، تفسير السمعاني (٢/ ٨)، التفسير الكبير (١١/ ٢٧٩)، تفسير العز بن عبد السلام (١/ ٢٤٣)، الجامع لأحكام القرآن (٦ / ٤٤)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٣٢٩)، تفسير البيضاوي (١/ ٢٩٠)، السراج المنير (١/ ٢٨١)، أضواء البيان (٦ / ٦)..

وقد اقتصر بعضهم على معنىً واحد من المعنيين:

فاقتصر على معنى (لا يكسبنكم)

ابن قتيبة: قال: « ﴿ يَجۡرِمَنَّكُمۡ ﴾: يكسبنكم . من قولهم : فلان جريمة أهله وجارمهم، أي كاسبهم »[1]، وذكر مثله ابن الهائم[2].

ومال إلى هذا المعنى ابن عطية فقال – بعد ما أورد المعاني الثلاثة –: « وهذه كلها أقوال تتقارب بالمعنى فالتفسير الذي يخص اللفظة هو معنى الكسب »[3].

ولذا اقتصر عليه في الموضع الآخر فقال: « ﴿لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ ﴾ معناه لا يكسبنكم يقال جرمه كذا وكذا وأجرمه إذا أكسبه كما يقال كسب وأكسب بمعنى »[4].

واقتصر على هذا المعنى أيضاً جمع من المفسرين[5].

كذلك اقتصر بعض أهل الغريب والتفسير على معنى { لا يحملنكم}

فهو قول ابن عباس[6]، وقتادة[7]، والسدي[8]، ومقاتل[9]،والزجاج[10]،

---

(١) غريب القرآن (ص: ١٣٩، وانظر أيضاً: ص: ٢٠٨، وص: ٥٠٦).

(٢) في التبيان في تفسير غريب القرآن (ص: ١٧٨)، والخزرجي في نفس الصباح (١/ ٢٩٤).

(٣) المحرر الوجيز (٢ / ١٧٣).

(٤) المحرر الوجيز (٣ / ٢١٦).

(٥) انظر: الكشاف (٢/٣٩٨)، الحجة في القراءات السبع (١/ ١٢٩)، إيجازالبيان عن معاني القرآن (١/ ٢٦٧)، تفسير الثعالبي (١/ ٤٣٩)، (٢/ ٢١٥)، تفسير الجلالين (ص:١٣٤، ٢٩٧).

(٦) جامع البيان (٨/ ٤٤).

(٧) تفسير ابن أبى حاتم (٦/ ٢٠٧٤).

(٨) تفسير ابن أبى حاتم (٦/ ٢٠٧٥).

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٢٧٧).

(١٠) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٥٦).

والثوري[1]، وجمع من المفسرين[2].

الترجيح:

بعد ما حكى الإمام الطبري المعاني الثلاثة في كلمة { يجرمنكم} أشار إلى التقارب بينها، وأن اللفظ يحتملها جميعاً؛ وذلك أن من حمل رجلا على بغض رجل فقد أكسبه بغضه ، ومن أكسبه بغضه فقد أحقه له.

وأشار غير واحد من العلماء إلى هذا التقارب بين المعاني الثلاثة:

فقال ابن عطية – كما سبق نقله –: " وهذه كلها أقوال تتقارب بالمعنى"[3].

وأشار الفراء إلى ذلك، لكن في المعنيين فقط بقوله: "فالمعنى فيها مُتَقارب"[4].

وقد أكد هذا الرماني[5] – فيما نقل عنه غير واحد – حيث أرجع كلّ معنىً من المعاني الثلاث إلى أصل الكلمة، فأصل مادة (جرم): القطع[6]، فجرم «**حمل على الشيء**» لقطعه عن غيره ، وجرم « **كسب** » لانقطاعه إلى الكسب ، وجرم بمعنى « **حق** » لأن

---

(١) تفسير الثوري (١/ ١٣٣).

(٢) انظر: الوجيز للواحدي (١/ ٣٠٦)، تذكرة الأريب في تفسير الغريب (ص: ١٣٦)، تفسير ابن كثير (٢/ ١٢)، (٣/ ٦٢)، (٤/ ٣٤٦)، تفسير السعدي (ص: ٢١٨، ٢٢٤).

(٣) المحرر الوجيز (٢ / ١٧٣).

(٤) معاني القرآن للفراء (١/ ٢٩٩)، وحكاه عنه غير واحد، انظر: تهذيب اللغة (١١/ ٤٦)، لسان العرب (١٢/ ٩٠).

(٥) **الرماني**: هو أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، كان من أئمة العربية في بغداد، وهو مفسر، فقيه، أصولي، نحو، لغوي، أخذ العلم عن الزجاج وابن السراج وابن دريد، وكان في عصر أبي علي الفارسي، صنف كتبا في العربية منها شرح كتاب سيبويه وشرح المقتضب والحدود ومعاني الحروف توفي سنة (٣٨٤هـ). انظر: إنباه الرواة (٢/ ٢٩٤) ومعجم الأدباء (١٤/ ٧٣).

(٦) قال ابن فارس: " الجيم والراء والميم أصلٌ واحد يرجع إليه الفروع. فالجَرْمُ القطْع". مقاييس اللغة (١ / ٤٤٥)

الحق يقطع عليه[1].

ومع هذا التقارب بين المعاني فقد مال الطبري إلى تفسيره بـ: (لا يحملنكم)؛ لورود التفسير بذلك عن السلف من الصحابة والتابعين؛ فقد روي عن ابن عباس، وقتادة وغيرهما[2].

وهذا نهج سديد انتهجه الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - في بيان غريب القرآن، وهو ترجيح القول الموافق لقول السلف عند احتمال الكلمة في أصلها اللغوي معاني متعددة.

وممن وافق الطبري في هذا الترجيح، بل نقل عنه ما ذكر هنا دون إشارة: الإمام أبو جعفر النحاس[3].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٤٥)، البحر المحيط (٣/ ٤٢٦)، الدر المصون (١/ ١٢٩١).

(٢) كما سبق.

(٣) معاني القرآن (٢/ ٢٥٣).

{ وعزرتموهم }

قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ﴾ المائدة: ١٢

قال الإمام أبو جعفر الطبري[١]: « وكان أبو عبيدة يقول : معنى ذلك نصرتموهم وأعنتموهم ووقرتموهم وعظمتموهم وأيدتموهم ، وأنشد في ذلك .

وَكَمْ مِنْ مَاجِدٍ لَهُمُ كَرِيمٍ ... وَمِنْ لَيْثٍ يُعَزَّرُ فِي النَّدِيِّ[٢] .

وكان الفراء يقول : العزر الرد عزرته رددته : إذا رأيته يظلم ، فقلت : اتق الله أو نهيته ، فذلك العزر.

وأولى هذه الأقوال عندي في ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك : نصرتموهم، وذلك أن الله جل ثناؤه قال في سورة الفتح : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ الفتح: ٨ – ٩

فالتوقير : هو التعظيم . وإذا كان ذلك كذلك ، كان القول في ذلك إنما هو بعض ما ذكرنا من الأقوال التي حكيناها عمن حكينا عنه . وإذا فسد أن يكون معناه التعظيم، وكان النصر قد يكون باليد واللسان ؛ فأما باليد فالذب بها عنه بالسيف وغيره ، وأما باللسان فحسن الثناء ، والذب عن العرض ، صح أنه النصر إذ كان النصر يحوي معنى كل قائل قال فيه قولا مما حكينا عنه ».

(١) جامع البيان (٨/ ٢٤٤ – ٢٤٦).

(٢) البيت لعلقمة بن عبدة كما في ديوانه (ص: ٢٥).

الدراسة والتحليل:

بدأ الطبري في تفسير هذه المفردة القرآنية – على عادته – بذكر قول السلف في تفسيره:

ففسره بعضهم بـ: (**نصرتموهم**)، وروى ذلك عن مجاهد، والسدي.

وفسره ابن زيد بالطاعة والنصرة.

ثم ثنى بذكر خلاف أهل اللغة في مادة (التعزير):

١– فقال بعضهم: التعزير: **الثناء**.

وهذا قول يونس النحوي أن تأويل ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾: أثنيتم عليهم[١].

٢– أن التعزير: **النصر والتعظيم**.

وهذا رأي أبي عبيدة، قال: ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾:نصرتموهم وأعنتموهم ووقرتموهم وأيدتموهم، كقوله:

وَكَمْ مِنْ مَاجِدٍ لَهُمُ كَرِيمٍ ... وَمِنْ لَيْثٍ يُعَزَّرُ فِي النَّدِيِّ »[٢].

٣– أن التعزير: **الرد**، وهذا قول الفراء حيث نقل عنه قوله: العزر: **الرد**، عزرته: رددته: إذا رأيته يظلم فقلت: اتق الله أو نهيته، فذلك العزر[٣].

وذكر الزجاج أنّ أصل العزر هو **الرد**، قال: " وتأويل عزَّرْت فلاناً أي أدَّبته إنما تأويله: فعَلتُ به ما يَرْدَعه عن القبيح؛ ... فتأويل عزَّرتموهم نصرتموهم، بأن تردّوا عنهم أعداءهم"[٤] فكأنه أعاده إلى المعنى الأول.

---

(١) جامع البيان (٨/ ٢٤٤ – ٢٤٦)، وهو في مجاز القرآن (١/ ١٥٧).

(٢) مجاز القرآن (ص: ١٥٦ – ١٥٧).

(٣) جامع البيان (٨/ ٢٤٤).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٥٩).

وقد حكى جمع من أهل اللغة والتفسير المعنيين الأولين في لفظة {عزرتموه}، وكأنهما مترادفتان عند بعضهم، كما هو واضح من كلام أبي عبيدة السابق نقله.

وقال ابن قتيبة: « ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ أي: عظّمتموهم. والتعزير: التعظيم. ويقال: نَصَرْتُمُوهُمْ »[1].

وقال السجستاني: « ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ أي: عظّمتموهم، ويقال: نَصَرْتُمُوهُمْ وأعنتموهم »[2].

وذكر مثل هذا غير واحد من أهل الغريب[3].

وقال الراغب: « التعزير: النصرة مع التعظيم. قال تعالى: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾، وقال عز وجل: ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ »[4].

وقال ابن عطية: « ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ معناه وقرتموهم وعظمتموهم ونصرتموهم... »[5].

واقتصر على معنى النصر جمع من المفسرين:

فهو المروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما -، ومجاهد[6]، ومقاتل[7]، وابن أبي

---

(١) غريب القرآن (ص: ١٤١).

(٢) غريب القرآن (ص: ١٤١).

(٣) كابن الهائم في التبيان في تفسير غريب القرآن (ص:١٨٠)، والمارديني في بهجة الأريب (ص: ٧٨)، وأبي حيان في تحفة الأريب (ص: ٨٢)، والخزرجي في نفس الصباح (١/ ٢٩٨).

(٤) مفردات القرآن (١ / ٥٦٤).

(٥) المحرر الوجيز (٢ / ١٩٧) وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٣٠١)، البحر المحيط (٤/ ٢٠٠)، الدر المصون (١/ ١٣١٤)، السراج المنير (١/ ٢٨٨)..

(٦) انظر: جامع البيان (٤/ ٤٩٢)، والدر المنثور (٥/ ٢٣١)، وتفسير مجاهد (١/ ١٩٠).

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان (١ / ٤٤).

زمنين[1]، وبه قال الزمخشري، وابن كثير، والبيضاوي وغيرهم[2].

واقتصر على معنى التعظيم جمع من أهل الغريب[3]:

الترجيح:

رجح الإمام الطبري[4] معنى **النصرة** في قوله تعالى: ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾؛ محتجاً بأمرين:

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾.

فقد عطف الله التعزير على التوقير، والتوقير: هو التعظيم؛ فلزم أن يكون التعزير غيره؛ لأنّ العطف يقتضي المغايرة - على رأيه -.

٢- أنّه عام لجميع ما حكي في تفسير الآية؛ إذ تكون النصرة باللسان واليد والسيف.

وأرى أن لا تناقض بين الأقوال؛ فالتعظيم داخل في معنى النصرة؛ لأنّ نصرة الأنبياء هي المدافعة عنهم والذب عنهم وتعظيمهم وتوقيرهم[5].

فالأولى حمل اللفظ على جميع المعاني التي تحتملها، إذ الأصل أن تحمل نصوص

---

(١) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (١/ ١٥٤).

(٢) انظر: الكشاف (١/ ٦٤٩)، وتفسير القرآن العظيم (٣/ ٦٦)، تفسير الخازن (٢/ ٢٦)، وأنوار التنزيل للبيضاوي: (٢/ ٣٠٥)، تفسير الجلالين (ص: ١٣٨) التحرير والتنوير (٥/ ٦١).

(٣) انظر: تفسير المشكل من غريب القرآن (ص: ١٥٢) والعمدة (ص: ١٢١)، وتذكرة الأريب (١/ ١٣٨).

(٤) وتابع الإمام الطبري على ما ذهب إليه هنا ونقل مثل كلامه الإمام أبو جعفر النحاس في معاني القرآن: معاني القرآن (٢/ ٢٧٩ - ٢٨٠).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٥٩).

الوحي على عموم ألفاظها ما لم يرد نص بالتخصيص[1]، كما أنّ ورود النصر معطوفاً على التعزير في موضع آخر[2] يؤيد أن في التعزير معنى آخر غير النصر، وهو التعظيم والتوقير، والعلم عند الله.

(١) انظر: قواعد الترجيح (٢/ ٥٢٧).

(٢) أعني به قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾ الأعراف: ١٥٧.

{ حشر }

قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ الأنعام: ٣٨

ذكر الإمام الطبري – رحمه الله – اختلاف أهل التأويل من السلف في المراد بحشر الدواب والطيور إلى الله في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴾[1].

١ – إذ قال بعضهم: حشرها : موتها، وروى ذلك عن ابن عباس، والضحاك.

٢– وقال آخرون : الحشر في هذا الموضع يعني به الجمع لبعث الساعة وقيام القيامة. وروى ذلك عن أبي هريرة.

ثم قال الطبري: « والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إن الله تعالى أخبر أن كل دابة وطائر محشور إليه، وجائز أن يكون معنيا بذلك حشر القيامة ، وجائز أن يكون معنيا به حشر الموت، وجائز أن يكون معنيا به الحشران جميعا، ولا دلالة في ظاهر التنزيل ولا في خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أي ذلك المراد بقوله : ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴾ ؛ إذ كان الحشر في كلام العرب : الجمع ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٩﴾﴾ ص: ١٩ يعني : مجموعة ، فإذ كان الجمع هو الحشر ، وكان الله تعالى جامعا خلقه إليه يوم القيامة وجامعهم بالموت ، كان أصوب القول في ذلك أن يعم بمعنى الآية ما عمه الله بظاهرها، وأن يقال: كل دابة وكل طائر محشور إلى الله بعد الفناء وبعد بعث القيامة، إذ كان الله تعالى قد عم بقوله : ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴾، ولم يخصص به حشرا دون حشر »[2].

(١) جامع البيان (٩/ ٢٣٤ – ٢٣٥).

(٢) المصدر السابق (٩/ ٢٣٧).

وقد تناول الطبري هذه المادة (حشر) في مواضع أخرى من تفسيره، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ الأنعام: ١١١ : « وأما قوله : ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ فإن معناه : وجمعنا عليهم ، وسقنا إليهم »[١].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾﴾ التكوير: ٥.

ذكر الإمام الطبري أقوال أهل التأويل في المراد بحشر الوحوش[٢]:

١- فقال بعضهم : معنى ذلك : ماتت، وروى ذلك عن ابن عباس، وعكرمة.

٢- وقال آخرون : بل معنى ذلك : وإذا الوحوش اختلطت، وروى ذلك عن أبي بن كعب- رضي الله عنه -.

٣- وقال آخرون : بل معنى ذلك : جمعت. وروى ذلك عن قتادة.

ثم قال – رحمه الله -: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معنى حشرت : جمعت فأميتت؛ لأن المعروف في كلام العرب من معنى الحشر: الجمع، ومنه قول الله ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾. يعني : مجموعة . وقوله : ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ النازعات: ٢٣ وإنما يحمل تأويل القرآن على الأغلب الظاهر من تأويله ، لا على الأنكر المجهول »[٣].

الدراسة والتحليل:

هذا المعنى اللغوي الذي ذكره الطبري في معنى الحشر هو الذي ذكره أهل اللغة والمعاجم.

قال ابن دريد: والحَشْر: معروف حشرتهم أحشُرهم حَشْراً، إذا جمعتهم.

(١) جامع البيان (٩/ ٤٩٦).

(٢) جامع البيان (٢٤ / ١٣٥ – ١٣٧).

(٣) جامع البيان (٢٤ / ١٣٧).

والمَحْشَر: مجتمَعهم في الموضع الذي يُحشرون فيه[1].

وقال ابن فارس: « وأهل اللغة يقولون: الحشر الجمع مع سَوْقٍ، وكلُّ جمعٍ حَشْر. والعرب تقول: حَشَرَتْ مالَ بني فلانٍ السنةُ كأنّها جمعته، ذهبت به وأتَتْ عليه»[2].

وقال ابن سيده: « حشرهم يحشُرُهم ويحشِرهم حشرا جمعهم، والحشر جمع الناس ليوم القيامة ...وحشر الإبل جمعها كذلك »[3].

وتفسير الحشر بمعنى الجمع هو قول أصحاب الغريب:

قال أبو عبيدة: «﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ طه: ٥٩ أي يساق الناس فيجتمعون من كل فجّ »[4].

وقال في موضع آخر: « ومجاز ﴿وَحَشَرْنَا﴾، سقنا وجمعنا »[5].

وقال السجستاني: « ﴿وَحَشَرْنَا﴾: جمعنا ، والحشر : الجمع »[6].

والخلاف واقع في المراد بحشر الدواب والبهائم الوارد في آيتي الأنعام والتكوير على قولين.

١- أن حشرها: نشرها وبعثها يوم القيامة.

٢- أن حشرها: موتها.

(١) جمهرة اللغة (١ / ٢٥٩)، وانظر: لسان العرب (٤/ ١٩٠) تاج العروس (١١/ ١٩).

(٢) مقاييس اللغة (٢ / ٦٦).

(٣) المحكم والمحيط الأعظم (٣ / ١٠٣).

(٤) مجاز القرآن (٢ / ٢٠).

(٥) مجاز القرآن (١ / ٢٠٤).

(٦) غريب القرآن (ص: ١٨٨)، وانظر: مفردات القرآن (١ / ٢٣٧)، وتحفة الأريب (ص: ٩٩)، وعمدة الحفاظ (١/ ٤١٣)..

ولم يتطرق أكثر أصحاب المعاني والغريب لتفسير الآيتين.

أما المفسرون فقد حكى أكثرهم القولين دون ترجيح أو اختيار.

وممن تعرض لها من أصحاب المعاني:

الفراء حيث قال: « ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ حشرها : موتها ، ثم تحشر مع الناس فيقال لها : كونى ترابا. وعند ذلك يتمنّى الكافر أنه كان ترابا مثلها»[1].

وقال الزجاج: « ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ ﴾ قيل تحشر الوحوش كلها حتى الذباب للقصاص »[2].

ومال جمع من المفسرين[3] إلى تفسير حشر البهائم بالبعث يوم القيامة، واستدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم: « لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء »[4].

قال الإمام النووي – في شرح هذا الحديث -: « هذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة وإعادتها يوم القيامة كما يعاد أهل التكليف من الآدميين وكما يعاد الأطفال والمجانين ومن لم تبلغه دعوة، وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة قال الله تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ ﴾ ، وإذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع من إجرائه على ظاهره عقل ولا شرع وجب حمله على ظاهره قال العلماء وليس من شرط الحشر والإعادة في القيامة: المجازاة والعقاب والثواب، وأما القصاص من القرناء للجلحاء فليس هو من قصاص التكليف إذ لا تكليف عليها بل هو قصاص مقابلة »[5].

---

(١)معاني القرآن للفراء (١ / ٣٣٢).

(٢)معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٨٩).

(٣) كالقرطبي والشوكاني، انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٩ / ٢٢٩)، وفتح القدير (٢ / ١٦٤).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم رقم (٢٥٨٢) .

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/ ١٣٦- ١٣٧)، وانظر مثله في فيض القدير (٥ / ٣٣٢).

ومال الألوسي إلى القول الأول، وقال: « ومال حجة الإسلام الغزالي وجماعة إلى أنه لا يحشر غير الثقلين لعدم كونه مكلفا إلا أهلا للكرامة بوجه وليس في هذا الباب نص من كتاب أو سنة معمول عليها يدل على حشر غيرهما من الوحوش وخبر مسلم والترمذي وإن كان صحيحا لكنه لم يخرج مخرج التفسير للآية ويجوز أن يكون كناية عن العدل التام وإلى هذا القول أميل ولا أجزم بخطأ القائلين بالأول؛ لأن لهم ما يصلح مستندا في الجملة والله تعالى أعلم »[1].

الترجيح:

اختلف ترجيح الإمام ابن جرير الطبري في الآيتين؛ فرجح في آية الأنعام عموم لفظ الحشر ليعم كل أنواع الحشر؛ وذلك أنّ الحشر هو الجمع ، والله تعالى يجمع خلقه إليه يوم القيامة ويجمعهم بالموت، ولم يخصص جمعاً دون جمع؛ فالصواب أن يبقى على عمومه، وأن يقال : كل دابة وكل طائر محشور إلى الله بعد الفناء وبعد بعث القيامة.

أما في آية التكوير فرجح أن معنى حشرت : جمعت فأميتت؛ لأن المعروف في كلام العرب من معنى الحشر: الجمع، وإنما يحمل تأويل القرآن على الأغلب الظاهر من تأويله ، لا على الأنكر المجهول.

والذي يظهر لي – والعلم عند الله – أن الذي جعل ترجيح الطبري يختلف في الموضعين هو وجود القول الثالث في معنى (حشرت) المروي عن قتادة وأنه : اختلطت، فأراد أن ينبه على عدم شمول اللفظ لهذا المعنى، ويقوي هذا تعبيره في ترجيحه هناك بقوله: جمعت فأميتت.

وعلى هذا فيمكن القول بأن الطبري – رحمه الله تعالى – يرى بقاء لفظ الحشر على عمومه في الموضعين ليشمل جميع معانيه، فيدخل فيه الجمع بالموت، والجمع بالبعث.

---

(١) روح المعاني (٣٠/ ٥٢).

وهذا مفاد قول الفراء – المنقول سابقاً – « حشرها: موتها، ثم تحشر مع الناس».

وقال ابن سيده: « فأما قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ فقيل إن الحشر هاهنا الموت وقيل النشر والمعنيان متقاربان؛ لأنه كله كفت وجمع »[1].

وإلى القول بالعموم أميل، إذ لا تعارض بين القولين، ويحتملها اللفظ، والأصل بقاء اللفظ على عمومه حتى يرد دليل صحيح على التخصيص[2].



(١) المحكم والمحيط الأعظم (٣/ ١٠٣)، وذكر مثله بنصه ابن منظور في لسان العرب (٤/ ١٩٠).

(٢) انظر: قواعد الترجيح (٢/ ٥٢٧).

{ الصور }

قال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ الأنعام: ٧٣

قال الإمام أبو جعفر الطبري:

واختلف في معنى الصور في هذا الموضع ، فقال بعضهم : هو قرن ينفخ فيه نفختان : إحداهما لفناء من كان حيا على الأرض ، والثانية لنشر كل ميت . واعتلوا لقولهم ذلك بقوله : ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨﴾ الزمر: ٦٨ ، وبالخبر الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال – إذ سئل عن الصور –: « هو قرن ينفخ فيه »[1].

وقال آخرون[2]: الصور في هذا الموضع : جمع صورة ينفخ فيها روحها فتحيى ، كقولهم : سور لسور المدينة ، وهو جمع سورة ، كما قال جرير :

.... سُورُ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالُ الْخُشَّعُ[3].

والعرب تقول : نفخ في الصور ، ونفخ الصور . ومن قولهم : نفخ الصور قول الشاعر :

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود في سننه في كتاب السنة ، باب ذكر البعث والنشور رقم (٤٧٤٢)، والترمذي في سننه في كتاب صفة القيامة ، باب ما جاء في شأن الصور رقم (٢٤٣٠)، وقال: حديث حسن صحيح ، وفي كتاب التفسير ، باب تفسير سورة الزمر رقم (٣٢٤٤) ، وأحمد في مسنده (٢/ ١٦٢). والحاكم في مستدركه في كتاب التفسير (٢/ ٤٧٣) وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي وابن حبان في صحيحه (٧٣١٢) .

(٢) يقصد بهذا أبا عبيدة كما سيأتي.

(٣) عجز بيت لجرير – كما نسبه الطبري – وهو في ديوانه (ص: ٣٤٥)، وصدره: لَمَّا أَتَى خَبَرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ، وقد ورد بتمامه في تفسير الطبري قبل هذا الموضع في (١ / ٦٢٣)، (٢ / ١٣٨)، ولعل ذلك ما جعل الطبري يقتصر هنا على وجه الشاهد من البيت.

لَوْلا ابْنُ جَعْدَةَ لَمْ تُفْتَحْ قُهُنْدُزُكُمْ وَلا خُرَاسَانَ حَتَّى يُنْفَخَ الصُّورُ [1].

والصواب من القول في ذلك عندنا ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إن إسرافيل قد التقم الصور وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ »[2]، وأنه قال : « الصور قرن ينفخ فيه »[3].

الدراسة والتحليل:

هذه المادة ليس لها أصل منقاس عليه، وإنما هي مفردات مستقلة بنفسها، قال ابن فارس: « (صور) الصاد والواو والراء كلماتٌ كثيرةٌ متباينة الأصول. وليس هذا الباب بباب قياسٍ ولا اشتقاق... من ذلك الصُّورة صُورة كلِّ مخلوق، والجمع صُوَر، وهي هيئةُ خِلْقته... » [4].

ومجمل الأقوال الواردة في تفسير (الصور) قولان:

١- أن الصور قرن ينفخ فيه.

٢- أن الصور جمع صورة، مثل سور وسورة.

فالأول: قول جمهور العلماء من أهل اللغة وأصحاب الغريب والتفسير.

---

(١) البيت أنشده الفراء دون نسبة لقائل، كما في معاني القرآن (١/ ٣٤٠)، وهو كذلك بلا نسبة في: المعرب للجواليقي (ص: ٢٦٧)، والزاهر لابن الأنباري (١ / ٣٦١)، ولسان العرب (٣/ ٦٢).

وقهندز: كلمة أعجمية وهي الحصن أو القلعة.

(٢) الحديث لم أجده بهذا اللفظ ، وأخرجه بنحوه الترمذي في سننه في كتاب صفة القيامة ، باب ما جاء في شأن الصور رقم (٢٤٣١)، وقال: "هذا حديث حسن"، وفي كتاب التفسير، باب تفسير سورة الزمر رقم (٣٢٤٥)، وقال: "هذا حديث حسن"، وأحمد في المسند (١٨/ ٢٢٨)، وابن حبان في صحيحه ٣/ ١٠٦ حديث رقم: (٨٢٣) . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/ ٦٦).

(٣) جامع البيان (٩ / ٣٣٩ - ٣٤٠)، والحديث تقدم تخريجه ص(٢٩٧).

(٤)مقاييس اللغة (٣/ ٣١٩).

والثاني: قول أبي عبيدة ، وهو الذي نقل عنه الطبري ما سبق، ولم يصرح باسمه.

قال في مجاز القرآن: «﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ يقال إنها جمع صورة تنفخ فيها روحها فتحيى ، بمنزلة قولهم : سور المدينة واحدتها سورة ، وكذلك كل ما علا وارتفع ، كقول النابغة :

أَلَمْ تَرَ أنَّ الله أعطاكَ سُورَةً ... تَرَى كلَّ مَلْكٍ دُونَها يَتَذَبْذَبُ [1].

وقال العجّاج :

فرُبَّ ذِي سُرَادِقٍ مَحْجُورِ ... سُرْتُ إليه في أعالي السُّورِ [2][3].

وقال بهذا القول أيضاً البخاري، حيث قال: « والصور جماعة صورة، كقولك سورة وسور »[4].

أما الفراء فقد حكى المعنيين وتوقف فيه؛ فقال: « ويقال : إن الصور قرن ، ويقال : هو جمع للصور ينفخ فى الصور فى الموتى. واللهّ أعلم بصواب ذلك »[5].

وممن حكى المعنيين ولم يرجح: السجستاني حيث يقول : « قال أهل اللغة : الصور جمع الصورة ينفخ فيها روحها، فتحيى . والذي جاء في التفسير أن الصور قرن ينفخ فيه إسرافيل . والله أعلم » [6].

أما أكثر أصحاب المعاني والغريب فرجحوا القول الأول.

---

(١) البيت للنابغة في ديوانه (ص: ٥٧).

(٢) البيت للعجاج في ديوانه (ص: ٢٧).

(٣) مجاز القرآن (١ / ١٩٦ – ١٩٧)، وكرر هذا في غير موضع من كتابه ، (١ / ٤١٦)، (٢ / ١٦٢).

(٤) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأنعام (٤/ ١٦٩٢).

(٥) معاني القرآن للفراء (١ / ٣٤٠).

(٦) غريب القرآن (ص: ٣٠٨– ٣٠٩)، وتبعه عليه ابن الهائم في التبيان (ص: ١٩٣)، ومثله في بهجة الأريب (ص: ٨٥).

قال ابن قتيبة – بعد ما نقل قول أبي عبيدة، ثم ذكر القول الأول -: « وهذا أعجب إليَّ من القول الأول؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله: « كيف أَنْعَمُ وصاحب القرْن قد التَقَمه وحنَى جبْهَته، ينتظر متى يؤْمر فينفخ » [1].

وقال الزجاج: « قالوا في الصور قولين : قيل في التفسير : إن الصور اسم لقرنٍ ينفخ فيه، وقيل: الصور جمع صورة، وكلاهما جائز ، وأثبتها في الحديث والرواية أن الصور قرن »[2].

وهذا قول جمهور المفسرين[3]، ورجحه القرطبي، وابن كثير[4]، وغيرهما.

واستدل أصحاب هذا القول بالأحاديث الواردة عن النبي – كما سبقت في كلام الطبري - والتي يستبين منها المراد بالصور، ومنها حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: جاء أعرابي إلى النبي ٥، فقال: ما الصور ؟ قال: « قرنٌ يُنْفَخ فيه » [5].

وحديث أبي سعيد قال: قال رسول الله ٥: كيف أنعم وصاحب الصور قد التقمه، وأصغى سمعه، وحنى جبهته، ينتظر متى يؤمر) فقالوا: يا رسول الله وما تأمرنا ؟ قال: « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل » [6].

وقد ردّ غير واحد من العلماء على أبي عبيدة هذا القول وأنكروا عليه، قال أبو الهيثم[7]:

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢٧).

(٣) ممن نسبه للجمهور: ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٣٠٩) وابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٦٩).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢٢)، وتفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٨١ – ٢٨٢).

(٥) سبق تخريجه قريبا.

(٦) سبق تخريجه قريبا.

(٧) هو: أبو الهَيثم خالد بن يزيد الرازي، كان نحوياً إماماً علامة، اشتهر بكنيته، روى عنه : الأزهري من طريق أبي الفضل ، توفي سنة– ٢٧٦هـ . إنباه الرواة (٤/ ١٨٨).

اعترض قوم فأنكروا أن يكون قرنا كما أنكروا العرش والميزان والصراط وادعوا أن الصور جمع الصورة كما أن الصوف جمع الصوفة والثوم جمع الثومة ورووا ذلك عن أبي عبيدة ، قال أبو الهيثم : وهذا خطأ فاحش وتحريف لكلمات الله عز وجل عن مواضعها لأن الله عز وجل قال : ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ التغابن: ٣ ففتح الواو ، قال ولا نعلم أحد من القراء قرأها فأحسن صوركم. وكذلك قال : ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ فمن قرأ ونفخ في الصُّوَرِ أو قرأ فأحسن صُورَكم فقد افترى الكذب وبدل كتاب الله. وكان أبو عبيدة صاحب أخبار وغريب ولم يكن له معرفة بالنحو ... قال الأزهري قد احتج أبو الهيثم فأحسن الاحتجاج[1].

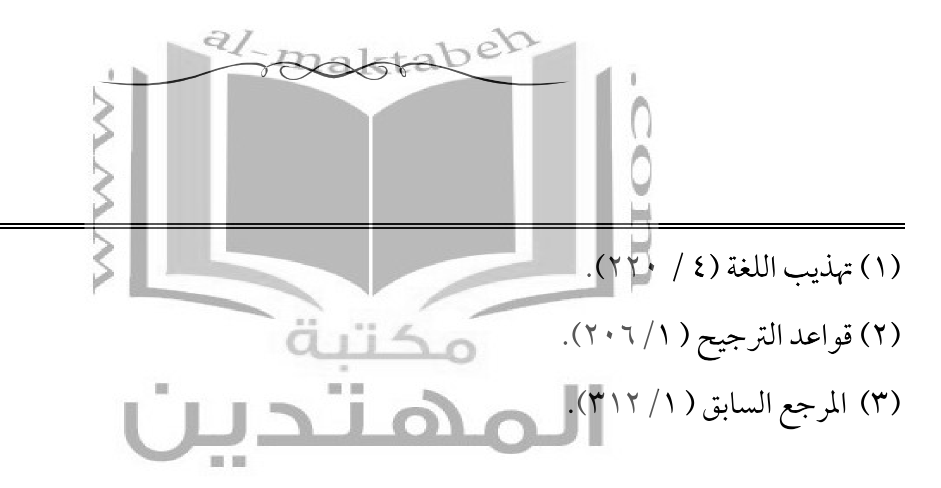
الترجيح:

الراجح هو قول الجمهور وهو أن الصور: قرن يُنْفَخ فيه.

ويشهد لهذا ما يلي:

١- أن الثابت في الأحاديث أن الصور قرن يُنْفَخ فيه، والحديث إذا ثبت وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه[2].

٢- أن هذا القول تؤيده آيات قرآنية أخرى، كقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ الزمر: ٦٨ فقد قال - عز وجل - (فيه) ولم يقل فيها، فعلم أنه ليس جمع صورة، والقول الذي تؤيده آيات قرآنية أخرى مقدّم على ما عدم ذلك[3].



(١) تهذيب اللغة (٤ / ٢٢٠).

(٢) قواعد الترجيح (١/ ٢٠٦).

(٣) المرجع السابق (١/ ٣١٢).

{ بلس }

درس الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – هذه المادة القرآنية في ثلاثة مواضع من كتابه:

١ – عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ البقرة: ٣٤

٢ – عند قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ الأنعام: ٤٤

٣– عند قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ الروم: ١٢.

وبيّن أن هذه المادة تدور – في كلام العرب – على معان[١]:

- الحزن على الشيء والندم عليه . ومنه قيل لإبليس : إبليس.

- وعند بعضهم : انقطاع الحجة ، والسكوت عند انقطاع الحجة .

- وعند بعضهم : الخشوع ، وقالوا : هو المخذول المتروك.

واستشهد بقول العجاج :

يَا صَاحِ، هَلْ تَعْرِفُ رَسْمًا مُكْرَسَا؟ قَالَ: نَعَمْ، أَعْرِفُهُ! وَأَبْلَسَا [٢].

ولم يرجح بين هذه المعاني، ويظهر من كلامه أنه يرى أن كلها داخلة في معنى اللفظ؛ لذا قال في تفسير: ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ « فإنهم هالكون ، منقطعة حججهم ، نادمون على ما سلف منهم من تكذيبهم رسلهم » [٣].

وعند تفسير كلمة (إبليس) ذهب إلى أنه إفعيل من الإبلاس : وهو الإياس من

---

(١) انظر: جامع البيان (٩ / ٢٤٧).

(٢) البيت للعجاج في ديوانه (ص:٣١).

(٣) جامع البيان – (٩ / ٢٤٨).

الخير والندم والحزن. فهو من المعنى الأول.

واستشهد على ما ذهب إليه في ذلك بقول ابن عباس: " إبليس أبلسه الله من الخير كله وجعله شيطانا رجيما عقوبة لمعصيته".

وبما روي عن السدي ، قال: " كان اسم إبليس الحارث ، وإنما سمي إبليس حين أبلس فقيراً".

وقد أجاب الطبري على من يستشكل كون (إبليس) متصرفا من هذه المادة مع أنه ممنوع من الصرف – بقوله: « ترك إجراؤه استثقالاً إذ كان اسماً لا نظير له من أسماء العرب ، فشبهته العرب – إذ كان كذلك – بأسماء العجم التي لا تجرى ، وقد قالوا : مررت بإسحاق ، فلم يجروه ، وهو من أسحقه الله إسحاقا، إذ كان وقع مبتدأ اسما لغير العرب ثم تسمت به العرب فجرى مجراه، وهو من أسماء العجم في الإعراب، فلم يصرف . وكذلك أيوب إنما هو فيعول من آب يؤوب نظير قيوم من: قام يقوم »[1].

الدراسة والتحليل:

أقوال العلماء في معنى مادة {بلس}

أشار أهل اللغة – عند تناولهم لهذه المادة – إلى المعاني التي ذكرها الإمام الطبري – رحمه الله –، وإن كان معنى (اليأس) هو الأكثر وروداً في كلامهم، حتى قال ابن فارس – رحمه الله –: (بلس) الباء واللام والسين أصلٌ واحد، وما بَعْدَه فلا معوَّلَ عليه. فالأصلُ اليَأْسُ، يقال أَبْلَسَ إذا يَئِسَ. قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ ، قالوا: ومن ذلك اشتُقّ اسم إبْليس، كأَنَّهُ يَئِسَ مِنْ رحمة الله"[2].

لكن غيره أوردوا المعاني الأخرى:

---

(١) جامع البيان – (١ / ٥٤٣).

(٢) مقاييس اللغة (١/ ٢٩٩ – ٣٠٠).

قال الجوهري: « [بلس] أبلس من رحمة الله، أي يئس، ومنه سمي إبليس، وكان اسمه عزازيل. والإبلاس أيضا: الانكسار والحزن. يقال: أبلس فلان، إذا سكت غما »[1].

وفي تاج العروس: « وأبلس الرجل من رحمة الله : يئس . في حجته : انقطع . وقيل : أبلس ، إذا دهش وتحير ... وقال أبو بكر : الإبلاس معناه في اللغة : القنوط وقطع الرجاء من رحمة الله تعالى ، وقال غيره الإبلاس : الانكسار والحزن ، يقال : أبلس فلان ، إذا سكت غما وحزنا »[2].

وكذلك أورد أصحاب المعاني والغريب هذه المعاني:

قال الفراء: « وقوله : ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ المبلس : اليائس المنقطع رجاؤه. ولذلك قيل للذي يسكت عند انقطاع حجته ولا يكون عنده جواب : قد أبلس ... ثم استشهد ببيت العجاج[3].

وقال أبو عبيدة: «﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ المبلس : الحزين الدائم .. ثم استشهد ببيت العجاج، وبقول رؤبة :

وحَضَرَتْ يومَ خَمِيس الأَخْماسْ وفي الوجوهِ صُفْرَةٌ وإِبْلاسْ [4].

أي اكتئاب وكسوف وحزن[5].

وقال في تفسير قوله تعالى ﴿يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ أي: يتندمون ويكتئبون وييأسون[1].

---

(١) الصحاح في اللغة (٣/ ٤٧).

(٢) تاج العروس (١٥ / ٤٦٤)، وانظر: العباب الزاخر (١/ ٧٠).

(٣) معاني القرآن للفراء (١ / ٣٣٥).

(٤) البيت للعجاج في ديوانه (ص:٦٧)، وهو في تهذيب اللغة (١٢ / ٣٠٦)، لسان العرب (٦ / ٢٩).

(٥) مجاز القرآن (١ / ١٩٢).

ويبأسون[1].

وقال أبو جعفر النحاس: « يقال أبلس الرجل إذا تحير وحزن وانقطعت حجته فلم يهتد لها ويئس من الخير »[2].

ولما ذكر الراغب الأصفهاني – وتبعه السمين الحلبي – أن الإبلاس هو: الحزن المعترض من شدة البأس[3]، ذكرا وجهَ إطلاقِ المادة على المعنيين الآخرين بأنه: لما كان المبلس كثيرا ما يلزم السكوت وينسى ما يعنيه؛ لما به من شُغل القلب بالحزن الفادح، قيل: أبلس فلان: إذا سكت وإذا انقطعت حجته[4].

وأورد المعاني المذكورة في هذه اللفظة غير واحد من المفسرين:

قال في الكشاف: « الإبلاس أن يبقى ساكنا يائسا متحيرا، يقال ناظرته فأبلس إذا لم ينبس[5] ويئس من أن يحتج، ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغو »[6].

وقال الرازي: « والإبلاس في اللغة يكون بمعنى اليأس من النجاة عند ورود الهلكة ، ويكون بمعنى انقطاع الحجة ، ويكون بمعنى الحيرة بما يرد على النفس من البلية **وهذه المعاني متقاربة** »[7].

أما اشتقاق (إبليس) من هذه المادة، فقد وافق الطبريَّ على ذلك جمع من

---

(١) المصدر السابق (٢/ ١٢٠).

(٢) معاني القرآن (٥/ ٢٤٨)، إعراب القرآن (٣/ ٢٦٦).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن (١/ ١١٥)، وعمدة الحفاظ (١/ ٢٢٧).

(٤) المصدرين السابقين، بنفس الجزء والصفحة.

(٥) لم ينبس: لم يتكلم بكلمة، ولم يتحرك شفتاه بشيء، انظر: مقاييس اللغة (٥/ ٣٨٠)، ولسان العرب (٦/ ٢٢٥).

(٦) الكشاف (٣/ ٤٧٦).

(٧) التفسير الكبير (١٢/ ١٧٨٢)، وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٦ / ٤٢٦ – ٤٢٧)، (١٤/ ١٠)، تفسير الخازن (٢/ ١٣٤)، التحرير والتنوير (١٨ / ١٠٣).

أصحاب المعاجم والغريب.

قال الصاحب بن عباد: « وسمي إبليس لأنه أبلس عن الخير: أي أُويِس منه»[1].

وقال ابن سيده: « وإبْليسُ لعنَه الله مشْتَقٌّ مِنْهُ لأَنّه أُبْلِسَ من رَحْمةِ الله أي أُويِسَ وقال أبو إسحاق لم يُصْرفْ لأنه أعجميٌّ معرفة »[2].

وقال الجوهري: « [بلس] أبلس من رحمة الله، أي يئس، ومنه سمي إبليس، وكان اسمه عزازيل »[3].

وإن كان بعضهم ذكره بصيغة التمريض، كما قال ابن دريد: « وزعم قوم من أهل اللغة أن اشتقاق إبليس من الإبلاس كأنه أبلس، أي يئس من رحمة الله، والله أعلم »[4].

وقال في موضع آخر: « وإبليس إن كان عربياً فاشتقاقه من أبلس يُبلس، إذا يئس فكأنه أبلسَ من رحمة الله، أي يئس منها" »[5].

وقال السجستاني: « إبليس : إفعيل من أبلس ، أي يئس . ويقال : هو اسم أعجمي، فلذلك لا ينصرف »[6].

وقال الراغب: « ومنه اشتق إبليس فيما قيل »[7].

وذهب لهذا الرأي جمع من المفسرين[1].

---

(١) المحيط في اللغة (٢ / ٢٦٤).

(٢) المحكم والمحيط الأعظم (٨ / ٥١٢)، وذكر مثله في المخصص (١ / ٢٨٣).

(٣) الصحاح في اللغة (٣ / ٤٧).

(٤) جمهرة اللغة (١ / ١٥٤).

(٥) المصدر السابق (٢ / ١٧٥).

(٦) غريب القرآن (١/ ٩٧).

(٧) مفردات ألفاظ القرآن (١/ ١١٥).

وقد ذهب فريق من أهل اللغة إلى أنّ كلمة (إبليس) أعجمي وليس عربياً مشتقاً من مادة (بلس) و(أبلس)، وإن وافقها لفظاً ومعنى ، واحتجوا على ذلك بأنه لو كان عربياً لانصرف كما ينصرف نظائره نحو إجفيل وإخريط[2].

وهذا رأي أبي عبيدة؛ حيث يقول: « نصب إبليس على استثناء قليل من كثير ، ولم يصرف إبليس لأنه أعجمي »[3].

وممن ذهب لهذا الرأي أيضاً: ابن الأنباري، والواحدي، والنحاس، وغيرهم[4].

وقد سبق جواب الإمام الطبري على هذا بأنه لم يصرف لقلته وشذوذه، فأجروه مجرى إسحاق من أسحقه الله وأيوب من آب يؤوب ؛ فإن لهما وجهاً من الاشتقاق كذلك، ولم يصرفا للعلة ذاتها[5].

فالراجح: أن (إبليس) مشتق من هذه المادة، وهو قول جمهور أهل اللغة، كما أنّ هذه المادة تطلق في أصلها على معان عديدة، فلا حاجة للترجيح بينها، والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: تفسير ابن أبى زمنين (١ / ٥٣٦)، تفسير ابن كثير (٣/ ٣٩٢)، وتفسير الخازن (١/ ٤٨)، تفسير السعدي (١/ ٢٨٤).

(٢) انظر: المصباح المنير (١/ ٦٠)، تاج العروس (١٥/ ٤٦٤)، الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ١١).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٨).

(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز (١ / ١٧٩٧)، إعراب القرآن (٣/ ٢٦٧).

(٥) انظر: جامع البيان (١/ ٥٤٣)، والمحرر الوجيز (١ / ١٠٨).

{ نتق }

وردت هذه المفردة في القرآن في موضع واحد فقط في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأعراف: ١٧١

وقد ذكر الإمام الطبري – رحمه الله – فيها خلاف علماء اللغة[١]:

١ – **أنه بمعنى رفعنا**، ونسبه لبعض البصريين[٢].

٢ – **أن أصل النتق قلع الشيء من موضعه ورميه**، حكاه عن أبي عبيدة أيضاً[٣]، وأنه قال: ولهذا قيل للمرأة الكبيرة ناتق؛ لأنها ترمي بأولادها رميا ، واستشهد ببيت النابغة:

**لَمْ يُحْرَمُوا حُسْنَ الْغِذَاءِ وَأُمُّهُمْ		دَحَقَتْ عَلَيْكَ بِنَاتِقٍ مِذْكَارٍ**[٤].

٣– وقال آخر: معناه في هذا الموضع : **رفعناه** . وقال : قالوا : نتقني السير: حركني، وقال : قالوا : ما نتق برجله لا يركض ، والنتق : نتق الدابة صاحبها حين تعدو به وتتعبه حتى يربو ، فذلك النتق والنتوق ، ونتقتني الدابة ، ونتقت المرأة تنتق نتوقا: كثر ولدها.

٤ – **أن معناه: علقنا**. ونسبه لبعض الكوفيين[٥]: نتقنا الجبل : علقنا الجبل فوقهم فرفعناه ننتقه نتقا، وامرأة منتاق : كثيرة الولد ، قال : وسمعت : أخذ الجراب ونتق ما فيه: إذا نثر ما فيه.

---

(١) انظر: جامع البيان (١/ ٥٤٥- ٥٤٦).

(٢)ويقصد به أبا عبيدة معمر بن المثنى – كما سيأتي –.

(٣) وحكى هذا القول عن أبي عبيدة غير واحد.انظر: الصحاح في اللغة (٤/ ٢٤٤)، التفسير الكبير للرازي (١٥/ ٣٨)، الدر المصون (١/ ٢٠٣١).

(٤) البيت للنابغة في ديوانه (ص:٥٠).

(٥) ولعله يقصد به الفراء – كما سيأتي قوله –.

الدراسة والتحليل:

بالرجوع إلى هذه المادة في المعاجم اللغوية نجد أنّ أغلب ما ذُكر فيها تدور حول معنى: **الجذب والقلع والزعزعة.**

قال ابن فارس: « (نتق) النون والتاء والقاف أصلٌ يدلُّ على جَذْب شيءٍ وزَعزَعَتِه وقَلْعِه من أصله. تقول العرب: نَتَقْتُ الغَرْبَ من البِئر: جَذَبْتُه. والبعير إذا تَزَعْزَع حِملُه نتَقَ عُرَى حِبالِه، وذلك جَذْبُه إيّاها فتَسترخِي. وامرأةٌ ناتقٌ: كثُرَ أولادُها. وهذا قياس الباب، كأنَّهم نُتِقُوا مِنْها نتقاً » . ثم استشهد بالبيت السابق.[1]

وقال الجوهري: « [نتق] النتق: الزعزعة والنفض. وقد نتقته أنتقه بالضم نتقا. قال رؤبة:

وَنَتَقُوا أحْلامَنَا الأَثَاقِلا[2].

وقال أبو عبيدة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ ﴾ ، أي زعزعناه. وفرس ناتق، إذا كان ينفض راكبه. ونتقت الغرب من البئر، أي جذبته. والبعير إذا تزعزع حمله نتق حباله، وذلك جذبه إياها فتسترخي. ونتقت الجلد، أي سلخته »[3].

وقال ابن سيده: « النتق : الزعزعة والهز، ونتق الشيء ينتقه ، وينتقه نتقا: جذبه واقتلعه، وفي التنزيل: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ ﴾ جاء في الخبر: أنه اقتلع من مكانه ... ونتق السقاء والجراب وغيرهما من الأوعية نتقاً : إذا نفضه حتى يستخرج ما فيه »[4].

واقتصر جمع من أصحاب الغريب على ما يدور حول هذه المعاني.

---

(١) مقاييس اللغة (٥/ ٣٨٧).

(٢) البيت لرؤبة كما في ديوانه (ص:١٢٢).

(٣) الصحاح في اللغة (٤ / ٢٤٤).

(٤) المحكم والمحيط الأعظم (٦/ ٣٣٩)، وانظر أيضاً: تهذيب اللغة (٣/ ١٩٧)، تاج العروس (٢٦/ ٤١٣- ٤١٤).

قال الفراء: « وقوله : ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾ رفع الجبل على عسكرهم فرسخا في فرسخ. نَتَقْنَا : رفعنا. ويقال : امرأة منتاق إذا كانت كثيرة الولد »[1].

وقال أبو عبيدة: « ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ أي رفعنا فوقهم ، وقال العجّاج :

يَنْتُقُ أَقْتَادَ الشَّلِيلِ نَتْقَا[2]

أي يرفعه عن ظهره ، وقال رؤبة : **وَنَتَقُوا أَحْلامَنَا الأَثَاقِلا** »[3].

قال ابن قتيبة: « ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾ أي زَعْزَعْناه. ويقال: نَتَقْتُ السِّقَاءَ: إذا نَفَضْته لتقتلع الزبدة منه »[4].

وقال الراغب: « نتق الشيء : جذبه ونزعه حتى يسترخي ، كنتق عرى الحمل. قال تعالى :﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ ..»[5].

أما أكثر أهل الغريب[6] والتفسير[7] فقد اقتصروا على تفسيره بمعنى (**الرفع**).

وهو قول ابن عباس واستشهد بقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ﴾[8].

فهو بمنزلة تفسير القرآن بالقرآن كما يرى القرطبي؛ حيث يقول: « قوله تعالى :

---

(١) معاني القرآن للفراء (١ / ٣٩٩).

(٢) البيت للعجاج كما في ديوانه (ص:٤٠).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٢٣٢).

(٤) غريب القرآن (ص: ١٧٤)، وانظر: معاني القرآن للنحاس (٣/ ١٠١)، وتفسير المشكل من غريب القرآن (ص: ١٧٧).

(٥) مفردات القرآن (ص: ٧٩٠).

(٦) انظر: تذكرة الأريب (ص: ١٩٢)، ياقوتة الصراط (ص: ٢٣٣).

(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٤٢٣)، تفسير ابن أبي زمنين (١ / ٢١٩)، تفسير السمعاني (٢/ ٢٢٩)، فتح القدير (٣/ ١١٥).

(٨) كما في جامع البيان (١٠/ ٥٤٣).

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ البقرة: ٦٣ هذه الآية تفسر معنى قوله تعالى : ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ »[١].

ولهذا رجحه الألوسي وقال: « وما روي عن الحبر أوفق بقوله سبحانه : ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ﴾ النساء: ١٥٤ »[٢].

ومن أهل التفسير والغريب من حكى المعنيين (القلع)، و (الرفع):

قال السجستاني: " ﴿نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾: رفعنا الجبل فوقهم ، ... ويقال : ﴿نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾ اقتلعناه من أصله[٣].

وقال البغوي: " ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾أي: فلقنا الجبل، وقيل: رفعناه "[٤].

بل ذكرهما كثيرون كمعنيين مترادفين.

قال الزمخشري: " ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾قلعناه ورفعناه ، كقوله : ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ﴾[٥].

وقال الواحدي: " ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ رفعناه باقتلاع له من أصله"[٦].

وصنع مثل هذا جمع من المفسرين[٧].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١ / ٤٣٦).

(٢) روح المعاني (٥/ ٩٢).

(٣) غريب القرآن (ص: ٤٦١)، وذكر مثل هذا ابن الهائم في التبيان (ص: ٢٢)، والمارديني في بهجة الأريب (ص: ٩٦)، وأبو حيان في التحفة (ص: ١٢٦).

(٤) تفسير البغوي (٣ / ٢٩٧).

(٥) الكشاف (٢ / ١٧٥).

(٦) الوجيز (١ / ٢٤٩).

(٧) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ١٢٠)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٥٣٧)، وتفسير البيضاوى (٣/ ٧١)، كتاب الكليات (١/ ١٤٧٧)، تفسير الخازن (٢/ ٢٦٦)، وتفسير أبي السعود (٣/ ٦٢).

الترجيح:

مجمل ما ورد عن أهل العلم من اللغويين والمفسرين في قوله تعالى: ﴿نَتَقْنَا﴾، أربع معان: **القلع والرمي، والزعزعة، والجذب بشدة، والرفع**، وكلها معان متقاربة[1]؛ فيمكن حمل الآية عليها، وذلك من وجوه:

١- أن أصل الكلمة: الجذب والزعزعة والقلع، ويضمن معنى الرفع؛ لتتطابق الآيتان[2].

٢- أن لفظة: ﴿فَوْقَهُمْ﴾ هنا تدل على الرفع[3]، قال الحوفي وأبو البقاء: ﴿فَوْقَهُمْ﴾ ظرف لنتقنا، ولا يمكن ذلك إلا إن ضمن نَتَقْنَا معنى فعل يمكن أن يعمل في ﴿فَوْقَهُمْ﴾ أي رفعنا بالنتق الجبل فوقهم[4].

٣- أن تفسير (النتق) منقول عن بعض أئمة اللغة[5].

ولعل هذا هو ما جعل الإمام الطبري - على غير منهجه - يحيد عن الترجيح بين هذه المعاني؛ حيث إنها متقاربة.

---

(١) انظر: الدر المصون (١/ ٢٠٣١).

(٢) انظر: روح المعاني (٥/ ٩٢)، وسبق نقل استشهاد ابن عباس بآية البقرة هنا، وجعل القرطبي ذلك من تفسير القرآن بالقرآن.

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ١٢٠).

(٤) انظر: روح المعانى (٥/ ٩٢).

(٥) كما سبق عن أبي عبيدة، والفراء، وذكره غير واحد عن ابن الأعرابي انظر: تهذيب اللغة (٣/ ١٩٧)، تاج العروس (٢٦/ ٤١٤)، الجامع لأحكام القرآن (١/ ٤٣٦).

{ سواء }

قال الله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ الأنفال: ٥٨

ذكر الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – في هذه الكلمة القرآنية اختلاف أهل العلم بالعربية فيها[1].

١- فمنهم من فسرها بـ (عدل)، والمعنى: فانبذ إليهم على عدل ، يعني حتى يعتدل علمك وعلمهم بما عليه بعضكما لبعض من المحاربة، واستشهد هؤلاء بقول الراجز :

وَاضْرِبْ وُجُوهَ الغُدُرِ الأَعْدَاءِ حَتَّى يُجِيبُوكَ إِلَى السَّوَاءِ[2].

٢- وفسرها آخرون بـ (وسط) ، واستشهدوا بقول حسان :

يَا وَيْحَ أَنْصَارِ الرَّسُولِ ورَهْطِهِ بَعْدَ الْمُغيَّبِ فِي سَوَاءِ الْمُلْحَدِ[3].

الدراسة والتحليل:

هذه الكلمة مشتقة من مادة (سوي)، التي تدل على الاستقامة والاعتدال بين شيئين[4].

وقد أورد أصحاب المعاجم اللغوية في شرح كلمة (السواء) المعنيين اللذين ذكرهما الإمام الطبري – رحمه الله تعالى –.

(١) انظر: جامع البيان (١١ / ٢٣٨ - ٢٤٠).

(٢) البيت للنابغة في ديوانه (ص:٥٠).

(٣) البيت لحسان بن ثابت كما في ديوانه (ص: ٩٨).

(٤) انظر: مقاييس اللغة (٣/ ١١٢).

قال الجوهري: [سوا] السواء: العدل. قال الله تعالى: ﴿فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ﴾ وسواء الشيء: وسطه. قال تعالى: ﴿فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ الصافات: ٥٥ [1].

وقال ابن منظور: « وسَواءُ الشَّيءِ وسَطُه لاسْتِواءِ المسافةِ إِلَيْه من الأَطْرافِ ... والسَّواءُ العَدْل والنَّصَفة »[2].

كما أورد المعنيين أيضاً بعض أهل الغريب والتفسير.

قال السجستاني: « سوى : إذا كسر أوله أو ضم قصر . وإذا فتح مد . كقوله جل وعز: ﴿إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾ آل عمران: ٦٤ أي عدل ونصفة ... وسواء كل شيء وسطه » [3].

وقال ابن عطية: « والسواء في كلام العرب قد يكون بمعنى العدل والمعدلة ، ومنه قوله تعالى : ﴿إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾ ومنه قول الراجز :

وَاضْرِبْ وُجُوهَ الغُدُرِ الأَعْدَاءِ حَتَّى يُجِيبُوكَ إِلَى السَّوَاءِ.

وقد يكون بمعنى الوسط ، ومنه قوله تعالى : ﴿فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ ومنه قول حسان بن ثابت:

يَا وَيْحَ أَنْصَارِ الرَّسُولِ ورَهْطِهِ بَعْدَ المُغيَّبِ فِي سَوَاءِ المُلْحَدِ » [4].

واقتصر الراغب الأصفهاني، والسمين الحلبي على معنى العدل[5].

أما أكثر أهل الغريب والتفسير فلم يقفوا طويلاً على المعنى اللغوي للكلمة، بل فسروا الجملة كاملة، واختلفت عباراتهم في ذلك، ومنها:

---

(١) الصحاح (٦ / ٢٣٨٤).

(٢) لسان العرب (١٤ / ٤٠٨)، وانظر: تاج العروس (٣٨ / ٣٢٢).

(٣) غريب القرآن (١ / ٢٨١).

(٤) المحرر الوجيز (٣/ ٢٠٠)، وانظر: أحكام القرآن للجصاص (٤/ ٢٥٢)، نيل المرام (١/ ٣١٤).

(٥) انظر: مفردات القرآن (١/ ٤٤٠)، عمدة الحفاظ (٢/ ٢٤٠).

١- فتصيروا على سواء وقد أعلمتهم ما علمت منهم، وهذا قول أبي عبيدة[١].

٢- عَلَى سَواءٍ يقول: افعل كما يفعلون سواء، وهذا قول الفراء[٢].

٣- عَلَى سَواءٍ: جهرا غير سرّ، حكاه الفراء[٣].

٤- لتكون أنت وهم في العلم بالنقض سواء، وهذا تفسير ابن قتيبة[٤]، وابن الجوزي[٥]، وذكر هذا - أو قريباً منه - جمع من المفسرين[٦].

٥- لتكون أنت وهم سواءً في العداوة، وهذا تفسير الزجاج[٧]، والواحدي[٨]، وحكاه الزمخشري[٩].

وذكر بعض المفسرين أقوالا أخرى في الآية[١٠]، لا تخرج مع هذه – عند التأمل – عن المعنيين اللغويين المذكورين في تفسير اللفظة.

---

(١) مجاز القرآن (١ / ٢٤٩).

(٢) معاني القرآن للفراء (١ / ٤١٤).

(٣) معاني القرآن للفراء (١ / ٤١٤).

(٤) غريب القرآن (١/ ١٨٠)، وقد فسرها في تأويل مشكل القرآن (١ / ٢٧٩)، بالوسط.

(٥) في تذكرة الأريب (ص: ٢٠٦).

(٦) انظر: معاني القرآن (٣/ ١٦٥)، ونفس الصباح (١/ ٣٦٨)، وتفسير البغوي (٣ / ٣٧٠)، وأحكام القرآن للجصاص (٤/ ٢٥٢)، وتفسير الخازن (٢/ ٣٢١)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٧٩)، وتفسير السعدي (ص: ٣٢٤)، ومختصر تفسير سورة الأنفال للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص: ٢١).

(٧) في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢٠).

(٨) في الوجيز (١ / ٢٧١).

(٩) انظر: الكشاف (٢ / ٢٣١).

(١٠) انظر: النكت والعيون (٢ / ٣٢٨)، وزاد المسير في علم التفسير (٣/ ١٣٠).

الترجيح:

لم يرجح الإمام الطبري – رحمه الله - بين المعنيين اللغويين لكلمة (سواء) بل بيّن أنهما متقاربان؛ « لأن العدل وسط لا يعلو فوق الحق ولا يقصر عنه ، وكذلك الوسط عدل، واستواء الفريقين فيما عليه بعضهم لبعض بعض المهادنة عدل من الفعل ووسط»(١).

وهذا – كما سبقت الإشارة إليه – منهج للإمام الطبري رحمه الله في تناول الكلمات الغريبة في تفسيره، حيث يجمع بين المعاني اللغوية الصحيحة عن أهل اللسان، ويفسر الآية عليها، إذا لم يكن ذلك متعارضاً مع سياق الآية، ولم يكن مناقضاً لقول سلف الأمة.

أما إذا لم يصح المعنى في كلام العرب فإنه يرده كما ردّ - هنا - ما ورد عن الوليد بن مسلم من أن معنى {على سواء} على مهل، وقال إنه مما لا يعلم له وجها في كلام العرب(٢).

وقد وافقه على ردّ هذا القول الإمام ابن عطية – رحمه الله – قائلاً: " واللغة تأبى هذا القول "(٣).

(١) جامع البيان (١١ / ٢٤٠).

(٢) جامع البيان (١١ / ٢٤٠).

(٣) المحرر الوجيز (٣/ ٢٠٠).

{ الإلّ }

قال تعالى: ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ التوبة: ٨

في تفسير هذه الكلمة القرآنية الغريبة ذكر الإمام الطبري اختلاف أهل التأويل من السلف في تفسيرها(١).

١- فروى عن مجاهد، وأبي مجلز(٢)، تفسيرها بـ **(الله)**.

٢- وروى عن ابن عباس، والضحاك، والسدي، تفسيرها بـ **(القرابة)**.

٣- وروى عن قتادة تفسيرها بـ **(الحلف)**، وعن مجاهد أيضاً، وعبد الرحمن بن زيد، تفسيرها بـ **(العهد)**، ومعناهما واحد.

ثم قال أبو جعفر(٣): « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء المشركين الذين أمر نبيه والمؤمنين بقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم وحصرهم والقعود لهم على كل مرصد أنهم لو ظهروا على المؤمنين لم يرقبوا فيهم إلا، والإل: اسم يشتمل على معان ثلاثة : وهي العهد والعقد ، والحلف ، والقرابة ، وهو أيضا بمعنى الله. فإذ كانت الكلمة تشمل هذه المعاني الثلاثة ، ولم يكن الله خص من ذلك معنى دون معنى، فالصواب أن يعم ذلك كما عم بها جل ثناؤه معانيها الثلاثة ، فيقال : لا يرقبون في مؤمن الله ، ولا قرابة ، ولا عهدا ، ولا ميثاقا».

---

(١) جامع البيان (١١/ ٣٥٥ – ٣٥٧).

(٢) **أبو مجلز**: هو لاحق بن حميد بن سعيد البصري، أبو مِجْلز الدوسي ، مشهور بكنيته، أحد علماء البصرة ، لحق كبار الصحابة، توفي سنة ١٠٦هـ . انظر: تقريب التهذيب (ص٥٨٦)، وشذرات الذهب (١/ ١٣٤).

(٣) جامع البيان (١١/ ٣٥٧).

الدراسة والتحليل:

أورد هذه المعاني في تفسير كلمة (إل) جمع من أهل اللغة.

قال الصاحب بن عباد: « والإِلُّ: الرُّبُوْبِيَّةُ، وقُرْبى الرَّحِمِ، والأَصْلُ الجَيِّدُ »[١].

وجعل ابن فارس (الإل) الأصل الثالث من أصول مادة (ألل) وقال عنها: «والمعنى الثالث الإلُّ الرُّبوبية. وقال أبو بكرٍ لمّا ذُكِرَ له كلامُ مسيلمة: "ما خرج هذا من إلٍّ" وقال الله تعالى: ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ التوبة: ١٠. قال المفسرون: الإلُّ الله جلّ ثناؤه. وقال قوم: هي قُرْبى الرّحِم ... والإلّ: العهد[٢].

وقال ابن سيده: « الإلُّ: الحِلْفُ والعهد وبه فسَّر أبو عبيدة قوله تعالى: ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾... والإِلُّ القرابة، والإِلُّ الله عز وجلّ وفي حديث أبي بكرٍ – لما تُلِي عليه سَجْع مسيلمةَ – إنَّ هذا لشيء ما جاء من إِلٍّ ولا برٍّ فأين ذُهِبَ بكم ... والإِلُّ الربوبية[٣].

وقال الجوهري: « والإِلُّ بالكسر، هو الله عز وجل، والإلُّ أيضاً: العهد والقرابة»[٤].

وحكى هذه المعاني في (الإل) غير واحد من أصحاب المعاجم[٥].

وممن حكى من أهل الغريب هذه المعاني في كلمة (الإل):

أبو عبيد القاسم بن سلام قال: " فالإلّ ثلاثة أشياء : الله تعالى والقرابة

(١) المحيط في اللغة (١٠ / ٣٧٣).

(٢) مقاييس اللغة (١ / ٢١).

(٣) المحكم والمحيط الأعظم (١٠/ ٣٩٤).

(٤) الصحاح في اللغة (١ / ٢٠).

(٥) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٤١٥)، تهذيب اللغة (١٥/ ٣١٢)، لسان العرب (١١/ ٢٣).

والعهد"[1].

وابن قتيبة، الذي قال: " (الإلُّ): العهدُ ويقال: القرابة، ويقال: الله جل ثناؤه[2].

السجستاني حيث يقول: " **إل**: على خمسة أوجه: الله عز وجل، والعهد، والقرابة، والحلف والجوار"[3].

واقتصر جمع من أهل الغريب والتفسير على بعض هذه المعاني.

فاقتصر أبو عبيدة على معنى العهد ومترادفاته فقال: " مجاز الإلّ : العهد والعقد واليمين"[4].

واقتصر على معنى **القرابة**: الفراء[5]، والنحّاس[6]، والواحديّ[7]، وابن الجوزي[8]،

---

(١) غريب الحديث (١/ ١٠٠).

(٢) غريب القرآن (ص: ١٨٣)، وانظر مثله في: تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٥٠)، وكأنه اختار هناك القول بأنه الرحم، إذ قال: " ومن ذهب بالإلّ في قوله تعالى : { لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا } إلى الرّحم، فهو وجه حسن" .

(٣) غريب القرآن (ص: ٣٥)، ومثله في: التبيان في تفسير غريب القرآن (ص:٢٢٢)، وبهجة الأريب (ص: ١٠٢)، وانظر أيضاً في حكاية المعاني: تفسير المشكل من غريب القرآن (ص: ١٨٥) النهاية في غريب الأثر (١/ ١٥٤)، الفائق في غريب الحديث والأثر (٤/ ١٨)، وتحفة الأريب (ص: ٦)، والغريبين في القرآن والحديث (١/ ٩٤)، نفس الصباح (٣٧٢).

(٤) مجاز القرآن (١ / ٢٥٣)، كذلك اقتصر عليه مكي في العمدة (ص: ١٤٦).

(٥) انظر: لسان العرب: (١/ ١١٣).

(٦) انظر: معاني القرآن: (٣/ ١٨٦).

(٧) انظر: الوجيز: (١/ ٤٥٤).

(٨) في تذكرة الأريب (ص: ٢١٠).

وأبو البقاء[1]، وابن تيمية[2]، وجمع من المتأخرين[3].

أما الزجاج والراغب الأصفهاني فقد سلكا منهج الاختيار بين هذه المعاني بناء على اعتبار أصل اشتقاق الكلمة، فما كان من المعاني موافقاً لأصل الكلمة عنده حمل الآية عليه، وإلا فلا.

قال الزجاج: " وقيل في "الإل" غير قول: قيل : الإل القرابة، وقيل: الإل: الحلف، وقيل: الإل: العهد... وحقيقة الإل عندي على ما توحيه اللغة : **تحديد الشيء** فمن ذلك: الإل: الحربة؛ لأنها محددة، ومن ذلك: أذن مؤلَّلة إذا كانت محددة، **والإل يخرج في جميع ما فسر من العهد والجوار على هذا، وكذا في القرابة، فإذا قلت في العهد : بينهما إل فمعناه : جوار يحاد الإنسان ، وإذا قلته في القرابة فتأويله : القرابة الدانية التي تحاد الإنسان "**[4].

وقال الراغب: **الإل**: كل حالة ظاهرة من عهد حلف وقرابة تئل: تلمع، فلا يمكن إنكاره. قال تعالى: ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾[5].

لذا نراهما ينكران تفسير الإل بـ (الله) ويطعنان في صحته؛ لأنه لا يدخل في الأصل الذي ارتأياه.

فقال الزجاج: « وهذا عندنا ليس بالوَجه؛ لأن أسماء الله عز وجل مَعْروفة معلومة، كما سُمعت في القُرآن وتُليت في الأَخبار ... فالداعي يقول: يا الله، يا رحمن، يارب، يامؤمن، يامهيمن، ولم يسمع يا إلّ في الدُّعاء »[6].

---

(١) في الكليات (١ / ٢٤٩).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٩/ ١٤٠).

(٣) كابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٣٨)، والبقاعيّ: (٣/ ٢٧٣)، والسيوطيّ في الإتقان: (١/ ١٥٦).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٣٣ – ٤٣٤).

(٥) مفردات ألفاظ القرآن (١ / ٣٦).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٣٣).

وقال الراغب الأصفهاني: « وقيل: **(إل)** و **(إيل)** اسم الله تعالى، وليس ذلك بصحيح »[1].

والصحيح أن إطلاق (إل) على الله مسموع من العرب، كما حكاه غير واحد ممن سبق نقل كلامهم.

وقال ابن دريد: « وقد كانت العرب ربما تجيء بالإل في معنى اسم الله جل وعزّ، قال أبو بكر الصدَيق رضي الله عنه لمّا تُلي عليه سَجْع مُسيلمةَ: إن هذا شيء ما جاء من إلّ ولا بِرّ فأين ذهب بكم »[2].

وأقل ما يقال فيه أنه اسم لله بالعبرانية، ثم عرب[3].

واقتصر على المعنيين (العهد والقرابة) جمع من المفسّرين[4].

الترجيح:

اختار الإمام الطبري – رحمه الله – أن تبقى الكلمة على عمومها لتشمل جميع المعاني الأربعة؛ لصحة ورودها عن السلف، ولصحة دلالة اللفظ على بعضها في كلام العرب، واستشهد على ذلك بكلام العرب وأشعارها.

- فاستشهد على أنها بمعنى القرابة بقول الشاعر:

أَفْسَدَ النَّاسَ خُلُوفٌ خَلَفُوا ... قَطَعُوا الإِلَّ وَأَعْرَاقَ الرَّحِيمْ[5].

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن (١/ ٣٦).

(٢) جمهرة اللغة (١/ ٤).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٣١٢).

(٤) انظر: الكشّاف: (٢/ ١٤١)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٥٨٥)، ومدارك التنزيل (٢/ ٧٩)، وتفسير أبي السعود (٤/ ٤٦)، والتحرير والتنوير (١٠/ ٣٠).

(٥) البيت نسبه غير واحد من المفسرين لابن مقبل ، انظر: جامع البيان (١١/ ٣٥٨)، والنكت والعيون (٢/ ٣٤٣)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٢٤)، والدر المصون (٦/ ١٨)، ولم أجده في كتب اللغة.

وبقول حسان بن ثابت:

لَعَمْرُكَ إِنَّ إِلَّكَ مِنْ قُرَيْشٍ ... كَإِلِّ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعَامِ [1].

- واستشهد على أنها بمعنى العهد بقول الشاعر:

وَجَدْنَاهُمُ كَاذِبًا إِلُّهُمْ ... وَذُو الإِلِّ وَالْعَهْدِ لاَ يَكْذِبُ [2].

كما نقل عن بعض من ينسب إلى معرفة كلام العرب من البصريين – ويقصد به أبا عبيدة معمر[3] - أن الإل والعهد والميثاق واليمين واحد، وأن الذمة في هذا الموضع: التذمم ممن لا عهد له ، والجمع : ذمم[4].

وإلى القول بالعموم نحا ابن عطيّة ـ رحمه الله ـ أيضاً، فأجاز المعاني الثلاثة في الكلمة[5].

وهذا الذي يظهر لي رجحانه؛ لأنه مؤيد بالقاعدة الترجيحية: "يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص"[6].

---

(١) البيت لحسان بن ثابت في ديوانه (ص: ١٠٥).

(٢) لم أجده في كتب اللغة والمعاجم، وذكره غير واحد من المفسرين دون نسبة لقائل. انظر: جامع البيان(١١/ ٣٥٨)، و الكشف والبيان (٥/ ١٤)، والتفسير الكبير للرازي (١٥/ ٥٣١).

(٣) قال: " مجاز الإلّ : العهد والعقد واليمين " وقد سبق نقل كلامه هذا.

(٤) انظر: جامع البيان (١١ / ٣٥٨).

(٥) انظر: المحرّر الوجيز (٦/ ٤١٨).

(٦) انظر: قواعد الترجيح (٢/ ٥٢٧).

{ أواه }

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ التوبة: ١١٤

في تفسير هذه اللفظة الغريبة ذكر الإمام الطبري – كعادته – أقوال أهل التأويل من السلف فيها، والذين اختلفوا في تأويلها على أقوال هي[(١)]:

١ – الأواه: هو الدَّعَّاء، أي: الكثير الدُّعاء، وروى هذا عن ابن مسعود، وعبيد بن عمير الليثي[(٢)].

٢ – الرحيم، وروى ذلك عن ابن مسعود أيضاً ، والحسن، وقتادة، وأبي ميسرة عمرو بن شرحبيل[(٣)].

٣– الموقن، وروى ذلك عن ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، والضحاك.

٤ –أنه المؤمن، وهذا مروي عنده عن ابن عباس أيضاً، وابن جريج.

٥ – المسبح الكثير الذكر لله، وروى ذلك عن عقبة بن عامر[(٤)]، وسعيد بن جبير.

---

(١) انظرها مسندة عن أصحابها في: جامع البيان (١٢/ ٣٣ – ٤٣).

(٢) **عبيد بن عمير** بن قتادة الليثي، من كبار التابعين، قاص مكة، مجمع على ثقته، توفي سنة (٦٨هـ). انظر : تذكرة الحفاظ(١/ ٥٠)، تقريب التهذيب (ص٦٥١).

(٣) **عمرو بن شرحبيل** الهمداني، أبو ميسرة الكوفي، ثقة عابد، توفي في ولاية عبيد الله بن زياد، سنة (٦٣هـ) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد: (٦/ ١٠٦)، سير أعلام النبلاء (٤/ ١٣٥–١٣٦).

أما قول ابن مسعود فرواه ابن أبي حاتم في تفسيره قال ابن حجر في الفتح ٦/ ٣٨٩ : "بإسناد حسن" ، وأما قول أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل فرواه البخاري في صحيحه معلقا مجزوما به في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى (واتخذ الله إبراهيم خليلا) ، وقال ابن حجر في الفتح ٦/ ٣٨٩ : "وصله وكيع في تفسيره".

(٤) **عقبة بن عامر** هو: الصحابي الجليل عقبة بن عامر الجهني المصري، كان عالماً مقرئاً فصيحاً فقيهاً فرضياً شاعراً كبير الشأن، ولي إمرة مصر، وكانت وفاته بالمقطم سنة (٥٨هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٦٧).

٦- الذي يكثر تلاوة القرآن، وأخرج عن ابن عباس في ذلك أثراً، لكنه ليس تفسيراً للآية.

٧- من التأوه، وأخرج ذلك عن كعب بن مالك(١)، قال: « الأواه: إذا ذكر النار قال: أوه من النار ».

٨- الفقيه، وروى ذلك عن مجاهد أيضاً.

٩- المتضرع الخاشع، وروى ذلك عن عبد الله بن شداد(٢) عن النبي – صلى الله عليه وسلم –(٣).

ثم تطرق – رحمه الله – إلى أصل كلمة (الأواه) فقال: « **وأصله من التأوه وهو التضرع والمسألة بالحزن والإشفاق**، واستشهد على ذلك بما روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم (٤)- ... ثم قال: ولذلك قيل للمتوجع من ألم أو مرض: لم تتأوه ؟ كما قال المثقب العبدي :

إذَا ما قُمْتُ أَرْحَلُها بِلَيْلٍ ... تَأَوَّهُ آهَةَ الرَّجُلِ الحَزِينِ (٥).

ومنه قول الجعدي :

---

(١) كعب بن مالك بن أبي كعب عمرو بن القَيْن ، الأنصاري ، الخزرجي العَقَبيّ الأُحُديّ ، شاعر رسول الله ص وصاحبه، وأحد الثلاثة الذين خلفوا فتاب الله عليهم ، توفي سنة (٥٠هـ). انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١٣٢٢)، والإصابة في تمييز الصحابة (٥/ ٦١١).

(٢) عبد الله بن شداد بن الهاد الليثي، المدني أبو الوليد، ابن خالة خالد بن الوليد، كانت أمه سلمى بنت عميس تحت حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - ، فلما استشهد تزوجها شداد فولدت له هذا، وكان فقيها كثير الحديث، من كبار التابعين الثقات. قتل سنة (٨٢هـ). انظر: تهذيب الكمال (١٥/ ٨١)؛ وتهذيب التهذيب (٥/ ٢٥١-٢٥٢).

(٣) ولفظ حديثه: قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ، قال رجل: يا رسول الله، ما "الأوّاه"؟، قال: المتضرع، قال: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾.

(٤) وهو: حديث عبد الله بن شداد عن النبي ه المتقدم –في الحاشية قبله، وحديث عقبة بن عامر أن رسول الله ج قال لرجل يقال له ذو البجادين: إنه أواه، وذلك أنه رجل كان يكثر ذكر الله بالقرآن والدعاء ويرفع صوته.

(٥) ديوان المثقب (ص: ٢٩).

ضَرُوحٍ مَرُوحٍ تُتْبِعُ الْوُرْقَ بَعْدَما   يُعَرِّسْنَ شَكْوَى، آهَةً وَتَنَمَّرَا [(١)].

ثم أشار إلى اشتقاق الكلمة في كلام العرب وأنها تأتي من تأوه يتأوّه، على تفعل يتفعل، واستشهد على ذلك بقول الراجز:

فَأَوَّهَ الرَّاعِي وضَوْضَى أَكْلُبُهْ [(٢)]

وبقول الآخر:

فَأَوْهِ مِنَ الذِّكْرَى إذَا مَا ذَكَرْتُها   وَمِنْ بُعْدِ أَرْضٍ بَيْنَنَا وَسَمَاءِ [(٣)].

ولا تأتي من الأصل المجرد (فعل يفعل)، ولو جاء عليه لكان آه يؤوه أوها.

الدراسة والتحليل:

حكى هذه الأقوال التي ذكرها الطبري – رحمه الله تعالى – في تفسير كلمة (الأواه) جمع من أهل اللغة والتفسير.

قال في القاموس المحيط: « **والأواه**: الموقن أو الدعاء أو الرحيم الرقيق أو الفقيه أو المؤمن بالحبشية » [(٤)].

وقال ابن منظور: « ورجل أَوَّاهٌ كثير الحُزْنِ، وقيل هو الدَّعَّاءُ إلى الخير، وقيل الفقيه، وقيل المؤْمن بلغة الحبشة، وقيل الرحيم الرقيق، وفي التنزيل العزيز: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ وقيل الأَوّاهُ هنا المُتَأَوِّهُ شَفَقاً وفَرَقاً وقيل المتضرع يقيناً أَي إِيقاناً بالإِجابة ولزوماً للطاعة هذا قول الزجاج وقيل الأَوَّاهُ المُسَبِّحُ، وقيل هو الكثير الثناء ويقال

(١) ديوان الجعدي (ص: ٣٣).

(٢) لم أجده منسوبًا لقائل، وهو في الكشف والبيان (٥/ ١٠٣)، والدر المصون (٦/ ١٣١).

(٣) لم أجده منسوباً لقائل، وهو من شواهد الفراء في معانيه (٢/ ٢٣)، وفي الخصائص لابن جني (٣/ ٣٨).

(٤) القاموس المحيط (ص: ١٦٠٤).

الأَوَّاهُ الدَّعَّاءُ وروي عن النبي ق أَنه قال: (الأَوَّاهُ الدَّعَّاءُ)[١] وقيل الكثير البكاء»[٢].

كذلك حكى الأقوال بعض أهل الغريب والمعاني، فقال الزجاج: « والأواه في أكثر الرواية الدعّاء، ويروى أن الأواه: الفقيه، ويروى أن الأواه: المؤمن بلغة الحبشة، ويروى أن الأواه: الرحيم الرفيق، وقال أبو عبيدة: الأواه المتأوه شفقاً وفرقاً المتضرع يقيناً، يريد أن يكون تضرعه على يقين بالإجابة ولزوماً للطاعة »[٣].

وحكى جمع من أهل التفسير هذه الأقوال[٤]، وأوصلها بعضهم إلى خمسة عشر قولاً[٥].

أما أكثر المؤلفين في غريب القرآن، فقد اقتصروا على ما له صلة بالمعنى اللغوي للكلمة، وهو أنه كثير التأوه، والتضرع، والدعاء.

قال أبو عبيدة: « أواه: فعّال من التأوه ، ومعناه متضرع شفقا وفرقا ولزوما لطاعة ربه »[٦].

وقال السجستاني: « (أواه) دَعَّاء، ويقال: كثير التأوه، أي التوجع شفقاً وفرقا»[٧].

---

(١) لسان العرب (١٣/ ٤٧٢)، وانظر: تهذيب اللغة (٢/ ٣٨٨)، تاج العروس (٣٦/ ٣٣١).

(٢) لم أره مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما هو من قول ابن مسعود كما سبق، وهو في مصنف ابن أبي شيبة (١١/ ٥١٧) برقم (٣٢٤٧٥)، وشعب الإيمان (٢/ ١٠٤) برقم (٥٨١٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧٣ – ٤٧٤)، وانظر: معاني القرآن للنحاس (٣/ ٢٦١)، والكليات لأبى البقاء الكفوي (١/ ٣٠٤)، فقد حكيا أيضاً بعض الأقوال.

(٤) انظر: معالم التنزيل (٤/ ١٠٣)، المحرر الوجيز (٣/ ١٠٣)، النكت والعيون (٢/ ٤١٠)، زاد المسير (٣/ ٥٠٩)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٦٣١)، فتح القدير (٢/ ٥٩٦).

(٥) وهو القرطبي، كما في الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٢٤٩).

(٦) مجاز القرآن (١/ ٢٧٠).

(٧) غريب القرآن (ص: ٦٢).

وذكر مثل ذلك جمع من أهل الغريب[1].

أما أصل هذه الكلمة واشتقاقه:

فقد قال الطبري: « **وأصله من التأوه وهو التضرع والمسألة بالحزن والإشفاق**».

وهذا الذي ذكره جمهور اللغويين.

فأواه: فعال للمبالغة من (**أوه**)، وهي اسم فعل بمعنى أتوجع[2]، والتأوه: أن يقول: أوه أوه، وكل كلام يدل على تحزن[3]، وقيل: هو أن يسمع للصدر صوت من تنفس الصعداء[4].

قال ابن فارس: « (أوه) الهمزة والواو والهاء كلمةٌ ليست أصلاً يقاس عليها. يقال تأَوّه إذا قال أَوَّهْ وأَوْهِ والعرب تقول ذلك » [5].

وقال الجوهري: « (أوه): قولهم عند الشكاية: أوه من كذا، ساكنة الواو، إنما هو توجع » [6].

أما ما أشار إليه الطبري من أن اشتقاق كلمة (الأواه) إنما تأتي من المزيد (أوّه، وتأوّه)، ولا يأتي من الأصل المجرد، ولو جاء عليه لكان آه يؤوه أوها.

فهو محل اتفاق من العلماء؛ فقد ذكروا أن قياس فعل (أواه) أن يكون ثلاثياً؛ لأن

---

(١) كابن قتيبة في غريب القرآن (١ص:١٩٣)، ومكي في العمدة (ص: ١٥٠)، وابن الجوزي في تذكرة الأريب (ص: ٢٢٧)، والخزرجي في نفس الصباح (١/ ٣٩١)، وابن الهائم في التبيان (ص: ٢٢٩)، وأبي حيان في تحفة الأريب (ص: ٥٦).

(٢) انظر: البحر المحيط (٥/ ٩٢).

(٣) مفردات القرآن (١/ ١٠١)، عمدة الحفاظ (١/ ١٤٢).

(٤) تفسير البغوي (٤ / ١٠٣)، والجامع لأحكام القرآن (٨/ ٢٤٩).

(٥) مقاييس اللغة (١ / ١٦٣).

(٦) الصحاح (٦ / ٢٢٢٥)، وانظر: القاموس المحيط (ص: ١٦٠٤).

أمثلة المبالغة إنما تطرد في الثلاثي، لكنه لم يأت عليه، وقد حكى قطرب فعله ثلاثياً فقال: يقال: آه يؤوه أوهاً كقال يقول قولاً، وأنكر النحويون هذا القول على قطرب، وقالوا : لا يقال من أوه بمعنى الوجع فعل ثلاثي ، إنما يقال : أوه تأويها، وتأوه تأوها[1].

وقد أورد بعض المؤلفين في الغريب اللغاتِ الواردةَ عن العرب في اسم الفعل (أوه).

قال السجستاني: وأوه فيه خمس لغات : [أَوْهُ ، وآهِ ، وأَوْهِ ، وآهٍ ، وأَوَّهِ][2].

وتفاصيل هذه اللغات وغيرها مبثوثة في كتب النحو والمعاجم[3].

الترجيح:

اختار الإمام الطبري – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى (الأواه) أنه الدَّعَّاء؛ لمناسبة ذلك للسياق؛ لأن الله وصف إبراهيم – عليه السلام -بالأواه بعد وصفه إياه بالدعاء والاستغفار لأبيه في قوله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ التوبة: ١١٤ وترك الدعاء والاستغفار له، ثم قال: إبراهيم لَدَعَّاء ربَّه شاكٍ له حليم عمن سبه وناله بالمكروه[4].

لكن لا يلزم من اختياره لهذا القول نفيٌ للأقوال الأخرى، بل ذكر أنها متداخلة ومتقاربة؛ وكلها داخلة تحت المعنى اللغوي الذي ذكره، ولهذا قال: - بعد ذكره للأقوال وتصويبه بأنه الدعَّاء- :« ولأن معنى ذلك: **توجع وتحزن وتضرع**، اختلف أهل التأويل فيه الاختلاف الذي ذكرت ... **وكل ذلك عائد إلى ما قلت، وتقارب معنى بعض ذلك من بعض؛** لأن الحزين المتضرع إلى ربه الخاشع له بقلبه ينوبه ذلك

(١) انظر: البحر المحيط (٥/ ٩٢) الدر المصون (١/ ٢٢٥٤)، الجدول في إعراب القرآن (١١/ ٤٧).

(٢) غريب القرآن (ص: ٦٢)، وذكر مثله ابن الهائم في التبيان (ص: ٢٢٩).

(٣) انظرها: في المخصص لابن سيده (٤/ ٨٨)، والصحاح (٦/ ٢٢٢٥)، والقاموس المحيط (ص:١٦٠٣)، وتاج العروس (٣٦/ ٣٢٩).

(٤) انظر: جامع البيان (١٢/ ٤٤).

عند مسألته ربه ودعائه إياه في حاجته ، وتعتوره هذه الخلال التي وجه المفسرون إليها تأويل قول الله : ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ »[١].

فكأنه – رحمه الله – يرى أن جميع الأقوال داخلة في الآية، لعموم معنى الكلمة اللغوي لها، لكنه اختار ما اختار لمناسبة السياق.

وذهب إلى ما ذهب إليه الطبري من الجمع بين الأقوال واختيار معنى (الدَّعَّاء) أبو جعفر النحاس حيث قال : « وهذه الأقوال ليست بمتناقضة، لأن هذه كلها من صفات إبراهيم صلى الله عليه وسلم، إلاّ أنّ أحسنها في اللغة الدَّعَّاء لأن التأوه إنما هو صوت »[٢].

وممن نحا منحى الجمع بين هذه الأقوال لدلالة الكلمة اللغوية: الزجاج؛ فقد قال – بعد ذكره للأقوال – : « وقد انتظم قول أبي عبيدة أكثر ما روي في الأواه »[٣]؛ فهو يرى أنّ ما جاء في تفسير "الأواه" لا يخرج عن المعنى اللغوي الذي نقله أبو عبيدة.

وقال القرطبي – بعد ذكره للأقوال –:« وهذه الأقوال متداخلة »[٤].

والجمع بين المعاني، وحمل الآية عليها كلها هو الأظهر عندي، وإن كان بعض المعاني أولى من بعضها وأقرب، والله تعالى أعلم.

---

(١) المصدر السابق (١٢/ ٤٦).

(٢) معاني القرآن للنحاس (٣/ ٢٦٢).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٧٣ – ٤٧٤).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٢٧٥).

{ اقضوا }

قال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ۝٧١﴾ يونس: ٧١

قال الإمام الطبري – رحمه الله – في تفسير هذه المفردة القرآنية -: « وأما قوله : ﴿ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ﴾ فإن معناه : **ثم امضوا إلي ما في أنفسكم وافرغوا منه** »[1].

ثم ذكر اختلاف علماء العربية فيها:

١- قال بعضهم: معناه : **امضوا إلي** ، كما يقال: قد قضى فلان، يراد: قد مات ومضى، وهذا قول الفراء[2]، وحكاه الرازي عن ابن الأنباري[3].

٢- وقال آخرون: بل معناه : ثم **افرغوا إلي**، وقالوا : القضاء : الفراغ ، والقضاء من ذلك. قالوا : وكأنَّ " قضى دَيْنَه " من ذلك، إنما هو فرغ منه، وهذا معنى ما حكاه النحاس عن الأخفش والكسائي، قال: « قال الأخفش والكسائي: هو مثل: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ﴾ [الحجر: ٦٦] أي أنهيناه إليه وأبلغناه إياه »[4].

الدراسة والتحليل:

بالرجوع إلى مادة (قضى) في معاجم اللغة العربية نجد أنها أصل واحد يدخل تحته فروع ومعان عديدة، كلها تدور حول معنى: **الإتمام والإنفاذ**.

قال ابن فارس – رحمه الله -: « (قضى) القاف والضاد والحرف المعتل أصلٌ

---

(١) جامع البيان (١٢/ ٢٣٣ – ٢٣٤).

(٢) كما في معاني القرآن له (١/ ٤٧٤).

(٣) انظر: التفسير الكبير الرازي (١٧ / ٢٨٦).

(٤) إعراب القرآن للنحاس (٢ / ٢٦٢).

صحيح يدلُّ على إحكام أمرٍ وإتقانهِ وإنفاذه لجهته ... ثم أورد أمثلة ، ثم قال: **وكلُّ كلمةٍ في الباب فإنَّها تجري على القياس الذي ذكرناه** »[1].

ونقل الأزهري عن أبي إسحاق الزجاج قوله: « وقضى في اللغة على ضروب كلها ترجع إلى معنى **انقطاع الشيء وتمامه** ... ثم ذكر تلك المعاني وأمثلة لها »[2].

وذكر ابن قتيبة أيضاً أن أصل قضى: حتم، ثم يصير الحتم معان... ثم ذكرها وأمثلتها .... ثم قال: « وهذه كلها فروع ترجع إلى أصل واحدٍ »[3].

ومن المعاني التي ذكروها: الختم، الأمر، الإعلام، الفصل، الفراغ، الفعل، الصنع، الحتم، الأداء، وغيرها.

وقد اختلفت عبارات أهل الغريب والمفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ ﴾، وكلها راجعة إلى المعنيين اللذين ذكرهما الطبري – رحمه الله –.

فمما جاء على القول الأول: **امضوا إلي:**

ما روي عن ابن عباس قال: في قوله : ﴿ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ ﴾ **انهضوا إلي**[4].

وقول مقاتل بن سليمان: " **ميلوا إلي**"[5].

وقول السجستاني، وابن الهائم المصري، والمارديني: " **امضوا ما في أنفسكم**"[6].

---

(١) مقاييس اللغة (٥ / ٩٩)، وذكر مثله في كتابه: الصاحبي في فقه اللغة (١ / ٥١) – بعد ما سرد معانيَ عديدة لـ(قضى) –: " وهذه وإن اختلفت ألفاظها فالأصل واحد".

(٢) تهذيب اللغة (٣ / ٢٤٤)، وانظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (١/ ٥٠٦).

(٣) تأويل مشكل القرآن (ص : ٤٤٢) ..

(٤) تفسير ابن أبى حاتم (٦/ ١٩٦٩)، النكت والعيون (٢/ ٤٤٣)، الدر المنثور (٧/ ٦٩٠).

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٩٩).

(٦) انظر: غريب القرآن (ص: ١٠٦)، التبيان في تفسير غريب القرآن (ص: ٢٣١)، بهجة الأريب (ص: ١٠٩).

وقول بعضهم: " **توجهوا إليّ** بالقتل والمكروه"(١).

واقتصر جمع من المفسرين على التعبير بـ (امضوا إلي)(٢).

<u>ومما جاء على المعنى الثاني: **افرغوا إلي**:</u>

قول الزجاج، وابن قتيبة، والنحاس، وابن الجوزي: "**افعلوا ما تريدون**"(٣).

وقول الراغب: " **افرغوا من أمركم** "(٤).

وقول مجاهد: " اقضوا إليّ ما في أنفسكم"(٥).

وقول قتادة: " اقضوا إليّ ما أنتم قاضون "(٦).

وقال ابن عطية ومن تابعه: " أنفذوا قضاءكم نحوي "(٧).

وذُكر غير هذه من التعبيرات(٨)، وكلها داخلة في المعنيين، وهما (أي المعنيان) راجعان – كما أسلفت – إلى أصل واحد.

---

(١) انظر: تفسير السمعاني (٢ / ٣٩٦)، والسراج المنير (٢ / ٢٦).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٦٤)، تفسير الخازن (٣/ ٢٠١)، وتفسير الجلالين (ص:٢٧٧).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٢٩)، غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ١٩٨)، معاني القرآن للنحاس (٣ / ٣٠٧)، تذكرة الأريب (ص: ٢٣٩)، ولم يعبروا جميعهم بهذه الكلمات، وإنما هي متقاربة.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن (٢ / ٢٤٧).

(٥) انظر: تفسير ابن أبى حاتم (٦ / ١٩٧٠)، الدر المنثور (٧ / ٦٩٠).

(٦) انظر: تفسير ابن أبى حاتم (٦ / ١٩٧٠).

(٧) المحرر الوجيز (٣/ ١٤٩)، ومثله في البحر المحيط (٥ / ١٧٨ – ١٧٩)، والجواهر الحسان (٢ / ١٨٦).

(٨) انظر: الكشاف (٢ / ٣٤٢)، والتبيان في إعراب القرآن (٢ / ٣١)، تلخيص البيان في مجازات القرآن (٢ / ١٥٥)، الدر المصون (١ / ٢٣٤٩)، وروح المعاني (١١ / ١٥٨).

الترجيح:

يمكن الجمع بين هذه المعاني المذكورة في معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ﴾ وحمل الآية عليها جميعاً؛ إذ لا تناقض بينها، ولعل هذا ما جعل الإمام الطبري يحكي القولين دون ترجيح، بل يظهر من كلامه أنه يرى الجمع بين القولين؛ حيث يقول: «وأما قوله: ﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ﴾ فإن معناه: **ثم امضوا إلي ما في أنفسكم وافرغوا منه**"[1].

ومثل هذا قول الواحدي في تفسير الآية: « افعلوا ما تريدون وامضوا إليّ بمكروهكم»[2].

(١) جامع البيان (١٢/ ٢٣٣).

(٢) الوجيز للواحدي (١ / ٥٠٤).

{ ننجيك }

قال تعالى: ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗ ﴾ يونس: ٩٢

فسر الإمام الطبري – رحمه الله – كلمة {ننجيك} بقوله: « نجعلك على نجوة الأرض » ... ثم قال: « والنجوة : الموضع المرتفع على ما حوله من الأرض، ومنه قول أوس بن حجر:

فَمَنْ بِعَقْوَتِهِ كَمَنْ بِنْجْوَتِهِ وَالْمُسْتكِنُّ كَمَنْ يَمْشِي بِقِرْوَاحِ [١][٢].

الدراسة والتحليل:

هذا الذي ذكره الطبري في معنى (ننجيك) هو قول جمهور اللغويين وأهل الغريب والتفسير.

قال ابن الأنباري: « والنجوة في كلام العرب ما ارتفع من الأرض قال الله عز وجل: ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ معناه فاليوم نلقيك على نجوة من الأرض» [٣].

وقال ابن سيده: « النجوة والنجاة ما ارتفع من الأرض فلم يعله السيل فظننته نجاءك، والجمع نجاء، وقوله تعالى: ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ أي نجعلك فوق نجوة من الأرض أو نلقيك عليها لتعرف » [٤].

---

(١) ديوان أوس بن حجر (ص: ١٦).

(٢) جامع البيان (١٢/ ٢٧٩).

(٣) الزاهر فى معاني كلمات الناس – (١ / ٤٢).

(٤) المحكم والمحيط الأعظم (٧/ ٥٥٧)، وانظر له أيضاً: المخصص (٣/ ٥٠).

وذكر هذا جمع من اللغويين[1]، ولم يرد عنهم غيره[2].

وممن ذهب لهذا القول من أصحاب غريب القرآن: أبو عبيدة، قال: « ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ مجازه : نلقيك على نجوة ، أي ارتفاع ليصير علما أنه قد غرق »[3].

وقال السجستاني: « ننجيك ببدنك : نلقيك على نجوة من الأرض ، أي ارتفاع من الأرض »[4].

وقال الراغب: « والنجوة والنجاة: المكان المرتفع المنفصل بارتفاعه عما حوله، وقيل: سمي لكونه ناجيا من السيل، ونجيته: تركته بنجوة، وعلى هذا: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ » [5].

واقتصر على هذا القول جمع من المفسرين[6].

وحكى بعض المفسرين في قوله: ﴿ نُنَجِّيكَ ﴾ قولاً آخر، وهو: نخرجك من

---

(١) انظر: جمهرة اللغة (١ / ٢٤٩)، لسان العرب (١٥ / ٣٠٤)، تاج العروس (٤٠/ ٣٦).

(٢) إلا ما ذكره الجوهري في الصحاح (٦ / ٢٥٠١) أن المعنى: " ننجيك لا نفعل بل نهلكك، وأضمر قوله لا نفعل ".

قال في مختار الصحاح (١/ ٦٨٨): "قلت: وهذا قول غريب لم أعرف أحداً من كِبار أئمة التفسير أو اللغة قاله غيره رحمه الله ".

(٣) مجاز القرآن (١ / ٢٨١)، ونقله عنه ابن قتيبة في: غريب القرآن (ص: ١٩٩).

(٤) غريب القرآن (ص: ٤٧٤).

(٥) مفردات ألفاظ القرآن (٢/ ٤٠٨)، وانظر هذا أيضاً في: إيجاز البيان عن معاني القرآن (١/ ٤٠٣)، والعمدة (ص: ١٥٣)، ونفس الصباح (١/ ٣٩٩)، وعمدة الحفاظ (٤/ ١٤٦).

(٦) انظر: تفسير السمعاني (٢/ ٤٠٣)، وتفسير البغوي (٤/ ١٤٩)، والجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٧٩)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٢٩٤).

البحر ونخلصك مما وقع فيه قومك من قعر البحر، ولكن بعد أن تغرق[1].

وذهب آخرون إلى أن هذا وعد له بالنجاة على سبيل التهكم، كما في قوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ آل عمران: ٢١ ، كأنه قيل له ننجيك لكن هذه النجاة إنما تحصل لبدنك لا لروحك، ومثل هذا الكلام قد يذكر على سبيل الاستهزاء كما يقال : نعتقك ولكن بعد الموت، ونخلصك من السجن ولكن بعد أن تموت[2]، وهذا قول ابن عاشور[3].

وذُكِرَت غير هذه الأقوال[4]، وبعضها واضحة البعد عن سياق الآية.

والأولى تفسير الآية بما فسّره به جمهور العلماء من المفسرين واللغويين؛ لأنّ ما اتفق عليه جمهور العلماء مقدم على كل تفسير شاذ[5].



(١) انظر: الوجيز للواحدي (١ / ٣٢٩)، والتفسير الكبير (١٧/ ٢٩٨)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٦٠٨)، والسراج المنير (٢ / ٣١)، وتفسير الجلالين (ص: ٤٦٣).

(٢) التفسير الكبير (١٧/ ٢٩٨).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (١١/ ١٧١).

(٤) انظرها في: البحر المحيط (٦ / ١٠٣).

(٥) انظر: قواعد الترجيح (١ / ٢٨٨).

{ ببدنك }

قال تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾ يونس: ٩٢

فسره الإمام الطبري : على أصله وهو جسد الإنسان، قالوا: إنما ذكر البدن دلالة على خروج الروح منه، أي ننجيك ببدن لا روح فيه(١).

وهذا قول جماعة من المفسرين وأصحاب الغريب.

قال الأخفش: « وقوله: ﴿بِبَدَنِكَ﴾ أيّ: لا روح فيه"(٢).

وقال ابن قتيبة: « ﴿بِبَدَنِكَ﴾ أي: بجسدك وحدك »(٣).

وقال بعض العلماء: المراد ﴿بِبَدَنِكَ﴾: **بدرعك،** قالوا: يسمى الدرع بدناً لكونها على البدن.

وحكى هذا القول بعض أهل الغريب والتفسير(٤)، واقتصر عليه بعضهم(٥).

وقد ذكر جمع من أهل اللغة صحة استعمال (البدن) بمعنى الدرع لغة(٦)، واختاره بعضهم تفسيراً للآية.

---

(١) انظر: غريب القرآن للسجستاني (ص: ٤٧٤).

(٢) معاني القرآن (٢ / ٣٨).

(٣) غريب القرآن (ص: ١٩٩)، وانظر مثله في: غريب القرآن للسجستاني (ص: ٤٧٤)، والتبيان في تفسير غريب القرآن (ص: ٢٣٢)، وتذكرة الأريب (ص: ٢٤١).

(٤) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (١/ ٧٥)، غريب القرآن (ص: ٤٧٤)، التبيان في تفسير غريب القرآن (ص: ٢٣٢).

(٥) انظر: إيجاز البيان عن معاني القرآن (١/ ٤٠٣)، تفسير المشكل من غريب القرآن (ص:١٠٤).

(٦) قال في مقاييس اللغة (١ / ٢١٢): " وتسمَّى الدِّرعُ البَدَنَ لأنها تَضُمّ البَدَن"، وانظر: لسان العرب (١٣ / ٤٧)

قال ابن دريد: « والبَدَن : الدِّرع في هذا الموضع، والله عز وجل أعلم»[1].

وحكى غير واحد تفسير الآية بذلك عن ثعلب[2].

وأنكر الأخفش هذا التفسير قائلاً: "« وليس قولهم: "أَنّ البَدَن ها هنا" "الدِرْع" بشيء ولا له معنى » [3].

وقال بعضهم: المراد بقوله: ببدنك: سويا صحيحا، أي: لم يتمزق ليتحققوه ويعرفوه[4].

والقول الأول هو الذي اختاره الطبري، والنحاس[5].

وقد يقال عليه: هل لِذِكْر البدن - إن حملنا معناه على الجسد - فائدة في المعنى إذ لا يجوز أن ينجَّى بغير جسده ؟

فيجاب بأنه : « كان جائزاً أن ينجيه بهيئته حياً كما دخل البحر، فلما كان جائزاً ذلك، قيل: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾؛ ليُعْلم أنه ينجيه بالبدن بغير روح ولكنْ ميتاً »[6].

ولا مانع من الجمع بين الأقوال؛ إذ لا منافاة بينها؛ إذ يمكن أن يرفع على النجوة بجسد لا روح فيه لم يمزق عليه درعه، والله أعلم[7].



(١) الاشتقاق (ص: ٢٦٧).

(٢) انظر: المحكم والمحيط الأعظم (٩/ ٣٥٦)، تهذيب اللغة (٤ / ٤٦٥)، لسان العرب (١٣/ ٤٧).

(٣) معاني القرآن (٢ / ٣٨).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢٩٤).

(٥) معاني القرآن (٣/ ٣١٥).

(٦) جامع البيان (١٢/ ٢٨٣).

(٧) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢٩٤).

{ وأخبتوا }

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ هود: ٢٣

في تفسير هذه المفردة القرآنية الغريبة ذكر الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – على منهجه المطرد – أقوال أهل التأويل من السلف في تفسيرها[1]:

١ – فروى عن: ابن عباس، وقتادة أن معنى ذلك : **وأنابوا** إلى ربهم.

٢ – كما روى عن: ابن عباس أيضاً: أنّ معناه: **وخافوا**.

٣– وروى عن مجاهد أنّ معناه: **اطمأنوا**.

٤ – وروى عن قتادة قولاً ثانياً أنه: **التخشع والتوضع**.

ثم ذكر أبو جعفر – رحمه الله – الأصل اللغوي لهذه الكلمة بقوله: « **غير أن نفس الإخبات عند العرب الخشوع والتواضع** »[2].

الدراسة والتحليل:

ما ذكره الإمام الطبري في أصل هذه الكلمة هو قول أصحاب المعاجم العربية، ولم أجد خلافاً بينهم في ذلك.

قال ابن فارس: « (خبت) الخاء والباء والتاء أصلٌ واحد يدلُّ على خُشوع: يقال أَخْبَتَ يخبِتُ إخباتاً، إذا خشَع. وأخْبَتَ لله تعالى. قال عزّ ذكره: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ﴾ الحج: ٣٤ »[3].

---

(١) جامع البيان (١٢/ ٣٧٣ – ٣٧٥).

(٢) جامع البيان (١٢/ ٣٧٥).

(٣) مقاييس اللغة (٢/ ٢٣٨).

وقال الجوهري: « والإخبات: الخشوع، يقال: أخبت لله. وفيه خبتة، أي تواضع»[1].

وذكر أهل اللغة أن أصل الخبت هو: المطمئن من الأرض والمتسع[2]، ثمّ استعمل الإِخبات استعمال اللِّين والتَّواضع[3]، فكأن الإخبات خشوع مستمر على استواء فيه[4].

أما المؤلفون في غريب القرآن فقد ذهب بعضهم إلى الجمع بين المعاني التي تحتملها لفظ الإخبات:

فقال أبو عبيدة: « ﴿ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ مجازه: أنابوا إلى ربهم وتضرعوا إليه، وخضعوا وتواضعوا له »[5].

وقال السجستاني: «﴿وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾: أي تواضعوا وخشعوا لربهم . ويقال: أخبتوا إلى ربهم : اطمأنوا وسكنت قلوبهم ونفوسهم إليه . والخبت ما اطمأن من الأرض »[6].

بينما اقتصر بعضهم على المعنى الموافق لأصل الإخبات:

قال الفراء: « وقوله : ﴿وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ معناه : تخشّعوا لربّهم وإلى ربّهم »[7].

وقال ابن قتيبة: « ﴿ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ أي: تواضعوا لربهم. وَالإِخْبَاتُ:

(١) الصحاح (١/ ٢٤٧).

(٢) انظر: الصحاح (١/ ٢٤٧)، تهذيب اللغة (٢/ ٤٧٤)، و لسان العرب (٢/ ٢٧).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن (١/ ٢٨٣)، بصائر ذوي التمييز (٢ / ٥٢١).

(٤) إعراب القرآن وبيانه لمحي الدين الدرويش (٤ / ٣٣٣).

(٥) مجاز القرآن (١ / ٢٨٦)، ومثله في: تفسير المشكل لمكي (ص: ١٩٧).

(٦) غريب القرآن (ص: ٦٣)، ومثله في: التبيان (ص: ٢٣٣)، ونفس الصباح (١/ ٤٠٢).

(٧) معاني القرآن للفراء (٢ / ٩).

التواضع والوقار»[1].

وكذلك صنع المفسرون؛ فحكى بعضهم الأقوال كلّها أو بعضها[2]، محاولاً الجمع بينها[3]، بينما اقتصر الزمخشري ومن تابعه على المعنى الموافق للأصل اللغوي للكلمة[4].

قال في الكشاف: « ﴿ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ اطمأنوا إليه وانقطعوا إلى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهي الأرض المطمئنة »[5].

وقال البيضاوي: « اطمأنوا إليه وخشعوا له من الخبت وهو الأرض المطمئنة"»[6].

الترجيح:

رجّح الإمام الطبري – رحمه الله – في تفسير كلمة {وأخبتوا} شمول اللفظ جميع المعاني التي وردت عن السلف فيها؛ لكونها متقاربة المعنى، متلازمة، وإن لم تكن تلك المعاني منبثقة من الأصل اللغوي للكلمة، قال: « وهذه الأقوال متقاربة المعاني، وإن اختلفت ألفاظها؛ لأن الإنابة إلى الله من خوف الله، ومن الخشوع والتواضع لله

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٠٢)، واقتصر على معنى التواضع: مكي في العمدة (ص: ١٥٤)، وأبو البقاء في الكليات (١/ ٧٨)، وأبو حيان في التحفة (ص: ٢٨).

(٢) انظر: الوجيز للواحدي (١/ ٥١٧)، وتفسير البغوي (٤/ ١٧٠)، والنكت والعيون (٢/ ٤٦٤)، وزاد المسير (٤/ ٩٢)، وقد أوصلها إلى سبعة أقوال، و تفسير الجلالين (ص: ٢٨٧).

(٣) ستأتي الإشارة إليهم في الترجيح.

(٤) معاني القرآن للفراء (٢ / ٩).

(٥) الكشاف (٢ / ٣٦٦).

(٦) تفسير البيضاوي (١/ ٢٢٩).

بالطاعة، والطمأنينة إليه من الخشوع له »[1].

ووافق الطبريَّ على هذا غير واحد من العلماء.

قال ابن عطية – بعد ذكره للأقوال –: «وهذه أقوال بعضها قريب من بعض»[2].

وقال ابن القيم – بعد إيراده للأقوال –: « وهذه الأقوال تدور على معنيين: التواضع والسكون إلى الله عز و جل؛ ولذلك عدي بإلى تضمينا لمعنى الطمأنينة والإنابة والسكون إلى الله تعالى »[3].

وهذا أولى وأصح؛ لأن الجمع أولى من الترجيح، والأصل بقاء اللفظ على عمومه، كما سبق مراراً، والعلم عند الله تعالى.

---

(١) جامع البيان (١٢/ ٣٧٥).

(٢) المحرر الوجيز (٣/ ١٧٧)، ومثله في الجواهر الحسان (٢/ ٢٠٢).

(٣) مدارج السالكين (٢/٣)، وانظر الجمع للأقوال في: الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٢١)، تفسير السعدي (ص: ٣٨٠).

{ حنيذ }

قال تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٍ ٦٩﴾ هود: ٦٩

ذكر الإمام الطبري – رحمه الله – في تفسيره لهذه الكلمة الغريبة اختلاف أهل اللغة العربية فيها[1]:

١– فنقل عن بعض أهل البصرة : **معنى المحنوذ : المشوي** ، قال : ويقال منه : حنذت فرسي ، بمعنى سخنته وعرقته . واستشهد لقوله ذلك ببيت الراجز:

وَرَهِبَا مِنْ حَنْذِهِ أَنْ يَهْرَجَا[2]

ويقصد بهذا أبا عبيدة فقد ذكر هذا في مجاز القرآن[3] مستشهدا بالبيت.

٢– وحكى عن آخر منهم: حنذ فرسه: أي **أضمره**، وقال: قالوا حنذه يحنذه حنذا: أي عرقه.

٣– ونقل عن بعض أهل الكوفة : كل ما انشوى في الأرض إذا **خددت له فيه فدفنته** ، وغممته ، فهو الحنيذ والمحنوذ. قال: والخيل تحنذ إذا ألقيت عليها الجلال بعضها على بعض لتعرق. قال: ويقال: إذا سقيت فأحنذ، يعني أخفس، يريد: أقل الماء وأكثر النبيذ.

ولعله يقصد به الفراء حيث قال في معاني القرآن[4] « والحنيذ: ما حفرت له في الأرض ثم غممته. وهو من فعل أهل البادية معروف. وهو محنوذ في الأصل فقيل : حنيذ ، كما قيل : طبيخ للمطبوخ ، وقتيل للمقتول » .

---

(١) جامع البيان (١٢ / ٤٦٧ – ٤٦٨).

(٢) صدر بيت للعجاج كما في ديوانه (ص: ٩).

(٣) (١/ ٢٩٢).

(٤) (٢/ ٢١).

ثم نقل الطبري عن أهل التأويل من السلف تفسيرهم لها[1].

فروى عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك تفسيرها بـ: **نضيج**.

وعن السدي، ووهب بن منبه، وسفيان تفسيرها بـ (**المشوي**).

الدراسة والتحليل:

بالرجوع إلى معاجم اللغة العربية نجد أن علماء اللغة متفقون على أن أصل هذه المادة هو: إنضاج الشيء، وإن اختلفوا في صفة وكيفية هذا الإنضاج.

قال ابن فارس – رحمه الله –: « (**حنذ**) الحاء والنون والذال أصلٌ واحد، وهو إنضاج الشيء. يقال شِواءٌ حَنِيذٌ، أي مُنْضَج، وذلك أن تحمى الحجارة وتُوضَعَ عليه حتى ينضَج. ويقال حنَذت الفرسَ، إذا استحضرتَه شَوطاً أو شوطين، ثم ظاهَرْتَ عليه الجِلالَ حتى يعرَق. وهذا فرسٌ محنوذٌ وحنيذ »[2].

وفي الصحاح: «(**حنذ**): حنذت الشاة أحنذها حنذا، أي شويتها وجعلت فوقها حجارة محماة لتنضجها، فهى حنيذ، وحنذت الفرس أحنذه حنذا، وهو أن تحضره شوطا أو شوطين، ثم تظاهر عليه الجلال في الشمس ليعرق، فهو محنوذ وحنيذ» [3].

وهذا الذي ذكره جمع من أصحاب المعاجم[4]، ويتضح منه أن الحناذ يطلق على الإنضاج الحسي للحم، والإنضاج المعنوي للفرس.

ولم يخرج أكثر المؤلفين في غريب القرآن عن هذا المعنى في تفسيرهم لكلمة {حنيذ}.

---

(١) جامع البيان (١٢/ ٤٦٨– ٤٧٠).

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ١٠٩).

(٣) الصحاح في اللغة (٢/ ٥٦٢).

(٤) انظر: جمهرة اللغة (١/ ٢٥٦)، والقاموس المحيط (ص: ٤٢٤)، ولسان العرب (٣/ ٤٨٤).

قال ابن قتيبة: « ﴿بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ٦٩﴾ أي: مَشْوِيّ. يقال: حَنَذْتُ الجمل: إذا شويته في خَدٍّ من الأرض بِالرَّضْفِ، وهي الحجارة المُحْمَاة »[1].

قال السجستاني: « حنيذ: مشوي في خد من الأرض بالرضف، وهي الحجارة المحماة »[2].

واقتصر بعض المفسرين على أن الحنيذ هو: المشوي على الحجارة[3]، بينما حكى آخرون الأقوال فيها[4]، وأوصلها ابن الجوزي إلى ستة أقوال[5].

الترجيح:

قال الإمام الطبري – رحمه الله – بعد حكاية أقوال السلف واللغويين - : «وهذه الأقوال التي ذكرناها عن أهل العربية وأهل التفسير متقاربات المعاني بعضها من بعض »[6].

وهذا أولى؛ إذ لا منافاة بين الأقوال المذكورة حتى يرجَّحَ بينها، فالحنيذ: لحم مشوي نضج يقطر ماؤه، هيئته في اللغة أنه الذي يغطى بحجارة أو رمل محمي أو حائل بينه وبين النار يغطى به[7].



(١) غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٢٠٥)، وانظر من كتب الغريب: تفسير المشكل (ص: ١٩٨) نفس الصباح (١/ ٤٠٥)، تحفة الأريب (ص: ٢٢)، ومفردات ألفاظ القرآن (١/ ٢٦٨)، الكليات (١/ ٦٤٥).

(٢) غريب القرآن (ص: ١٩١)، ومثله في: التبيان (ص: ٢٣٦).

(٣) كالواحدي في الوجيز (١ / ٥٢٦)، والبغوي في معالم التنزيل (٤ / ١٨٨)، وابن جزي في التسهيل (١/ ٧٠٧)، وابن كثير في تفسيره (٤ / ٣٣٣).

(٤) انظر: الكشاف (٢ / ٣٨٧)، والنكت والعيون (٢/ ٤٨٣)، وفتح القدير (٢ / ٧٣٦).

(٥) انظرها في زاد المسير (٤ / ١٢٨).

(٦) جامع البيان (١٢ / ٤٧٠).

(٧) المحرر الوجيز (٣/ ٢٠٢) (بتصرف يسير).

{ شغفها حبا }

قال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ يوسف: ٣٠

في تفسير هذه الجملة يقول الإمام الطبري - رحمه الله – « وقوله : ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾ يقول قد وصل حب يوسف إلى شغاف قلبها ، فدخل تحته حتى غلب على قلبه. وشغاف القلب : حجابه وغلافه الذي هو فيه ، وإياه عنى النابغة الذبياني بقوله :

وَقَدْ حَالَ هَمٌّ دُونَ ذَلِكَ دَاخِلٌ دُخُولَ شَغَافٍ تَبْتَغِيهِ الأَصَابِعُ[1]

ثم روى مثل ذلك عن أهل التفسير من السلف[2].

الدراسة والتحليل:

هذا الذي ذهب إليه أبو جعفر في تفسير الكلمة ثم نقله عن السلف هو قول جمهور اللغويين وأهل الغريب والتفسير.

قال ابن فارس: «(شغف) الشين والغين والفاء كلمةٌ واحدة، وهي الشَّغَاف، وهو غِلاف القلب. قال الله تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾، أي أوصَلَ الحبَّ إلى شَغاف قلبها» [3].

وقال الجوهري: « والشغاف أيضا: غلاف القلب، وهو جلدة دونه كالحجاب. يقال: شغفه الحب، أي بلغ شغافه »[4].

---

(١) البيت للنابغة كما في ديوانه (ص: ٣٨).

(٢) انظر جامع البيان (١٣ / ١١٥ - ١١٧).

(٣) مقاييس اللغة (٣/ ١٩٥).

(٤) الصحاح (٤/ ١٣٨٢)، وانظر هذا المعنى أيضاً في: الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٤٣٨)، وجمهرة اللغة (٢/ ٨٦٩)، والمحكم والمحيط الأعظم (٥/ ٣٩٥)، ولسان العرب (٩/ ١٧٩)، وتاج العروس (٦/ ١٥٧).

وممن ذكر هذا المعنى من أهل الغريب: **أبو عبيدة**، فقد قال: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ أي قد وصل الحب إلى شغف قلبها وهو غلافه »[1].

وابن قتيبة، حيث يقول: « ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ أي: بلغ حُبُّهُ شَغَافَهَا. وهو غلاف القلب »[2].

وهو قول جمهور المفسرين من السلف[3] والخلف[4]، فلا خلاف بينهم فيه إلا في المراد بالشغاف؛ فقد تنوعت أقوالهم فيه على أربعة أقوال[5]:

١- أنه جلدة بين القلب والفؤاد، وهذا قول ابن عباس.

٢- أنه غلاف القلب ، وهذا قول أبي عبيدة وابن قتيبة -كما سبق آنفاً-، وغيرهم.

٣- أنه حبة القلب وسويداؤه .

٤- أنه داء يكون في الجوف في الشراسيف ، وهي مقاط رؤوس الأضلاع.

---

(١) مجاز القرآن (١ / ٣٠٨).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢١٥)، وانظر هذا المعنى في كتب الغريب: معاني القرآن للفراء (١/ ٣٥٤)، وغريب القرآن للسجستاني (ص: ٢٨٦)، وتفسير المشكل (ص: ٢٠٤)، وتذكرة الأريب (ص: ٢٦٢)، والتبيان في تفسير غريب القرآن (ص:٢٤٢)، والكليات (١/ ٨٥٢)، ومفردات القرآن للراغب (١/ ٤٥٧) وغيرها..

(٣) كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

(٤) انظر: الكشف والبيان (٥/ ٢١٦) وتفسير الخازن (٣/ ٣٦٧)، وتفسير البيضاوي (٥/ ٢٨)، والتسهيل (١/ ٤٠٤)، وتفسير ابن كثير (٤ / ٢٨٥)، والتحرير والتنوير (١٢/ ٢٦٠)، وتفسير السعدي (ص: ٣٩٦).

(٥) حكى هذه الأقوال جمع من المفسرين، انظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١٠٥)، وزاد المسير (٤/ ٢١٤)، والتفسير الكبير للرازي (١٨/ ١٢٦)، تهذيب اللغة (٨ / ٤٤).

الترجيح :

الراجح أنّ هذه أقوال متداخلة، ولا منافاة بينها؛ إذ المراد من هذا التعبير: المبالغة في وصف الحب، وأنه وصل القلب، لذا قال ابن قتيبة: « ولم يرد الغلاف إنما أراد القلب »[1].

وقال الرازي: « وبالجملة فهذا كناية عن الحب الشديد والعشق العظيم »[2].

(١) غريب القرآن (ص: ٢١٥)، وانظر: تفسير المشكل (ص: ٢٠٤).

(٢) التفسير الكبير (١٨/ ١٢٦).

اختلاف القراء في (شغفها):

وقد نقل الإمام الطبري – رحمه الله – عند تفسيره قوله {قد شغفها} اختلاف القراء فيه؛ فقد قرأ جميع القراء بالغين المعجمة {شغفها}، وقرئ شذوذاً بالعين {شعفها}[1].

ثم نقل بعض الأقوال في تفسير هذه القراءة:

١ – فمنهم من وجه معنى {شعفها} إلى أن الحب قد عمها.

٢– ومنهم من قال: هو من قول القائل : قد شعف بها ، كأنه ذهب بها كل مذهب. من شعف الجبال ، وهي رؤوسها، ونقل هذا عن بعض لغويي الكوفة[2].

٣– ومنهم من قال : الشغف : شغف الحب . والشعف : شعف الدابة حين تذعر.

ونقل توجيه هذا القول عن القاسم، **وأن أصل الشغف : هو الذعر** . إلا أن العرب ربما استعارت الكلمة فوضعتها في غير موضعها ؛ قال امرؤ القيس :

أَتَقْتُلُنِي وَقَدْ شَعَفْتُ فُؤَادَهَا ... كَمَا شَعَفَ الْمَهْنُوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي[3]

قال: وشعف المرأة من الحب، وشعف المهنوءة من الذعر ، فشبه لوعة الحب وجواه بذلك.

---

(١) جامع البيان (١٣/ ١١٩)، وقد حكى هذه القراءة عن أبي رجاء، وهي منسوبة أيضاً إلى: علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – وعلي بن الحسين، وابنه محمد بن علي، وابنه جعفر بن محمد، والشعبي، ويحيى بن يعمر، وعوف الأعرابي، وابن محيصن. انظر: المحتسب (١/ ٣٣٩)، والمحرر الوجيز (٩/ ٢٨٦)، والتبيان في إعراب القرآن (٢/ ٧٣٠)، والبحر المحيط (٦/ ٢٦٦).

(٢) ويقصد به الفراء، فقد قال في معانيه: (٢ / ٤٢): " وتقرأ (قد شعفها) بالعين وهو من قولك : شعف بها. كأنّه ذهب بها كلّ مذهب. والشعف : رؤوس الجبال..

(٣) البيت لامرئ القيس كما في ديوانه (ص: ١٤٢).

ثم روى عن عبد الرحمن بن زيد أنه قال: أن الشغف ، والشعف مختلفان ، والشعف في البغض ، والشغف في الحب.

ثم تعقب هذا القول عن ابن زيد بقوله: « وهذا الذي قاله ابن زيد لا معنى له ، لأن الشعف في كلام العرب بمعنى عموم الحب أشهر من أن يجهله ذو علم بكلامهم».

الترجيح:

بالرجوع إلى مادة (سعف) من المعاجم اللغوية، ومن خلال ما قيل في توجيه القراءتين، يظهر لي أنهما بمعنى واحد، فسواء كان الشعف من الذعر، أو من شعف الجبال، كلها راجع إلى إرادة الحب.

قال ابن فارس: « (شعف) الشين والعين والفاء يدلُّ على أعالي الشيء ورأسه. فالشَّعَفة: رأس الجبل، والجمع شَعَفات وشَعَفٌ. وضُرب فلانٌ على شَعفات رأسه، أي أعالي رأسِه. وشَعَفةُ القلب: رأسُه عند مُعَلَّق النِّياط. ولذلك يقال شَعَفه الحُبُّ، كأنَّه غَشَّى قلبَه من فَوقه. وقرأها ناس: {قد شَعَفَهَا حُبّاً} »[1].

وقال ابن دريد: « الشَّعَف : غلبة الحب على القلب ؛ شُعِفَ الرجل فهو مشعوف ، وشعفني الشيء شَعَفاً » [2]".

(١)مقاييس اللغة (٣/ ١٨٩).

(٢) جمهرة اللغة (٢/ ٨٦٩)، وانظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (١ / ٤٣٨).

{ يعصرون }

قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ يوسف: ٤٩

في تفسير هذه الكلمة القرآنية نقل الإمام الطبري – رحمه الله – اختلاف أهل التأويل من السلف[١]:

١- فقال بعضهم: معناه: وفيه يعصرون العنب والسمسم وما أشبه، وأخرج هذا عن ابن عباس، ومجاهد، والسدي، والضحاك، وقتادة.

٢- وقال آخرون: معنى قوله: ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ وفيه يحلبون، وأخرج هذا عن ابن عباس أيضاً.

وقد ردّ الإمام هذا القول الثاني عن ابن عباس؛ لأنه خلاف المعروف من كلام العرب، وخلاف ما يعرف من قول ابن عباس رضي الله عنهما[٢].

ثم نقل الإمام الطبري عن بعض اللغويين الذي فسروا هذه الكلمة بغير ما فسرها به السلف؛ فقال: « وكان بعض من لا علم له بأقوال السلف من أهل التأويل ممن يفسر القرآن برأيه على مذهب كلام العرب يوجه معنى قوله: ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ إلى: وفيه ينجون من الجدب والقحط بالغيث، ويزعم أنه من العصر، والعصر التي بمعنى المنجاة، من قول أبي زبيد الطائي:

صَادِيًا يَسْتَغِيثُ غَيْرَ مُغَاثٍ ... وَلَقَدْ كَانَ عُصْرَةَ المَنْجُودِ[٣]

أي المقهور، ومن قول لبيد:

---

(١) جامع البيان (١٣/ ١٩٤- ١٩٥).

(٢) جامع البيان (١٣/ ١٩٨٥).

(٣) سبق تخريج البيت.

فَبَاتَ وَأَسْرَى الْقَوْمُ آخِرَ لَيْلِهِمْ وَمَا كَانَ وقافًا بِغَيْرِ مُعَصَّرِ [1]

وذلك تأويل يكفي من الشهادة على خطئه ، خلافه قول جميع أهل العلم من الصحابة والتابعين[2].

ويقصد الطبري بهذا أبا عبيدة معمر بن المثنى؛ حيث قال في مجازه: "« ﴿ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ أي به ينجون وهو من العصر وهي العصرة أيضا وهي المنجاة ».... ثم استشهد بالبيتين[3].

الدراسة والتحليل:

ما فسر الطبري به هذه الكلمة هو قول جمهور المفسرين من السلف والخلف.

أما المعنى الذي ذكره أبو عبيدة، فلم يرد عن أحد من السلف، وإن صح معناه في اللغة العربية.

فبالرجوع إلى مصادر اللغة العربية ومعاجمها نجد أن مادة (عصر) تطلق على ثلاثة معان[4]:

المعنى الأول: الدهر والوقت.

المعنى الثاني: ضغط الشيء حتى يتحلب، قال في اللسان[5]: "وعَصَرَ العِنَبَ ونحوَه مما له دُهْن أَو شراب أَو عسل يَعْصِرُه عَصْراً فهو مَعْصُور وعَصِير واعْتَصَرَه استخرج ما فيه وقيل عَصَرَه وَلِيَ عَصْرَ ذلك بنفسه واعْتَصَره إِذا عُصِرَ له خاصة واعْتَصَر عَصِيراً اتخذه وقد

---

(١) سبق تخريج البيت ص (١٨٧).

(٢) جامع البيان (١٣/ ١٩٨٧).

(٣) مجاز القرآن (١ / ٣١٣).

(٤) انظر: مقاييس اللغة (٤ / ٣٤٠ - ٣٤٤).

(٥) لسان العرب (٤ / ٥٧٥).

انْعَصَر وتَعَصَّر وعُصارةُ الشيء وعُصارهُ وعَصِيرُه ما تحلَّب منه إِذا عَصَرْته".

المعنى الثالث: التعلق بالشيء والالتجاء به، يقال اعتَصَر بالمكان، إذا التجأ إليه.

وهذا المعنى هو الذي حمل أبو عبيدة الآية عليه، وقد ذكره جمع من أهل اللغة من معاني هذه المادة، ونقلوا تفسير أبي عبيدة به.

قال ابن دريد: « وكل ما التجأت إليه من شيء فهو عَصَر ومعتصَر وعُصْرَة ... وذكر أبو عبيدة أن قوله تعالى: ﴿فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾، قال: ينجون من الجَدب[١].

أما المؤلفون في غريب القرآن فقد ذهب قلة منهم إلى ما ذهب إليه أبو عبيدة، واقتصر عليه[٢].

وقدم بعضهم قوله، ثم حكى القول الأول.

قال السجستاني: « ﴿يَعۡصِرُونَ﴾:ينجون، وقيل يعني يعصرون العنب والزيت»[٣].

بينما حكاه غيرهم بعد القول الأول[٤].

واقتصر بعضهم على القول الأول[٥]، كما اقتصر عليه كثير من المفسرين[٦].

---

(١) جمهرة اللغة (١/ ٤٠٣)، وانظر: المحكم والمحيط الأعظم (١/ ٤٣١)، تهذيب اللغة (٢/ ١١).

(٢) كاليزيدي في غريب القرآن (ص: ١٨٤).

(٣) غريب القرآن (ص: ٥١١)، ومثله صنع ابن الهائم في التبيان (ص: ٢٤٦)، وأبو حيان في التحفة (ص: ٢٢٥)، وحكى القولين أيضاً: الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١١٤) لكن على قراءة {تعصرون}.

(٤) كابن قتيبة في غريب القرآن (ص: ٢١٨)، ومكي في تفسير المشكل (ص: ٢٠٥)، والخزرجي في نفس الصباح (١/ ٤١٦)، والمارديني في بهجة الأريب (١١٨).

(٥) كابن الجوزي في تذكرة الأريب (ص: ٢٦٤)، والراغب في مفردات ألفاظ القرآن (٢ / ٩٧).

(٦) انظر: الوجيز للواحدي (١/ ٥٤٩)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٧٣٧)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٩٣).

الترجيح:

رجّح الإمام الطبري – كما سبق – قول جمهور المفسرين في الآية – وردّ قول أبي عبيدة؛ لمخالفته قول جميع أهل العلم من الصحابة والتابعين.

وتابعه على ترجيح هذا القول جمع من المفسرين، فهذا أبو جعفر النحاس يقول – بعد أن أورد عن ابن عباس أنه قال: يعصرون العنب والزيت –: « وزعم أبو عبيدة أن معنى ﴿ يَعْصِرُونَ ﴾ ينجون من العصرة والعصر وهما المنجا ... قال أبو جعفر: والأجود في هذا أن يكون المعنى فيه ما قال ابن عباس... »[1].

كذلك وصف السمين الحلبي هذا القول بأنه أظهر الأقوال[2].

وقد أيّد بعض المفسرين ما ذهب إليه أبو عبيدة؛ فهذا الزمخشري يصف تفسير ﴿يَعْصِرُونَ﴾ بـ (ينجون) بأنه: « مطابق للإغاثة »[3].

ولهذا قال السمين – بعد أن ذكر قول أبي عبيدة –: « ويعضد هذا الوجه مطابقة قوله: ﴿فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ »[4].

بل نجد الإمام ابن عطية يستدرك على الطبري ردّه لقول أبي عبيدة، واصفاً إياه بأنه ردٌّ بغير حجة، فقال: « ورد الطبري على من جعل اللفظة من العصرة ردا كثيرا بغير حجة »[5].

والصحيح: هو ما ذهب إليه الطبري؛ لأنه قول جمهور أهل التفسير، ولم ينقل عن الصحابة والتابعين غيره.

---

(١) معاني القرآن (٣/ ٤٣٤).

(٢) انظر: الدر المصون (٦/ ٥١١).

(٣) الكشاف (٢ / ٤٤٩).

(٤) الدر المصون (٦/ ٥١١).

(٥) المحرر الوجيز (٣/ ٢٦١).

كما أن قوله تعالى: ﴿فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ يفهم منه نجاة الناس من الهلاك، فلا داعي أن يعاد المعنى في قوله: ﴿يَعۡصِرُونَ﴾[1]؛ لأن التأسيس أولى من التأكيد[2].

أما ما وصف به ابن عطية ردَّ الطبري بأنه ردٌّ بغير حجة، فغير صحيح؛ إذ يكفي حجةً مخالفة قول هذا القائل لقول الصحابة والتابعين الذين هم أهل اللسان ولا يخفى عليهم المعنى الذي ذكره هذا القائل، ومع ذلك عدلوا عنه[3]، كيف وقد تقرر في قواعد الترجيح أن: تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم[4].

كما أن من القواعد المرجحة لهذا القول: ليس كل ما ثبت في اللغة صحّ حمل آيات التنزيل عليه[5].

---

(١) انظر: استدراكات ابن عطية في المحرر على الطبري في جامع البيان (٢/ ٨٠٨).

(٢) انظر: قواعد الترجيح (٢/ ١٢٠).

(٣) انظر: استدراكات ابن عطية في المحرر على الطبري في جامع البيان (٢/ ٨٠٨)، وقد ذكر للطبري حججاً أخرى.

(٤) انظر: قواعد الترجيح (١/ ٢٤٣).

(٥) انظر: المصدر السابق (٢/ ٣٦٣).

{ ييأس }

قال الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ الَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ الرعد: ٣١

في هذه المفردة القرآنية الغريبة ذكر الإمام الطبري – رحمه الله – اختلاف أهل اللغة في معناها[١]:

١- فنقل عن بعض أهل البصرة[٢] أن معناه: ألم **يعلم ويتبين**، ويستشهد لقيله ذلك ببيت سحيم بن وثيل الرياحي:

أَقُولُ لَهُمْ بالشِّعْبِ إِذْ يَأْسِرُونَنِي ... أَلَمْ تَيْأَسُوا أَنِّي ابْنُ فَارِسِ زَهْدَمِ [٣]

وأنشدوا أيضا في ذلك:

أَلَمْ يَيْأَسِ الأَقْوَامُ أَنِّي أَنَا ابْنُهُ ... وَإِنْ كُنْتُ عَنْ أَرْضِ العَشِيرَةِ نَائِيَا [٤]

وذكر عن ابن الكلبي أن ذلك لغة لحي من النخع، يقال لهم: هَبِيل، تقول: ألم تيأس كذا بمعنى: ألم تعلمه، وذكر عن القاسم بن معن أنها لغة هوازن، وأنهم يقولون: يئست كذا: علمت.

٢- ونقل عن بعض الكوفيين[٥] أنه كان ينكر ذلك، ويزعم أنه لم يسمع أحداً من العرب يقول: " يئست " بمعنى: " علمت "، ويقول هو في المعنى وإن لم يكن

---

(١) جامع البيان (١٣ / ٥٣٥ - ٥٣٨).

(٢) يقصد به أبا عبيدة معمر بن المثنى – كما سيأتي -.

(٣) البيت منسوب لسحيم بن وثيل، كما في مجاز القرآن (١/ ٣٣٢)، ونسبه إليه غير واحد من اللغويين، انظر: الصحاح للجوهري (٣/ ٩٩٣)، لسان العرب (٦ / ٢٥٩).

(٤) البيت لم أجده منسوباً لقائل في المصادر التي اطلعت عليها، وهو من شواهد الخليل في كتاب العين (٧/ ٣٣١).

(٥) يقصد به الفراء – كما سيأتي -.

مسموعا: " يئست " بمعنى: " علمت "، يتوجه إلى ذلك أن الله قد أوقع إلى المؤمنين أنه لو شاء لهدى الناس جميعا، فقال: **ألم ييأسوا علما**، يقول: **يؤيسهم العلم**، فكان فيه العلم مضمرا، كما يقال: قد يئست منك أن لا تفلح علما، كأنه قيل: علمته علما، قال: وقول الشاعر:

حَتَّى إِذَا يَئِسَ الرُّمَاةُ وَأَرْسَلُوا غُضْفًا دَوَاجِنَ قَافِلاً أَعْصَامُهَا [1]

معناه: حتى إذا يئسوا من كل شيء مما يمكن إلا الذي ظهر لهم أرسلوا.

فهو في معنى: حتى إذا علموا أن ليس وجه إلا الذي رأوا وانتهى علمهم، فكان ما سواه يأسا.

ثم نقل الطبري عن أهل التأويل من السلف أنهم فسروه بمعنى: أفلم يعلم ويتبين.

وروى ذلك عن علي، وابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد.

الدراسة والتحليل:

ما حكاه الطبري عن أبي عبيدة، وأخرجه عن أهل التأويل من السلف هو قول جمهور المفسرين في تفسير هذه الآية.

وبالرجوع إلى أصل مادة (يئس) في اللغة العربية نجد أنها تطلق على معنيين:

أحدهما: قَطْعُ الرَّجاء.

الثاني: العلم، يقال: ألَم تَيْأَس، أي ألَم تَعْلَم[2].

وحكى كون (يئس) بمعنى (علم) غير واحد من أصحاب المعاجم[3].

---

(١) البيت للبيد في ديوانه (ص: ٣١١).

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٦/ ١٥٣).

(٣) انظر: الصحاح في اللغة (٣/ ١٣١)، ولسان العرب (٦/ ٢٥٩).

قال ابن سيده: « وَيَئِسَ يَيْئِسُ ويَيْأَسُ عَلِمَ »[١].

وقال في القاموس: « ويئس أيضا : علم ومنه : أفلم ييأس الذين آمنوا »[٢].

وما فسّر الطبري به الآية ونقله عن السلف هو قول أكثر أهل الغريب والتفسير.

فهو قول أبي عبيدة – كما نقله الطبري عنه –: قال: « ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ مجازه: ألم يعلم ويتبين ... ثم استشهد ببيت سحيم »[٣].

وقال السجستاني: « ﴿يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ : بلغة النخع ، أي يعلم ويتبين »[٤].

واقتصر على هذا القول جمع من المفسرين[٥].

وورد عن بعض المفسرين أقوال أخرى في تفسير {ييأس}:

فقد أنكر الفراء – كما نقله الطبري- أن يكون (ييأس) بمعنى العلم، وقال في معانيه: « وقوله : ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ قال المفسّرون: ييأس : يعلم. وهو في المعنى على تفسيرهم لأن الله قد أوقع إلى المؤمنين أنه لو يشاء اللهّ لهدى الناس جميعا فقال : أفلم ييأسوا علما. يقول : يؤيسهم العلم، فكان فيهم العلم مضمرا كما تقول في الكلام : قد يئست منك ألّا تفلح علماً، كأنك قلت : علمته علما، وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: ييأس في معنى يعلم لغة للنخع. قال الفراء : **ولم نجدها فى العربية إلّا على ما فسّرت** »[٦].

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم – (٨/ ٦٣٢).

(٢) القاموس المحيط (ص: ٧٥١).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٣٢).

(٤) غريب القرآن (ص: ٥١٢)، وانظر مثله في غريب القرآن لابن قتيبة (١/ ٢٢٧)، والتبيان لابن الهائم (ص: ٢٥١)، وتذكرة الأريب (ص: ٢٧٥)، وتحفة الأريب (ص: ٣٢٦)، ونفس الصباح (١/ ٤٢٧)، والكليات (١/ ١٧٨).

(٥) انظر: الوجيز للواحدي (١ / ٥٧٢)، الكشف والبيان (٥ / ٢٩٣)، تفسير ابن كثير (٤/ ٤٦١)، تفسير البيضاوي (١ / ٣٢٩)، البحر المديد (٣/ ٣٤١).

(٦) معاني القرآن للفراء (٢/ ٦٣ – ٦٤).

- وذهب بعض المفسرين إلى أن ﴿يَاْيۡـَٔسِ﴾ هنا من اليأس المعروف (أي انقطاع الرّجاء) ويكون المعنى: أفلم ينقطع رجاء المؤمنين من إيمان هؤلاء الكفّار لعلمهم أنّ الله تعالى لو أراد هدايتهم لهداهم. وهذا قول الزجاج[1]، وابن عطية[2]، وأجازه الزمخشري[3].

- وقال أبو حيان: « ويحتمل عندي وجه آخر غير الذي ذكروه ، وهو : أن الكلام تام عند قوله تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ إذ هو تقرير ، أي : قد يئس المؤمنون من إيمان هؤلاء المعاندين ، و ﴿أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ﴾ جواب قسم محذوف ، أي : وأقسم أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً »[4] .

الترجيح:

رجح الإمام الطبري تفسير (ييأس) بمعنى : يعلم ويتبين؛ لإجماع أهل التأويل عليه، ولصحة معناه في اللغة العربية؛ لثبوته في شعرهم في الأبيات المذكورة.

وهو أولى الأقوال.

أما إنكار الفراء أن يكون يئس بمعنى علم[5] فغير مقبول؛ إذ سمع ذلك غيره وحكاه أنها لغة للنخع وهوازن، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ[6].



---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٤٩).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٣١٧).

(٣) انظر: الكشاف (٢/ ٤٩٩).

(٤) البحر المحيط (٦/ ٣٩٠).

(٥) وممن وافق الفراء على ما ذهب إليه: الراغب الأصفهاني، قال في مفردات القرآن (١/ ٨٩٢): "ولم يرد أن اليأس موضوع في كلامهم للعلم ، وإنما قصد أن يأس الذين آمنوا من ذلك يقتضي أن يحصل بعد العلم بانتفاء ذلك ، فإنّ ثبوت يأسهم يقتضي ثبوت حصول علمهم".

(٦) انظر: البحر المحيط (٦/ ٣٩٠).

{ واصبا }

قال تعالى: ﴿ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ النحل: ٥٢

يقول الإمام الطبري – رحمه الله – في تفسير هذه اللفظة القرآنية الغريبة[(١)]:

« وقوله: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ﴾ يقول جل ثناؤه: وله الطاعة والإخلاص دائما ثابتا واجبا، يقال منه: وصب الدين يصب وصوبا ووصبا، كما قال الديلي:

لا أَبْتَغِي الحَمْدَ القَلِيلَ بَقاؤُهُ يَوْما بِذَمّ الدَّهْرِ أجْمَعَ وَاصِبا[(٢)]

ومنه قول الله: ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ﴿٩﴾﴾ الصافات: ٩، وقول حسان:

غَيَّرَتْهُ الرِّيحُ تَسْفِي بِهِ وهَزِيمٌ رَعْدُهُ وَاصِبُ[(٣)].

ثم أشار الطبري إلى الإطلاق الثاني لكلمة (الوصب)، وهو الألم، فقال: فأما من الألم، فإنما يقال: وصب الرجل يوصب وصبا، وذلك إذا أعيى ومل، ومنه قول الشاعر:

لا يغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أيْنٍ ولا وَصَبٍ ولا يعَضُّ على شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ[(٤)].

ثم ذكر الإمام الطبري اختلاف أهل التأويل في تأويل الواصب:

١ – فقال بعضهم: معناه: **دائم**، وروى ذلك عن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، وابن زيد.

٢ – وقال آخرون: معناه : **الواجب**، وروى ذلك عن ابن عباس أيضاً.

---

(١) جامع البيان (١٤/ ٢٤٦ – ٢٤٧).

(٢) البيت لأبي الأسود الدؤلي، وهو الذي يقصده الطبري بالديلي، وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (١/ ٣٦١).

(٣) البيت لحسان بن ثابت – كما نسبه الطبري – وهو في ديوانه (ص ٦١).

(٤) البيت لأعشى باهلة، انظر: الكامل (٢ / ٢٩١)، وأمالي القالي (٢/ ٢٠٠).

الدراسة والتحليل:

بالرجوع إلى المصادر اللغوية في مادة (وصب) نجد أنها كلمة تدل على دوام الشّيء.

ووَصَبَ الشَّيءُ وصوباً: دام. ووَصَبَ الدِّينُ: وَجَب، والوَصَب: المرضُ المُلازم الدَّائم. رجلٌ وصِبٌ ومُوَصَّبٌ: دائم الأوصاب[1].

فالكلمة لها إطلاقان – كما أشار له الإمام الطبري –، وذكره أصحاب المعاجم.

فوصب الرجل يوصب فهو وصب، وأوصبه الله فهو موصب. إذا مرض، وقد يطلق على التَّعب والفُتُور في البَدَن.

ووصب الشيء يصب وصوبا، أي دام. تقول: وصب الرجل على الأمر، إذا واظب عليه[2].

وهذا المعنى هو الذي ذكره جمهور المفسرين والمؤلفين في غريب القرآن.

قال أبو عبيدة : « ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ﴾ أي دائما"[3]، وقال – عند قوله تعالى –: ﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ أي دائم[4].

وقال الفراء: " وقوله: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ﴾ معناه: دائما. يقال: وصب يصب: دام. ويقال : خالصا"[5].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٦/ ١١٧).

(٢) انظر: الصحاح في اللغة (١/ ٢٥٥)، المحكم والمحيط الأعظم (٨/ ٣٨٨)، تهذيب اللغة (٤/ ٢٢٨)، لسان العرب (١/ ٧٩٧).

(٣) مجاز القرآن (١ / ٣٦١).

(٤) المصدر السابق (٢ / ١٦٦).

(٥) معاني القرآن (٢ / ١٠٤).

وقال النحاس: والواصب الدائم، وهذا هو المعروف في اللغة يقال وصب يصب وصوبا إذا دام[1].

وهذا المعنى هو الذي ذكره غيرهم من أهل الغريب[2] والتفسير[3].

وقد ورد عن ابن عباس تفسيره **بالواجب**، - كما سبق -، وجوّز غير واحد من المفسرين تفسيره بـ: ذي كلفة (أي تعب) [4].

الترجيح:

لم يرجح الإمام الطبري – رحمه الله – بين المعنيين اللذين نقلهما عن السلف في تفسير الواصب، مما يدل على أنه يرى احتمال اللفظ لهما.

وكما سبق في المعنى اللغوي لهذه المادة فإن هذه المعاني التي سيقت عن المفسرين محتملة جميعها، ويكون المعنى حينئذٍ: وله الدين خالصاً لوجهه، واجباً على الدوام ؛ وإن كان ذا كلفة وتعب ، والله أعلم.



(١) المصدر السابق (٤ / ٧٢).

(٢) انظر: غريب القرآن للسجستاني (ص: ٤٨١)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٢٤٣)، تفسير المشكل (ص: ١٣٠) والتبيان في تفسير غريب القرآن (ص: ٢٦٠)، وتذكرة الأريب (ص: ٢٩٢)، وياقوتة الصراط (ص: ٢٩٤)، وإيجازالبيان عن معاني القرآن (٢/ ٤٨٤)، ومفردات القرآن (١/ ٨٧٢).

(٣) انظر: بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٢٣٨)، ومعالم التنزيل (٣/ ٨٢)، وتفسير الخازن (٤/ ٢٥)، وتفسير البيضاوي (٥/ ٢٨٤).

(٤) كالزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٣)، والبيضاوي في تفسيره (٥/ ٢٨٤).

{ فَجَاسُوا }

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ﴾ الإسراء: ٥

قال الإمام الطبري: « وقوله: ﴿ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾ يقول: فترددوا بين الدور والمساكن، وذهبوا وجاءوا . يقال فيه: جاس القوم بين الديار وجاسوا بمعنى واحد، وَجُسْتُ أَنَا أَجُوسُ جَوْسًا وَجَوَسَانًا.

ثم أخرج عن ابن عباس أنه قال: مشوا.

ثم قال: وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة[1] يقول: معنى جاسوا: قتلوا، ويستشهد لقوله ذلك ببيت حسان:

وَمِنَّا الَّذِي لاقَى بِسَيْفِ مُحَمَّدٍ   فَجَاسَ بِهِ الأَعْدَاءُ عُرْضَ الْعَسَاكِرِ [2].

وجائز أن يكون معناه: فجاسوا خلال الديار فقتلوهم ذاهبين وجائين، فيصح التأويلان جميعا [3].

الدراسة والتحليل:

ذهب أغلب أصحاب المعاجم اللغوية إلى أن هذه المادة تدل على التردد، يقال:

---

(١) ويقصد به أبا عبيدة.

(٢) البيت نسبه الطبري وكثير من المفسرين إلى حسان، انظر: النكت والعيون (٣ / ٢٢٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢١٦)، ولم أجده في ديوانه.

(٣) جامع البيان (١٤ / ٤٧٠ - ٤٧١).

جاسَ جَوْساً وجَوَساناً تردّد[1]، وعبر بعضهم بالتخلل، وهو بمعناه.

قال ابن فارس : (جوس) الجيم والواو والسين أصلٌ واحد، وهو تخلُّل الشيء. يقال: جاسُوا خِلالَ الدِّيار يجُوسون[2].

أما المفسرون وأصحاب الغريب فاختلفوا في تفسيره إلى القولين اللذين ذكرهما الطبري:

١- أن معناه: مشوا وترددوا فيها. وهذا قول ابن عباس – كما سبق –، وهو قول أكثر أصحاب المعاجم كما أسلفت آنفاً.

وهذا قول البغوي، وابن الجوزي، ومكي، والنسفي، والبيضاوي، وأبي السعود وغيرهم[3].

٢- أن معناه: عاثوا وأفسدوا وقتلوا، وهذا قول جماعة من أصحاب الغريب:

قال الفراء: وقوله : ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾ يعنى : قتلوكم بين بيوتكم[4].

وقال أبو عبيدة – وهو الذي نقل الطبري عنه – «فَجاسُوا» قتلوا[5].

وقال ابن قتيبة: ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾ أي عاثوا بين الديار وأفسدوا؛ يقال: جَاسوا وحَاسوا. فهم يَجُوسون وَيَحُوسُون[6].

(١) كتاب العين (٦ / ١٦٠)، والمحيط في اللغة (٧ / ١٤٦)والمحكم والمحيط الأعظم (٧ / ٥١٧)، ولسان العرب (٦ / ٤٣).

(٢) مقاييس اللغة (١ / ٤٩٥)، ومثله في جمهرة اللغة (٢ / ١٠٤١).

(٣) انظر: انظر: معالم التنزيل (٥/ ٧٩)، تذكرة الاريب (١/ ٣٠٢)، العمدة (ص: ١٨٠)، ومدارك التنزيل (٢/ ٢٧٩)، وأنوار التنزيل (٣/ ٤٣٢)، وإرشاد العقل السليم (٥/ ١٥٦).

(٤) معاني القرآن للفراء (٢ / ١١٦).

(٥) مجاز القرآن (١ / ٣٧٠).

(٦) غريب القرآن (ص ٢٥١)، ومثله في تفسير المشكل (ص: ٢٢٦).

وهذا قول مكي، والمارديني، والخزرجي، وأبي حيان [1].

الترجيح:

الذي يظهر - والله أعلم - صحة الأقوال الواردة في معنى (الجوس)، مما يمكن معه تفسير الآية بهذه المعاني ؛ إذ المعنى : أنهم مشوا وترددوا بين الدور ، يتقصون أخبار بني إسرائيل ، للغارة على من بقي منهم فيقتلوه ، والله أعلم .

ولهذا جمع بينها الطبري – كما سبق –.

وقال القرطبي عن جمع الطبري: « فجمع بين قول أهل اللغة » [2].

وممن سلك هذا الجمع بين القولين: الزجاج بقوله: « أي: فطافوا في خلال الديار ينظرون هل بقي أحد لم يقتلوه » [3].

وهو مذهب غير واحد من المفسرين[4].

---

(١) انظر: تفسير المشكل (٢٢٦)، وبهجة الأريب (١٣٤)، ونفس الصباح (١/ ٤٤٧)، وتحفة الأريب (ص: ٢٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ١٩١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٧).

(٤) انظر: أقوال أبي عبيدة في جامع البيان وموقفه منها (ص: ٢١٣).

{ تقف }

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ الإسراء: ٣٦

ذكر الإمام الطبري – رحمه الله – اختلاف المفسرين من السلف في تفسير هذه اللفظة[1].

١- فقال بعضهم: معناه: ولا **تقل**. وروى ذلك عن ابن عباس، وقتادة.

٢- وقال آخرون: معناه: ولا **تَرْمِ**، ورواه عن مجاهد.

ثم قال: « وهذان التأويلان متقاربا المعنى؛ لأن القول بما لا يعلمه القائل يدخل فيه شهادة الزور، ورمي الناس بالباطل، وادعاء سماع ما لم يسمعه، ورؤية ما لم يره ».

ثم تطرق الطبري إلى ذكر أصل هذه المادة، فقال: « وأصل القفو: العضه والبهت . ومنه قول النبي ﷺ:«نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو أمنا ولا ننتفي من أبينا»[2].

ثم حكى عن بعض البصريين[3] أن معنى قوله {لا تقف} لا تتبع ما لا تعلم، ولا يعنيك، وينشد في ذلك قول الشاعر:

وَمِثْلُ الدُّمَى شُمُّ الْعَرَانِينِ سَاكِنٌ بِهِنَّ الْحَيَاءُ لاَ يُشِعْنَ التَّقَافِيَا[4].

يعني بالتقافي: التقاذف.

---

(١) جامع البيان (١٤/ ٥٩٥).

(٢) سبق تخريج الحديث في صفحة (١٣٧).

(٣) يقصد بهذا أبا عبيدة معمر بن المثنى؛ فقد ذكر هذا في مجاز القرآن (١/ ٣٧٩) مستشهداً ببيت النابغة.

(٤) البيت للنابغة الجعدي (ص: ١٨٠)، وقد سبق في صفحة (١٣٧).

كما حكى عن بعض اللغويين من أهل الكوفة[1]، أن أصله **القيافة، وهي اتباع الأثر**[2].

الدراسة والتحليل:

بالرجوع إلى أصل هذه المادة في المعاجم اللغوية نجد أنها تطلق على إتْباعِ شيءٍ لشيء. قَفَا يَقْفُو قَفْوًا، وهو أن يتَّبع شيئاً، ويقال قَفوت أثَرَه. وقَفَّيتُ فلاناً بفلانٍ، إذا أتْبَعتَه إيّاه. وسمِّيت قافيةُ البيت قافيةً لأنَّها تقفو سائرَ الكلام، أي تتلوه وتَتْبعه"[3].

فما حكاه الطبري عن أبي عبيدة، وبعض الكوفيين هو قول أغلب المعجميين.

أما ما ذكره أنه الأصل في هذه الكلمة فلم أجد من أصحاب المعاجم من ذكره، وإن ذكر بعضهم أنه داخل في المعنى الأول.

قال ابن فارس: « وقولهم: قَفَوت الرَّجُل، إذا قذفْتَه بفُجورٍ هو من هذا، كأنَّه أتْبَعَه كلاماً قبيحاً »[4].

وهذا ما أشار إليه الراغب – بعد أن ذكر أصل الكلمة -: « ويكنى بذلك عن الاغتياب وتتبع المعايب »[5].

وهذا المعنى (الاتباع) هو قول أصحاب الغريب، وأكثر المفسرين.

قال السجستاني: « تقف ما ليس لك به علم : تتبع ما لا تعلم ولا يعنيك »[6].

---

(١) لعله يقصد به الكسائي، كما حكاه عنه النحاس في معاني القرآن (٤ / ١٥٦).

(٢) جامع البيان (١٤/ ٥٩٥- ٥٩٦).

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٥ / ١١٢)، تهذيب اللغة (٣/ ٢٧٩)، لسان العرب (١٥/ ١٩٢).

(٤) مقاييس اللغة (٥/ ١١٣).

(٥) مفردات ألفاظ القرآن (٢ / ٢٥٥).

(٦) غريب القرآن (ص: ١٤٥)، ومثله في: التبيان تفسير غريب القرآن (ص: ٢٦٦).

وقال ابن قتيبة: « ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ أي: لا تتبعه الحدْسَ والظُّنُون ... وهو مأخوذ من القفاء كأنك تقفو الأمور، أي تكون في أَقْفَائِها وأواخرها تتعقبها. يقال: قَفَوْتُ أثرَه. والقَائِف: الذي يعرف الآثار ويتبعها"[1].

وقال ابن الجوزي: « ﴿ تَقْفُ ﴾ تتبع ما ليس لك به علم »[2].

ومن المفسرين:

قال محمد بن أبي زمنين: « أصل الكلمة من قولك قفوت الأثر أقفوه قفوا إذا اتبعته »[3].

وقال الزمخشري: « ﴿ وَلَا تَقْفُ ﴾: ولا تتبع، يقال : قفا أثره وقافه، ومنه: القافة ، يعني: ولا تكن في اتباعك ما لا علم لك به من قول أو فعل »[4].

وقال الرازي: « وقوله : ﴿ تَقْفُ ﴾ مأخوذ من قولهم : قفوت أثر فلان أقفو قفواً وقفواً إذا اتبعت أثره »[5].

واقتصر على هذا المعنى جمع غفير من المفسرين[6].

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٥٤ - ٢٥٥).

(٢) تذكرة الأريب (ص: ٣٠٤)، وانظر هذا المعنى في: معاني القرآن للفراء (٢ / ١٢٣)، ومعاني القرآن للنحاس (٤ / ١٥٦)، وإيجازالبيان عن معاني القرآن (٢/ ٥٠٠).

(٣)تفسير ابن أبى زمنين (١ / ٣٦٥).

(٤) الكشاف (٢ / ٦٢٣).

(٥) التفسير الكبير (١ / ٢٨٠٧).

(٦) انظر: وأحكام القرآن لابن العربي (٣/ ١٥٤)، وأحكام القرآن، للجصاص (٣/ ٢٦٤)، ومعالم التنزيل (٣/ ١١٤)، تفسير البيضاوي (١/ ٤٤٥)، وتفسير الجلالين (ص: ٣٦٩)، وتفسير الخازن (٤/ ١٥٩)، وتفسير السراج المنير (٢ / ٢٣٨)، وفتح القدير (٣/ ٣١٤)، وأضواء البيان (٣/ ٤٣٠)، وتفسير السعدي (ص: ٤٥٧).

الترجيح:

رجّح الإمام الطبري في تفسير لفظة {تقف} أنّ معناه: ولا تقل للناس وفيهم ما لا علم لك به، فترميهم بالباطل، وتشهد عليهم بغير الحق، قال: « فذلك هو القفو، وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال فيه بالصواب، لأن ذلك هو الغالب من استعمال العرب القفو فيه »[1].

والذي يترجح لدي هو: أن كل هذه الأقوال متقاربة، إذ أن حصيلة هذه الأقوال أنه تعالى نهى عن الحكم أو العمل بما لا علم له به، وهذه قضية كلية تندرج تحتها أنواع كثيرة، وكل واحد من المفسرين حمل الآية على واحد من تلك الأنواع، وجعلها خاصة به، وعند تأملها نجد أن كل هذه الأقوال متقاربة. وهذا ما اختاره جمع من المفسرين[2].

قال ابن العربي: « هذه الأقوال كلها صحيحة، وبعضها أقوى من بعض، وإن كانت مرتبطة، لأن الإنسان لا يحل له أن يسمع ما لا يحل، ولا يقول باطلاً، فكيف أعظمه وهو الزور؟! ... وإذا لم يحل له أن يقول ذلك فلا يحل له أن يتبعه »[3].

وقال الرازي: « واعلم أن اللفظ عام يتناول الكل فلا معنى للتقليد والله أعلم»[4].

---

(١) جامع البيان (١٤ / ٥٩٦).

(٢) ممن اختار هذا من المفسرين: ابن العربي في أحكام القرآن (٣/ ١٥٤)، والنحاس في معاني القرآن (٤/ ١٥٦)، والرازي في التفسير الكبير (٢٠/ ١٦٦)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٢٥)، وأبو حيان في البحر المحيط (٦/ ٤٤)، والآلوسي في روح المعاني (٨/ ٧١)، والشوكاني في فتح القدير (٣/ ٣١٤)، والطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير (٧/ ١٠١)، والشنقيطي في أضواء البيان (٣/ ٤٢١).

(٣) أحكام القرآن (٣/ ١٥٤)..

(٤) التفسير الكبير (٢٠ / ٣٤١).

وقال ابن عاشور: « ومما يشهد لإرادة جميع هذه المعاني تعليل النهي بجملة: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] فموقع الجملة موقع تعليل، أي: إنك أيها الإنسان تسأل عما تسنده إلى سمعك وبصرك وعقلك »[1].

---

(١) التحرير والتنوير (٧/ ١٠١).

{ مسحورا }

وردت هذه المفردة القرآنية في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم.

١- في قوله تعالى: ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾ الإسراء: ٤٧

٢- وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ ﴾ الإسراء: ١٠١

٣- وفي قوله تعالى: ﴿ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ﴾ الفرقان: ٨

وقد تناولها الإمام الطبري في المواضع الثلاثة على النحو التالي:

ففي الموضع الأول لم يورد شيئاً عن السلف في معنى كلمة ﴿ مَّسْحُورًا ﴾، بل نقل عن أحد اللغويين فقال: "وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة[1] يذهب بقوله: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾ إلى معنى: ما تتبعون إلا رجلا له سحر: أي له رئة، والعرب تسمي الرئة سحرا، والمسحر من قولهم للرجل إذا جبن: قد انتفخ سحره، وكذلك يقال لكل ما أكل أو شرب من آدمي وغيره: مسحور ومسحر، كما قال لبيد:

فإنْ تَسْأَلِينَا فِيم نَحْنُ فإنَّنا   عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الأنامِ المُسَحَّرِ [2]

وقال:

....   ونُسْحَرُ بالطَّعامِ وبالشَّرَابِ [3]

أي نغذى بهما . فكأن معناه عنده كان: إن تتبعون إلا رجلا له رئة، يأكل الطعام،

---

(١) يريد به أبا عبيدة كما سيأتي.

(٢) البيت للبيد – كما نسبه الطبري –، وهو في ديوانه (١/ ٨٠)، وهو في الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٥٥)، ولسان العرب (١٤ / ٣٧٧).

(٣) هذا عجز بيت من قول امرئ القيس، وصدره: أَرَانا مُوضِعِينَ لأَمْرِ غَيْبٍ.
انظر ديوانه (ص: ٩٧).

ويشرب الشراب، لا ملكا لا حاجة به إلى الطعام والشراب، والذي قال من ذلك غير بعيد من الصواب[1].

وفي الموضع الثاني: قال: « وقوله : ﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ﴾ يقول: فقال لموسى فرعون: إني لأظنك يا موسى معاطى علم السحر ، فهذه العجائب التي تفعلها من سحرك، وقد يجوز أن يكون مرادا به إني لأظنك يا موسى ساحرا، فوضع مفعول موضع فاعل ، كما قيل : إنك مشؤوم علينا وميمون ، وإنما هو شائم ويامن . وقد تأول بعضهم حجابا مستورا ، بمعنى : حجابا ساترا ، والعرب قد تخرج فاعلا بلفظ مفعول كثيرا »[2].

وفي الموضع الثالث: يقول: « وقوله : ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ يقول : وقال المشركون للمؤمنين بالله ورسوله : ﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾ أيها القوم ، باتباعكم محمدا ﴿إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا﴾ به سحر[3].

الدراسة والتحليل:

بالرجوع إلى أصل مادة (سحر) في معاجم اللغة العربية نجد أنها تطلق على إطلاقات ثلاث، ذكرها ابن فارس بقوله: " (سحر) السين والحاء والراء أصولٌ ثلاثة متباينة: أحدها عضْوٌ من الأعضاء، والآخر خَدْعٌ وشِبهُهُ، والثالث وقتٌ من الأوقات.

فالعُضْو السَّحْر، وهو ما لَصِقَ بالحُلقوم والمَرِيء من أعلى البطن. ويقال بل هي الرِّئة. ويقال منه للجبان: انتفَخَ سَحْرُه. ويقال له السُّحْر والسَّحْر والسَّحَر.

وأمّا الثّاني فالسِّحْر، قال قوم: هو إخراج الباطل في صورة الحقِّ، ويقال هو

(1) جامع البيان (١٤ / ٦١٢ - ٦١٣).
(2) جامع البيان (١٥ / ١٠٦).
(3) جامع البيان (١٧ / ٤٠٤).

الخديعة. واحتجُّوا بقول القائل:

فإنْ تَسْأَلِينَا فِيم نَحْنُ فإنَّنَا عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الأنامِ المُسَحَّر

كأنَّه أراد المخدوع، الذي خدعَتْه الدُّنيا وغرَّتْه. ويقال المُسَحَّر الذي جُعِلَ له سَحْر، ومن كان ذا سَحْر لم يجد بُدّاً من مَطعَم ومشرب.

وأمَّا الوقت فالسَّحَر، والسُّحْرة، وهو قَبْل الصُّبْح. وجمع السَّحَر أسحار[١].

فالمعنيين اللذين دار بينهما تفسيره للكلمة في مواضعها الثلاثة من أصل الكلمة، ولذا وقع الخلاف في تفسيره[٢] على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن المراد بـ (مسحورا): له سَحَر ، أي : رئة . وهو قول أبي عبيدة، الذي ذكره الطبري واقتصر عليه، فقد قال : ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ أي ما تتبعون كقولك ما تتبعون إلّا رجلا مسحورا ، أي له سحر، وهو أيضا مسحر وكذلك كل دابّة أو طائر أو بشر يأكل فهو مسحور لأن له سحرا ، والسحر الرّئة ، قال لبيد :

فإنْ تَسْأَلِينَا فِيم نَحْنُ فإنَّنَا عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الأنامِ المُسَحَّر

وقال :

.... ونُسْحَرُ بالطَّعامِ وبالشَّرَابِ

أي نغذى لأن أهل السماء لا يأكلون فأرادوا أن يكون ملكا[٣].

القول الثاني : أن " مسحور " اسم مفعول على بابه ، وهو الذي سُحر فذهب عقله فلا يدري ما يقول . وهذا القول مروي عن ابن عباس[٤].

---

(١) مقاييس اللغة (٣ / ١٣٨)، وذكر هذه المعاني غيره من أهل المعاجم، انظر: الصحاح (٢ / ٦٧٨).

(٢) وقع الخلاف في تفسير الموضع الأول فقط.

(٣) مجاز القرآن (١ / ٣٨ - ٣٨٢).

(٤)حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٢) من رواية أبي صالح .

القول الثالث: أن معنى (مسحور) مخدوع، وهذا قول مجاهد[1].

وهذان القولان لا فرق بينهما بل هما قول واحد، لذا قال ابن قتيبة: "لأن السحر حيلة وخديعة[2]"، وقال الشنقيطي: « ومعنى هذا راجع إلى ما قبله؛ لأن المخدوع مغلوب في عقله »[3].

وعلى هذا المعنى اقتصر جمع من أهل الغريب والتفسير[4]، ورجحه غير واحد منهم، وردوا قول أبي عبيدة.

فأول من انبرى للرد عليه: ابن قتيبة؛ حيث يقول: « ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ قال أبو عبيدة: يريدون بشرًا ذا سَحْرٍ، أي ذا رِئَةٍ ، ولست أدري ما اضطره إلى هذا التفسير المستكره ؟ . وقد سبق التفسير من السلف بما لا استكراه فيه[5].

وقال – في قول فرعون: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ – « لا يجوز أن يكون أراد به: إني لأظنك إنسانًا ذا رِئَةٍ؛ وإنما أراد: إني لأَظنك مَخْدُوعًا »[6].

وممن رجح القول الثاني ورد على قول أبي عبيدة: ابن القيم؛ فقد حكم على قول أبي عبيدة بأنه غير مرض وهو في غاية البعد، قال: " فإن الكفار لم يكونوا يعبرون عن البشر بأنه مسحور ، ولا يُعرف هذا في لغة من اللغات ، وحيث أرادوا هذا المعنى أتوا

(١) حكاه عنه ابن قتيبة في غريب القرآن (ص ٢٥٥)، والسمعاني في تفسيره (٣ / ٢٤٦)، والماوردي في النكت والعيون (٣/ ٢٤٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٢).

(٢)غريب القرآن (ص ٢٥٥).

(٣) أضواء البيان (٤/ ٦٢).

(٤) العمدة (ص: ١٨٢)، بهجة الأريب (ص: ١٣٦)، نفس الصباح (١/ ٤٦٠)، التحرير والتنوير (١٥/ ١٢٠-١٢١، ٢٢٦).

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٥٥- ٢٥٦).

(٦) غريب القرآن (ص: ٢٥٧).

بصريح لفظ البشر ، فقالوا : ﴿ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا ﴾ يس: ١٥ ، ﴿ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا ﴾ المؤمنون: ٤٧ ، ﴿ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾ الإسراء: ٩٤ »[١].

بل عدّه - في موضع آخر - من عجائب الأقوال التي تنفر عنها النفوس ، ويأباها القرآن أشد الإباء [٢].

وممن رجح القول الثاني: النحاس، فقد حكى قول مجاهد، وقول أبي عبيدة، ثم قال: « والقول الأول أنسب بالمعنى وأعرف في كلام العرب لأنه يقال: ما فلان إلا مسحور أي مخدوع كما قال تعالى: ﴿ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ﴾ أي مخدوعا» [٣].

وكذلك الرازي فقد بدأ به في تفسير الآية وحصر الصحة فيه بقوله : « هذا هو القول الصحيح » [٤].

وممن رد قول أبي عبيدة أيضاً المارديني[٥]، وابن كثير[٦]، وأبو حيان[٧]، والسمين الحلبي[٨]، والآلوسي[٩].

ومن أهل الغريب والتفسير من ذكر المعنيين دون ترجيح[١٠].

---

(١) بدائع الفوائد (٢ / ٤٥١).

(٢) انظر: الصواعق المرسلة (٢/ ٦٩٣-٦٩٤).

(٣) معاني القرآن للنحاس (٤ / ١٦١ - ١٦٢).

(٤) التفسير الكبير (٢٠/ ١٧٩).

(٥) في بهجة الأريب (ص: ١٣٦)، وصفه بأنه مستكره.

(٦) قال: في تفسيره (٥ / ٨٣): « وقد صوب هذا القول ابنُ جرير، وفيه نظر ».

(٧) نقل كلام ابن قتيبة في البحر المحيط (٦ / ٤١).

(٨) قال في الدر المصون (٧/ ٣٦٦): « ورد الناس على أبي عبيدة قوله لبعده لفظا ومعنى» .

(٩) قال: في روح المعاني (١٥ / ٩٠): « ولا يخفى ما فيه من البعد »... ثم ذكر قول ابن قتيبة.

(١٠) كالزجاج (٣/ ٢٤٣- ٢٤٤)، والأزهري في تهذيب اللغة (٤/ ١٧١)، والزمخشري في الكشاف (٢/ ٦٢٧)، ومكي في تفسير المشكل (ص: ٢٢٨).

قال الراغب الأصفهاني: « وعلى الوجهين حمل قوله تعالى: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [1].

بل يبدو من كلام الشنقيطي أنه يرى الجمع بينها؛ فقد حكى الأقوال الثلاثة، واستشهد على قول أبي عبيدة بآيات من القرآن... ثم قال: «وإذا علمت أن أقوال العلماء في قوله (مسحورا) راجعة إلى دعواهم اختلال عقله بالسحر أو الخديعة ، أو كونه بشرا منع بعض التأثيرات العرضية التي لا تعلق لها بالتبليغ ، والتشريع كما ترى، والعلم عند الله تعالى» [2].

الترجيح:

الراجح في تفسير قوله (مسحورا) هو القولان الثاني والثالث – إذ لا فرق بينهما– لكونهما وافقا سياق الآيات، وهذا ما أشار إليه غير واحد من المفسرين.

قال ابن عطية: « والآية التي بعد هذا تقوي أن اللفظة التي في الآية من السحر بكسر السين؛ لأن حينئذ في قولهم ضرب مثل له، وأما على أنها من السحر الذي هو الرئة ومن التغذي وأن تكون الإشارة إلى أنه بشر فلم يضرب له في ذلك مثل بل هي صفة حقيقة له»[3].

وأراد بالآية: قول الله تعالى : ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ الإسراء: ٤٨.

ويوضحه السمين بقوله: « قلت : وأيضا فإن (السحر) الذي هو الرئة لم يضرب له فيه مثل بخلاف (السحر)، فإنهم ضربوا له فيه المثل ، فما بعد الآية من قوله

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن (١ / ٤٦٤).

(٢) أضواء البيان (٤/ ٦٢)، وهذا الكلام جاء في صدد الحديث أن النبي – صلى الله عليه وسلم – معصوم بالإجماع من كل ما يؤثر خللا في التبليغ ، والتشريع . وأما بالنسبة إلى الأعراض البشرية : كأنواع الأمراض ، والآلام ، ونحو ذلك فالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يعتريهم من ذلك ما يعتري البشر . لأنهم بشر.

(٣) انظر المحرر الوجيز (٣/ ٤٧٥)، ونقله عنه الآلوسي في روح المعاني (١٥ / ٩٠)..

﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾ لا يناسب إلا (السحر) بالكسر»[1].

وقريب منه قول ابن كثير: « لأنهم أرادوا ههنا أنه مسحور له رئيٌّ يأتيه بما استمعوه من الكلام الذي يتلوه ، ومنهم من قال : شاعر ، ومنهم من قال : كاهن ، ومنهم من قال : مجنون ، ومنهم من قال : ساحر» [2].

وقول أبي عبيدة الذي اقتصر عليه الطبري، فهو – وإن جاز لغة – إلا أنه ضعيف هنا لمخالفته لسياق الآيات.

وهذا كله في تفسير " مسحوراً" في الآية الأولى ، وهي قوله تعالى : ﴿ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾ الإسراء: ٤٧ ، وأما الآية الثانية التي اتهم فرعون فيها موسى بأنه مسحور ؛ فلم يذكر أحد من المفسرين قول أبي عبيدة هذا، بل لم يفسره أبو عبيدة أصلاً.

أما الطبري فقد فسره هناك – كما سبق - بالمعاطى علم السحر، أي الذي يتعاطى السحر ويتعلمه من غيره، قال: ويجوز أن يكون (المسحور) بمعنى (ساحر)، وهما وجهان متلازمان ؛ لأن الساحر لا يكون ساحراً حتى يتعلم السحر ، ويتعاطاه .

أما الآية الثالثة – فهي وإن كانت مثل نص الأولى تماماً ﴿ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٨﴾ ﴾، فلم يفسرها أبو عبيدة أيضاً، بينما اقتصر الطبري فيها على قوله: « به سحر».

---

(١) الدر المصون (٧/ ٣٦٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٥ / ٨٣).

{ تقرضهم }

قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ الكهف: ١٧

قال الإمام أبو جعفر الطبري[١]: « وقوله : ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ يقول تعالى ذكره : وإذا غربت الشمس تتركهم من ذات شمالهم .

وإنما معنى الكلام : وترى الشمس إذا طلعت تعدل عن كهفهم ، فتطلع عليه من ذات اليمين ، لئلا تصيب الفتية ، لأنها لو طلعت عليهم قبالهم لأحرقتهم وثيابهم ، أو أشحبتهم . وإذا غربت تتركهم بذات الشمال ، فلا تصيبهم ، يقال منه: قرضت موضع كذا : إذا قطعته فجاوزته . وكذلك كان يقول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة . وأما الكوفيون فإنهم يزعمون أنه المحاذاة ، وذكروا أنهم سمعوا من العرب قرضته قبلا ودبرا، وحذوته ذات اليمين والشمال، وقبلا ودبرا : أي كنت بحذائه ، قالوا : والقرض والحذو بمعنى واحد . وأصل القرض : القطع ، يقال منه : قرضت الثوب : إذا قطعته ، ومنه قيل للمقراض : مقراض ، لأنه يقطع ، ومنه قرض الفأر الثوب ، ومنه قول ذي الرمة:

إلى ظُعُن يَقْرِضْنَ أجْوَاز مُشْرِفٍ ... شِمالا وعن أيمانِهنَّ الفوارِسُ[٢]

يعني بقوله : يقرضن : يقطعن.

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل... ».

الدراسة والتحليل:

بعد ما ذكر الإمام الطبري : أن معنى قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾: وترى الشمس إذا طلعت تعدل عن

(١) جامع البيان (١٥/ ١٨٦ – ١٨٧).

(٢) البيت في ديوان ذي الرمة (ص: ٣١٣).

كهفهم ، فتطلع عليه من ذات اليمين، لئلا تصيب الفتية ، لأنها لو طلعت عليهم قبالهم لأحرقتهم وثيابهم ، أو أشحبتهم . وإذا غربت تتركهم بذات الشمال، فلا تصيبهم.

تطرق إلى اختلاف أهل اللغة في كلمة {تقرضهم}:

١- فذكر أنَّ بعض أهل البصرة يرى أنها من قولهم : قرضت موضع كذا : **إذا قطعته فجاوزته.**

ويقصد به: أبا عبيدة[١]؛ فقد قال في مجازه[٢]: ﴿ تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾، أي: تخلّفهم شمالا [وتجاورهم][٣] وتقطعهم وتتركهم عن شمالها ، ويقال : هل مررت بمكان كذا وكذا ، فيقول المسؤول : قرضته ذات اليمين ليلاً، و قال ذو الرّمّة :

إلى ظُعْن يَقْرِضْنَ أجْوَاز مُشْرِفٍ ... شِمالا وعن أيمانِهِنَّ الفوارِسُ

٢- ثم نقل عن الكوفيين[٤] أنه **المحاذاة** ، وذكروا أنهم سمعوا من العرب قرضته قبلاً ودبراً، وحذوته ذات اليمين والشمال ، وقبلا ودبرا : أي كنت بحذائه ، قالوا : والقرض والحذو بمعنى واحد.

ويقصد بهذا الفراء؛ فإنه قال في معاني القرآن: " والعرب تقول : قرضته ذات اليمين وحذوته وكذلك ذات الشمال وقبلاً ودبراً ، كلّ ذلك أي كنت بحذائه من كلّ ناحية"[٥].

---

(١) وقد حكي هذا القول عن الأخفش أيضاً ، وهو من البصريين، انظر: تهذيب اللغة (٣/ ١٤٦).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٩٦).

(٣) هكذا ورد في المطبوع بالراء ، ولعل الصحيح أنه بالزاي، وهو الموافق لما حكاه الطبري، وكذلك ورد أيضا عند من نقلوا قوله: انظر: الصحاح (٣/ ١١٠١)، لسان العرب (٧/ ٢١٦).

(٤) وليس هذا قول جميع الكوفيين – كما هو الظاهر من كلام الطبري – بل قول الأخفش والكسائي موافق لما ذهب إليه أبو عبيدة كما سيأتي.

(٥) معاني القرآن للفراء (٢/ ١٣٧)، ونقله عنه الأزهري في تهذيب اللغة (٨/ ٢٦٨)، وابن منظور في لسان العرب (٧/ ٢١٦).

وحكى غير واحد عنه قوله: « وقَرَضْتُ: مثل حَذَوْتُ سواءً »[1].

ثم أشار الإمام الطبري إلى **أصل مادة (القرض)، وأنه القطع**، واستشهد عليه من أشعار العرب.

ثم أخرج عن بعض أهل التأويل من السلف تفسيره بعبارات تدل على معنى الترك.

فعن ابن عباس (تذرهم)، وعن سعيد ومجاهد (تتركهم)، وعن قتادة (تدعهم).

وما ذكره الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – في أصل كلمة (القرض) بأنه: **القطع**، هو الذي ذكره أصحاب المعاجم اللغوية.

قال ابن فارس – رحمه الله –: « (قرض) القاف والراء والضاد أصلٌ صحيحٌ، وهو يدلُّ على القطع. يقال: قَرَضت الشيءَ بالمقراض. والقَرْض: ما تُعطيه الإنسانَ من مالك لتُقْضَاه، وكأنَّه شيء قد قطعتَه من مالك »[2].

وقال الجوهري: " قرضت الشيء أقرضه بالكسر قرضا: قطعته[3]".

وقال الفيروز أبادي: " قرضه يقرضه : قطعه وجازاه كقارضه ..."[4].

أما في تفسير الآية: فمن خلال تتبع أقوال العلماء من اللغويين وأهل الغريب والتفسير، ظهر لي أنها ترجع إلى القولين الذين حكاهما الطبري، وإن اختلفت عباراتهم في ذلك:

١ – القول الأول: أنه بمعنى: **القطع**، ويلزم منه العدول والميل والانحراف.

وهذا قول جمهور اللغويين وأصحاب المعاني والغريب وأهل التفسير، وعبروا عنه بعبارات كثيرة:

---

(١) تهذيب اللغة (٣/ ١٤٦).

(٢) مقاييس اللغة (٥ / ٧١).

(٣) الصحاح في اللغة (٣/ ٢٣٨)، وانظر: لسان العرب (٧/ ٢١٦)، تاج العروس (١٩/ ١٣).

(٤) القاموس المحيط (ص: ٨٤٠).

فهو ما رواه الطبري عن السلف – كما سبق – وإن اختلفت فيه عباراتهم .

وسبق في كلام أبي عبيدة: « تخلّفهم شمالا وتجاوزهم وتقطعهم وتتركهم ».

ونسب إلى الكسائي – وهو من الكوفيين – أنه بمعنى: **تعدل عنهم**، يقال: قرضت المكان أي عدلت عنه ولم تقر به[1].

وقال الصاحب بن عباد: « والقَرْضُ في السَّيْرِ : العُدُول يَمْنَةً ويَسْرَةً ، من قوله عَزّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ »[2].

وقال الزجاج:« ﴿ تَّقْرِضُهُمْ ﴾ بكسر الراء، وتقرُضهم بضم الراء، والكسر القراءة عليه، وتأويله **تعدل عنهم وتتركهم**، ثم استشهد ببيت ذي الرمة[3].

و« قال الأخفش، وأبو عبيد: ﴿تَّقْرِضُهُمْ ﴾ ذاتَ الشمال أي **تجاوزهم وتتركهم** عن شمالها يقال: قَرَضْتُهُ أَقْرِضُهُ قَرْضاً أي جاوزته »[4].

وفي القاموس: « وفي سيره : عدل يمنة ويسرة و المكان : عدل عنه ... و﴿تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ أي: تخلفهم شمالا وتجاوزهم وتقطعهم وتتركهم على شمالها"[5].

وقال ابن قتيبة: « ﴿ تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ **تعدل عنهم وتُجَاوِزُهُم** ... ثم استشهد ببيت ذي الرمة[6].

---

(١) انظر: التفسير الكبير (٢١/ ٤٤٤)، وتهذيب اللغة (٣/ ١٤٦)، واللباب في علوم الكتاب (١٢/ ٤٤٢)، وروح المعاني (١٥/ ٢٢٢)، واقتصر على هذا المعنى الفيومي في المصباح المنير (٢/ ٤٩٨).

(٢) المحيط في اللغة (٥ / ٢٥٠).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٣).

(٤) تهذيب اللغة (٣ / ١٤٦).

(٥) القاموس المحيط (ص: ٨٤٠).

(٦) غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٢٦٤)، وذكر مثل هذا القول: مكي في تفسير المشكل (ص:٢٣٥)، والخزرجي في نفس الصباح (١/ ٤٦٣)، واقتصر ابن الجوزي في تذكرة الأريب (ص: ٣١٤) على قوله: "تعدل عنهم".

ومثله ما ذكر السجستاني: « ﴿تَّقۡرِضُهُمۡ﴾: **تخلفهم وتجاوزهم**، أي تعدل عنهم»[1].

وقال الراغب الأصفهاني: « القرض: ضرب من القطع، وسمي قطع المكان وتجاوزه قرضا، كما سمي قطعا. قال: ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ ، أي: **تجوزهم وتدعهم** إلى أحد الجانبين »[2].

وحول هذا المعنى تدور أقوال أكثر المفسرين.

قال الواحدي: ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ﴾ **تتركهم وتتجاوز عنهم** »[3].

وقال البغوي: « ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ﴾ أي: **تتركهم وتعدل عنهم** »[4].

وقال الزمخشري: « ﴿تَّقۡرِضُهُمۡ﴾ : **تقطعهم لا تقربهم** »[5].

وبمثل هذه المعاني جاءت أقوال المفسرين[6].

٢- القول الثاني: أنه بمعنى **المحاذاة**، وهذا قول الفراء – كما سبق -.

وعلى القول الأول فالشمس لم تكن تصيبهم مطلقاً، لا في ابتداء النهار ولا في آخر النهار، لأن معنى الآية: أن الشمس إذا طلعت مالت عن كهفهم ذات اليمين ، أي يمين الكهف ، وإذا غربت تمر بهم ذات الشمال ، أي شمال الكهف ، فلا تصيبهم[7].

---

(١) غريب القرآن (ص: ١٤٧)، واقتصر ابن الهائم وأبو حيان على قوله: "تخلفهم وتجاوزهم"، انظر: التبيان في تفسير غريب القرآن (ص: ٢٧٢)، وتحفة الأريب (ص: ٢٦٣).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن (٢ / ٢٣٥)، وقريب منه قول السمين في عمدة الحفاظ (٣/ ٢٩٨).

(٣) الوجيز للواحدي (١ / ٦٥٥).

(٤) تفسير البغوي (٥ / ١٥٧).

(٥) الكشاف (٢ / ٦٦٢).

(٦) انظر: إيجازالبيان عن معاني القرآن (٢ / ٥١٥)، زاد المسير (٥ / ١١٧)، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (١ / ٩٣٩)، التحرير والتنوير (١٥ / ٢٧٨).

(٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٠ / ٣٦٩)، وهو قول الطبري السابق نقله.

أما على القول الثاني (قول الفراء)؛ فالظاهر من صنيع الطبري أنه يرى عدم مخالفته للقول الأول، ولذا لم يعلق عليه ولم يرجح بينهما، والله أعلم.

وذهب بعض العلماء إلى أن الشمس كانت تصيبهم - عند الغروب - إصابة خفيفة، قالوا : كان في مسها لهم بالعشي إصلاح لأجسادهم[1]، وقيل: لو لم تصب مكانهم أصلا لفسد هواؤه وتعفن ما فيه فيصير ذلك سببا لهلاكهم[2].

فكانت الشمس تميل عنهم بالغداة وتصيبهم بالعشي إصابة خفيفة بقدر ما يطيب لهم هواء المكان ولا يتعفن[3].

واختلف القائلون بهذا القول في اشتقاق كلمة {تقرضهم}:

١- فقال بعضهم هو من (القرض)، حكى جماعة من المفسرين عن أبي علي الفارسي قوله: « معنى تَقْرِضُهم: تُعْطيهم مِنْ ضوئِها شيئاً ثم تزولُ سريعاً كالقَرْضِ يُسْتَرَدُّ »[4]، فهو عنده مأخوذ من قرض الدراهم التي ترد[5]، وقرض المال أيضاً مأخوذ من القطع، كما سبق في كلام ابن فارس: « والقَرْض: ما تُعطيه الإنسانَ من مالك لتُقْضَاه، وكأنَّه شيء قد قطعتَه من مالك »[6].

وضعّف هذا؛ لأنه لو كان من القرض كان ينبغي أن يُقْرأ « تُقْرِضُهم » بضم

---

(١) المحرر الوجيز (٣/ ٥٢٥)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣٦٩).

(٢)البحر المحيط (٦/ ١٠٤)، روح المعاني (١٥ / ٢٢٣).

(٣) أضواء البيان (٣ / ٢٢١).

(٤) نقل هذا القول عنه بعض المفسرين، انظر: البحر المحيط (٦/ ١٠٤)، الدر المصون في علم الكتاب المكنون (١/ ٣٠٥٦)، روح المعاني (١٥/ ٢٢٣).

(٥) النكت والعيون (٣/ ٢٩٠).

(٦) مقاييس اللغة (٥ / ٧١).

التاء لأنه مِن الفعل الرباعي (أَقْرض)[1].

٢- أنه من القطع ، وجعل تقديره: تقرض لهم أي تقطع لهم من ضوئها شيئاً، وهذا قول أبي حيان[2].

ورجح الشيخ محمد بن صالح العثيمين القول بأن الشمس كانت تصيبهم، فقال: « ﴿ تَّقۡرِضُهُمۡ ﴾ قيل المعنى تتركهم وقيل تصيب منهم وهو الأقرب أنها تصيب منهم، وفائدة هذه الإصابة أن تمنع أجسامهم من التغير ؛ لأن الشمس كما يقول الناس: إنها صحة وفائدة للأجسام »[3].

الترجيح:

والذي يظهر مما تقدم أن معنى ﴿تَّقۡرِضُهُمۡ ﴾ أي تقطعهم؛ لأنه من القرض بمعنى القطع، ويدخل فيه ما عبر به المفسرون من العدول، والتجاوز، والترك والانحراف وغيرها، وعليه فلم تكن الشمس تصيبهم البتة.

أما القول بأن الشمس كانت تعطيهم من ضوئها شيئاً ثم يزول سريعاً، فهو بعيد؛ لكونه مخالفاً لقول جمهور المفسرين من السلف والخلف، ومخالفاً لأصل المادة اللغوي، والله تعالى أعلم.



(١) انظر: البحر المحيط (٦/ ١٠٤)، الدر المصون في علم الكتاب المكنون (١/ ٣٠٥٦)، روح المعاني (١٥/ ٢٢٣).

(٢) البحر المحيط (٦/ ١٠٤)، وانظر: روح المعاني (١٥ / ٢٢٣).

(٣) تفسير سورة الكهف (ص: ٣٢).

{ الوصيد }

قال تعالى: ﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ ﴾ الكهف: ١٨

روى الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – أقوال أهل التأويل من السلف في معنى {الوصيد}:[١]

١– فقال بعضهم: هو الفِنَاء، وأخرج ذلك عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة والضحاك.

٢– وقال آخرون: الوصيد: الصعيد، وأخرج ذلك عن ابن عباس، وسعيد بن جبير أيضاً.

٣– وقال آخرون: الوصيد الباب، وروى ذلك عن ابن عباس أيضاً.

ثم قال: « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال : الوصيد : الباب ، أو فناء الباب حيث يغلق الباب ، وذلك أن الباب يوصد ، وإيصاده : إطباقه وإغلاقه من قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ٨ ﴾ الهمزة: ٨ وفيه لغتان : الأصيد ، وهي لغة أهل نجد ، والوصيد : وهي لغة أهل تهامة . وذكر عن أبي عمرو بن العلاء ، قال: إنها لغة أهل اليمن ، وذلك نظير قولهم : ورخت الكتاب وأرخته، ووكدت الأمر وأكدته، فمن قال الوصيد ، قال : أوصدت الباب فأنا أوصده ، وهو موصد ، ومن قال الأصيد ، قال : أصدت الباب فهو مؤصد ، فكان معنى الكلام : وكلبهم باسط ذراعيه بفناء كهفهم عند الباب ، يحفظ عليهم بابه »[٢].

---

(١) جامع البيان (١٥/ ١٩١– ١٩٤)

(٢) المصدر السابق (١٥/ ١٩٤).

الدراسة والتحليل:

بالرجوع إلى المعاجم اللغوية في هذه الكلمة نجد أن أصلها الإطباق والإغلاق؛ يقال: أَوْصَدَ البابَ وآصَدَه أَغْلَقَه فهو مُوصَدٌ[1].

قال الخليل: « الوَصيدُ : فِناء البيت والوَصيد الباب ... الإِصْدُ والإِصاد والوِصاد اسمٌ والإِيصاد المصدر، والإِصادُ والإِصْدُ هما بمنزلة المُطْبق يقال أطبَقَ عليهم الإِصادُ والوصاد والإِصْد، وأَصَدْتُ عليهم وأوصدته والهمز أعرف، و﴿ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ البلد: ٢٠ أي مُطبَقةٌ »[2].

وقال ابن فارس: « (وصد) الواو والصاد والدال: أصلٌ يدلُّ على ضمِّ شيءٍ إلى شيء. وأوصَدْتُ البابَ: أغْلَقْتُهُ ... والمُوصَد: المُطْبَق »[3].

وما ذكره الطبري من أن الأصيد والوصيد لغتان في هذه الكلمة، ذكره جمع من أهل اللغة.

قال الفراء: « والوصيد والأصيد لغتان مثل الإكاف والوكاف، ومثل أرّخت الكتاب وورّخته، ووكّدت الأمر وأكّدته »[4].

وقال الجوهري: « والأصيد، لغة في الوصيد، وهو الفناء »[5].

وما نقله الإمام الطبري – رحمه الله – من المعاني عن السلف في تفسير كلمة (الوصيد) لم تخرج عنها أقوال أكثر أهل الغريب والتفسير.

---

(١) الصحاح (٢/ ٥٥٠)، ولسان العرب (٣/ ٤٦٠).

(٢) العين (٧/ ١٤٥).

(٣) مقاييس اللغة (٦ / ١١٧).

(٤) معاني القرآن للفراء (٢ / ١٣٧)، وانظر: لسان العرب (٣ / ٤٦٠)، تاج العروس من جواهر القاموس (٩ / ٣٠٠)، وذكروا أنه نقل ذلك عن يونس والأخفش.

(٥) الصحاح (٢ / ٤٤١).

فمنهم من حكى المعاني الثلاثة كلّها[1]: كابن قتيبة؛ حيث يقول: " و(الْوَصِيدُ) الفِناء. ويقال: عتبة الباب. وهذا أعجب إليَّ؛ لأنهم يقولون: أَوْصِد بابَك. أي أغلقه. ومنه ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝﴾ أي مُطْبَقة مُغْلَقة ... وقد يكون الوصيد الباب نفسه، فهو على هذا كأنه قال: وكلبهم باسط ذراعيه بالباب. قال الشاعر:

بأرضٍ فَضَاءٍ لا يُسَدُّ وَصِيدُها ... عليَّ ومعروفي بها غير مُنْكَرِ[2]

ومنهم من اقتصر على معنيين منها، قال أبو عبيدة: « ﴿بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ على الباب وبفناء الباب جميعاً لأن الباب يوصد، أي يغلق، والجميع وصائد ووصد»[3].

وقال السجستاني: « وصيد: فناء الباب. وقيل: عتبة الباب »[4].

وكذلك فعل المفسرون، فمنهم من حكى الأقوال كلها دون ترجيح بينها[5]،

---

(١) وممن حكى المعاني الثلاثة: الخزرجي في نفس الصباح (١/ ٤٦٣).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٦٤- ٢٦٥).

والبيت نسب إلى أكثر من قائل، فنسبه ابن الأنباري في الزاهر (١/ ٧٧) إلى الأخطل، ولا يوجد في ديوانه، ونسب لزهير كما في: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده (٢/ ٨١)، وخزانة الأدب وغاية الأرب (٢/ ٢٤)، وليس في ديوانه أيضاً، ونسبه ابن هشام في السيرة (٢/ ١٤٦) والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣٥١)، والنويري في نهاية الأرب في فنون الأدب (١٦/ ١٥٧)، إلى عبيد بن وهب العبسي، وذكره جمع من المفسرين غير منسوب، انظر: النكت والعيون (٣/ ٢٩٢)، والكشاف (٢/ ٦٦٢)، والبحر المحيط (٦/ ٩٢)، والدر المصون (٧/ ٤٦١).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٩٧)، وعلى هذين المعنيين اقتصر الغزنوي في: إيجاز البيان (٢/ ٥١٥).

(٤) غريب القرآن (ص: ٤٨١)، وعليهما اقتصر أيضاً: مكي في تفسير المشكل (ص:٢٣٥)، وابن الهائم في التبيان (ص: ٢٧٢)، والمارديني في البهجة (ص: ١٤١) وأبو حيان في التحفة (ص: ٣١٤).

واقتصر على معنى (عتبة الباب) ابن الجوزي في التذكرة (١/ ٣١٤).

(٥) كالزمخشري في الكشاف (٢/ ٦٦٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١١٩)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣٧٣)، وابن جزي في التسهيل (١/ ٩٣٩)، والبيضاوي في تفسيره (١/ ٤٨٤).

ومنهم من حكى معنيين كذلك دون ترجيح[1].

فمجمل الأقوال الواردة في معنى {الوصيد} هي:

١ - أن الوصيد: فناء الكهف.

٢ - أن الوصيد: الباب.

٣ - أن الوصيد عتبة الباب.

٤ - أنه الصعيد وهو التراب.

وأكثر العلماء من اللغويين والمفسرين على أنه الفناء، أو الباب[2]، والظاهر أنه لا فرق بينهما، كما نص على ذلك جمع منهم، كما سبق في كلام الطبري، وأبي عبيدة، وقال الحافظ ابن كثير: « والصحيح أنه بالفناء، وهو الباب، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨﴾ أي مطبقة مغلقة »[3].

وقال الشنقيطي[4]: « ومن قال: الوصيد الفناء لا يخالف ما ذكرنا. لأن فناء

---

(١) كالخازن في تفسيره (٤ / ٢٠٥)، والشربيني في السراج المنير (٢ / ٢٧٩) والسعدي في تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٧٢).

(٢) فعلى أنه الفناء اقتصر الفراء في معاني القرآن للفراء (٢ / ١٣٧)، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٧)، والجوهري في الصحاح (٢ / ٤٤١)، وابن سيده في المحكم والمحيط (/ ٣٦٨)، و ابن منظور في لسان العرب (٣/ ٤٦٠)، والكفوي في الكليات (١/ ١٥٢٣).

والجمع بين المعنيين هو قول أبي عبيدة، ورجحه الطبري وابن كثير والشنقيطي.

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ١٤٤).

(٤) هو الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، ولد عام (١٣٢٥هـ) وكانت له مكانةٌ علمية عالية في فنون مختلفة، حيث برع في التفسير والفقه والأصول والنحو والأدب وغيرها، توفي – بعد حياة مديدة حافلة بالتأليف والتدريس والإفتاء – عام (١٣٩٣هـ) بمكة المكرمة بعد انتهاء فريضة الحج، وصلى عليه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – في الحرم المكي بعد صلاة الظهر، ودفن في مقبرة المعلاة بمكة المكرمة.

انظر: ترجمته بقلم تلميذه الشيخ عطية محمد سالم، وهي مطبوعة في آخر أضواء البيان، وترجمته للشيخ عبد الرحمن بن عبدالعزيز السديس. جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف د. عبد العزيز صالح الطويان.

الكهف هو بابه »[1].

ومال ابن قتيبة – كما سبق – إلى المعنى الثالث (أنه عتبة الباب)، وعليه اقتصر ابن الجوزي، وحكاه غير واحد من أهل الغريب، والظاهر أنه لا فرق بينه وبين المعنيين السابقين.

أما المعنى الرابع (أنه الصعيد أو التراب) فقد رواه الطبري عن ابن عباس وسعيد، ولم أجده في كتب اللغة، ولا اختاره أحد من المفسرين، ولم يذكره إلا نزر يسير منهم[2]، قال الألوسي – بعد ما حكاه عن ابن جبير – : « وليس بذاك »[3].

الترجيح:

والذي يظهر لي – والعلم عند الله – أن اللفظ شامل للمعاني الثلاثة الأولى، فهو الباب، أو فناؤه أو عتبته؛ لأنها متقاربة، ولا تناقض بينها، وكل منها قال به علماء اللغة والتفسير، والأصل اللغوي للكلمة يشمله.

أما المعنى الرابع فالظاهر أنه لا يجوز تفسير الآية به؛ لمخالفته الأقوال الصحيحة عن السلف، وجمهور اللغويين، ولم يرو عن السلف من طريق صحيح[4].



(١) أضواء البيان (٣/ ٢٢٥).

(٢) كالماوردي في النكت والعيون (٣ / ٢٩٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١١٩)، وأبي حيان في البحر المحيط (٦ / ١٠٦).

(٣) روح المعاني (١٥ / ٢٢٦).

(٤) فالطبري أخرجه عن ابن عباس من طريق العوفيين، وهو مسلسل بالضعفاء، وأخرجه عن ابن جبير وإسناده ضعيف أيضاً، انظر: ترجيحات الحافظ ابن كثير لمعاني الآيات في تفسيره من سورة يونس إلى نهاية القرآن (بحث غير منشور) إعداد د. عبد الله العواجي.

{ رحما }

قال الله تعالى: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۝٨١﴾ الكهف: ٨١

نقل الإمام الطبري – رحمه الله – اختلاف أهل التأويل من السلف في تأويل قوله: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾[1]:

١- فقال بعضهم : معنى ذلك : وأقرب رحمة بوالديه وأبر بهما من المقتول، وذكر ذلك عن قتادة.

٢- وقال آخرون : بل معنى ذلك : وأقرب أن يرحمه أبواه منهما للمقتول، وروى ذلك عن ابن جريج.

ثم قال الإمام أبو جعفر الطبري:

« وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك : وأقرب أن يرحما به ، والرحم : مصدر رحمت ، يقال : رحمته رحمة ورحما.

وكان بعض البصريين يقول : من الرحم والقرابة . وقال : يقال : رُحْمٌ وَرُحُمٌ مثل: عُمْرٌ وعُمُرٌ ، وهُلْكٌ وهُلُكٌ ، واستشهد لقوله ذلك ببيت العجاج:

وَلَمْ تُعَوَّجْ رُحْمُ مَنْ تَعَوَّجا[2]

ولا وجه للرحم في هذا الموضع . لأن المقتول كان والذي أبدل الله منه والديه ولدا لأبوي المقتول ، فقرابتهما من والديه ، وقربهما منه في الرحم سواء . وإنما معنى ذلك : وأقرب من المقتول أن يرحم والديه فيبرهما كما قال قتادة . وقد يتوجه الكلام إلى أن يكون معناه . وأقرب أن يرحما به ، غير أنه لا قائل من أهل تأويل تأوله كذلك . فإذ

(١) جامع البيان (١٥ / ٣٦٠).

(٢) البيت من مشطور الرجز ، وهو للعجاج كما في ديوانه (ص: ١٠).

لم يكن قال به قائل ، فالصواب فيه ما قلنا لما بينا"[1].

الدراسة والتحليل:

نقل الإمام الطبري في تفسير هذه اللفظة – بعد نقل كلام السلف – قولين لعلماء اللغة.

١ – فروى عن بعض أهل العربية أن معناه: **وأقرب أن يرحما به.**

وهذا قول الفراء[2].

وذكر الطبري أن لهذا القول وجهاً في الكلام؛ لكنه ردّه لعدم وروده عن السلف.

٢– ونقل عن بعض أهل اللغة من البصرة أن يكون من الرحم والقرابة، والمعنى: أنه أقرب في الرحم من المقتول.

وهذا قول أبي عبيدة، قال في المجاز: « ﴿ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾: معناها معنى رَحِمًا مثل عمر وعمر وهلك وهلك، قال الشاعر:

فَلاَ ومُنَزِّل الفُرْقَان — مالَكَ عِنْدَها ظُلْمُ

وكَيْفَ بِظُلْم جَارِيَةٍ — ومنها اللِّينُ والرُّحْمُ[3]

قال العجّاج :

وَلَمْ تُعَوَّجْ رُحْمُ مَنْ تَعَوَّجا

ثم ردّ الطبري هذا القول؛ لأنّ قرابة المقتول والذي أبدل الله منه والديه كانا

---

(١) جامع البيان (١٥ / ٣٦١).

(٢) كما في معاني القرآن له (٢ / ١٥٧).

(٣) لم أجده منسوباً وهو من شواهد تهذيب اللغة (٥ / ٣٣)، دون البيت الأول، وكذلك أورده الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٥) وذكر البيتين: ابن منظور في لسان العرب (١٢/ ٢٣٠)، والزبيدي في تاج العروس (٣٢/ ٢٢٧).

سواء في القرابة من والديها، فلا وجه للرحم في هذا الموضع[1].

نصّ كثير من أصحاب المعاجم على أن الرُحْم بالضمة بمعنى الرحمة[2]، يقال: رَحِمَه رَحْمَةً ورُحْماً ومَرْحَمَةً[3]، وما أقربَ رُحْمَ فلانٍ إذا كان ذا مَرْحَمةٍ وبِرٍّ[4]،أي ما أرحمه وأبره[5].

وعلى هذا فالكلمة مرادفة للرحمة، ويدخل فيها قولان من أقوال المفسرين:

١- أنه أقرب رحمة وعطفاً بوالديه. وهذا قول قتادة، وعليه اقتصر أكثر أصحاب الغريب.

قال ابن قتيبة: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ أي رحمة وعطفا[6].

وذكر مثل هذا بنصه: السجستاني[7]، وابن الهائم[8]، والمارديني[9]، وهو قول جمع من المفسرين.

قال الزمخشري: "الرُّحْم : الرحمة والعطف"[10].

وقال الرازي:« ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ أي يكون هذا البدل **أقرب عطفاً ورحمة** بأبويه بأن

(١) مجاز القرآن (١/ ٤١٢ - ٤١٣).

(٢) مقاييس اللغة (٢ / ٤٩٨)، والصحاح (٥ / ١٩٢٩)، لسان العرب (١٢/ ٢٣٠).

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٢ / ٤٩٨)، والمخصص لابن سيده (٤ / ٦٥).

(٤) العين (٣/ ٢٢٤).

(٥) المحكم والمحيط (٣/ ٣٣٧).

(٦) غريب القرآن (ص: ٢٧٠).

(٧) في غريبه (ص: ٢٤٥).

(٨) في التبيان (ص: ٢٧٩).

(٩) في بهجة الأريب (ص: ١٤٥).

(١٠) الكشاف (٢/ ٦٩٢).

يكون أبر بهما وأشفق عليهما والرُّحْم: الرحمة والعطف »[1].

واقتصر بعض أهل الغريب على تفسيره بـ (رحمة)[2]، أو على تفسيره بـ(عطفا)[3].

٢- أنه أقرب أن يرحما به، وهذا معنى قول ابن جريج، وإن اختلف التعبير، وهو قول الفراء الذي نقله الطبري، وحكاه غير واحد من المفسرين[4].

واقتصر عليه الحافظ ابن كثير فقال: « ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ أي: ولدًا أزكى من هذا، **وهما أرحم به منه**[5]، وكذلك الثعالبي؛ حيث قال:« ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ هما به أرحم منهما بالأول الذي قتله خضر »[6].

أما القول بأنه من الرَّحِم؛ فهو قول أبي عبيدة كما سبق، وقد ذكر هذا القول جمع من المفسرين، لكن خرجوه على غير ما خرجه الطبري، إذ المراد به – عندهم -: وأوصل للرحم[7]، أي: أقرب في صلة الرحم.

قال ابن الجوزي: « ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ أوصل للرحم[8].

وقال البغوي: « وقيل: هو من الرحم والقرابة قال قتادة: أي أوصل للرحم

---

(١) التفسير الكبير (٢١ / ١٣٧)، وانظر مثله في تفسير البيضاوي (١ / ٥١٦).

(٢) كمكي في تفسير المشكل (ص: ٢٤٠)، والخزرجي في نفس الصباح (٢/ ٤٧٥).

(٣) كاليزيدي في غريب القرآن (ص: ٢٣٣).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٥٦٦)، البحر المحيط (٦/ ١٤٧)، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٩٦٣).

(٥) تفسير ابن كثير (٥ / ١٨٥).

(٦) الجواهر الحسان (٢ / ٣٩١).

(٧) وحكى ابن الجوزي هذا عن ابن عباس، كما في زاد المسير (٥ / ١٨٠).

(٨) تذكرة الأريب (١ / ٣٢٢) .

وأبر بوالديه »[1].

وقال الواحدي: « ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ وأبر بوالديه وأوصل للرحم »[2].

وقال الشيخ العثيمين: « ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ أي في الصلة، يعني أنه أراد أن الله يتفضل عليهما بمن هو أزكى منه في الدين، وأوصل في صلة الرحم »[3].

الترجيح:

بعد النظر والتأمل في هذه الأقوال الثلاثة يظهر لي أنّ الآية تشملها، ولا إشكال في حمل الآية عليها.

أما القول الثاني، فوجهه في الكلام ظاهر؛ وعجبي من الطبري كيف ردّه بأنه لم ينقل عن السلف، مع أنه نفس قول ابن جريج الذي نقله هو.

والقول الثالث كما رأيت قد ردّه بتفسير لم ينص عليه أبو عبيدة، وله وجه صحيح في تخريج غيره من المفسرين.

فالأولى حمل الآية عليها جميعاً، والعلم عند الله تعالى.

(١) تفسير البغوي (٥ / ١٩٥).

(٢) الوجيز للواحدي (١ / ٦٧٠).

(٣) تفسير سورة الكهف (ص: ٣٣).

{ مليا }

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ ﴾ مريم: ٤٦

ذكر الإمام الطبري – رحمه الله – قولي أهل التفسير من السلف في معنى كلمة (ملياً)[1]:

١- **أن معناها: حينا طويلاً**، ووجهوا معنى الملي إلى الملاوة من الزمان، وهو الطويل منه. وروى الطبري هذا عن سعيد، وعكرمة، ومجاهد، والحسن، والسدي.

٢- **أن معناها: سويا سالما**، ووجهوا معنى الملي إلى قول الناس : فلان ملي بهذا الأمر: إذا كان مضطلعا به غنيا منه . وكأن معنى الكلام كان عندهم : واهجرني وعرضك وافر من عقوبتي، وجسمك معافى من أذاي.وأخرج ذلك عن ابن عباس، وقتادة، والضحاك.

ثم قال الإمام أبو جعفر الطبري: « وأولى القولين بتأويل الآية عندي قول من قال: معنى ذلك: واهجرني سويا ، سَلَمًا من عقوبتي، لأنه عقيب قوله: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ وذلك وعيد منه له إن لم ينته عن ذكر آلهته بالسوء أن يرجمه بالقول السيئ، والذي هو أولى بأن يتبع ذلك التقدم إليه بالانتهاء عنه قبل أن تناله العقوبة ، فأما الأمر بطول هجره فلا وجه له ».

الدراسة والتحليل:

بالرجوع إلى الأصل اللغوي لهذه الكلمة نجد أن علماء اللغة مجمعون على اشتقاقه من المعنى الأول، وهو طول الزمن.

قال ابن فارس: « (ملي) الميم واللام والحرف المعتل. كلمة واحدةٌ هي الزَّمن

---

(١) جامع البيان (١٥ / ٥٥٢ – ٥٥٥).

الطّويل. وأقامَ مليًّاً، أي دهراً طويلاً. وتَمَلَّيْتُ الشّيءَ، إذا أقامَ معك زماناً طويلاً. والمَلَوانِ: طرَفا اللَّيل والنهار. والمِلاوة: الحِين »[1].

وقال ابن منظور: « المِلاوةُ والمُلاوةُ والمَلاوةُ والمَلا والمَلِيُّ كله مَدَّة العيش وقد تَمَلَّى العَيْشَ ومُلِّيَه وأَمْلاه الله إِياه ومَلاَّهُ وأَمْلى اللهُ له أَمْهلَه وطوَّلَ له ... والإِمْلاء الإِمْهالُ والتأْخير وإِطالةُ العُمُر وتَمَلَّى إِخْوانَه مُتِّعَ بهم يقال مَلاَّك الله حَبيبَك أَي مَتَّعَك به وأَعاشَك معه طويلاً ، والمَلِيُّ الهَوِيُّ من الدهر يقال أَقامَ مَلِيّاً من الدهر ومضى مَلِيٌّ من النهار أَي ساعةٌ طَويلة ... وقد تَمَلَّيْت العيش تَمَلِّياً إِذا عشت مَلِيّاً أَي طَويلاً وفي التنزيل ﴿وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾ قال الفراء أَي طويلاً والمَلَوانِ الليلُ والنهار ... وأَقام عنده مَلْوةً من الدهر ومُلوةً ومِلوةً ومَلاوةً ومُلاوةً ومِلاوةً أَي حيناً وبُرهة من الدهر » [2].

وهذا المعنى هو الذي اقتصر عليه أكثر المؤلفين في المعاني والغريب.

قال أبو عبيد: « والمعنى من الإملاء ومن الإطالة، ومنها قوله: ﴿وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾ أي دهرا »[3].

وقال الفراء: « وقوله : ﴿وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾ طويلا يقال كنت عنده مَلْوَةً من دهر ومِلْوَةً ومُلْوَةً ومَلاَوَة من دهر وهذيل تقول : مِلاَوَة ، وبعض العرب مُلاَوَة. وكلّه من الطول »[4].

وقال ابن قتيبة: « ﴿وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾ أي حينًا طويلاً، ومنه يقال: تَمَلّيت حبيبك،

---

(١) مقاييس اللغة (٥ / ٣٤٦).

(٢) لسان العرب (١٥/ ٢٩٠) (باختصار)، وانظر: الصحاح (٦ / ٢٤٩٦ – ٢٤٩٧)، وتاج العروس (٣٩/ ٥٥٣ – ٥٥٤).

(٣) مجاز القرآن (١ / ١٠٨).

(٤) معاني القرآن للفراء (٢ / ١٦٩).

والمَلَوَان : الليل والنهار »[1].

وقال أبو جعفر النحاس – بعد حكاية أقوال السلف -: « القول عند أهل اللغة أنه بمعنى زمانا ودهرا، قال الكسائي: يقال هجرته مَلِيًّا ومِلْوِةً ومُلْوَةً ومَلاوَةً ومِلاوَةً، قال أبو جعفر ومنه تمل حبيبك أي عش معه دهرا ومنه أمليت له ومنه قيل لليل والنهار الملوان »[2].

وعلى هذا المعنى اقتصر جمع غفير من أهل الغريب[3] والتفسير[4]، ورجحه بعضهم.

قال الشنقيطي: « والتحقيق في قوله «مليا» أن المراد به الزمن الطويل »[5].

وحكى آخرون من أهل الغريب والتفسير المعنيين دون ترجيح.

قال السجستاني: « ﴿ مَلِيًّا ﴾: حينا طويلا . ووجهوا معنى الملي إلى الملاوة من الزمان، وهو الدهر الطويل والدهر الملي . وقال . . . ﴿وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيًّا ﴾ أي سويا سالما من عقوبتي » [6].

وقال الزمخشري:« ﴿ مَلِيًّا ﴾: زمانا طويلاً من الملاوة : أو ملياً بالذهاب عني

(١) غريب القرآن (ص: ٢٧٤).

(٢) معاني القرآن (٤ / ٣٣٥).

(٣) انظر: تذكرة الأريب (٢/ ٣٣٠)، والتبيان (ص: ٢٨٢)، وإيجاز البيان عن معاني القرآن (٢/ ٥٣٧)، ومفردات ألفاظ القرآن (٢ / ٣٨٧)، والكليات (ص: ١٤١٨)، وعمدة الحفاظ (٤/ ١١٣).

(٤) انظر: تفسير النسفى (٣ / ٣٨)، و إملاء ما من به الرحمن (٢/ ١١٥)، ونظم الدرر (٤/ ٥٣٨)، البحر المديد (٤ / ٣٢٨)، والتحرير والتنوير (١٦/ ١٢٠)، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم (٩/ ٤٣)، والتفسير الواضح (٢/ ٤٥٥)، وإعراب القرآن وبيانه (٦/ ١٠٦).

(٥) أضواء البيان (٣/ ٤٢٩).

(٦)غريب القرآن (ص: ٤٢٠ - ٤٢١).

والهجران قبل أن أثخنك بالضرب، حتى لا تقدر أن تبرح . يقال: فلان مليّ بكذا ، إذا كان مطيقاً له مضطلعاً به »[1].

وذكر مثل قوله هذا غير واحد من المفسرين[2].

الترجيح:

رجح الإمام الطبري المعنى الثاني، (سويا سالما).

وجاء ترجيحه هذا بناءً على السياق؛ لأنّ قوله: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ وعيد منه له إن لم ينته عن ذكر آلهته بالسوء أن يرجمه بالقول السيئ ، فالأولى بالسياق أن يتبع ذلك التقدم إليه بالانتهاء عنه قبل أن تناله العقوبة، فأما الأمر بطول هجره فلا وجه له.

وهذا من منهج الطبري في التعامل مع الغريب في القرآن؛ حيث يقدم المعنى الموافق للسياق، - إن وجد له قائل من السلف - وإن كان مخالفاً لكلام اللغويين في أصل الكلمة.

لكن الذي يظهر لي رجحانه – والعلم عند الله تعالى – هو القول الأول؛ لأنه الموافق للأصل اللغوي للكلمة ، وعليه اقتصر أصحاب المعاجم، ولم يحكوا غيره في اشتقاق الكلمة.

بل حتى الطبري نفسه اقتصر على هذا المعنى في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ﴾ الأعراف: ١٨٣ ؛ حيث يقول: « ويعني بالإملاء : الإطالة في العمر والإنساء في الأجل ؛ ومنه قوله جل ثناؤه: ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ أي حينا طويلا ؛ ومنه قيل : عشت طويلا

---

(١) الكشاف (٣/ ٢٢ - ٢٣).

(٢) انظر: التفسير الكبير (٢١ / ١٩٥)، و المحرر الوجيز (٤/ ٢٣)، وزاد المسير (٥/ ٢٣٧)، والجامع لأحكام القرآن (١١/ ١١١)، والبحر المحيط (٦/ ١٨٣- ١٨٤)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ٤٩٢)، وتفسير البيضاوي (٢ / ١٩)، وروح المعاني (١٦ / ٩٩)، وفتح القدير (٣/ ٤٨٠).

وتمليت حينا والملا نفسه الدهر ، والملوان : الليل والنهار »[1].

إضافة إلى عدم اتفاق القائلين بهذا القول على أصل واحد للكلمة على هذا المعنى، فمن قائل: هو من قولهم: فلان مليّ بكذا ، إذا كان مطيقاً له مضطلعاً به »[2].

---

(١) جامع البيان (٦/ ٢٥٩).

(٢) الكشاف (٣/ ٢٢ - ٢٣).

{ أخفيها }

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ طه: ١٥

في تفسير هذه الكلمة ﴿ أُخۡفِيهَا ﴾ قال الإمام الطبري: « فعلى ضم الألف من أخفيها قراءة جميع قراء أمصار الإسلام، بمعنى: أكاد أخفيها من نفسي ، لئلا يطلع عليها أحد ، وبذلك جاء تأويل أكثر أهل العلم... ثم روى ذلك عن ابن عباس، ومجاهد، وسعيد، وقتادة، وأبي صالح.

ثم روى عن سعيد بن جبير قراءتها بفتح الألف: { أكاد أَخْفيها } بمعنى : أظهرها[1].

ثم قال الإمام أبو جعفر الطبري[2]: « والذي هو أولى بتأويل الآية من القول قول من قال : معناه : أكاد أخفيها من نفسي ، لأن تأويل أهل التأويل بذلك جاء، والذي ذكر عن سعيد بن جبير من قراءة ذلك بفتح الألف قراءة لا أستجيز القراءة بها لخلافها قراءة الحجة التي لا يجوز خلافها فيما جاءت به نقلاً مستفيضا.

فإن قال قائل: ولم وجهت تأويل قوله ﴿ أَكَادُ أُخۡفِيهَا ﴾ بضم الألف إلى معنى : أكاد أخفيها من نفسي ، دون توجيهه إلى معنى : أكاد أظهرها ، وقد علمت أن للإخفاء في كلام العرب وجهين: أحدهما الإظهار ، والآخر الكتمان ، وأن الإظهار في هذا الموضع أشبه بمعنى الكلام؛ إذ كان الإخفاء من نفسه يكاد عند السامعين أن يستحيل معناه، إذ كان محالا أن يخفي أحد عن نفسه شيئا هو به عالم، والله تعالى ذكره لا يخفى عليه خافية؟

قيل: الأمر في ذلك بخلاف ما ظننت، وإنما وجهنا معنى { أخفيها } بضم

(١) جامع البيان (١٦ / ٣٤).

(٢) المصدر السابق (١٦ / ٣٧ – ٤١).

الألف إلى معنى: أسترها من نفسي؛ لأن المعروف من معنى الإخفاء في كلام العرب: الستر. يقال: قد أخفيت الشيء: إذا سترته. وأن الذين وجهوا معناه إلى الإظهار اعتمدوا على بيت لامرئ القيس بن عابس الكندي:

فإنْ تُدْفِنُوا الدَّاءَ لا نُخْفِهِ وإنْ تَبْعَثُوا الحَرْبَ لا نَقْعُد[1]

بضم النون من (نخفه)، ومعناه : لا نظهره.

فكان اعتمادهم في توجيه الإخفاء في هذا الموضع إلى الإظهار على ما ذكروا من سماعهم هذا البيت، على ما وصفت من ضم النون من نخفه.

وقد أنشدني الثقة عن الفراء:

فإنْ تُدْفِنُوا الدَّاءَ لا نَخْفِهِ

بفتح النون من نخفه، من خفيته أخفيه، وهو أولى بالصواب؛ لأنه المعروف من كلام العرب. فإذا كان ذلك كذلك . وكان الفتح في الألف من أخفيها غير جائز عندنا لما ذكرنا ، ثبت وصح الوجه الآخر ، وهو أن معنى ذلك . أكاد أسترها من نفسي.

وأما وجه صحة القول في ذلك، فهو أن الله تعالى ذكره خاطب بالقرآن العرب على ما يعرفونه من كلامهم وجرى به خطابهم بينهم ، فلما كان معروفا في كلامهم أن يقول أحدهم إذا أراد المبالغة في الخبر عن إخفائه شيئا هو له مسر : قد كدت أخفي هذا الأمر عن نفسي من شدة استسراري به، ولو قدرت أخفيه عن نفسي أخفيته، خاطبهم على حسب ما قد جرى به استعمالهم في ذلك من الكلام بينهم ، وما قد عرفوه في منطقهم . وقد قيل في ذلك أقوال غير ما قلنا، وإنما اخترنا هذا القول على غيره من الأقوال لموافقة أقوال أهل العلم من الصحابة والتابعين ، إذ كنا لا نستجيز الخلاف

(١) هذا البيت منسوب – كما ذكر الطبري – لامرئ القيس بن عابس الكندي، وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (٢/ ١٧).

عليهم ، فيما استفاض القول به منهم ، وجاء عنهم مجيئا يقطع العذر » .

ثم ذكر الإمام الطبري أقوال المفسرين المخالفين لقوله هذا:

١- فقال بعضهم : يحتمل معناه: أريد أخفيها، قال: وذلك معروف في اللغة .

واحتج ببيت أنشده لبعض الشعراء :

كادَتْ وكِدْتُ وتِلكَ خَيْرُ إرَادَةٍ لَوْ عادَ مِنْ عَهْدِ الصَّبابَةِ ما مَضَى[1]

وقال : يريد : بـ(كادت): أرادت ، قال : فيكون المعنى : أريد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى . قال : ومما يشبه ذلك قول زيد الخيل :

سريع إلى الهَيْجاءِ شاكٍ سِلاحُهُ فَمَا أنْ تَكادُ قِرْنُهُ يَتَنَفَّسُ[2]

وقال: كأنه قال: فما يتنفس قرنه، وإلا ضعف المعنى؛ قال: وقال ذو الرُّمَّة:

إذا غَيَّرَ النَّأْيُ المُحِبِّينَ لَمْ يَكَدْ رَسِيسُ الهَوَى مِنْ حُبّ مَيَّةَ يَبْرَحُ[3]

قال : وليس المعنى : لم يكد يبرح : أي بعد بين يبرح بعد عسر ، وإنما المعنى : لم يبرح ، أو لم يرد يبرح ، وإلا ضعف المعنى ، قال : وكذلك قول أبي النجم :

وإنْ أتاكَ نَعِيّ فانْدُبَنَّ أبا قَدْ كَادَ يَضطَلِعُ الأعْداءَ والخُطَبَا[4]

وقال : يكون المعنى : قد اضطلع الأعداء ، وإلا لم يكن مدحا إذا أراد كاد ولم

---

(١) لم أجد هذا البيت منسوبا لقائل، وهو في معاني القرآن للأخفش (ص: ٣٧١)، والمحتسب (٢/ ٣١)، والصحاح (٢/ ٥٣٣).

(٢) البيت نسب لزيد الخيل ، كما في الأضداد لابن الأنباري (ص: ٩٧)، البحر المحيط (٦/ ١٧٠)، وتاج العروس (٩/ ١١٩).

(٣) البيت لذي الرمة كما نسبه الطبري وهو في ديوانه (ص: ٧٨).

(٤) البيت نسب – كما ذكره الطبري – لأبي النجم، كما في الأضداد لابن الأنباري (ص: ٩٧)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٦٩).

يفعل.

٢- وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن الساعة آتية أكاد ، قال : وانتهى الخبر عند قوله أكاد لأن معناه : أكاد أن آتي بها ، قال : ثم ابتدأ فقال : ولكني أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى . قال : وذلك نظير قول ابن ضابئ:

هَمَمتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وكِدْتُ ولَيْتَنِي تَرَكْتُ على عثمانَ تَبْكِي أقارِبُهُ[1]

فقال : كدت ، ومعناه : كدت أفعل.

٣- وقال آخرون : معنى { أخفيها } أظهرها ، وقالوا : الإخفاء والإسرار قد توجههما العرب إلى معنى الإظهار، واستشهد بعضهم لقيله ذلك ببيت الفرزدق :

فَلَمَّا رأى الحَجَّاجَ جَرَّدَ سَيْفَهُ أَسَرَّ الحَرُورِيُّ الّذِي كانَ أَضْمَرَا[2]

وقال : عنى بقوله : أسر : أظهر . قال : وقد يجوز أن يكون معنى قوله : ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ ﴾ سبأ: ٣٣ وأظهروها . قال : وذلك أنهم قالوا: ﴿يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا ﴾ الأنعام: ٢٧.

ثم علّق على هذه الأقوال بقوله: « وكل هذه الأقوال التي ذكرنا عمن ذكرنا توجيه منهم للكلام إلى غير وجهه المعروف ، وغير جائز توجيه معاني كلام الله إلى غير الأغلب عليه من وجوهه عند المخاطبين به ، **ففي ذلك - مع خلافهم تأويل أهل العلم فيه - شاهدٌ عدلٌ على خطأ ما ذهبوا إليه فيه** ».

---

(١) البيت لضابيء بن الحارث البرجمي.ينظر:لسان العرب(٥/ ١٢٥)، خزانة الأدب(٩/ ٣٢٦،٣٢٧).

(٢) لم أجد هذا البيت في ديوان الفرزدق، وهو في الدر المصون (٦/ ٢٢١٢)، ولسان العرب (٤/ ٣٥٦).

الدراسة والتحليل:

قبل الشروع في الدراسة والتحليل ألخص كلام الإمام الطبري حول هذه المفردة في النقاط التالية:

١- نقل قول السلف في تفسير: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ بأن معناه: أكاد أخفيها من نفسي، ورجحه؛ لكونه قول جمهور السلف الذين لا يجوز مخالفة إجماعهم، وبيّن وجهه في كلام العرب بأنه للمبالغة.

٢- حكى القراءتين في كلمة {أخفيها} وردّ القراءة بفتح الهمزة؛ لشذوذها عن قراءة الجمهور.

٣- تطرق إلى العلة في عدم تفسير {أخفيها} - على قراءة الجمهور - بمعنى الإظهار، وإن كان أشبه بالمعنى في هذا الموضع؛ لأن المعروف من معنى الإخفاء في كلام العرب: الستر، وأن الذين وجهوا معناه إلى الإظهار اعتمدوا على بيت امرئ القيس:

فإنْ تُدْفِنُوا الدَّاءَ لا نُخْفِهِ ... وإنْ تَبْعَثُوا الحَرْبَ لا نَقْعُد

على أنّ النون مضمومة من "نخفه"، وردّ ذلك بأن الصواب في البيت فتح النون.

٤- ثم أشار إلى بعض أقوال المفسرين في تفسير الآية، وذكر ثلاثة أقوال:

١) معناه: أريد أخفيها.

٢) أنّ معنى ذلك : إن الساعة آتية أكاد ، قال : وانتهى الخبر عند قوله أكاد لأن معناه: أكاد أن آتي بها ، قال : ثم ابتدأ فقال: ولكني أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى.

٣) معنى { أخفيها } أظهرها.

٥- ردّ هذه الأقوال كلها؛ لأمرين: ١- توجيه الكلام إلى غير المعنى الأغلب والمعروف من كلام العرب. ٢- مخالفتها لقول أهل التفسير من السلف.

الدرسة:

هذا منهج مطرد في تعامل الإمام الطبري – رحمه الله – مع المفردات القرآنية؛ إذ إن منهجه – كما سبق – مبنيّ على عدم مخالفة قول السلف من الصحابة والتابعين، وإن وجد للمعنى وجه في كلام العرب.

فلا خلاف بين أهل اللغة أن مادة (خفي) من الأضداد[1]؛ إذ تطلق على معنيين متضادّين: السَّتْر، والإظهار، يقال: خفا البَرْقُ خَفْواً وخُفُوّاً لَمَعَ وخَفَا الشيءُ خَفْواً ظَهَر وخَفَى الشيءَ خَفْياً وخُفِيّاً أَظهره واستخرجه، وخَفَيْتُ الشيءَ أَخْفِيه كتَمْتُه وخَفَيْتُه أَيضاً أَظْهَرْتُه، وأَخْفَيْتُ الشيءَ سَتَرْتُه وكتَمْتُه[2].

قال ابن فارس: " (خفي) الخاء والفاء والياء أصلان متباينان متضادّان. فالأوّل السَّتْر، والثاني الإظهار.

فالأوّل خَفِيَ الشَّيءُ يخفَى؛ وأخفيته، وهو في خِفْيَة وخَفاءٍ، إذا ستَرْتَه ...

والأصل الآخر خفا البرقُ خَفْواً، إذا لمع، ويكون ذلك في أدنى ضعف. ويقال خَفَيْتُ [الشَّيءَ] بغَيْر أَلِفٍ، إذا أظهرتَه ... ويقرأ على هذا التأويل: { إنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيها} أي أُظهِرُها[3].

ومجمل أقوال أهل اللغة تدل على أن هذه المادة تحتمل الأمرين إذا كان ماضيه بالهمزة، ومضارعه بضم حرف المضارع (أَخفى يُخفي).

أما إذا كان ماضيه بدون همزة (خَفيت) ويكون مضارعه بفتح حرف المضارع فلا تحتمل إلا معنى الإظهار.

---

(١) انظر: أضداد ابن السكيت (٨٢)، وأضداد ابن أبي حاتم (١٩١)، وأضداد الأنباري (٩٥).

(٢) انظر: لسان العرب (١٤ / ٢٣٤).

(٣) مقاييس اللغة (٢ / ١٦٢).

قال ابن دريد: " قال : وأخفيتُ الشيء إخفاءً ويقال: خَفَيْتُ الشيء إذا أظهرته، وأخفيتُه إذا سترتَه"[١].

وعلى ذلك فقراءة الجمهور بضم الهمزة تحتمل المعنيين، وقراءة الفتح لا تحتمل غير معنى الإظهار[٢].

وبناءً على ما تقدّم فإن ما ذهب إليه الطبري من أنّ تفسير { أخفيها } – على قراءة الجمهور – بمعنى (أظهرها) توجيه للكلمة إلى معنى غير معروف في كلام العرب، وأنّ الأصل فيه فتح حرف المضارع، غير مقبول؛ فسواءٌ قرئ بالضم أو الفتح فإنه محتمل لمعنى الإظهار كما اتفق عليه أهل اللغة.

أما في تفسير الآية، فقد اختلف فيه أهل الغريب والتفسير على الأقوال التي ذكرها الطبري، وغيرها.

فبينما نجد فريقاً منهم اقتصر على تفسير السلف، كابن قتيبة؛ حيث يقول: « ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ أي أسترها من نفسي، وكذلك هي في قراءة أُبَيّ: "أَكَادُ أُخْفِيهَا مِنْ نَفْسِي"[٣]، ونقل ابن الجوزي ذلك عن ابن عباس، ثم قال: « وهذا مبالغة في كتمانها»[٤].

نجد جمعاً منهم يحكون المعنيين دون ترجيح، قال أبو عبيدة: «﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ له موضعان موضع كتمان وموضع إظهار كسائر حروف الأضداد ... ثم استشهد ببيت امرئ القيس ... ثم قال: ومن يلغي الألف منها فى هذا المعنى أكثر ، وقال علقمة بن عبدة وقال بعضهم امرؤ القيس :

---

(١) جمهرة اللغة (٢/ ١٠٥٥).

(٢) انظر:البرهان في علوم القرآن (٤/ ١٣٨)، مشكلات موطأ مالك بن أنس (ص: ١٠٥- ١٠٦).

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٢٧٧)، ومثله في نفس الصباح (٢/ ٤٨٨).

(٤) تذكرة الأريب (١ / ٣٣٥).

خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ كَأَنَّمَا خَفَاهُنَّ وَدْقٌ مِنْ عَشِيٍّ مُجَلِّبِ[1]

أي أظهرهن ، ويقال : خفيت ملّتي من النار ، أي أخرجتها منها وكذلك خفايا الركايا ، تقول خفيت ركّية ، أي استخرجتها »[2].

وقال السجستاني: " ﴿ أُخْفِيهَا ﴾: أسترها وأظهرها أيضا من (أخفيت) وهو من الأضداد . و (أَخفيها) : أظهرها لا غير ، من خفيت »[3]، ومثله قال ابن الهائم[4]، وأبو حيان[5].

ومجمل الأقوال الواردة عن المفسرين في معنى ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ هي:

القول الأول: أكاد أخفيها من نفسي، على معنى المبالغة،أو المقصود من قِبَلي ومن عندي لا من عند غيري.وهذا هو المروي عن السلف – كما سبق - واختاره الطبري، وقاله جمع من المفسرين[6]،ورجحه الشنقيطي[7].

القول الثاني: أن خبر أكاد محذوف تقديره: أكاد آتي بها لقربها، ودلَّ على هذا المقدر قوله: { آتِيَةٌ }؛ فالكلام تمَّ عند قوله: { أَكَادُ }، والابتداء بـ (أخفيها).وهذا القول اختاره النحاس[8]، واستشهد له بقول الشاعر:

---

(١) البيت في ديوان امرئ القيس (ص: ١١٨).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ١٦ – ١٧).

(٣) غريب القرآن (ص: ٩٣).

(٤) في التبيان (ص: ٢٨٥).

(٥) في التحفة (ص: ١١٩).

(٦) انظر: تفسير الثعلبي(٦/ ٢٤١)،الوسيط(٣/ ٢٠٣)، معالم التنزيل(٣/ ١١٧)، فتح البيان(٨/ ٢٢١).

(٧) في دفع إيهام الاضطراب (ص: ٢٠٩).

(٨) في إعراب القرآن(٣/ ٣٥).

هَمَمتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وكِدْتُ ولَيْتَني   تَرَكْتُ على عثمانَ تَبْكِي أقارِبُهُ

أي:كدت أن أقتله،فأضمر لبيان معناه.

القول الثالث: أن معنى:{ أُخْفِيهَا } أظهرها، ويؤيد هذا القول قراءة سعيد بن جبير – كما سبق –.

والقائلون بهذا مختلفون على قولين:

الأول: أن الكلمة من الأضداد، وهذا هو قول بعض أهل الغريب كما سبق.

وقال بهذا المعنى ابن المنيِّر[1]، والجاوي[2]، وثناء الله الهندي[3].

الثاني: أن الهمزة للسلب والإزالة، وليست الكلمة من الأضداد، ومعنى أخفيها: أزيل عنها خفاءها وهو سترها ومن هذا قولهم أشكيته: أي أزلت شكواه، وأعجمت الكتاب أي: أزلت عُجْمته.

وقال بهذا: أبو علي الفارسي[4]، وأبو الفتح ابن جني[5]، والجوهري[6]، وجمع من أهل اللغة.

---

(١) الانتصاف المطبوع مع الكشاف(٣/ ٥٤)

(٢) مراح لبيد(٢/ ٢٢).

(٣) تفسير القرآن بكلام الرحمن(٤٢٤).

(٤) المحرر الوجيز(١٠/ ١٣)، فتح القدير (٣/ ٥١٢)وأبو علي الفارسي هو:الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الفسوي،إمام النحو والعربية،من مصنفاته الحجة في علل القراءات.ت:٣٧٧هـ.مترجم له في معجم الأدباء(٢/ ٤١٣)،سير أعلام النبلاء(١٦/ ٣٧٩).

(٥) التفسير الكبير (٢٢/ ١٩،٢٠)، تاج العروس (١/ ٨٣٧٢)،

وأبو الفتح هو: عثمان بن جني النحوي اللغوي،من تصانيفه في علوم النحو " التلقين واللمع"، توفي سنة (٣٩٢هـ)، انظر: تاريخ بغداد(١١/ ٣١١)،البلغة(١٤١).

(٦) الصحاح في اللغة (٦ / ١٨٠).

قال ابن جني: « ومثله قوله عز و جل ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ تأويله والله أعلم عند أهل النظر: أكاد أظهرها وتلخيص حال هذه اللفظة أي أكاد أزيل عنها خفاءها، وخفاء كل شيء غطاؤه »[1].

القول الرابع: أن الكيدودة بمعنى الإرادة، فمعنى: ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ أريد أخفيها، كقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ يوسف: ٧٦ وإلى هذا القول ذهب الأخفش وابن الأنباري وأبو مسلم الأصفهاني كما نقله عنهم الألوسي وغيره[2].

وحكاه بعض أهل اللغة، قال الجوهري: « قال بعضهم في قوله تعالى: ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾: أريد أخفيها. قال: فكما جاز أن يوضع أريد موضع أكاد في قوله تعالى: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ الكهف: ٧٧ **فكذلك أكاد** »[3].

القول الخامس: أن: ﴿ أَكَادُ ﴾ صلة والمعنى: إن الساعة آتية أخفيها، قاله الواحدي[4].

القول السادس: أن: ﴿أَكَادُ﴾ من الله واجب، وأراد أنا أخفيها من الخلق،كقوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ الإسراء: ٥١ ، أي:هو قريب.قاله الحسن[5]، والجمل[6].

القول السابع: أن معناها: أكاد أخفيها فلا أقول هي آتية؛ لإبهام وقتها، لكن

---

(١) سر صناعة الإعراب (١ / ٣٨)، وذكر مثله ابن منظور في لسان العرب (١٢ / ٣٨٥).

(٢) انظر: روح المعاني (٨/ ٤٨٥)، حاشية الشهاب على البيضاوي (٦ / ١٩٣).

(٣) الصحاح في اللغة (٢ / ٩٤)، وانظر مثله في لسان العرب (٣ / ٣٨٢).

(٤) الوجيز(٢/ ٦٩٢،٦٩٣).

(٥) التفسير الكبير(٢٢/ ١٩).

(٦) الفتوحات الإلهية(٣/ ٨٥)، **والجمل** هو: أبو داود سليمان بن عمر بن منصور العجيلي المصري الشافعي المعروف بالجمل من مؤلفاته الفتوحات الإلهية حاشية على تفسير الجلالين ت:١٢٠٤هـ. مترجم له في الأعلام(٣/ ١٣١) معجم المؤلفين(٤/ ٢٧١).

ذلك لا يقع ولا بد من ظهورها.قاله الزمخشري[1]، واختاره ابن عطية[2]،قال ابن جزي: "وهذا المعنى هو اختيار المحققين"[3].

الترجيح:

الراجح لدي في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ هو قول جمهور السلف، والذي رجحه الطبري والشنقيطي وغيرهما، وذلك لأمور:

١- أنه قول جمهور السلف، ولم يرد عنهم ما يخالفه، والقاعدة: أن تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ.

٢- أن هذا القول تؤيده قراءة ابن مسعود وأُبي-رضي الله عنهما- :(أكاد أخفيها من نفسي)[4].

٣- أنه جاء على عادة العرب مبالغة في الإخفاء، يقولون:كتمته حتى من نفسي، وبذلك يندفع ما قيل إن إخفاء ذلك من نفسه سبحانه محال[5].

قال قطرب: « هذا على عادة العرب في مخاطبة بعضهم بعضاً يقولون إذا بالغوا في كتمان الشيء: كتمته حتى من نفسي، فالله تعالى بالغ في إخفاء الساعة فذكره بأبلغ ما

---

(١) الكشاف(٣/ ٥٤).

(٢) المحرر الوجيز(١٠/ ١٥،١٦).

(٣) التسهيل(٣/ ٢٥).

(٤) مختصر في شواذ القراءات(٧٨)، معاني القرآن للفراء(٢/ ٩٤)،تفسير الثعلبي(٦/ ٢٤١)،زاد المسير(٣/ ١٥٤) وزاد نسبتها لمحمد بن علي، تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٣/ ١٣٧)،وزاد نسبتها لابن عباس-رضي الله عنهما-.

(٥) كما سبق في كلام الطبري، وانظر: الوسيط (٣/ ٢٠٣)، وروح المعانى (٨/ ٤٨٦).

تعرفه العرب في مثله »[1].

قال الشنقيطي: (ونظير هذا من المبالغة قوله ص - في حديث السبعة الذين يظلهم الله -: « ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه »[2].

---

(١) التفسير الكبير (٢٢/ ٢٠)، وحكي عن المبرد أيضاً، انظر: فتح القدير (٣/ ٥١٢).

(٢) دفع إيهام الاضطراب (ص: ٢٠٩)

والحديث أخرجه: البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة.

{ حصب }

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ الأنبياء: ٩٨

في هذه المفردة القرآنية الغريبة نقل الإمام الطبري – رحمه الله – أقوال أهل التأويل من السلف [١]:

١ – أن حصب جهنم معناه: وقود جهنم وشجرها، وروى ذلك عن ابن عباس.

٢ – أن معناه : حطب جهنم، وهذا مروي عن مجاهد، وعكرمة.

٣– أن معنى ذلك أنهم يرمى بهم في جهنم، وهذا مروي عن الضحاك.

ثم نقل اختلاف القراء في كلمة (حصب)، فقراءة جمهور القراء بالصاد، وهي التي اختارها الطبري.

ونقل عن عائشة وعلي – رضي الله عنهما – أنهما كانا يقرآنه بالطاء[٢].

ثم قال الإمام أبو جعفر الطبري[٣]: « **فإذا كان الصواب من القراءة في ذلك ما ذكرنا ، وكان المعروف من معنى الحصب عند العرب : الرمي ، من قولهم : حصبت الرجل : إذا رميته ، كما قال جل ثناؤه : {إنا أرسلنا عليهم حاصبا } ، كان الأولى بتأويل ذلك قول من قال : معناه أنهم تقذف جهنم بهم ، ويرمى بهم فيها.**

وقد ذكر أن الحصب في لغة أهل اليمن : الحطب ، فإن يكن ذلك كذلك فهو أيضا وجه صحيح . وأما ما قلنا من أن معناه الرمي ، فإنه في لغة أهل نجد ».

---

(١) جامع البيان (١٦ / ٤١١ – ٤١٢).

(٢) وهي قراءة شاذة ، انظر: المحتسب لابن جني(٢/ ٦٦).

(٣) جامع البيان (١٦ / ٤١٣).

الدراسة والتحليل:

ما ذهب إليه الطبري – رحمه الله – في تفسير كلمة {حصب} هو قول جمهور اللغويين وأهل الغريب والتفسير.

قال الجوهري: « والحَصَبُ: ما يُحْصَبُ به في النار، أي يُرْمى »[1].

وقال ابن سيده: « والحصب كل ما ألقيته في النار من حطب وغيره »[2].

وقال الفراء: « وأمّا الحصب فهو فى معنى لغة نجد : ما رميت به فى النار ، كقولك : حصبت الرجل أي رميته »[3].

وقال أبو عبيدة: «﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ كل شيء ألقيته فى نار فقد حصبتها، ويقال: حصب فى الأرض أي ذهب فيها»[4].

وقال ابن قتيبة: « ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ ما أُلقي فيها ... يقال : حَصَبْتُ فلانًا: إذا رميتَه حَصْبًا – بتسكين الصاد – وما رَمَيْتَ به: حَصَبٌ »[5].

وذكر مثل هذا جمع من أهل اللغة والغريب[6]، وهو قول جمهور المفسرين.

قال ابن أبي زمنين: " ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ أي يرمى بهم فيها، قال محمد: حصب جهنم ما ألقي فيها تقول حصبت فلانا حصبا بتسكين الصاد أي رميته وما رميت فهو حَصَبٌ[7].

---

(١) الصحاح في اللغة (١ / ١٣١).

(٢) المحكم والمحيط الأعظم (٣ / ١٦٥).

(٣) معاني القرآن (٢ / ٢٠٧).

(٤) مجاز القرآن (٢ / ٤٢).

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٨٨).

(٦) انظر: غريب القرآن للسجستاني (ص: ١٩٤)، وتذكرة الأريب (١/ ٣٥١)، والتبيان لابن الهائم (ص: ٢٩٨).

(٧) تفسير ابن أبي زمنين (١/ ٤٣٤– ٤٣٥).

وقال الزمخشري: « والحصَب : المحصوب، أي يحصب بهم في النار، والحصب: الرمي »[1].

أما تفسيرها بالحطب:

١- فقد ذكر جمع من علماء اللغة ما حكاه الطبري من أن (الحصب) الحطب في لغة أهل اليمن.

قال الفراء: « وقوله : ﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ ذكر أن الحصب فى لغة أهل اليمن الحطب »[2].

لكن بعضهم ذهب إلى أنه لغة حبشية، ولم أجده إلا في تنوير المقباس[3]، وذكره السجستاني[4] وابن الهائم[5].

وقيل: إنه لغة قريش[6]، وقيل إنه بالزنجية[7]، والأكثرون على الأول.

وقد أشار السجستاني هنا إلى مسألة وجود لغة غير العربية في القرآن، فقال: إن كان أراد أن هذه الكلمة حبشية وعربية بلفظ واحد فهو وجه، أو أراد أنها حبشية الأصل سمعتها العرب، فتكلمت بها فصارت عربية حينئذ، فذلك وجه أيضا، وإلا

---

(١) الكشاف (٣ / ١٣٧)، وانظر أيضاً: تفسير السمعاني (٣/ ٤١٠)، والتفسير الكبير (٢٢/ ١٩٠)، وتفسير البيضاوي (١/ ١٠٨)، والتحرير والتنوير (١٧/ ١٥٣).

(٢) معاني القرآن (٢ / ٢٠٧).

(٣) تنوير المقباس (٤/ ٢٨١).

(٤) في غريب القرآن (ص: ١٩٤).

(٥) في التبيان (ص: ٢٩٨).

(٦) ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام في لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم (ص: ٨)، وابن حسنون في اللغات القرآن (ص: ٣٧).

(٧) أخرجه السيوطي – معزواً إلى ابن أبي حاتم – عن ابن عباس، كما في الإتقان في علوم القرآن (١/ ٣٩٩).

فليس في القرآن غير العربية[1].

والمسألة (أي وقوع المعرب في كتاب الله) خلافية بين العلماء، والقول الفصل فيها – والله أعلم- أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء لكنها وقعت للعرب فعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال إنها عربية فهو صادق ومن قال أعجمية فصادق، فهذا مذهب فيه تصديق القولين جميعا[2].

٢- وذكر بعض علماء اللغة أن (الحطب) يسمى (حصباً) إذا استعمل في السجور والوقود ويحمى به التنور، أما إذا لم يستعمل في ذلك فلا يسمى حصباً[3].

---

(١) غريب القرآن (ص: ١٩٤).

(٢) نقل السيوطي هذا القول عن أبي عبيد القاسم بن سلام، ثم قال: ومال إلى هذا القول الجواليقي وابن الجوزي وآخرون. الإتقان في علوم القرآن (١ / ٣٩٦).

(٣) انظر: العين (٣/ ١٢٣-١٢٤)، و المحكم والمحيط الأعظم (٣/ ١٦٥)، والقاموس المحيط (ص:٩٥)، و تهذيب اللغة (٤/ ١٥٢)، والكليات (١/ ٥٥٤).

{ القانع }

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ الحج: ٣٦

في تفسير هذه المفردة القرآنية ذكر الإمام الطبري – كعادته – أقوال السلف في تفسيرها(١):

١- فروى عن ابن عباس، ومجاهد، وابن زيد، وعكرمة، وقتادة، أن: **القانع الذي يقنع بما أعطي، أو بما عنده، ولا يسأل**، والمعتر: الذي يتعرض لك أن تطعمه من اللحم ولا يسأل.

٢- وعن سعيد بن جبير، والحسن، والكلبي، وزيد بن أسلم(٢)، أنّ: القانع : هو **السائل**، والمعتر : هو الذي يعتريك ولا يسأل.

٣- وعن مجاهد أنّ: القانع : **الجار** ، والمعتر : الذي يعتريك من الناس.

٤- وعن زيد بن أسلم، أنّ: القانع : **الطواف** ، والمعتر : الصديق الزائر.

٥- وروى عن مجاهد، وعكرمة أن: القانع : **الطامع** ، والمعتر : الذي يعتر بالبدن.

٦- وعن ابن زيد أن: القانع : هو المسكين ، والمعتر : الذي يتعرض للحم

ثم قال الإمام الطبري: « وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال : عني بالقانع : السائل ؛ لأنه لو كان المعني بالقانع في هذا الموضع المكتفي بما عنده والمستغني به ، لقيل : وأطعموا القانع والسائل ، ولم يقل : وأطعموا القانع والمعتر . وفي إتباع

(١) جامع البيان (١٦ / ٥٦٢ – ٥٦٨).

(٢) هو: أبو عبد الله زيد بن أسلم العَدَوي العمري المدني ، وكانت له حلقة للعلم في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، توفي سنة (١٣٦هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٣١٦) طبقات المفسرين (١/ ١٨٢).

ذلك قوله : ﴿وَٱلۡمُعۡتَرَّ﴾ الدليل الواضح على أن القانع معني به السائل ، من قولهم : قَنَعَ فلان إلى فلان ، بمعنى سأله وخضع إليه ، فهو يقنع قنوعا ؛ ومنه قول لبيد :

وأعْطانِيَ المَوْلى عَلى حِينَ فَقْرِهِ إذَا قالَ أبْصِرْ خَلَّتِي وَقُنُوعي[1]

وأما القانع الذي هو بمعنى المكتفي ، فإنه من قنعت به بكسر النون ، أقنع قناعة وقنعا وقنعانا . وأما المعتر : فإنه الذي يأتيك معترا بك لتعطيه وتطعمه »[2].

الدراسة والتحليل:

هذه الأقوال الستة التي ذكرها الإمام الطبري – رحمه الله – عن السلف في تفسير (القانع) راجعة – عند التأمل – إلى قولين هما الأصلان لمادة (قنع).

فقد اتفق علماء اللغة على أنّ مادة (قنع) تأتي على معنيين:

١- الرضى، يقال: قَنِعَ بالكسر قَنَعاً وقَناعةً رَضِيَ فهو قنع وقانع وقنوع، وأقعنه الشئ، أي أرضاه.

٢- السؤال: فالقُنُوعُ السؤالُ والتذلُّلُ للمسأَلة، وقَنَعَ بالفتح يَقْنَعُ قُنُوعاً ذل للسؤال وقيل سأَل[3].

وعلى ما تقدم فكل معنى من المعنيين مشتق من كلمة، فالقنوع وهو السؤال من (قنَع) بالفتح، و(القناعة) وهو الرضى من (قنِع) بالكسر.

وذهب بعض علماء اللغة إلى أنّ مادة (قنع) من الأضداد[4]؛ فالقنوع قد يكون

---

(١) البيت للبيد كما نسبه الطبري وهو في ديوانه (ص: ٥٠).

(٢) جامع البيان – (١٦ / ٥٦٩).

(٣) انظر: المحيط في اللغة (١/ ١٨٥)، والصحاح (٣/ ١٢٧٢)، ولسان العرب (٨/ ٢٩٧).

(٤) انظر: الأضداد للأصمعي (ص: ٤٩)، ولأبي حاتم (ص: ١١٧)، ولابن السكيت (ص: ٢٠٢)، وللأنباري (ص: ٦٦).

بمعنى الرضا، والقانع بمعنى الراضي، وفى المثل: " خير الغنى القنوع، وشر الفقر الخضوع "[1].

وقد ردّ هذا لاختلاف الفعلين، قال الخفاجي[2]: « فليس من الأضداد كما توهم؛ لاختلاف الفعلين »[3].

ولذا قال الزبيدي[4] بعد ما حكاه: « وكَلامُ العَرَبِ الجَيِّدُ هُو الأَوّلُ » [5].

وقد جمع بعضهم المعنيين في قوله[6]:

العبد حر إن قَنِعْ	والحر عبد إن قَنَعْ
فاقنَعْ ولا تقنِعْ فما	شيء يشين سوى الطمع

وقد حاول بعض أهل اللغة الجمع بين المعنيين، وإخراجهما من أصل واحد، فنقل الجوهري عن ابن جني، قال : « ويجوز أن يكون السائل سمي قانعا لأنه يرضى

(١) حكى هذا الجوهري في الصحاح (٣ / ١٢٧٣) عن بعضهم، ولم يتعقبه، وذكره ابن منظور في لسان العرب (٨/ ٢٩٧)، ونسبه لأبي الفتح بن جني.

(٢)**الخفاجي** هو:شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري، صاحب التصانيف في الأدب واللغة، له حاشية على تفسير البيضاوي، توفي: سنة (١٠٧١هـ).انظر: طبقات الأدنه وي (ص: ٤١٥)، والأعلام (١/ ٢٣٨).

(٣) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٦/ ٥١٩)، وانظر: روح المعاني (١٧ / ١٥٧).

(٤) **الزبيدي**: هو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، علامة اللغة والحديث والرجال والأنساب، من كبار المصنفين، بالطاعون في مصر سنة (١٢٠٥هـ). انظر: وفهرس الفهارس والأثبات للكتاني (١/ ٥٢٦)، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٣/ ٦٨١).

(٥) تاج العروس (١ / ٥٥٠٦).

(٦) البيتان منسوبان للشافعي كما في ديوانه (ص: ٧٩) وأوردهما غير واحد من المفسرين دون نسبة ، انظر: مفردات ألفاظ القرآن (٢ / ٢٦٣- ٢٦٤)، وحاشية الشهاب على البيضاوي (٦/ ٢٩٨)، وروح المعانى (٩/ ١٥٠)، والتحرير والتنوير (١٧/ ١٩٢).

بما يعطى قل أو كثر ، ويقبله ولا يرده ، فيكون معنى الكلمتين راجعا إلى الرضا »[1].

ولعل هذا ما أراده الفراء بقوله: « القانع : الذي يسألك، فما أعطيته من شيء قبله »[2].

وما حكاه الراغب عن بعضهم[3]: « القانع هو السائل الذي لا يلح في السؤال، ويرضى بما يأتيه عفواً »[4].

وذهب لهذا المعنى بعض المفسرين، قال مقاتل بن سليمان: « ﴿ وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ ﴾ يعنى: الراضي الذي يقنع بما يعطي، وهو السائل" [5].

وعلى أي حال فجميع الأقوال التي حكاها الطبري وغيره في الآية راجعة إلى هذين المعنيين:

١- أن القانع الذي يسأل، والمعتر الذي يتعرض ولا يسأل.

٢- أن القانع هو الذي يقنع ويرضى بما يعطى ولا يسأل، والمعتر: هو السائل أو المتعرض.

والقول الأول هو قول جمهور اللغويين وأهل الغريب والتفسير:

وقال الفراء: « ﴿ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ القانع : الذي يسألك، فما أعطيته من شيء قبله، والمعترّ: ساكت يتعرّض لك عند الذبيحة ، ولا يسألك"[6].

---

(١) الصحاح (٣/ ١٢٧٣)، وانظر: لسان العرب (٨/ ٢٩٧)، تاج العروس (٢٢/ ٩٠).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٢٢١).

(٣) قال المحقق هو الزجاج، وأحال إلى معاني القرآن (٣/ ٤٢٨)، ولم أجد هذا الكلام ولا قريباً منه هناك.

(٤) مفردات القرآن (١/ ٦٨٥).

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣٨٤)ن وذكر مثله السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٤٦٠).

(٦) معاني القرآن (٢/ ٢٢١).

وقال أبو عبيد: "فالقانع في التفسير: الذي يسأل، والمعتر: الذي يتعرض ولا يسأل ... ويقال من هذا: قد قنع يقنع قنوعا، وأما القانع الراضي بما أعطاه الله فليس من ذلك، يقال منه: قنعت أقنع قناعة، فهذا بكسر النون وذلك بفتحها وذلك من القنوع وهذا من القناعة[1].

وقال أبو عبيدة: «﴿وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ مجازه السائل الذي قنع إليكم تقدير فعله: ذهب يذهب ومعناه سأل وخضع، ومصدره القنوع ... وأما القانع فى معنى الراضي فإنه من قنعت به قناعة وقناعا وقنعا، تقديره علمت ، يقال من القنوع : قَنَعَ يَقْنَعُ قُنُوعًا، والقانع قَنِعَ يَقْنَعُ قَنَاعَةً وقَنْعَانًا وقَنْعًا وهو القانع الراضي[2].

وهذا قول غير هؤلاء من أهل الغريب[3].

وهو قول جمهور المفسرين.

قال السمعاني: « المعروف أن القانع هو السائل، والمعتر هو الذي يتعرض ولا يسأل ... ثم حكى أقوالا أخرى، ثم قال: والمعروف هو القول الأول أن القانع هو السائل »[4].

وقال الرازي: « القانع السائل يقال قنع يقنع قنوعاً إذا سأل »[5].

وقال ابن عطية: « فَمُحَرِّرُو القول من أهل العلم قالوا " القانع " السائل "

---

(١) غريب الحديث (٢ / ١٥٦).

(٢) مجاز القرآن (٢ / ٥١).

(٣) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٢٩٣)، وغريب القرآن للسجستاني (ص: ٣٧٧)، ومعاني القرآن للنحاس (٤/ ٤١٤)، والتبيان (ص: ٣٠٣)، وتذكرة الأريب (٢/ ١٠)، وتحفة الأريب (ص:٢٦٣)، ومفردات ألفاظ القرآن (٢/ ٢٦٣)، ونفس الصباح (٢/ ٥١٢).

(٤) تفسير السمعاني (٣/ ٤٤٠).

(٥) التفسير الكبير (٢٣/ ٢٣١).

والمعتر " المتعرض من غير سؤال »[1].

واقتصر على هذا المعنى غير واحد من المفسرين[2] ، ورجحه جمع منهم[3].

القول الثاني: واقتصر بعض المفسرين على القول الثاني، أي: أن القانع: الراضي بما يدفع إليه من غير سؤال[4]، واختاره الألوسي [5].

قال بعضهم : وتؤيده قراءة {القنع}[6]؛ لأن (قنعا) لم يرد بمعنى (سائل) بخلاف (قانع) فإنه ورد بالمعنيين، والأصل توافق القراءات[7]، وذهب ابن جني أنه مثل قراءة الجمهور إلا أنه حذف الألف تخفيفاً وهو يريدها[8].

قال ابن عطية – معقبا لقول ابن جني -: « وهذا بعيد لأن توجيهه على ما ذكرته

---

(١) المحرر الوجيز (٤/ ١٥١).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٦٤)، البحر المحيط (٦/ ٣٢٣)، تفسير الثعالبي (٣/ ٨١).

(٣) كالطبري، وقد سبق، والنحاس في معاني القرآن (٤/ ٤١٣) ، وابن عاشور في التحرير والتنوير (١٧/ ٢٦٦)، والشنقيطي في: أضواء البيان (٥/ ٢٥٩).

(٤) ممن اقتصر على هذا القول: إلكيا الطبري في أحكام القرآن(٤ / ٢٨٢)، والغزنوي في إيجاز البيان (٢/ ٥٧٨)، والجاوي في مراح لبيد (٢ / ٧٣)، وأبو البقاء الكفوي في الكليات (١/ ١١٧٥)، والجلال المحلي في تفسير الجلالين (ص: ٤٣٨)، وأبو السعود في تفسيره (٦/ ١٠٧)، وإسماعيل حقي في روح البيان (٦/ ٢٤)، والسعدي في تفسير (ص: ٥٣٨).

(٥) في روح المعاني (١٧ / ١٥٧).

(٦) انظر: تفسير البيضاوي (١/ ١٢٧)، وتفسير أبي السعود (٦ / ١٠٧)، وروح المعاني (١٧/ ١٥٧).

وهذه القراءة شاذة، ونسبها جمع من أهل العلم إلى أبي رجاء، انظر: المحتسب (٢/ ٨١)، ومعاني القرآن (٤/ ٤١٤)، والمحرر الوجيز (٤ / ١٥١).

(٧) حاشية الشهاب (٦/ ٥١٩).

(٨) المحتسب (٢ / ٨١).

آنفا أحسن وإنما يلجأ إلى هذا إذا لم توجد مندوحة »[1].

الترجيح:

والقول الأول هو الراجح لأمور:

١- أنه الموافق لأصل الكلمة في اللغة على ما ذكره جمهور اللغويين.

٢- موافقته للسياق؛ ورجحه بذلك الطبري - كما سبق -، والقرطبي[2]، وابن عاشور[3].

٣- أنه قول جمهور العلماء من أهل اللغة والتفسير.

(١) المحرر الوجيز (٤/ ١٥١).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٦٤).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (١٧ / ٢٦٦).

{ مَشِيد } {مُشَيَّدة}

وقال تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ الحج: ٤٥

قال الله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ النساء: ٧٨

* نقل الإمام الطبري – رحمه الله – في قوله تعالى: ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ اختلاف مفسري السلف في كلمة (مشيد)؛ إذ اختلفوا فيها على قولين[1]:

١- أن المشيد: المجصص، وهذا مروي عن مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وعطاء.

٢- أن معنى ﴿ مَّشِيدٍ ﴾ رفيع طويل، وروى ذلك عن قتادة، والضحاك.

ثم قال[2]: « وأولى القولين في ذلك بالصواب: قول من قال: عني بالمشيد المجصص، وذلك أن الشيد في كلام العرب هو الجص بعينه ؛ ومنه قول الراجز :

.... كَحَيةِ المَاءِ بَيْنَ الطَّيِّ وَالشِّيدِ[3]

فالمشيد : إنما هو مفعول من الشيد ؛ ومنه قول امرئ القيس :

وَتَيْمَاءَ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جِذْعَ نَخْلَةٍ وَلاَ أُطُمًا إِلاَّ مَشِيدًا بِجَنْدَلِ[4]

يعني بذلك : إلا بالبناء بالشيد والجندل.

وقد يجوز أن يكون معنيا بالمشيد : المرفوع بناؤه بالشيد ، فيكون الذين قالوا :

(١) جامع البيان (١٦ / ٥٩٢ – ٥٩٤).

(٢) جامع البيان (١٦ / ٥٩٤– ٥٩٥).

(٣) البيت للشماخ فى ديوانه، (ص: ٢٥).

(٤) البيت لامرئ القيس – كما نسبه الطبري – وهو في ديوانه (ص: ٣٣).

عني بالمشيد الطويل ، نحوا بذلك إلى هذا التأويل ؛ ومنه قول عدي بن زيد:

شادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلْ   سًا فَلِلطَّيْرِ فِي ذُرَاهُ وُكُورُ[1]

وقد تأوله بعض أهل العلم بلغات العرب ، بمعنى المزين بالشيد ، من : شدته أشيده . إذا زينته به ، وذلك شبيه بمعنى من قال مجصص.

* وفي قوله تعالى: ﴿فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ نقل اختلاف أهل اللغة في كلمة {مشيدة}

١- فقال بعض أهل البصرة منهم[2] : المشيدة : الطويلة . قال : وأما المشيد بالتخفيف ، فإنه المزين.

٢- وقال آخرون منهم نحو ذلك القول، غير أنه قال : المشيد بالتخفيف : المعمول بالشيد، والشيد : الجص.

٣- وقال بعض أهل الكوفة[3] : المشيد والمشيد أصلهما واحد ، غير أن ما شدد منه فإنما يشدد لتردد الفعل فيه في جمع مثل قولهم : هذه ثياب مصبغة ، وغنم مُذَبَّحَة ، فشدد لأنها جمع يفرق فيها الفعل ، وكذلك مثله قصور مشيدة ، لأن القصور الكثيرة يوجد فيها التشييد ، ولذلك قيل : بروج مشيدة ، ومنه قوله : ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ يوسف: ٢٣ وكما يقال : كسرت العود : إذا جعلته قطعا ، أي قطعة بعد قطعة . وقد يجوز في ذلك التخفيف.

فإذا أفرد من ذلك الواحد ، فكان الفعل يتردد فيه ويكثر تردده في جمع منه ، جاز التشديد عندهم والتخفيف ، فيقال منه : هذا ثوب مُخَرَّق وجلد مُقَطَّع ، لتردد الفعل فيه وكثرته بالقطع والخرق . وإن كان الفعل لا يكثر فيه ولا يتردد لم يجيزوه إلا

(١) البيت لعدي بن زيد العبادي – كما نسبه الطبري –، ونسبه له غير واحد ، انظر: مجاز القرآن (١/ ٨٢)، والصحاح في اللغة (٣/ ١٠٩)، وتهذيب اللغة (٤/ ١١٥).

(٢) يريد به أبا عبيدة – كما سيأتي قوله –.

(٣) يريد به الفراء – كما سيأتي –.

بالتخفيف ، وذلك نحو قولهم : رأيت كبشا مذبوحا ، ولا يجيزون فيه مُذَبَّحًا، لأن الذبح لا يتردد فيه تردد التخرق في الثوب . وقالوا : فلهذا قيل : قصر مشيد ، لأنه واحد ، فجعل بمنزلة قولهم : كبش مذبوح . وقالوا : جائز في القصر أن يقال قصر مشيد بالتشديد ، لتردد البناء فيه والتشييد ، ولا يجوز ذلك في كبش مذبوح ، لما ذكرنا.

الدراسة والتحليل:

بالرجوع إلى مصادر اللغة العربية نجد أن هناك خلافاً بين أصحاب المعاجم في اشتقاق هاتين الكلمتين:

١- فبعض اللغويين يفرقون بينهما:

- **فالَمشيد**: من: شاده يشيد شيداً، إذا بناه بالشيد، وهو الجص، فهو مَشِيد بفتح الميم، أي مجصص.

- **والمُشَيَّد**: من: شَيَّدْتُ البناء تشييداً، فهو مشَيَّد، أي مطوّل.

فالمشيد – بفتح الميم وتخفيف الياء – المجصص.

والمشيّد – بضم الميم وتشديد الياء –: المطوّل والمرفع.

وهذا مذهب ابن دريد[١]، والثعالبي[٢]، والجوهري[٣]، والفيومي[٤].

٢- وذهب آخرون من أهل اللغة إلى عدم التفريق بين الأصلين.

فكلاهما من مادة (شيد)، الذي يدل على: رفع الشيء، يقال شِدْت القَصر أَشِيدُهُ شَيْداً. وهو قصرٌ مَشِيدٌ، أي مُطَوّل، وهو مَشِيد أي معمولٌ بالشِّيد. وسمِّي شِيداً لأنَّ

---

(١) في جمهرة اللغة (١ / ٣٤٧)، (٢ / ٩٥).

(٢) في فقه اللغة (١ / ١٠٧٧).

(٣) الصحاح (٢ / ٤٩٥).

(٤) المصباح المنير (٥ / ١٢٨).

به يُرفَعُ البناء [1].

وقال الصاحب بن عباد: (شيد): التَّشيِيْدُ في البِنَاءِ : إحْكامُه ورَفْعُه . والشِّيْدُ: الجِصُّ، ولا يُقال للقَصْرِ مَشِيْدٌ حَتّى يُجَصَّص ويُرْفَعَ [2].

وعلى هذين المذهبين اختلف المفسرون وأهل الغريب.

فذهب إلى التفريق بين الكلمتين: أبو عبيدة، وابن قتيبة [3]، وأبو عبيد [4]، وهو قول الطبري.

قال أبو عبيدة: « ﴿ مُّشَيَّدَةٍ ﴾: مطوّلة، (والمَشيد) المزيّن ، الشّيد : الجصّ والصّاروج [5].

وممن ذهب إلى تفسير المشيد بالمجصص: النحاس، وابن الجوزي، وغيرهما [6].

وذهب إلى عدم التفريق بينهما:

الراغب الأصفهاني فقال: « قال عز وجل: ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾، أي: مبني بالشيد. وقيل: مطول، وهو يرجع إلى الأول » [7].

وحكاه غير واحد من أهل الغريب.

قال ابن قتيبة: ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ يقال: هو المبني بالشِّيد. وهو الجِصُّ. والمَشِيد:

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٣/ ٢٣٤).

(٢) المحيط في اللغة (٧/ ٣٦٢)، وانظر: لسان العرب (٣/ ٢٣٢).

(٣) كما في غريب الحديث (٢ / ٢٧٧).

(٤) في غريب الحديث له (٣/ ١٢٩).

(٥) مجاز القرآن (١ / ١٣٢).

(٦) انظر: معاني القرآن للنحاس (٤/ ٤٢١)، وتذكرة الأريب (٢/ ١٠)، وإيجازالبيان عن معاني القرآن (٢/ ٥٨٠)، والكليات (١ / ١٤١٨)، والتحرير والتنوير (١٧ / ٢٨٦).

(٧) مفردات ألفاظ القرآن (١ / ٥٦٠).

المُطَوَّل. ويقال: المَشِيدُ والمُشَيَّد سواء في معنى المطول[1].

الترجيح:

الذي يظهر - والله أعلم - أن لكلا القولين وجاهة، ولا مانع من حمل المفردة على المعنيين جميعا، ومتى لم يمتنع الجمع صار المصير إليه أولى.

وقد جمع بعض المفسرين بين القولين كالرازي؛ يقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَصۡرٍ مَّشِيدٍ﴾: (والقصر الذي أحكموه بالجص وطولوه)[2].

وقال ابن كثير : « وكل هذه الأقوال متقاربة : ولا منافاة بينها ، فإنه لم يَحْمِ أهله شدة بنائه و لا ارتفاعه و لا إحكامه و لا حصانته عن حلول بأس الله بهم » [3].

(١) غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٢٩٤)، ومثله في غريب القرآن للسجستاني (ص: ٤٢١).

(٢) التفسير الكبير (٢٣/ ٣٩)، وانظر: أنوار التنزيل للبيضاوي (٤/ ١٣٠).

(٣) تفسير ابن كثير (٥ / ٤٣٨).

{ ثبورا }

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ الفرقان: ١٣

وقال تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ الإسراء: ١٠٢

نقل الإمام الطبري اختلاف أهل التأويل من السلف في تفسير كلمة (الثبور)[1].

١- فقال بعضهم: هو الويل، وأخرجه عن ابن عباس.

٢- وقال بعضهم: هو الهلاك، وهو مروي عن الضحاك.

ثم قال – رحمه الله –[2]: « والثبور في كلام العرب أصله انصراف الرجل عن الشيء ، يقال منه : ما ثبرك عن هذا الأمر ؟ أي: ما صرفك عنه. وهو في هذا الموضع دعاء هؤلاء القوم بالندم على انصرافهم عن طاعة الله في الدنيا ، والإيمان بما جاءهم به نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى استوجبوا العقوبة منه ، كما يقول القائل : واندامتاه ، واحسرتاه على ما فرطت في جنب الله.

وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة[3] يقول في قوله: ﴿ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ أي هلكة ، ويقول : هو مصدر من ثبر الرجل : أي أهلك ، ويستشهد لقيله في ذلك ببيت ابن الزبعرى :

---

(١) جامع البيان (١٧ / ٤١٠ - ٤١١).

(٢) جامع البيان (١٧ / ٤١١ - ٤١٢).

(٣) يقصد به: أبا عبيدة معمر بن المثنى.

إِذْ أُجَارِي الشَّيْطَانَ فِي سَنَنِ الْغَـ ـيِّ وَمَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ»[1].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ قال – رحمه الله –[2]:

«يقول: إني لأظنك يا فرعون ملعونا ممنوعا من الخير، والعرب تقول : ما ثبرك عن هذا الأمر: أي ما منعك منه ، وما صرفك عنه ؟ وثبره الله فهو يَثْبُرُه ويَثْبِرُه لغتان ، ورجل مثبور : محبوس عن الخيرات هالك ، ومنه قول الشاعر:

إِذْ أُجَارِي الشَّيْطَانَ فِي سَنَنِ الْغَـ ـيِّ وَمَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ».

ثم حكى اختلافاً عن السلف في تفسيره[3]:

فقال بعضهم: مثبوراً: مغلوباً، وذلك عن ابن عباس، والضحاك.

وقال بعضهم: هالكاً، وذلك عن مجاهد، وقتادة.

وقال آخرون: مبدلاً مغيراً، وذلك عن عطية.

وقال آخرون: مخبولاً لا عقل له، وذلك عن ابن زيد.

ثم قال الطبري: " وقد بينا الذي هو أولى بالصواب في ذلك قبل"[4]..

الدراسة والتحليل:

بالرجوع إلى معاجم اللغة العربية ومصادرها نجد أن المعنى الغالب لمادة (ثبر) هو الهلاك.

قال ابن فارس: « (ثبر) الثاء والباء والراء أصولٌ ثلاثة: الأول السهولة، والثاني

(١) البيت لابن الزبعري – كما نسبه الطبري – ، وانظر: مجاز القرآن (١/ ٣٩٢)، والسيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٤١٩).

(٢) جامع البيان (١٥ / ١٠٨).

(٣) انظر: جامع البيان (١٥ / ١٠٨ – ١١١).

(٤) جامع البيان (١٥ / ١١١).

الهلاك، والثالث المواظبةُ على الشيء" . وأما الهلاكُ فالثُّبُور، ورجل مثبور هالك. وفي كتاب الله تعالى: ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ »[١].

وقال ابن سيده: " والثُّبُورُ الهَلاكُ والوَيْلُ، وثَبَرَه اللهُ أَهْلَكَه إِهْلاكًا لا يَنْتَعِشُ بَعْدَه فمِنْ هُنالِكَ يَدْعُو أَهْلُ النّارِ واثُبُوراه فيُقالُ لَهُم : ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ الفرقان: ١٤ »[٢].

وقال الفيومي: « و (ثَبَرَ) الله تعالى الكافر (ثُبُورًا) من باب قعد أهلكه (ثَبَرَ) هو (ثُبُورًا) يتعدى ولا يتعدى »[٣].

أما المعنى الذي رجحه الطبري (الانصراف) فلم يذكره من معاني هذه المادة إلا قليل منهم، كابن منظور حيث يقول:« وثَبَرَهُ على الأَمر يَثْبُره صرفه، ثَبَرْتُ فلاناً عن الشيء أَثْبُرُهُ رَدَدْتُه عنه »[٤].

وقال الزبيدي: « الثبر: المنع والصرف عن الأمر »[٥].

وعلى معنى الهلاك اقتصر الجم الغفير من أصحاب الغريب والمعاني والتفسير.

قال الفراء: الثبور: أن يقول: وا ثبوراه ، وا ويلاه ، والعرب تقول : فلان يدعو لهفه، إذا قال: والهفاه[٦].

أما أبو عبيدة فقد سبقت الإشارة إلى كلامه؛ قال في مجازه: « ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾

(١) مقاييس اللغة (١ / ٤٠٠ - ٤٠١).
(٢) المحكم والمحيط الأعظم (١٠ / ١٤٣).
(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١ / ٨٠)، وانظر: تاج العروس (١٠/ ٣٠٧،٣٠٨).
(٤) لسان العرب (٤ / ٩٩).
(٥) تاج العروس (١٠ / ٣٠٧).
(٦) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٥٠).

أي هلكة، وهو مصدر ثبر الرجل أي هلك ثم استشهد بالبيت السابق[1].

وقال ابن قتيبة: « ﴿ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ أي: بالهَلَكة، كما يقول القائل: واهَلاكاه!»[2].

وقال السجستاني: « ﴿ثُبُورًا ﴾: هلاكا . وقوله جل وعز : ﴿دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ أي صاحوا : واهلاكاه »[3].

وممن حكى المعنى الذي ذكره الطبري:

الفراء حيث قال: « والعرب تقول : ما ثبرك عن ذا؟ أي ما صرفك عنه. وكأنهم دعوا بما فعلوا ، كما يقول الرجل : وا ندامتاه »[4].

وقال أيضاً: « وقوله : ﴿ يَـٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورًا ﴾ ممنوعا من الخير. والعرب تقول : ما ثبرك عن ذا أي ما منعك منه وصرفك عنه[5].

وقال أبو جعفر النحاس: « يقال ما ثبرك عن كذا أي ما صرفك عنه، فالمثبور هو المصروف عن الخير، والمعنى يقولون واثبوراه »[6].

واقتصر أكثر المفسرين على معنى الهلاك، أو ما يقاربه كالويل والخسار والندامة.

---

(١) مجاز القرآن (٢ / ٧١).

(٢) غريب القرآن (ص: ٣١٠)، وانظر: (ص: ٢٦١).

(٣) غريب القرآن (ص: ١٧١)، ومثله في التبيان لابن الهائم (٢/ ٢٥)، وانظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٥٩)، ونفس الصباح (٢/ ٥٣٦)، وتذكرة الاريب في تفسير الغريب (٢ / ٣١٠)، وياقوتة الصراط (ص:٣٨١)، والنهاية في غريب الأثر (١/ ٥٨١)، وإيجاز البيان عن معاني القرآن (٢ / ٦٠٩)، ومفردات ألفاظ القرآن (١ / ١٥١).

(٤) معاني القرآن للفراء (٢ / ٢٥٨).

(٥) معاني القرآن للفراء (٢ / ١٣٢).

(٦) معاني القرآن للنحاس (٥ / ١٢).

قال الزمخشري: « والثبور : الهلاك ، ودعاؤه أن يقال : واثبوراه ، أي : تعال يا ثبور فهذا حينك وزمانك »[١].

وقال السمعاني: « ﴿ثُبُورًا﴾ أي : هلاكا ، وهو قولهم : وأهلاكاه »[٢].

الترجيح:

مال الطبري إلى المعنى الأول في مادة (ثبر) سواء في قوله تعالى: ﴿ مَثْبُورًا ﴾، أو في قوله: ﴿ثُبُورًا﴾.

والذي يظهر لي – والعلم عند الله – هو الجمع بين المعنيين وغيرهما مما ورد عن المفسرين في تأويل الثبور أو المثبور؛ لأنّ اللفظ يشملها، فلا داعي للترجيح.

وهذا مسلك غير واحد من المفسرين:

قال أبو جعفر النحاس: « وهذه الأقوال ترجع الى شيء واحد؛ لأنه حكى أهل اللغة ما ثبرك عن هذا أي ما منعك منه وصرفك عنه فالمعنى ممنوع من الخير »[٣].

وقال ابن عطية: « والثبور اسم جامع للمكاره كالويل »[٤].

وقال ابن كثير: « الأظهر: أن الثبور يجمع الهلاك والويل والخسار والدمار»[٥].

---

(١) الكشاف (٣/ ٢٧٢).

(٢) تفسير السمعاني (٤ / ١٠)، وانظر: الكشف والبيان (١٠ / ١٥٩)، وتفسير ابن أبى زمنين (١/ ٤٧٧)، وتفسير ابن كثير (٨ / ٣٥٨)، وتفسير البيضاوي (١ / ٢٠٩)، وتفسير الجلالين (ص:٤٧١)، وفتح القدير (٥ / ٥٧٥)، وأضواء البيان (٦/ ٢٧)، والتحرير والتنوير (١٨ / ٣٣٤)، (٣٠/ ٢٢٤).

(٣) معاني القرآن (٤ / ٢٠٣).

(٤) المحرر الوجيز (٥/ ٤٢٩)، وانظر: الجواهر الحسان للثعالبي (٤ / ٣٩٩).

(٥) تفسير ابن كثير (٦ / ٩٨).

وقال في موضع آخر: « والهالك -كما قال مجاهد- يشمل هذا كله »[1].

وقد جمع السمين بين جميع المعاني المذكورة في هذه المادة، وبين أنها متلازمة:

« فالممنوع من الخير هالك، والمثابرة على الشيء المواظبة عليه: كأنه منعه أن يصرفه إلى غيره، وسمي هلاك الآخرة ثبوراً لأنه لازم لا يزول، ونقصان العقل أشد هلاكاً، ومن يفقد عقله هلك »[2].

وفي معنى الجمع أيضاً قول الفراء والنحاس، كما سبق نقلهما قريبا.

فالمعاني متقاربة متلازمة؛ فينبغي حمل اللفظ عليها جميعاً؛ إذ الأصل حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص[3].

لكن أعم هذه المعاني وأشملها -والعلم عند الله- هو معنى الهلاك، لذا اقتصر عليه أكثر أهل اللغة والغريب والتفسير.

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ١٢٦).

(٢) انظر: عمدة الحفاظ (١/ ٢٧٤)، وأشار إلى بعضها الراغب في مفردات ألفاظ القرآن (١/ ١٥١).

(٣) انظر: قواعد الترجيح (٢/ ٥٢٧).

{ المسحرين }

وردت هذه اللفظة في قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ الشعراء: ١٥٣

وقد نقل الإمام الطبري اختلاف أهل التأويل فيها [١].

١- فقال بعضهم : معناه إنما أنت من المسحورين.

وروى ذلك عن مجاهد وقتادة.

٢- وقال آخرون : معناه : من المخلوقين.

وأخرج ذلك عن ابن عباس.

ثم قال: « واختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى ذلك ، فكان بعض أهل البصرة[٢] يقول : كل من أكل من إنس أو دابة فهو مسحر ، وذلك لأن له سحرا يُقْري ما أكل فيه ، واستشهد على ذلك بقول لبيد :

فإنْ تَسْأَلِينا فِيم نَحْنُ فإنَّنا عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الأنامِ المُسَحَّر [٣]

وقال بعض نحويي الكوفيين[٤] نحو هذا ، غير أنه قال : أخذ من قولك : انتفخ سحرك : أي أنك تأكل الطعام والشراب ، فتسحر به وتعلل . وقال : معنى قول لبيد : من هذا الأنام المسحر : من هذا الأنام المعلل المخدوع . قال : ويروى أن السحر من ذلك ، لأنه كالخديعة.

(١) جامع البيان (١٧ / ٦٢٥ - ٦٢٦).

(٢) ويقصد به أبا عبيدة - كما سيأتي -.

(٣) البيت سبق مراراً.

(٤) ويقصد به الفراء - كما سيأتي -..

والصواب من القول في ذلك عندي : القول الذي ذكرته عن ابن عباس ، أن معناه : إنما أنت من المخلوقين الذين يعللون بالطعام والشراب مثلنا ، ولست ربا ولا ملكا فنطيعك ونعلم أنك صادق فيما تقول . والمسحر : المفعل من السحرة ، وهو الذي له سحرة[1] .

الدراسة والتحليل:

سبق الحديث عن أصل مادة هذه المفردة – عند الكلام على لفظة (مسحورا)، وكما تقدم فإن هذين القولين المذكورين عن السلف من إطلاقات مادة (سحر) في اللغة العربية.

وما ذكره المفسرون وأصحاب الغريب في تفسير (المسحرين) راجع إلى القولين:

الأول : أن معناه : إنما أنت من المسحورين، أي الذي سحر كثيراً حتى غلب على عقله.

والآخر : أن معناه : من المخلوقين .

أما ما ذكره الطبري عن أهل اللغة فراجع إلى القول الثاني، وإنما الخلاف بينهم في التعليل؛ إذ علّل أبو عبيدة ذلك بأن المراد: أن له سَحراً يُقْرِي ما أكل فيه ؛ بينما رأى الفراء : أنه أُخِذَ من قولك : انتفخ سحرك ؛ أي : أنك تأكل الطعام والشراب ؛ فتسحّر به وتعلّل .

وهذا القول هو قول أكثر أصحاب الغريب:

فهو قول الفراء وأبي عبيدة – كما سبق في نقل الطبري – .

قال الفراء: « وقوله : ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ قالوا له : لست بملك إنما أنت بشر مثلنا. والمسحّر : المجوّف ، كأنه – واللهّ أعلم – من قولك : انتفخ سحرك أي أنك

(١) جامع البيان (١٧ / ٦٢٥ – ٦٢٦).

تأكل الطعام والشراب وتسحّر به وتعلّل. وقال الشاعر:

فإنْ تَسْأَلِينا فِيم نَحْنُ فإنَّنا عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الأنامِ المُسَحَّر

يريد: المعلّل والمخدوع. ونرى أنّ السّاحر من ذلك أخذ[1].

وقال أبو عبيدة: «﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾ وكل من أكل من إنس أو دابة فهو مسحّر وذلك أن له سحرا يقرى يجمع ما أكل فيه، ثم استشهد ببيت لبيد[2].

وقال ابن قتيبة: «﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾ أي من المُعَلَّلِين بالطعام والشراب. يريدون: إنَّما أنت بشرٌ[3].

وهذا قريب من تعليل الفراء.

والقول الأول هو الذي اقتصر عليه كثير من المفسرين[4]، ورجّحه ابن كثير بقوله: « الأظهر في هذا قول مجاهد وقتادة: أنهم يقولون: إنما أنت في قولك هذا مسحور لا عقل لك »[5].

وحكى غير واحد من أصحاب الغريب والتفسير القولين دون ترجيح:

قال الزجاج: « ﴿مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾ أي ممن له سحر، والسحر: الرئة. ، أي إنما أنت بشر مثلنا، وجائز أن يكون من المسحرين من المفعلين من السحر أي ممن قد سحر مرة

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٧٧).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٨٩).

(٣) غريب القرآن (ص: ٣٢٠)، ومثله في غريب القرآن للسجستاني (ص: ٤٤٦)، وتفسير المشكل (ص: ٢٧٣) والعمدة (ص: ٢٢٧) والتبيان في تفسير غريب القرآن (ص:٣٢١)، ونفس الصباح (٢/ ٥٤٩) وتحفة الأريب (ص: ٥٥).

(٤) كابن أبي زمنين في تفسيره (١/ ٤٩٠)، وتفسير الجلالين (ص: ٤٨٩)، والسعدي في تفسيره (ص: ٥٩٦).

(٥) تفسير ابن كثير (٦/ ١٥٧).

بعد مرة[1].

وقال الجوهري: « وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ۝١٥٣﴾ يقال المسحر: الذي خلق ذا سحر. ويقال من المعللين »[2].

وممن حكى المعنيين: النحاس، وابن الجوزي، والمارديني، والراغب[3].

وغير واحد من المفسرين[4].

الترجيح:

كلا القولين وجيهان وصحيحان من حيث اللغة – كما أسلفت -، وقد رجح الطبري القول الثاني (أي قول ابن عباس) أنه المخلوقين.

لكن يظهر لي أن قول مجاهد وقتادة (أنه المسحورين) أي الذي سحر وغلب على عقله – أرجح؛ وذلك لأنّ الآية التي بعدها -﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ الشعراء: ١٥٤ – على القول الثاني لا يكون إلا تأكيدا له[5]، بينما تكون – على القول الأول - تأسيساً لمعنى جديد، وإذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فالتأسيس أولى[6].

قال أبو حيان: « وقيل: من السحر، وهو الرئة، أي أنت بشر لا تصلح للرسالة،

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٩٧).

(٢) الصحاح (٢ / ٦٧٩)، ومثله في: الزاهر في معاني كلمات الناس (١ / ١٨٣).

(٣) انظر: معاني القرآن للنحاس (٥ / ٩٧)، وتذكرة الأريب (١/ ٤٣)، وبهجة الأريب (ص ١٧٥)، ومفردات ألفاظ القرآن (١ / ٤٦٤).

(٤) انظر: تفسير السمعاني (٤/ ٦٢)، والكشاف (٣ / ٣٣٣)، والتفسير الكبير (٢٤/ ٥٢٧)،والجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٢٩)، وتفسير البيضاوي (١ / ٢٤٩)، تفسير أبي السعود (٦ / ٢٥٩).

(٥) كما نصّ على ذلك غير واحد، انظر: تفسير البيضاوي (١ / ٢٤٩)، السراج المنير (٣ / ٤٦)، تفسير أبي السعود (٦ / ٢٥٩).

(٦) قواعد الترجيح (٢/ ٤٧٣).

ويضعف هذا القول قولهم بعد: ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ ، إذ تكون هذه الجملة توكيداً لما قبلها ، والأصل التأسيس »[1].

ويدل على هذا اختلاف الأسلوب القرآني في الموضعين من السورة، حيث جاء في الموضع الأول ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ الشعراء: ١٥٣ - ١٥٤ على الفصل بدون واو، وفي الموضع الثاني ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ الشعراء: ١٨٥ - ١٨٦ على الوصل بالواو.

قال الزمخشري: « فإن قلت : هل اختلف المعنى بإدخال الواو ههنا وتركها في قصة ثمود ؟ قلت : إذا أدخلت الواو فقد قصد معنيان : كلاهما مناف للرسالة عندهم: التسحير والبشرية ، وأن الرسول لا يجوز أن يكون مسحراً ولا يجوز أن يكون بشراً ، وإذا تركت الواو فلم يقصد إلا معنى واحد وهو كونه مسحراً ، ثم قرر بكونه بشراً مثلهم »[2].

فيكون في قصة ثمود معنى البشرية في الأولى ثم تأكيده بالثانية.

ويكون في قصة شعيب مع قومه معنى البشرية في الآية الأولى، ثم تأسيس معنى جديد في الثانية، وهو معنى السحر أو التسحير، ولعله يناسب ما أوتيه شعيب عليه السلام من سحر البيان وحكمة الكلمة والموعظة كما دلّ عليه القرآن الكريم في آيات متنوعة، مثل سورة هود وغيرها، والله تعالى أعلم.



(١) البحر المحيط (٧ / ٣٤)، ومع هذا يقول ابن عطية عن القول الآخر: "وما بعده في الآية يقوي هذا التأويل" المحرر الوجيز (٤ / ٢٨٧).

(٢) الكشاف (٣ / ٣٣).

{ معاد }

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ﴾ القصص: ٨٥

في هذه الكلمة القرآنية نقل الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – اختلاف السلف في تفسيرها[1]:

١- فقال بعضهم : معنى: ﴿ إِلَىٰ مَعَادٍۚ ﴾: إلى الجنة، أو إلى يوم القيامة، وهذا مروي عن ابن عباس، وأبي سعيد الخدري، وأبي صالح، وأبي مالك، وعكرمة، ومجاهد.

٢- وقال آخرون معناه: إلى الموت، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً، وسعيد بن جبير.

٣- وقال آخرون: إلى الموضع الذي خرجت منه وهو مكة، وروى ذلك عن ابن عباس ومجاهد أيضاً.

ثم قال الإمام أبو جعفر الطبري[2]: « والصواب من القول في ذلك عندي : قول من قال : لرادك إلى عادتك من الموت ، أو إلى عادتك حيث ولدت ، وذلك أن المعاد في هذا الموضع : المفعل من العادة ، ليس من العود ، إلا أن يوجه موجه تأويل قوله : ﴿لَرَآدُّكَ ﴾ لَـمُصَيِّرُك ، فيتوجه حينئذ قوله ﴿إِلَىٰ مَعَادٍۚ ﴾ إلى معنى العود ، ويكون تأويله : إن الذي فرض عليك القرآن لَـمُصَيِّرُك إلى أن تعود إلى مكة مفتوحة لك.

فإن قال قائل : فهذه الوجوه التي وصفت في ذلك قد فهمناها ، فما وجه تأويل من تأوله بمعنى : لرادك إلى الجنة ؟

(١) جامع البيان (١٨ / ٣٤٦).

(٢) جامع البيان (١٨ / ٣٥١)

قيل : ينبغي أن يكون وجه تأويله ذلك كذلك على هذا الوجه الآخر ، وهو لمصيرك إلى أن تعود إلى الجنة.

فإن قال قائل : أوكان أخرج من الجنة ، فيقال له : نحن نعيدك إليها ؟

قيل : لذلك وجهان : أحدهما : أنه إن كان أبوه آدم صلى الله عليهما أخرج منها ، فكأن ولده بإخراج الله إياه منها ، قد أخرجوا منها ، فمن دخلها فكأنما يرد إليها بعد الخروج . والثاني أن يقال : إنه كان صلى الله عليه وسلم دخلها ليلة أسري به ، كما روي عنه أنه قال : دخلت الجنة فرأيت فيها قصرا ، فقلت : لمن هذا ؟ فقالوا لعمر بن الخطاب[1]، ونحو ذلك من الأخبار التي رويت عنه بذلك ، ثم رد إلى الأرض ، فيقال له : ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ﴾ لمصيرك إلى الموضع الذي خرجت منه من الجنة إلى أن تعود إليه ، فذلك إن شاء الله قول من قال ذلك.

الدراسة والتحليل:

ما ذهب إليه الطبري من أن (المعاد) هنا من العادة، هو قول الفراء، قال: «والمَعَاد هاهنا: إلى عادتك حيث ولدت وليس من العود . وقد يكون أن تجعل قوله : ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖ﴾ لمصَيِّرُكَ إلى أن تعود إلى مكة مفتوحة لك فيكون المعاد تعجباً إلى معاد أَيَّما معاد لما وعده من فتح مكّة»[2].

ومستند من ذهب إلى هذا هو أن لفظة (المعاد) تفيد أن المخاطب قد كان في حال يعود إليها؛ لذا رجح الطبري أن يكون المراد به الموت، أما الأقوال الأخرى فلا يتوجه

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٣٠٩) حديث رقم: (١٤٣٦٠)، وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٣١٠) حديث رقم: (٦٨٨٦). قال الشيخ شعيب الأرنؤوط - في تحقيق صحيح ابن حبان -: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) لم أجده في معانيه، وإنما نقله عنه الأزهري في تهذيب اللغة (٣/ ٨٢)، وابن منظور في لسان العرب (٣/ ٣١٥).

– عندهم – إلا بتفسير قوله: ﴿لَرَآدُّكَ﴾ بـ: مصيّرك[1].

أما أكثر أهل المعاجم العربية فقد نصوا على أن المعاد: المصير والمرجع، والآخرة معاد الخلق[2].

وعليه فلا يلزم عندهم ما ذكره الطبري من أن يكون المخاطب كان في حال يرجع إليه؛ لذا فسروا الآية بمعاد يوم القيامة.

قال الزجاج: « وأكثر التفسير في قوله: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ لباعثك ، وعلى هذا كلام الناس : اذكر المعاد أي اذكر مبعثك في الآخرة"[3].

وعلى هذا أغلب المؤلفين في الغريب.

فبعضهم فسره بيوم القيامة[4]، وبعضهم بمكة[5]، بينما حكى بعضهم المعنيين[6]، أو الثلاثة[7]، واقتصر آخرون على المعنى اللغوي: (مرجع)[8].

قال ابن قتيبة: « معاد الرّجل: بلده، لأنه يتصرّف في البلاد ، ويضرب في الأرض ثم يعود إلى بلده. يقال : ردّ فلان إلى معاده ، أي ردّ إلى بلده. ومثله قولهم لمنزل

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٤ / ٣٥٦).

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٤ / ١٨١)، والصحاح (٢ / ٥١٤)، و لسان العرب (٣/ ٣١٥).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٥٨).

(٤) كابن الجوزي في تذكرة الأريب (٢ / ٦٣).

(٥) كالغزنوي في إيجاز البيان (٢ / ٦٤٧)، والخزرجي في نفس الصباح (٢/ ٥٦٦).

(٦) كالسجستاني في غريب القرآن (ص: ٤٢٣).

(٧) كابن قتيبة في غريب القرآن (ص:)، ومكي في تفسير المشكل (ص: ٢٧٩)، والمارديني في بهجة الأريب (ص: ١٨٢).

(٨) كأبو حيان في تحفة الأريب (ص: ٢٢٠).

الرجل: مثاب ومثابة ، لأنّه يتصرّف في حوائجه ثم يثوب إليه »[1].

وقال النحاس: « ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ أي إلى وطنك ومعادك يعني مكة ويقال رجع فلان إلى معاده أي الى بيته وقوله - جل وعز -: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ القصص: ٨٨ [2].

وقال الراغب : « والمعاد يقال للعود وللزمان الذى يعود فيه، وقد يكون للمكان الذى يعود إليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ قيل أراد به مكة والصحيح ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام وذكره ابن عباس إن ذلك إشارة إلى الجنة التى خلقه فيها بالقوة في ظهر آدم وأظهر منه حيث قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ الأعراف: ١٧٢ "[3].

أما المفسرون فقد اختلفوا في تفسير كلمة معاد على الأقوال المذكورة عن السلف، وحكى أكثرهم الأقوال الأربعة المروية عن السلف من غير ترجيح[4].

وأكثرهم على أن المراد به مكة كالسمرقندي[5] والمحلي[6]، واختاره الرازي[7]، ونسبه السمعاني وغيره للأكثرين[8].

---

(١) تأويل مشكل القرآن (١ / ٢٤٠).

(٢)معاني القرآن للنحاس (٥ / ٢٠٧).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن (٢/ ١٣٥).

(٤) انظر: النكت والعيون (٤ / ٢٧٢)، وزاد المسير (٦ / ٢٥٠).

(٥) انظر: بحر العلوم (٢/ ٦٢٣).

(٦) انظر: تفسير الجلالين (ص: ٣٩٦).

(٧) التفسير الكبير(٢٥/ ١٩).

(٨) انظر:تفسير القرآن للسمعاني(٤/ ١٦٢)،الجامع لأحكام القرآن(١٣/ ٢٨٤)،ونسبه الشوكاني وصدِّيق حسن لجمهور المفسرين.ينظر:فتح القدير(٤/ ٢٦٤)،فتح البيان (١٠/ ١٥٨).

الترجيح:

مال الطبري إلى تفسير المعاد بالموت؛ لما سبق، ويفهم من كلامه إمكانية الجمع بين المعاني المذكورة وحمل اللفظ عليها، على تفسير قوله: {لرادك} بمصيّرك.

والجمع هو الأولى، ولا وجه لترجيح أحدها؛لإمكان الجمع بينها.

قال الحافظ ابن كثير: « وجه الجمع بين هذه الأقوال أن ابن عباس فسَّر ذلك تارةً برجوعه إلى مكة وهو الفتح الذي هو عند ابن عباس أمارة على اقتراب أجل النبي ض ،كما فسَّر ابن عباس سورة: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ النصر: ١ إلى آخر السورة أنه أجل رسول الله ه نُعي إليه، وكان ذلك بحضرة عمر بن الخطاب ط ووافقه عمر على ذلك وقال:لا أعلم منها غير الذي تعلم[1]؛ ولهذا فسَّر ابن عباس تارة أخرى قوله: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖ﴾ بالموت، وتارة بيوم القيامة الذي هو بعد الموت، وتارة بالجنة التي هي جزاؤه ومصيره على أداء رسالة الله وإبلاغها إلى الثقلين الجن والإنس،ولأنه أكمل خلق الله وأفصح خلق الله وأشرف خلق الله على الإطلاق »[2].

فالجمع ممكن، ولا تعارض بين الأقوال؛ سواء فسر المعاد بالمرجع والمصير – كما هو قول اللغويين – ، أو وجّه على تفسير قوله ﴿لَرَآدُّكَ﴾ بـ (مصيّرك)، أو على التلازم؛ لأن يوم القيامة أو الجنة أحوال تابعة للموت، والله تعالى أعلم.



(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم (٣٦٢٧)، من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- بنحوه.

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٦١).

{ رجو }

قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ الكهف: ١١٠

وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥﴾ العنكبوت: ٥

وقال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝٣٦﴾ العنكبوت: ٣٦

ففي تفسير قوله تعالى:- ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ يقول الإمام الطبري -: « فمن كان يخاف ربه يوم لقائه ، ويراقبه على معاصيه ، ويرجو ثوابه على طاعته ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ يقول: فليخلص له العبادة ، وليفرد له الربوبية »[1].

وقال –في تفسير قوله تعالى:- ﴿وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ : « يقول: وارجوا بعبادتكم إياي جزاء اليوم الآخر ، وذلك يوم القيامة ».... وقد كان بعض أهل العلم بكلام العرب يتأول قوله : ﴿وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ بمعنى: واخشوا اليوم الآخر.

وكان غيره من أهل العلم بالعربية ينكر ذلك ، ويقول : لم نجد الرجاء بمعنى الخوف في كلام العرب إلا إذا قارنه الجحد »[2].

الدراسة والتحليل:

يقصد الطبري بالأول: أبا عبيدة بن المثنى، حيث قال: « ﴿وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ مجازه : واخشوا اليوم الآخر ، قال أبو ذؤيب :

---

(١) تفسير الطبري (١٥/ ٤٣٩).

(٢) تفسير الطبري (١٨ / ٣٩٧).

إِذَا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا وَخَالَفَهَا فِي بَيْتِ نُوبٍ عَوَامِلِ[1]

أي لم يخف »[2].

ويقصد بالثاني: أبا زكريا الفراء، حيث قال: « وقوله : ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ النساء: ١٠٤ قال بعض المفسّرين : معنى ترجون : تخافون. ولم نجد معنى الخوف يكون رجاء إلا ومعه جحد؛ فإذا كان كذلك كان الخوف على جهة الرجاء والخوف، وكان الرجاء كذلك كقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ الجاثية: ١٤ هذه : للذين لا يخافون أيام الله، وكذلك قوله : ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣﴾ نوح: ١٣ ، لا تخافون لله عظمة. وهى لغة حجازية. وقال الراجز :

لاَ تَرْتَجِي حِينَ تُلاَقِي الذَّائِدَا أَسَبْعَةً لاَقَتْ مَعًا أَمْ وَاحِدَا[3]

وقال الهذلي:

إِذَا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا وَخَالَفَهَا فِي بَيْتِ نُوبٍ عَوَامِلِ

ولا يجوز : رجوتك وأنت تريد : خفتك ، ولا خفتك وأنت تريد رجوتك» [4].

وبالرجوع إلى أقوال أهل اللغة في ذلك نجد أن كثيرين منهم ذهبوا إلى أنه قد يطلق الرجاء ويراد به الخوف، ولم يشترطوا في ذلك ما اشترطه الفراء.

قال ابن فارس: « الرَّجاءُ، وهو الأمل. يقال رجَوت الأمْرَ أرجُوه رجاءً. ثم

---

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي كما في ديوانه (ص :١٤٣).

(٢) مجاز القرآن (٢ / ١١٥).

(٣) لم أقف على من نسبه لقائل وهو في الأضداد لابن الأنباري (ص: ٩).

(٤) معاني القرآن للفراء (١/ ٢٨٦)، وذكر مثله أيضاً في (٢/ ٢٦٠).

يُتَّسع في ذلك، فربما عُبِّر عن الخوف بالرَّجاء »[1].

وقال غير واحد من أصحاب المعاجم: « وقد يكون الرَّجْوُ والرَّجاءُ بمعنى الخَوْف »[2].

ووجه ذلك أن الرجاء والخوف يتلازمان؛ لأن الراجي يخاف أنه لا يدرك ما يترجاه[3].

وهذا مذهب جمهور اللغويين[4].

وعليه أكثر أصحاب الغريب فقد فسروا أكثر الآيات التي وردت فيها لفظة (الرجاء) بالخوف، سواء كان منفياً أو لا.

قال ابن قتيبة – في تفسير قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ –: « أي يخافُه »[5].

وفي تفسير قوله تعالى ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ قال: « أي يخاف لقاء ربه » ثم استشهد ببيت الهذلي[6].

وقال الراغب: « والرجاء ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة،... ووجه ذلك أن الرجاء والخوف يتلازمان، ثم أورد فيه الآيات التالية: قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣﴾، وقوله تعالى: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ النساء: ١٠٤ وقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ

---

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٤٩٤).

(٢) انظر: مختار الصحاح (١/ ٢٦٧)، ولسان العرب (١٤/ ٣٠٩).

(٣) انظر: المصباح المنير (١/ ٢٢١)، وتاج العروس (٣٨/ ١٣٢).

(٤) انظر: الفروق اللغوية (ص: ٧٣ – ٧٤)، تهذيب كتاب الأفعال (٢/ ٢٦).

(٥) غريب القرآن (ص: ٣٣٧)، ومثله قال الخزرجي في نفس الصباح (٢/ ٥٦٧)، وانظر: التبيان في تفسير غريب القرآن (ص: ٢٨٠).

(٦) غريب القرآن (ص: ٢٧١).

مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ١٠٦ »[١].

وعدم اشتراط تقدم (الرجاء) بنفي هو المفهوم من كلام أكثر المفسرين، فقد فسروا آيات كثيرة ورد فيها الرجاء بالخوف، وإن لم يكن منفيا.

ففي قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ فسر الرجاء بالخوف جمع من المفسرين[٢].

ومنهم من جمع بين المعنيين: كالطبري وقد سبق نقل كلامه؛ حيث قال: « يقول: فمن كان يخاف ربه يوم لقائه ويراقبه على معاصيه ويرجو ثوابه على طاعته ».

وابن عطية حيث يقول: « و { يرجو } على بابها ، وقالت فرقة : { يرجو } بمعنى يخاف ، وقد تقدم القول في هذا المقصد ، فمن كان يؤمن بلقاء ربه، وكل موقن بلقاء ربه فلا محالة أنه بحالتي خوف ورجاء ، فلو عبر بالخوف لكان المعنى تاماً على جهة التخويف والتحذير، وإذا عبر بالرجاء فعلى جهة الإطماع وبسط النفوس إلى إحسان الله تعالى »[٣].

والقرطبي، إذ قال: « أي يرجو رؤيته وثوابه ويخشى عقابه »[٤].

والشنقيطي؛ إذ قال: « قوله في هذه الآية : ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ ، يشمل كونه يأمل ثوابه، ورؤية وجهه الكريم يوم القيامة ، وكونه يخشى عقابه، أي : فمن كان راجيا من ربه يوم يلقاه الثواب الجزيل والسلامة من الشر فليعمل عملا صالحا »[٥].

ومنهم من حكى المعنيين – كقولين – دون ترجيح[٦].

---

(١) مفردات القرآن (١/ ٣٤٦).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٥ / ٢١٣)، وبحر العلوم (٣/ ٦٥).

(٣) المحرر الوجيز (٤ / ٣٤٥).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١١ / ٦٩).

(٥) أضواء البيان (٣/ ٣٥٦).

(٦) انظر: زاد المسير (٥/ ١٢٨)التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٩٦٩)، وتفسير النسفي (٢/ ٢٥٩).

واقتصر جمع من المفسرين على تفسير الرجاء بالخوف في قوله تعالى: ﴿وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾[1].

ومنهم من حكى الوجهين فيه[2]:

وقال الواحدي في قوله تعالى: ﴿لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ﴾ الممتحنة: ٦ «أَيْ: يخافهما»[3].

الترجيح:

الذي يظهر لي – والعلم عند الله – أن الرجاء يأتي بمعنى الخوف، ولو لم يتقدمه نفي، لأنه قول جمهور علماء اللغة والتفسير – كما سبق –، واشتراط كونه مع النفي حكم لا يقبل إلا بدلالة، ولا دلالة عليه[4].

لكن عند التأمل في أكثر الآيات التي وردت فيها لفظة (الرجاء) ظهر لي أن الأولى الجمع بين المعنيين؛ إذ لا منافاة بينهما، وكلاهما مطلوبان من العبد.

---

(١) انظر: الكشف والبيان (٧/ ٢٧٩)، وتفسير البغوي (٦ / ٢٤١)، بحر العلوم (٣/ ٣٤٢).

(٢) انظر: الكشاف (٣/ ٤٥٧)، و تفسير السمعاني (٤ / ١٨٠) وتفسير ابن كثير (٦/ ٢٧٧)، والتسهيل لعلوم التنزيل (١ / ١٤١٥)، وتفسير الخازن (٥ / ١٩٣)، وتفسير البيضاوي (١ / ٣١٦).

(٣) الوجيز للواحدي (١ / ٧٣٠)، وانظر: تفسير البغوي (٦ / ٣٣٦).

(٤) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٣/ ٢٦٤).

{ مقمحون }

قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨﴾ يس: ٨

قال الإمام أبو جعفر الطبري[١]: « وقوله : ﴿مُّقْمَحُونَ﴾ والمقمح: هو المقنع، وهو أن يحدر الذقن حتى يصير في الصدر ، ثم يرفع رأسه في قول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة[٢] وفي قول بعض الكوفيين[٣]: هو الغاض بصره ، بعد رفع رأسه ».

الدراسة والتحليل:

بالرجوع إلى الأصل اللغوي لهذه الكلمة يظهر أنها تطلق – عند العرب – على صفتين متضادتين:

١- فهي تطلق على صفة تكون عند شرب الماء من الشارب وهو رفعه رأسه، فالقامح من الإبل: هو الرَّافع رأسَه عند الشُّرب امتناعاً منه[٤].

٢- وتطلق على البعير الذي لا يكاد يرفع بصره[٥].

وعلى المعنى الأول يلتقي القولان اللذان حكاهما الطبري عن الفراء وأبي عبيدة، فالقولان متفقان على صفة رفع الرأس، وإن كان يختلفان في صفة البصر عند ذلك، فأطلقه أبو عبيدة ولم يقيده بغض أو غيره، بينما قيده الفراء بكونه غاض البصر.

قال الفراء: « والمقمح : الغاضّ بصره بعد رفع رأسه. ومعناه : إنا حبسناهم عن

---

(١) جامع البيان (١٩ / ٤٠٣)

(٢) يقصد به أبا عبيدة، كما سيأتي.

(٣) يقصد به: أبا زكريا الفراء.

(٤) انظر: مقاييس اللغة (٥ / ٢٤) ، والصحاح (١ / ٣٩٧) .

(٥) انظر: المحيط في اللغة (٢ / ٣٦٦)، والمحكم والمحيط الأعظم (٣ / ٢٩)، والمخصص (٣/ ٤٠٣)، ولسان العرب (٢/ ٥٦٥).

الإنفاق فى سبيل الله »[1].

وقال أبو عبيدة[2] « ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ المقمح والمقنع واحد ، تفسيره أي يجذب الذقن حتى يصير فى الصدر ثم يرفع رأسه، قال بشر بن أبي خازم الأسدي :

ونحن على جَوانِبِها قُعُودٌ   نَغُضُّ الطَّرْفَ كالإِبِلِ القِماحِ[3]

وعلى قول الفراء اقتصر جمع من أهل الغريب:

قال ابن قتيبة: « ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ المقمح: الذي يرفع رأسَه ويغُض بصرَه. يقال: بعيرٌ قامحٌ وإبِلٌ قِماحٌ؛ إذا رَوِيتْ من الماء وقَمَحتْ. قال الشاعر -وذكر سفينةً وركبانَها-:

ونحن على جَوانِبِها قُعُودٌ   نَغُضُّ الطَّرْفَ كالإِبِلِ القِماحِ

يريد إنا حبَسناهم عن الإنفاق في سبيل الله بموانعَ كالأغلال »[4].

وقال الزجاج: « المقمح: الرافع رأسه الناصّ بصره »[5].

وقال ابن الجوزي: «والمقمع الغاض بصره بعد رفع رأسه وهذا مثل، والمعنى منعناهم من الإيمان بموانع كالأغلال »[6].

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢ / ٣٧٣).

(٢) مجاز القرآن (٢ / ١٥٧).

(٣) البيت لبشر بن أبي خازم كما في ديوانه (ص: ٤٨)، وانظر: تهذيب اللغة (١/ ٤٦٦)، ولسان العرب (٣/ ٤٠١).

(٤)غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٣٦٣).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٧٩).

(٦) تذكرة الأريب (٢ / ١٠٢).

وعلى هذا: الخزرجي[1]، والكفوي[2]، وغير واحد من المفسرين[3].

وحكى بعضهم المعنيين دون ترجيح.

قال السجستاني: « مقمحون : رافعون رؤوسهم ، مع غض أبصارهم . ويقال : المقمح الذي جذب ذقنه إلى صدره، ثم رفع رأسه »[4].

ومنهم من اقتصر على مطلق الرفع كما هو الأصل اللغوي للكلمة.

قال اليزيدي: « مقمحون: رافعوا رؤوسهم »[5].

وقال أبو جعفر النحاس: « المعروف في اللغة أن المقمح الرافع رأسه لمكروه »[6].

وقال الراغب:« والقمح: رفع الرأس لسف الشيء ، ثم يقال لرفع الرأس كيفما كان... وقوله : مقمحون: تشبيه بذلك، ومثل لهم، وقصد إلى وصفهم بالتأبي عن الانقياد للحق ، وعن الإذعان لقبول الرشد ، والتأبي عن الإنفاق في سبيل الله ، وقيل : إشارة إلى حالهم في القيامة إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل »[7].

وحكى المفسرون هذه الأقوال وأقوالا أخرى[8]، ومنها:

---

(١) في نفس الصباح (٢/ ٥٩٨).

(٢) في الكليات (١ / ١٤١٦).

(٣) انظر: الكشاف (٤/ ٧)، وبحر العلوم (٣/ ١١٠)، وتفسير البيضاوي (١/ ٤٢٦)، والتحرير والتنوير (٢٢/ ٣٥٠).

(٤) غريب القرآن (ص: ٤٤٧)، ومثله في التبيان (ص: ٣٤٨)، وتحفة الأريب (ص: ٢٥٥).

(٥) غريب القرآن وتفسيره لليزيدي (ص: ٣١١).

(٦) معاني القرآن (٥ / ٤٧٨).

(٧) مفردات القرآن (١ / ٦٨٣).

(٨) انظر: النكت والعيون (٥ / ٧)، تفسير الخازن (٦ / ٣).

١- أنه الشموخ بالأنف وتنكيس الرأس ، وممن قال به ابن عباس ب[١].

٢- أنه رفع الرأس ووضع اليد على الفم ، قال به ابن عباس ، ومجاهد [٢].

٣- أنه الطموح بالبصر إلى موطئ القدم ، قاله الحسن[٣].

٤- أن معنى: مقمحون : مغلولون وروي عن مجاهد ، وبه قال قتادة[٤].

الترجيح:

والذي يظهر لي – والعلم عند الله تعالى – أن جميع هذه التفاسير هي من قبيل تقريب المثل، ولا تعارض بينها، وكلها منطلقة من الأصل اللغوي للكلمة.

فالأصل في كلمة القمح رفع الرأس، ووصف الله هؤلاء المشركين الذين أبوا عن الانقياد للحق بالمقمحين تشبيهاً وتمثيلاً لهم بذلك، فالمراد أنهم لا يذعنون للإيمان ولا يخفضون رؤوسهم له[٥]، وكأنّ هؤلاء المذمومين شبّهوا على المبالغة فى وصف تكارههم للإيمان ، وتضايق صدورهم لسماع القرآن ، بقوم عوقبوا فجذبت أذقانهم بالأغلال إلى صدورهم مضمومة إليها أيمانهم ، ثم رفعت رءوسهم ، ليكون ذلك أشدّ لإيلامهم ، وأبلغ فى عذابهم[٦]، وهذا من أبلغ الكنايات[٧].

أما وجه تشبيه حبس القلوب عن الهدى بالمقمح فقال فيه ابن القيم: « فإن قيل

---

(١) انظر: سؤالات نافع بن الأزرق (ص: ١٨٦).

(٢) انظر : جامع البيان (٢٢/ ١٥١)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٨٩)؛ ومعاني القرآن للنحاس (٥/ ٤٧٧)، والدر المنثور (١٢ / ٣٢٦).

(٣) انظر: النكت والعيون (٥/ ٧).

(٤)انظر: جامع البيان (٢٢/ ١٥١)، وتفسير الصنعاني (٢/ ١١٢).

(٥) تفسير الجلالين (١ / ٥٧٩).

(٦) تلخيص البيان في مجازات القرآن (٢ / ٢٧٣).

(٧) عمدة الحفاظ (٣/ ٣٣٨).

فما وجه التشبيه بين هذا وبين حبس القلب عن الهدى والإيمان قيل أحسن وجه وأبينه فإن الغل إذا كان في العنق واليد مجموعة إليها منع اليد عن التصرف والبطش فإذا كان عريضا قد ملأ العنق ووصل إلى الذقن منع الرأس من تصويبه وجعل صاحبه شاخص الرأس منتصبه لا يستطيع له حركة »[1].

أو تكون الآية إشارة إلى ما يفعل بقوم في النار من وضع الأغلال في أعناقهم كما قال تعالى : ﴿ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ غافر: ٧١ [2].

(١) شفاء العليل (١ / ٩٥).

(٢) فتح القدير (٤ / ٥١٢).

{ غسق }

وردت هذه المادة في القرآن الكريم على وجوه ثلاث:

١- (غسق) في قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾ الإسراء: ٧٨

٢- (غاسق): في قوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ ﴾ الفلق: ٣

٣- (غساق): في قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ ﴾ ص: ٥٧، وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ ﴾ النبأ: ٢٥.

أما الأول: فيقول فيه الطبري – رحمه الله -: [١]« **غسق الليل:** هو إقباله ودنوه بظلامه، كما قال الشاعر:

آبَ هَذَا اللَّيْلُ إِذْ غَسَقَا[٢] ....

ثم قال: « وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل على اختلاف منهم في الصلاة التي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإقامتها عنده ، فقال بعضهم: الصلاة التي أمر بإقامتها عنده صلاة المغرب[٣]، وقال آخرون هي: صلاة العصر »[٤].

ثم قال: « وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول من قال : الصلاة التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإقامتها عند غسق الليل هي صلاة المغرب دون غيرها ،

(١) جامع البيان – (١٥ / ٣٠).

(٢) صدر بيت لعبيد الله بن قيس الرقيات. وعجزه: واشتكيت الهم والأرقا . انظر: لسان العرب (١٠/ ٢٨٨)، وتاج العروس (٢٦/ ٢٥٠).

(٣) وروى ذلك عن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك، وزيد بن أسلم، وقتادة، انظر: جامع البيان (١٥/ ٣١- ٣٢).

(٤) روى ذلك عن أبي جعفر.

لأن غسق الليل هو ما وصفنا من إقبال الليل وظلامه ، وذلك لا يكون إلا بعد مغيب الشمس . فأما صلاة العصر ، فإنها مما تقام بين ابتداء دلوك الشمس إلى غسق الليل ، لا عند غسق الليل.

وفي الثاني: يقول – رحمه الله -: " وقوله : ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ ﴾ يقول : ومن شر مظلم إذا دخل ، وهجم علينا بظلامه "[1]، ولا اختلاف بين أهل التأويل في ذلك، وإن اختلفوا في المظلم الذي عني في هذه الآية ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة منه.

أما في الغساق: فقد ذكر الإمام الطبري – رحمه الله – اختلاف القراء في قراءتها في آية سورة (ص) مع توجيه كلّ قراءة[2]:

١– فقرأها جمهور القراء بالتخفيف : (وغساق) وقالوا : هو اسم موضوع.

٢– وقرأه عامة قراء الكوفة بالتشديد: {وغسّاق} ، ووجهوه إلى أنه صفة من قولهم : غسق يغسق غسوقا : إذا سال ، وقالوا : إنما معناه : أنهم يسقون الحميم ، وما يسيل من صديدهم.

ثم قال: « والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، وإن كان التشديد في السين آثر عندنا في ذلك ، لأن المعروف ذلك في الكلام ، وإن كان الآخر غير مدفوعة صحته ».

ثم ذكر الإمام الطبري اختلاف أهل التأويل فيها[3]:

---

(١) جامع البيان – (٢٤ / ٧٤٥).

(٢) جامع البيان (٢٠ / ١٢٧).

والقراءة بالتشديد هي قراءة حفص وحمزة والكسائي وخلف، وقرأ الباقون بالتخفيف. انظر: النشر في القراءات العشر (٢/ ٤٠٢)، و إتحاف فضلاء البشر (١/ ٤٧٨).

(٣) جامع البيان (٢٠ / ١٢٨ – ١٣٠).

١- فقال بعضهم : هو ما يسيل من جلودهم من الصديد والدم.

روى ذلك عن قتادة، والسدي، وإبراهيم النخعي، وعبد الرحمن بن زيد.

٢- وقال آخرون : هو البارد الذي لا يستطاع من برده.

وروى ذلك عن مجاهد، والضحاك.

٣- وقال آخرون : بل هو المنتن.

روى ذلك عن عبد الله بن بريدة،

ثم قال: « وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال : هو ما يسيل من صديدهم ، لأن ذلك هو الأغلب من معنى الغسوق ، وإن كان للآخر وجه صحيح »[1].

أما في موضع سورة النبأ فقد ذكر فيها اختلاف أهل السلف فيها[2]:

١- فقال بعضهم : هو ما سال من صديد أهل جهنم.

ورواه عن عطية بن سعد، وعكرمة، وقتادة، وإبراهيم النخعي، وأبي رزين، وسفيان.

٢- وقال آخرون : الغساق : الزمهرير.

ورواه عن ابن عباس، ومجاهد، والربيع، وأبي العالية.

٣- وقال آخرون : هو المنتن ، وهو بالطخارية.

وروى ذلك عن عبد الله بن بريدة.

ثم قال: " والغساق عندي: هو الفعال ، من قولهم : **غسقت عين فلان: إذا**

---

(١) جامع البيان - (٢٠ / ١٣٠)

(٢) جامع البيان (٢٤ / ٢٨ - ٣٠).

سالت دموعها ، وغسق الجرح : إذا سال صديده ، ومنه قول الله : ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾. يعني بالغاسق : الليل إذا لبس الأشياء وغطاها ؛ وإنما أريد بذلك هجومه على الأشياء ، هجوم السيل السائل ؛ **فإذا كان الغساق هو ما وصفت من الشيء السائل**، فالواجب أن يقال : الذي وعد الله هؤلاء القوم ، وأخبر أنهم يذوقونه في الآخرة من الشراب، هو السائل من الزمهرير في جهنم ، الجامع مع شدة برده النتن.

ثم روى بسنده عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي ص، قال: « لو أن دلوا من غساق يهراق إلى الدنيا لأنتن أهل الدنيا [1]».

وعن عبد الله بن عمرو ، أنه قال: « أتدرون أي شيء الغساق ؟ قالوا : الله أعلم، قال : هو القيح الغليظ ، لو أن قطرة منه تهراق بالمغرب ، لأنتن أهل المشرق ، ولو تهراق بالمشرق ، لأنتن أهل المغرب »[2].

ثم قال:«فإن قال قائل: فإنك قد قلت إن الغساق هو الزمهرير، والزمهرير: هو غاية البرد، فكيف يكون الزمهرير سائلا ؟ قيل : إن البرد الذي لا يستطاع ولا يطاق، يكون في صفة السائل من أجساد القوم بين القيح والصديد ».

الدراسة والتحليل:

بالرجوع إلى المعاجم اللغوية التي تناولت هذه المادة، نجد أنّها تطلق – في أصلها اللغوي على معنيين هما: الظلمة والسيلان.

قال ابن فارس: « (غسق) الغين والسين والقاف أصلٌ صحيح يدل على ظُلْمة.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٢٨ ، رقم ١١٢٤٧) ، والترمذي في سننه في كتاب صفة جهنم ، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار، رقم (٢٥٨٤) ، وقال : إنما نعرفه من حديث رشدين بن سعد ، وفى رشدين بن سعد مقال ، وقد تكلم فيه من قبل حفظه، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٦٤٤، رقم ٨٧٧٩) وقال: صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي ، وضعفه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/ ٢٣٤).

(٢) لم أجده إلا عند الطبري في جامع البيان (٢٠ / ١٣٠)، والله أعلم.

فالغَسَق: الظلمة. والغاسِق: الليل. ويقال: غَسَقت عينُه: أظلمت. وأغْسَقَ المؤذِّن، إذا أخَّر صلاةَ المغرب إلى غَسَق اللَّيل »[1].

وقال ابن سيده: « كلُّ ما سالَ فقد غَسِق ومنه غَسِقَتْ عينهُ غَسْقاً - دَمَعت وقال في قوله تعالى: ﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾﴾ يُقال غَسَاق وغَسَّاق - وهو ما يَسِيل من صَديد أهل النار»[2].

وقال الجوهري: « [غسق] الغسق: أول ظلمة الليل. وقد غسق الليل يغسق، أي أظلم. والغاسق: الليل إذا غاب الشفق. وقوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ قال الحسن: الليل إذا دخل، ويقال إنه القمر. وغسقت عينه غسقا: أظلمت. وغسق الجرح غسقانا، إذا سال منه ماء أصفر »[3].

وجاء في القاموس: « الغسق محركة : ظلمة أول الليل وشيء من قماش الطعام كالزؤان ونحوه . وغسقت عينه كضرب وسمع غسوقا وغسقانا محركة : أظلمت أو دمعت و الجرح غسقانا : سال منه ماء أصفر و السماء تغسق غسقا وغسقانا : أرشت، واللبن : انصب من الضرع و الليل غسقا ويحرك وغسقانا وأغسق : اشتدت ظلمته . والغسقان محركة : الانصباب »[4].

وقال ابن منظور: (غسق) غَسَقَتْ عينه تَغْسِقُ غَسْقاً وغَسَقاناً دمعت وقيل انصبَّت وقيل أَظلمت والغَسَقان الانصباب وغَسَق اللبنُ غَسْقاً انصب من الضَّرْع وغَسَقت السماء تَغْسِق غَسْقاً وغَسَقاناً انصبَّت .... وغَسَق الجرحُ غَسْقاً وغَسَقاناً أي سال منه ماء أَصفر وأَنشد شمر في الغاسق - بمعنى السائل -:

---

(١) مقاييس اللغة (٤ / ٤٢٥).

(٢) المخصص (١ / ٤٨٦).

(٣) الصحاح (٤ / ١٥٣٧).

(٤) القاموس المحيط (ص: ١١٨١).

أَبْكِي لفَقْدِهُم بعَينٍ ثَرَّة تَجْرِي مَسارِبُها بعينٍ غاسِق[1].

أي سائل وليس من الظلمة في شيء ...وغَسَقُ الليل ظلمته وقيل أَول ظلمته وقيل غَسَقُه إذا غاب الشِّفَقُ... والغَسَّاق ما يَغْسِقُ ويسيل من جلود أَهل النار وصديدهم من قيح ونحوه[2].

ولا خلاف بين المفسرين في كون قوله تعالى: ﴿ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾، وقوله: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ من المعنى الأول، أي الظلمة.

وإنما الخلاف في معنى (الغساق):

فإن أرجعته إلى الأصل اللغوي جعلته من السيلان، فيكون هو: ما يسيل من جلود أهل النار من الصديد، وهو الذي رجحه الطبري في سورة (ص)، وعليه اقتصر جمع من أهل اللغة والغريب والتفسير:

قال ابن فارس: « وأمّا الغَسَّاق الذي جاء في القرآن، فقال المفسِّرون: ما تقطَّرَ من جلود أهل النار »[3].

وقال أبو عبيدة: «﴿ وَغَسَّاقًا ﴾ وهو ما همى أي سال ويقال: قد غسقت من العين ومن الجرح ويقال: عينه تغسق أي تسيل »[4].

وقال الراغب الأصفهاني: « والغساق: ما يقطر من جلود أهل النار، قال: ﴿ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾[5].

---

(١) البيت لشمر كما في تهذيب اللغة (٨/ ٣١)، تاج العروس (٢٦/ ٢٥٠).

(٢) لسان العرب (١٠ / ٢٨٨).

(٣) مقاييس اللغة (٤ / ٤٢٥).

(٤) مجاز القرآن (٢ / ٢٨٢).

(٥) مفردات ألفاظ القرآن (٢ / ١٥٢)، وعلى هذا اقتصر مكي في تفسير المشكل (ص: ٣٠٢)، والسمين الحلبي في عمدة الحفاظ (٣/ ١٦٢)، ورجحه النحاس في معاني القرآن (٦/ ١٢٩).

=⇦

وفسره **غير واحد من أهل اللغة** بالبارد المنتن[1]، واقتصر بعضهم على أنه المنتن[2]، أو على أنه البارد فقط[3].

وحكى آخرون المعنيين دون ترجيح:

قال الفراء: « والغسّاق تشدّد سينه وتخفّف ... وذكروا أنّ الغسّاق بارد يحرق كإحراق الحميم. ويقال: إنه ما يغسق ويسيل من صديدهم وجلودهم »[4].

وقال ابن قتيبة: « (الْغَسَّاقُ): ما يَسيل من جلود أهل النار وهو الصديد. يقال: غَسَقتْ عينُه؛ إذا سالتْ، ويقال: هو البارد المُنْتِنُ » [5].

وقال السجستاني: « [غساقا] ما يغسق من صديد أهل النار ، أي يسيل. ويقال: غساق: بارد يحرق كما يحرق الحار »[6].

= واقتصر عليه من المفسرين: الزمخشري في الكشاف (٤٦٨٩)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٥/ ٣٩٩)، والبيضاوي في تفسيره (١ / ٥٢)، والثعالبي في الجواهر (٤ / ٤٣)، واختاره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٥ / ٢٢٢).

(١) الصحاح (٤ / ١٥٣٧)، والقاموس المحيط (ص: ١١٨١)، وفقه اللغة (ص: ٣٠٦).

(٢) انظر: كتاب العين (٤ / ٣٥٣)، وتهذيب اللغة (٨ / ٣١).

(٣) انظر: الكليات (١ / ١٠٧٠)، وتفسير ابن كثير (٧ / ٧٨).

(٤) معاني القرآن للفراء (٢ / ٤١٠).

(٥) غريب القرآن (ص: ٣٨١).

(٦) غريب القرآن (ص: ٣٥٢ - ٣٥٣)، ومثله في التبيان (ص: ٣٦١)، وانظر أيضاً: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٣٩)، وتذكرة الأريب في تفسير الغريب (٢/ ١٢١)، وتحفة الأريب (ص:٢٤٠)، ونفس الصباح (٢/ ٦٢٠)، وبهجة الأريب (ص: ٢٠٠).

الترجيح:

الذي يظهر لي – والعلم عند الله – هو أن جميع الأقوال المذكورة في تفسير (الغساق) محتمل، فالاختلاف فيها من قبيل اختلاف التنوع لا التضاد؛ فكلّ ذكر وصفاً من أوصاف الغساق، فلا يمنع أن يكون ما يسيل من جلودهم منتناً، شديد البرد.

قال النحاس : « وهذه الأقوال ليست بمتناقضة ؛ لأنه يكون ما يسيل من جلودهم منتناً شديد البرد »[1].

ولعل هذا ما أراده الإمام الطبري في تفسيره للكلمة في موضع سورة النبأ.

إذ قال: « **فإذا كان الغساق هو ما وصفت من الشيء السائل** ، فالواجب أن يقال: الذي وعد الله هؤلاء القوم ، وأخبر أنهم يذوقونه في الآخرة من الشراب، هو السائل من الزمهرير في جهنم ، الجامع مع شدة برده النتن.

فإن قال قائل : فإنك قد قلت: إن الغساق : هو الزمهرير ، والزمهرير : هو غاية البرد، فكيف يكون الزمهرير سائلا ؟ قيل : إن البرد الذي لا يستطاع ولا يطاق، يكون في صفة السائل من أجساد القوم بين القيح والصديد » [2].

(١) إعراب القرآن للنحاس (٥/ ١٣٢).

(٢) جامع البيان (٢٤ / ٣٢).

{ يصدون }

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧﴾ الزخرف: ٥٧

قال الإمام أبو جعفر الطبري:

ذكر الإمام الطبري في تفسير هذه المفردة القرآنية اختلاف القراء في قراءتها[1]:

١- فقرأته عامة قراء المدينة ، وجماعة من قراء الكوفة : (يصدون) بضم الصاد.

٢- وقرأ ذلك بعض قرأة الكوفة والبصرة {يصدون} بكسر الصاد.

ثم قال: « واختلف أهل العلم بكلام العرب في فرق ما بين ذلك إذا قرئ بضم الصاد ، وإذا قرئ بكسرها ، فقال بعض نحويي البصرة [2]، ووافقه عليه بعض الكوفيين [3]: هما لغتان بمعنى واحد ، مثل يَشُدُّ ويَشِدُّ ، وينم وينم من النميمة.

وقال آخر منهم[4] : من كسر الصاد فمجازها يضجون، ومن ضمها فمجازها: يعدلون، وقال بعضهم: من كسرها فإنه أراد يضجون، ومن ضمها فإنه أراد الصدود عن الحق.

ثم قال: « والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان ، ولغتان مشهورتان بمعنى واحد ، ولم نجد أهل التأويل فرقوا بين معنى ذلك إذا قرئ بالضم والكسر ، ولو كان مختلفا معناه ، لقد كان الاختلاف في تأويله بين أهله موجودا وجود اختلاف القراءة فيه باختلاف اللغتين ، ولكن لما لم يكن مختلف المعنى لم يختلفوا في أن تأويله : يضجون ويجزعون ، فبأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب ».

(١) جامع البيان (٢٠ / ٦٢٣).

(٢) يقصد به الأخفش.

(٣) يقصد به الفراء.

(٤) يقصد به أبا عبيدة.

ثم روى هذا المعنى عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي[1].

الدراسة والتحليل:

ذهب أكثر أصحاب المعاجم – عند تناولهم مادة (صدد) إلى التفريق بين المضارعين: فصَدَّ يَصِدُّ بكسر الصاد، شدة الضحك والضج، وصد يصُدّ بضمه العدول والإعراض[2].

قال ابن فارس: « (صد) الصاد والدال معظمُ بابِهِ يَؤولُ إلى إِعراضٍ وعُدول. فالصَّدُّ: الإعراض. يقال صَدَّ يصُدُّ، وهو مَيلٌ إلى أحد الجانبين. ثم تقول: صَدَدْتُ فلاناً عن الأمر، إِذا عَدَلْتَه عنه....

ومما هو صحيحٌ وليس من هذا الباب، قولهم : صَدَّ يَصِدُّ، وذلك إِذا ضَجَّ. وقرأ قومٌ: ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾ ، قالوا: يَضِجُّون »[3].

والقراءتان اللتان ذكرهما الطبري قراءتان عشريتان.

" **الأولى** : { يَصُدُّون } بضم الصاد ؛ قرأ بها نافع ، وابن عامر ، والكسائي وأبو جعفر ، وخلف .

" **الأخرى** : { يَصِدُّونَ } بكسر الصاد ؛ قرأ بها ابن كثير ، وأبو عمرو وعاصم ، وحمزة ، ويعقوب [4].

وللعلماء في توجيه هاتين القراءتين – كما ذكر الطبري – ثلاثة أقوال:

---

(١) جامع البيان (٢٠ / ٦٢٤- ٦٢٦).

(٢) انظر كتاب العين (٧ / ٨٠)، المحكم والمحيط الأعظم (٨ / ٢٦١).

(٣) مقاييس اللغة (٣ / ٢٨٢).

(٤) انظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ٥٨٧)؛ التيسير فى القراءات السبع (ص: ١٢٧)، والمبسوط (ص: ٣٩٩). تحبير التيسير (ص: ٥٤٩).

١- أنها لغتان، وهذا قول الأخفش[1]، والفراء[2]، ونسب إلى الكسائي[3]، واقتصر عليه أبو شامة[4]، واختاره السمين الحلبي[5].

قال الفراء: « العرب تقول : يصد ويصد مثل : يشد ويشد ، وينم وينم من النميم. يصدون منه وعنه سواء ».

٢- أن معنى (يصِدون) بالكسر : يضجون، و(يصُدون) بالضم: يعدلون.

وهذا قول أبي عبيدة، قال: « من كسر الصاد فمجازها يضجّون ومن ضمها فمجازها يعدلون »[6].

٣- أن معنى (يصِدون) بالكسر : يضجون، و(يصُدون) بالضم: الصدود عن الحق، أي: يعرضون.

وذكر هذا: أبو علي الفارسي، ومكي، والسمعاني،وابن الجوزي، وابن منظور[7].

وهذا القول قريب من القول الثاني، والظاهر أن العلماء لا يفرقون بينهما.

لذا جمعهما ابن قتيبة فقال: ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧﴾ يَضِجُّون ...ومن قرأ: (يَصُدُّونَ} ؛ أراد: يَعدلون ويُعرضون »[8].

---

(١) معاني القرآن للأخفش (٢ / ٤٧٤).

(٢) معاني القرآن للفراء (٣ / ٣٧).

(٣) انظر: معاني القرآن للنحاس (٦ / ٣٧٦)، والتفسير الكبير (٢٧/ ٢٢٢)، والبحر المحيط (٨/ ٢٥).

(٤) في إبراز المعاني من حرز الأماني – (٢ / ٤٠٦).

(٥) انظر: الدر المصون (٩/ ٦٠٠).

(٦) مجاز القرآن (٢ / ٢٠٥).

(٧) انظر: الحجة(٦/ ١٥٤)، الكشف (٢/ ٢٦٠) تفسير السمعاني (٥/ ١١١)، تذكرة الأريب (٢/ ١٤٦)، لسان العرب (٣ / ٢٤٥).

(٨) غريب القرآن (ص: ٤٠٠)، ومثله ذكر مكي في تفسير المشكل (ص: ٣١٠).

ونقل ابن دريد عن أبي عبيدة قوله لكن عبر بـ (يعرضون) بدل (يعدلون) [1].

واقتصر جمع من أصحاب الغريب على شرح المفردة : (يصِدون) (يضجون) [2] أو: (يصُدون): يعرضون[3] دون الإشارة إلى القراءتين.

الترجيح:

القولان وجيهان ، وقال بكل منهما علماء اللغة والقراءات، والثاني أرجحهما عندي لوجوه[4]:

١- أن ما روي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – من إنكار قراءة (يصُدون) بالصاد يدل على أنه يرى الفرق بين اللفظتين.

٢- أن في هذا القول توفيقاً بين أقوال السلف، فما روي عن ابن عباس وغيره من تفسيره ب (يضجون) يحمل على القراءة بالكسر، وما روي عن إبراهيم النخعي من تفسيره ب (يعرضون) [5] يحمل على القراءة بالضم.

فتكون كل قراءة من القراءتين محمولة على تأويل معيّن، وقد تقرر عند العلماء أن تعدد القراءات بمنزلة تعدد الآيات[6].

٣- أن التأسيس يقدم على التأكيد في الجمع بين القراءتين.

---

(١) جمهرة اللغة (١ / ١١١).

(٢) انظر: غريب القرآن للسجستاني (ص: ٥٢٤)، والتبيان في تفسير غريب القرآن (ص: ٣٧٤)،بهجة الأريب (ص: ٢٠٨) تحفة الأريب (ص: ٦٨).

(٣) انظر: نفس الصباح (٢/ ٦٤٤).

(٤) انظر: أقوال الفراء وموقف الطبري منها في تفسيره (٣/ ١٠٠٤).

(٥) ذكر ذلك عنه النحاس في معاني القرآن (٦ / ٣٧٦).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٩١)، البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٢٦)، الإتقان في علوم القرآن (١/ ٢٢٧)، قواعد التفسير (١/ ٨٨).

{ الأحقاف }

قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٢١﴾ ﴾ الأحقاف: ٢١

في هذه الكلمة الغريبة يقول الإمام الطبري: « والأحقاف: جمع حقف وهو من الرمل ما استطال ، ولم يبلغ أن يكون جبلا ، وإياه عنى الأعشى :

فَبَاتَ إِلَى أَرْطَاةِ حِقْفٍ تَلُفُّهُ   خَرِيقُ شَمَالٍ يَتْرُكُ الْوَجْهَ أَقْتَمَا[1].

ثم ذكر اختلاف أهل التأويل في الموضع الذي به هذه الأحقاف:

١- فقال بعضهم : هي جبل بالشام.

وروى ذلك ابن عباس، والضحاك.

٢- وقال آخرون : بل هي واد بين عمان ومهرة.

وروى ذلك ابن عباس أيضاً، وابن إسحاق.

٣- وقال آخرون : هي أرض. وذلك مروي عن مجاهد.

٤- وقال آخرون : هي رمال مشرفة على البحر بالشحر، وروى ذلك عن قتادة.

ثم قال – رحمه الله – : « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تبارك وتعالى أخبر أن عادا أنذرهم أخوهم هود بالأحقاف ، والأحقاف ما وصفت من الرمال المستطيلة المشرفة ، كما قال العجاج :

---

(١) جامع البيان (٢١ / ١٥٠)، والبيت لأعشى – كما نسبه الطبري –، وهو في ديوانه (ص: ٢٩٥).

بَاتَ إِلَى أَرْطَاةِ حِقْفٍ أَحْقَفَا[1]

ثم روى عن ابن زيد ، في قوله: ﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ ﴾ قال : الأحقاف: الرمل الذي يكون كهيئة الجبل تدعوه العرب الحقف ، ولا يكون أحقافا إلا من الرمل، قال: وأخو عاد هود.

وجائز أن يكون ذلك جبلا بالشأم وجائز أن يكون واديا بين عمان وحضرموت، وجائز أن يكون الشحر وليس في العلم به أداء فرض، ولا في الجهل به تضييع واجب، وأين كان فصفته ما وصفنا من أنهم كانوا قوما منازلهم الرمال المستعلية المستطيلة[2].

الدراسة والتحليل:

ما ذكره الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – من المعنى اللغوي لكلمة (الأحقاف) محل اتفاق بين علماء اللغة، ولم أجد بينهم خلافاً فيه.

فأصل هذه مادة (حقف) تدلُّ على مَيَل الشيء وعِوَجه: يقال احقوقَف الشيءُ، إذا مال، فهو مُحْقَوْقِفٌ وحَاقِفٌ، ولهذا قيل للرَّمل المنحني حِقْف، أي معوج مستطيل، والجمع أحقاف، وحُقوف[3].

أما الموضع الذي به هذه الأحقاف، فقد حكى كثير من أهل اللغة والتفسير الأقوال التي حكاها الإمام الطبري.

فحكى غير واحد أنّ الأحقاف: جبل مُحيطٌ بالدنيا مِن زَبَرْجَدَةٍ خضراء ، تلتَهِبُ يوم القيامة فَتَحْشُرُ الناس من كلِّ أُفُق [4]، قال الأزهري: "هذا الجبلُ الذي وصفه يقال

(١) جامع البيان (٢١/ ١٥٠)، وشطر الرجز نسبه الطبري – وقبله أبو عبيدة كما سيأتي– للعجاج ولم أقف عليه في ديوانه، ونسبه ابن فارس في المقاييس (٤/ ٤١)، إلى رؤبة، وشطره عنده: متَّخِذاً منها إياداً هَدَفا .

(٢) جامع البيان – (٢١ / ١٥٣)

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٢/ ٩٠)، والصحاح (٤/ ١٣٤٥)، وتهذيب اللغة (٤/ ٤٣)، ولسان العرب (٩/ ٥٢).

(٤) المحكم والمحيط الأعظم – (٣ / ١٨).

له قَافٌ، وأما الأحقاف فهي رمال بظاهر بلاد اليمن ، كانت عادٌ تنْزِل بها [1]".

أما أكثر أهل الغريب فاقتصروا على المعنى اللغوي لكلمة (الأحقاف)، ولم يتطرقوا لموضع هذه الأحقاف:

قال الفراء: « أحقاف الرمل ، واحدها : حقف ، والحقف : الرملة المستطيلة المرتفعة إلى فوق »[2].

وقال أبو عبيدة: «﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ أحقاف الرّمال قال العجّاج :

بَاتَ إِلَى أَرْطَاةِ حِقْفٍ أَحْقَفَا

وإنما حقفه اعوجاجه »[3].

وقال ابن قتيبة: « ﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ واحدها: "حِقْف" وهو من الرمل ما أشرَفَ من كُثْبانه واستطال وانحنَى »[4] .

واقتصر على مثل هذا جمع من أهل الغريب [5].

أما أكثر المفسرين فحكوا الأقوال التي ذكرها الإمام الطبري، ومجمل الأقوال الواردة فيها خمسة، هي [6] :

---

(١) تهذيب اللغة (٤ / ٤٣).

(٢) معاني القرآن للفراء - (٣/ ٥٤).

(٣)مجاز القرآن (٢ / ٢١٣).

(٤) غريب القرآن (ص: ٤٠٧).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٤٤٤)، وغريب الحديث لابن قتيبة (ص: ٥٥١)، وغريب القرآن للسجستاني (ص: ٧٨)، ومعاني القرآن للنحاس (٦/ ٤٥٢)، وغريب الحديث لأبي عبيد ابن سلام (٢/ ١٨٨)، وتفسير المشكل لمكي (ص: ٣١٥)، مفردات ألفاظ القرآن (١/ ٢٥١)، ونفس الصباح (٢/ ٦٥١)، وبهجة الأريب (ص: ٢١١)، وتحفة الأريب (ص: ٢٦).

(٦) انظر: الكشف والبيان (٩/ ١٦)، والنكت والعيون (٥/ ٢٨٢)، التفسير الكبير (٢٨/ ٢٤)، وزاد المسير (٧/ ٣٨٣ =

١- أن الأحقاف رمال مشرفة على البحر بأرض يقال لها الشحر.

٢- أن الأحقاف أرض من حسمي تسمى الأحقاف ، قاله مجاهد .

٣- أنه جبل بالشام يسمى الأحقاف ، قاله الضحاك .

٤- هو ما بين عمان وحضرموت ، قاله ابن إسحاق .

٥- هو واد بين عُمان ومهرة ، قاله ابن عباس .

الترجيح:

رجح الإمام الطبري أن يكون كل ما ذكر في تعيين موضع الأحقاف محتملاً وجائزاً، لكن لا طائل تحت معرفته وتعيينه.

ولا شك أن هذا هو القول الحق، والنهج الصحيح؛ فإن هذا من تعيين المبهمات التي لا طائل تحت تعيينها وبيانها، فالله أخبر أن عاداً كانوا بالأحقاف، وقد علمنا معنى الأحقاف باللغة العربية، فلا فائدة بعد في تحديد موضع هذه الأحقاف، ولو كان في تعيينها فائدة لبينها الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم.

والقاعدة في مثل هذا: أنه لا يصح حمل الآية على تفسيرات وتفصيلات لأمور مغيبة لا دليل عليها من القرآن والسنة [1].

أقول هذا وإن كنت أشير إلى أن أكثر العلماء على أن الأحقاف كانت في اليمن لأنها منازل عاد، وليست جبلاً في الشام، ولا تناقض بين بقية الأقوال في ذلك بل يمكن حمل الآية عليها؛ فالأحقاف: الرمل العظيم المستطيل ، وهي منازل عاد وكانت مشرفة على البحر بين عمان وعدن، وفي منتهاها أرض حضرموت[2].

= - ٣٨٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٢٠٤)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٢٨٥)، وتفسير الخازن (٦/ ١٦٤).

(١) انظر: قواعد الترجيح (١/ ٢٢٥)، ومختصره (ص: ٨٨).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٢٦ / ٤٥).

لذا قال ياقوت الحموي[1]: « والأحقاف المذكور في الكتاب العزيز واد بين عمان وأرض مهرة عن ابن عباس قال ابن إسحاق الأحقاف رمل فيما بين عمان إلى حضرموت وقال قتادة الأحقاف رمال مشرفة على البحر بالشحر من أرض اليمن وهذه ثلاثة أقوال غير مختلفة في المعنى »[2].

---

(١) هو ياقوت الرومي الحموي البغدادي، التاجر، شهاب الدين، الأديب الإخباري، صاحب التصانيف الأدبية في التاريخ والأنساب، والبلدان، توفي سنة (٦٢٦هـ)، انظر: العبر للذهبي (٥/ ١٠٦)، وشذرات الذهب (٥/ ١٢١ – ١٢٢).

(٢) معجم البلدان (١ / ١١٥)، وانظر: الروض المعطار في خبر الأقطار (١/ ١٤ – ١٥).

ولتحديد موضع الأحقاف في الجغرافيا الحالي يقال: هي المنطقة الواقعة بين عمان من جهة الشمال وحضرموت من جهة الجنوب و بحر العرب من جهة الشرق و صحراء الربع الخالي من جهة الغرب ، و هي حاليا تتضمن الأجزاء الشرقية من حضرموت و محافظة المهرة و محافظة ظفار. انظر: أطلس القرآن لشوقي أبو خليل (ص: ٢٩)، وأطلس تاريخ الأنبياء والرسل لسامي المغلوث (ص: ٩٢).

{ سجر }

وردت هذه المادة في القرآن في ثلاث مواضع هي:

١- قوله تعالى: ﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ ﴾ الطور: ٦

٢- وقوله: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ ﴾ التكوير: ٦

وقوله: ﴿ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ غافر: ٧٢.

وقد تناول الإمام الطبري – رحمه الله – الكلمة في جميع مواردها بالدراسة على النحو التالي:

* **في قوله تعالى:** ﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ ﴾ **ذكر** اختلاف أهل التأويل في معنى المسجور[1]:

١- فقال بعضهم: المسجور: الموقد. روى ذلك عن علي بن أبي طالب، ومجاهد، وابن زيد.

٢- وقال آخرون : المسجور : المملوء، وهذا قول قتادة.

٣- وقال آخرون : بل المسجور : الذي قد ذهب ماؤه. وهذا مروي عن ابن عباس.

٤- وقال آخرون : المسجور : المحبوس. وهذا مروي أيضاً عن ابن عباس.

ثم قال – رحمه الله -: « وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال : معناه : والبحر المملوء المجموع ماؤه بعضه في بعض ، وذلك أن الأغلب من معاني السجر : الإيقاد ، كما يقال : سجرت التنور ، بمعنى : أوقدت ، أو الامتلاء على ما وصفت ، كما قال لبيد :

---

(١) جامع البيان – (٢١ / ٥٦٧ – ٥٧٠)

فَتَوَسَّطا عُرْضَ السَّريّ وَصَدَّعا   مَسْجُورَةٌ مُتَجاوِرًا قُلامُها[1]

وكما قال النمر بن تولب العكلي :

إِذَا شَاءَ طَالَعَ مَسْجُورَةً تَرَى   حَالَهَا النَّبْعَ وَالسَّاسَمَا

سَقَتْهَا رَوَاعِدُ مِنْ صَيْفٍ   وَإِنْ مِنْ خَرِيفٍ فَلَنْ يُعْدَمَا[2]

فإذا كان ذلك الأغلب من معاني السجر ، وكان البحر غير موقد اليوم ، وكان الله تعالى ذكره قد وصفه بأنه مسجور ، فبطل عنه إحدى الصفتين ، وهو الإيقاد صحت الصفة الأخرى التي هي له اليوم ، وهو الامتلاء ، لأنه كل وقت ممتلئ ».

* **وفي قوله تعالى:** ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ ﴾

حكى اختلاف أهل التأويل من السلف فيه [3].

١- فعن علي، وأبي بن كعب، وابن عباس، وابن زيد، وسفيان، أن معنى ذلك : وإذا البحار اشتعلت نارا وحميت.

٢- وعن ربيع بن خثيم، والكلبي، والضحاك، أن معناه: فاضت وملئت.

٣- وعن قتادة، والحسن، أنّ معناه: ذهب ماؤها ويبست.

ثم قال – رحمه الله -: « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : ملئت حتى فاضت ، فانفجرت وسالت كما وصفها الله به في الموضع الآخر ، فقال: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ ﴾. والعرب تقول للنهر أو للركي المملوء : ماء مسجور ؛ ومنه قول لبيد :

فَتَوَسَّطا عُرْضَ السَّرِيّ وَصَدَّعا   مَسْجُورَةً مُتَجاوِرًا قُلامُها

ويعني بالمسجورة : المملوءة ماء.

---

(١) البيت للبيد بن ربيعة– كما نسبه الطبري –، وهو في ديوانه (ص: ١٧٠).

(٢) البيتان للنمر بن تولب العكلي – كما نسبه الطبري –، انظر: خزانة الأدب الكبرى للبغدادي (٤/ ٤٣٤ – ٤٢).

(٣) جامع البيان (٢٤ / ١٣٧ - ١٤٠).

* أما في قوله: ﴿ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ فقال – رحمه الله – : « ثم هم في نار جهنم يحرقون، يقول : تسجر بهم جهنم : أي توقد بهم ».

ونقل مثل ذلك عن أهل التأويل، ولم يورد فيه خلافاً[1].

التحليل والدراسة:

بالرجوع إلى مصادر اللغة العربية نجد أن مادة (سجر) تطلق في الأغلب على معنيين هما: المَلء، والإيقاد[2].

فأمّا الملء: فيقال: سَجَرَه يَسْجُرُه سَجْراً وسُجوراً وسَجَّرَه ملأَه وسَجَرْتُ النهَرَ ملأْتُه ، وكل شيء ملأته من شيء فقد سَجَرْتَه[3].

وأمَّا الإيقاد فقولهم: سجرت التَّنُّور أَسجره سجراً، إذا أوقدتَه، والسجور الحطب وما يُسجَرُ به التَّنُّور[4].

وقد ذكر فيه معنى آخر، وهو المخالطة[5]، ولم يحكه كثيرون، كما حكى بعضهم أنه يطلق على الفراغ [6] وهو ضد المملوء، فتكون الكلمة من الأضداد[7].

وقد فسرت الآيتان الأوليان بهذه المعاني كلها – كما سبق في كلام الطبري –.

---

(١) جامع البيان (٢٠ / ٣٦٤).

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٣/ ١٣٤).

(٣) انظر: جمهرة اللغة (١/ ٢٢٤)، المحكم والمحيط الأعظم (٧/ ٢٦٥)، لسان العرب (٤/ ٣٤٥).

(٤) انظر : العين (٦/ ٥٠)، والمحيط في اللغة (٧/ ٨).

(٥) انظر: مقاييس اللغة (٣/ ١٣٥).

(٦) انظر: جمهرة اللغة (١ / ٢٢٤) والمحكم والمحيط الأعظم (٧/ ٢٦٦)، والمخصص (٤/ ١٧٨)، وتاج العروس (١١/ ٥٠٤).

(٧) انظر: أضداد أبي حاتم (ص: ٢٠٧ – ٢٠٨)، وأضداد ابن السكيت (ص: ٦٥)، وأضداد الأنباري (ص: ٥٤ – ٥٥).

واقتصر أكثر أهل الغريب على تفسيره بالمملوء في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴾.

قال الفراء: « ﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴾ ، كان علي بن أبي طالب رحمه الله يقول : مسجور بالنار ، والمسجور في كلام العرب : المملوء »[1].

قال أبو عبيدة: « ﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴾ بعضه في بعض من الماء قال النّمر بن تولب :

إِذَا شَاءَ طَالَعَ مَسْجُورَةً تَرَى ... حَالَهَا النَّبْعَ وَالسَّاسَمَا[2]

وقال ابن قتيبة: ﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴾ المملوء. واستشهد بالبيت السابق[3].

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ ﴾ فسرها أكثرهم بمعنى الملء.

قال الفراء: « وقوله عز وجل : ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ ﴾: أفضى بعضها إلى بعض؛ فصارت بحرا واحدا »[4].

وقال ابن قتيبة: « ﴿ سُجِّرَتْ ﴾ مُلِئَتْ. يقال: يُفضي بعضُها إلى بعض، فتصيرُ شيئًا واحدًا »[5].

وقال ابن الجوزي: « ﴿ سُجِّرَتْ ﴾ ملئت بأن صارت بحرا واحدا »[6].

وحكى بعضهم في هذا المعنيين:

---

(١) معاني القرآن للفراء – (٣/ ٩١)، ومثله ذكر الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٦٢).

(٢) مجاز القرآن (٢ / ٢٣٠).

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة – (١ / ٤٢٣).

واقتصر على هذا المعنى أيضاً: السجستاني في غريب القرآن (ص: ١٢٧)، واليزيدي في غريبه (ص: ٣٥٠)، وابن الجوزي في تذكرة الأريب (٢ / ١٨٢)، وابن الهائم المصري في التبيان (ص: ٣٩٢)، وأبو جعفر الخزرجي في نفس الصباح (٢/ ٦٧٠) ، والتركماني في بهجة الأريب (ص:٢٠٠) ، وأبو حيان في تحفة الأريب (ص: ٥٣) والسمين الحلبي في عمدة الحفاظ (٧/ ٨).

(٤) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٣٩).

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٥١٦).

(٦) تذكرة الأريب (٢/ ٢٧٣).

قال السجستاني: « ﴿سُجِّرَتْ﴾: ملئت ونفذ بعضها إلى بعض فصار بحرا واحدا مملوءا، كما قال جل وعز: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣﴾ الانفطار: ٣ يعني فجر بعضها إلى بعض، أي فتح. ويقال: معنى سجرت أنه يقذف بالكواكب فيها، ثم تضرم فتصير نيرانا»(١).

أما أهل التفسير فقد حكى كثير منهم الأقوال التي ذكرها الطبري(٢)، واختار بعضهم بعض الأقوال.

فاختار ابن القيم، والشوكاني، والألوسي تفسير (المسجور) بالموقد(٣).

ومال ابن عطية والقاسمي إلى ما رجحه الطبري(٤).

الترجيح:

سبق أن الطبري رجح تفسير (المسجور) بالمملوء، واحتج على ذلك بأنه الأغلب من معاني السجر، إضافة إلى أن الله أخبر أن البحر مسجور، والبحر غير موقد ناراً اليوم، فبطل وصفه بذلك، ولا مانع من وصفه بالامتلاء؛ لأنه كل وقت ممتلئ.

فالآية في بيان حاله في الدنيا لا يوم القيامة، وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ فهي لبيان حال البحر يوم القيامة، وعليه فيصح أن يكون المراد بـ﴿ٱلْمَسْجُورِ﴾ هنا الموقد ناراً.

والذي يظهر لي - والله أعلم - أن الأقوال الواردة في معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ صحيحة ومحتملة؛ فكلها معان قد ذكرها أهل التفسير، وفي اللغة ما يشهد لها - كما سبق في قول أئمة اللغة -، ولا مانع من إجراء هذه المعاني كلها عليه.

قال السمعاني - في تفسير ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ -: « ويجوز أن يجمع بين هذه

---

(١) غريب القرآن (ص: ٢٧٨)، وانظر مثله في التبيان (ص: ٤٥١)، و الكليات (١ / ٨٢٣).

(٢) انظر: الكشف والبيان (١٠ / ١٣٨)، و الكشاف (٤ / ٧٠٨)، والنكت والعيون (٥ / ٣٧٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٧ / ٦١)، تفسير ابن كثير (٧/ ٤٢٩- ٤٣٠).

(٣)(٢) انظر: التبيان في أقسام القرآن (ص: ١٦٨)، وفتح القدير (٥/ ١٢٥)، وروح المعاني (٢٧/ ٢٨).

(٤) انظر: المحرر (٥/ ١٨٦).

الأقاويل فيقال إن البحار يدخل بعضها في بعض فتصير بحراً واحداً ، ثم يفيض وييبس ، ثم يملأ ناراً »[1].

وقال ابن جزي الكلبي: « ومعنى المسجور: المملوء ماء، وقيل: الفارغ من الماء، ويروى أن البحار يذهب ماؤها يوم القيامة، واللغة تقتضي الوجهين؛ لأن اللفظ من الأضداد، وقيل: معناه: الموقد ناراً؛ من قولك: سجرت التنور، واللغة أيضاً تقتضي هذا »[2].

إلا أن تفسيره بالمملوء والإيقاد أولى من الأقوال الأخرى، فشواهدهما أقوى، ومن قال بهما أكثر.

وهما متلازمان: قال الفراء – عن تفسيره بالإيقاد -: « وهذا يرجع إلى القول الأول ، لأنك تقول : سجرت التنور إذا ملأته حطباً »[3].

وقال ابن القيم: « ومن قال : يبست وذهب ماؤها ، فلا يناقض كونها ناراً موقدة ، وكذا من قال : ملئت ، فإنها تملأ ناراً ».

وإذا اعتبرت أسلوب القرآن ونظمه ومفرداته رأيت اللفظة تدل على ذلك كله : فإن البحر محبوس بقدرة الله ، ومملوء ماء ، ويذهب ماؤه يوم القيامة ويصير ناراً ، فكل من المفسرين أخذ معنى من هذه المعاني . والله أعلم[4].



(١) تفسير السمعاني (٦/ ١٦٦)، ونقل مثل هذا الزبيدي في تاج العروس (١١ / ٥٠٥)، ثم قال: " قال شيخنا : وهذا مبني على جواز استعمال المشترك في معانيه ، وهو مذهب الجمهور".

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٧١).

(٣) وانظر مثله في المحرر الوجيز (٦ / ٢١١).

(٤) التبيان في أقسام القرآن (ص: ١٦٩).

{ المرجان }

قال الله تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ ﴾ الرحمن: ٢٢

في هذه الكلمة القرآنية ذكر الإمام الطبري اختلاف أهل التأويل من السلف في صفة اللؤلؤ والمرجان[1]:

١- فقال بعضهم: اللؤلؤ: ما عظم من الدر، والمرجان: ما صغر منها.

وروى ذلك عن علي بن أبي طالب، وابن عباس، وقتادة، والضحاك، وابن زيد.

٢- وقال آخرون: المرجان من اللؤلؤ: الكبار، واللؤلؤ منها: الصغار.

وأخرج ذلك عن ابن عباس – أيضاً، ومجاهد، ومرة.

٣- وقال آخرون: المرجان: جيد اللؤلؤ. وهو مروي عن مرة أيضاً.

٤- وقال آخرون: المرجان: حجر. وهو قول ابن مسعود.

ثم قال الإمام أبو جعفر الطبري[2]: « والصواب من القول في اللؤلؤ، أنه هو الذي عرفه الناس مما يخرج من أصداف البحر من الحب؛ وأما المرجان، فإني رأيت أهل المعرفة بكلام العرب لا يدافعون أنه جمع مرجانة، وأنه الصغار من اللؤلؤ، قد ذكرنا ما فيه من الاختلاف بين متقدمي أهل العلم، والله أعلم بصواب ذلك.

ثم قال: « وقد زعم بعض أهل العربية[3] أن اللؤلؤ والمرجان يخرج من أحد البحرين، ولكن قيل: يخرج منهما، كما يقال أكلت: خبزا ولبنا، وكما قيل:

(١) جامع البيان (٢٢/ ٢٠٤ - ٢٠٧).

(٢) جامع البيان (٢٢/ ٢٠٨)

(٣) يقصد بهذا أبا عبيدة معمر بن المثنى، كما في مجاز القرآن (٢/ ٢٤٤).

وَرَأَيْتِ زَوْجَكِ فِي الْوَغَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحَا [1]

وليس ذلك كما ذهب إليه ، بل ذلك كما وصفت من قبل من أن ذلك يخرج من أصداف البحر ، عن قطر السماء ، فلذلك قيل: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ ﴾ يعني به البحرين».

الدراسة والتحليل:

ذهب جمهور علماء اللغة – كما أشار إليه الطبري – إلى أن المرجان صغار اللؤلؤ، ولم أجد بينهم خلافاً في ذلك[2].

قال الأزهري: " والْـمَرجان : صغارُ اللُّؤْلُؤْ في قولهم جميعاً "[3].

وعلى هذا اقتصر جمهور أهل الغريب[4].

أما أهل التفسير فقد حكى كثير منهم الأقوال التي ذكرها الطبري هنا[5].

وقد توقف الطبري عن الترجيح، مع عدم وجود خلاف بين أهل اللغة في معناه، لوجود الخلاف بين السلف فيه.

وهذا يدل على شدة حرصه على تفسير السلف؛ لكونهم أهل اللسان الأول،

---

(١) استشهد الطبري بهذا البيت في مواضع عديدة في كتابه، وهو بيت مشهور، حتى قال الشيخ محمود شاكر: «وهو بيت مستشهد به في كل كتاب »، وهو منسوب لعبد الله بن الزبعري، كما في الكامل (ص: ١٨٣)، والخصائص (٢/ ٤٣١).

(٢) انظر: الصحاح في اللغة (٢/ ١٦٥)، والمحكم والمحيط الأعظم (٧/ ٤٢٣)، والمخصص (١/ ٣٧٤)، والقاموس المحيط (ص: ٢٦٣)، والمصباح المنير (٨٤٢١)، ولسان العرب (٢/ ٣٦٤)، وتاج العروس (٦/ ٢١٠).

(٣) تهذيب اللغة (١١ / ٥١).

(٤) انظر: مجاز القرآن (٢ / ٢٤٤)، معاني القرآن للفراء (٣ / ١١٥)، غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٤٣٨)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ١٠٠)، غريب القرآن للسجستاني (ص: ٤٢٦)، وتفسير المشكل (ص: ٣٣٣) ونفس الصباح (٢/ ٦٨٦– ٧٨٧) ، وبهجة الأريب (ص: ٢٢٦)، والتبيان في تفسير غريب القرآن (ص: ٤٠٢).

(٥) انظر: النكت والعيون (٥ / ٤٣٠)، زاد المسير (٨ / ١١٣)، تفسير ابن كثير (٧ / ٤٩٣).

وعدم وجود قرائن ترجح أحد الأقوال.

أما ما نقله الطبري عن أبي عبيدة من أن اللؤلؤ والمرجان يخرج من أحد البحرين، وهو المالح، فهو قول كثير من أهل اللغة.

فقد ذكره الفراء في مواضع عديدة في كتابه[1]، وجمع من علماء اللغة وغيرهم[2].

قال الزجاج: « وقال: يخرج منهما، وإنما يخرج من البحر المالح؛ لأنه قد ذكرهما وجمعهما، فإذا خرج من أحدهما فقد خرج منهما، ومثل ذلك قوله عز وجلّ: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾ نوح: ١٥ - ١٦ ، والشمس في السماء الدنيا إلا أنه لما أجمل ذكر السبع كان ما في إحداهن فيهن »[3].

وقد ردّ الطبري هذا القول – مع أنه قول جماهير العلماء من أهل اللغة والتفسير وغيرهم.

وقد وافق الطبريَّ على ردّ هذا القول غيرُ واحد من المحققين.

فقد ردّه أبو جعفر النحاس في مواضع عديدة من كتابه إعراب القرآن.

فقال – بعد أن حكاه -: « وفي هذا من البعد ما لا خفاء به على ذي فهم أن يكون منهما من أحدهما »[4].

---

(١) معاني القرآن (١ / ١٤٧)، (٢ / ١٥٤، ٢٦٣)، (٣ / ٢٤، ١١٥).

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن (١/ ١٧٥)، ومشكل إعراب القرآن لمكي (٢/ ٧٠٥)، والصاحبي في فقه اللغة (١/ ٥٥)، وأحكام القرآن للجصاص (٥/ ٢٩٩)، والجامع لأحكام القرآن (١٧/ ١٤٢)، وتذكرة الأريب (١/ ١٩٦)، وأوضح المسالك (٣/ ٣٢٩)، والمزهر في علوم اللغة (١/ ٢٦٤)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٢٣٤)، والبرهان في علوم القرآن (٤/ ٣٢)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٤٩٣)، والكليات (ص: ٨٩٧، ٩٠٠، ١٠٢٩)، والإتقان في علوم القرآن (٢/ ١٠٤)، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري (٣/ ٣٨٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ١٠٠).

(٤) إعراب القرآن (٤ / ٣٠٧).

وقال –في موضع آخر -: « وهذا مما لا ينبغي أن يجترأ به على كتاب الله جل وعز[1]".

وقال في موضع آخر: « والذي قاله لا يعرف في تفسير ولا لغة ولا معقول أي يخبر عن اثنين بخبر واحد »[2].

وأيّد هذا أيضاً الفخر الرازي فقال: « ظاهر كلام الله تعالى أولى بالاعتبار من كلام بعض الناس الذي لا يوثق بقوله ومن علم أن اللؤلؤ لا يخرج من الماء العذب وهب أن الغواصين ما أخرجوه إلا من المالح وما وجدوه إلا فيه لكن لا يلزم من هذا أن لا يوجد في الغير سلمنا لم قلتم أن الصدف يخرج بأمر الله من الماء العذب إلى الماء المالح وكيف يمكن الجزم والأمور الأرضية الظاهرة خفيت عن التجار الذين قطعوا المفاوز وداروا البلاد فكيف لا يخفى أمر ما في قعر البحر عليهم » [3].

وانتصر لهذا القول أيضاً الشيخ الشنقيطي فقال: « اعلم أن جماعة من أهل العلم قالوا : إن المراد بقوله في هذه الآية ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ﴾ أي من مجموعهما الصادق بالبحر الملح ، وأن الآية من إطلاق المجموع وإرادة بعضه ، وأن اللؤلؤ والمرجان لا يخرجان من البحر الملح وحده دون العذب .

وهذا القول الذي قالوه في هذه الآية مع كثرتهم وجلالتهم لا شك في بطلانه ، لأن الله صرح بنقيضه في سورة فاطر ، ولا شك أن كل ما ناقض القرآن فهو باطل ، وذلك في قوله : ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ فاطر: ١٢ فالتنوين في قوله : ﴿وَمِن كُلٍّ﴾ تنوين عوض أي من كل واحد من العذب والملح تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها

---

(١) إعراب القرآن (٣/ ١٦١).

(٢) إعراب القرآن (٤/ ٨٢)، وانظر أيضاً: إعراب القرآن (٤/ ٣٠٧).

(٣) التفسير الكبير (٢٩/ ٩٠).

وهي اللؤلؤ والمرجان وهذا مما لا نزاع فيه »[1].

وهذا القول هو الذي أميل إليه – وإن كان مخالفاً لقول جمهور العلماء لأمرين:

الأول: مخالفته الصريحة لآية سورة فاطر.

الثاني: أن الأصل إجراء الكلام على ظاهره، دون الذهاب إلى التقدير.

قال الشيخ العثيمين – رحمه الله – بعد حكاية الأقوال فيه -: « نأخذ بما يوافق ظاهر القرآن، فالله – عز وجل – يقول: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ﴾ وهو خالقهما وهو يعلم ماذا يخرج منهما، فإذا كانت الآية ظاهرها أن اللؤلؤ يخرج منهما جميعاً وجب الأخذ بظاهرها، لكن لا شك أن اللؤلؤ من الماء المالح أكثر وأطيب، لكن لا يمنع أن نقول بظاهر الآية، بل يتعين أن نقول بظاهر الآية، وهذه قاعدة في القرآن والسنة: إننا نحمل الشيء على ظاهره، ولا نؤول، اللهم إلا لضرورة، فإذا كان هناك ضرورة، فلابد أن نتمشى على ما تقتضيه الضرورة، أما بغير ضرورة فيجب أن نحمل القرآن والسنة على ظاهرهما »[2].

---

(١) أضواء البيان (٧/ ٧٤٨).

(٢) تفسير القرآن الكريم للعثيمين (من سورة الحجرات إلى سورة الحديد) (ص: ٣٠٧-٣٠٨).

{ طلح }

قال الله تعالى: ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ الواقعة: ٢٩

في هذه الكلمة القرآنية الغريبة نقل الإمام أبو جعفر الطبري – رحمه الله – عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قوله: هو عند العرب شجر عظام كثير الشوك، وأنشد لبعض الحداة:

بَشَّرَها دَلِيلُها وَقالا   غَدًا تَرَيْنَ الطَّلْحَ والحبالا [1]

ثم قال: « وأما أهل التأويل من الصحابة والتابعين فإنهم يقولون: إنه الموز »[2].

ثم ساق بأسانيده الروايات عن الصحابة والتابعين تفسيرهم له بالموز ومنهم : علي بن أبي طالب، وابن عباس، ومجاهد، وعطاء، وقتادة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ونقل عنه أن أهل اليمن يسمون الموز بالطلح " [3].

الدراسة والتحليل:

بالرجوع إلى معاجم اللغة العربية نجد أن المعروف في لغة العرب هو أن الطلح: شجر من شجر العضاه واحده طلحة، وهو من شجر الحجاز واليمن ، ينبت في بطون الأودية ، شديد الطول ، غليظ الساق، من أصلب شجر العَضاه عُوداً ، وأغصانه طوال عظام شديدة الارتفاع في الجو ، ولها شوك كثير قليلة الورق شديدة الخضرة ، كثيرة الظل من التفاف أغصانها، وصمغها جيد ، وشوكها أقل الشوك أذى ، ولها نور طيب الرائحة ، وتسمى هذه الشجرة أم غيلان [4].

---

(١) لم أقف على من نسبه وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (٢ / ٢٥٠).

(٢) جامع البيان (٢٢ / ٣١٠)

(٣) جامع البيان (٢٢ / ٣١٠ – ٣١٢).

(٤) انظر: كتاب العين (٣/ ١٦٩)، والمحيط في اللغة (٣/ ٢٢)، والصحاح (١/ ٣٨٧)، وجمهرة اللغة (١/ ٢٨٣)، القاموس المحيط (ص: ٢٩٦) تهذيب اللغة (٤ / ٢٢٢).

أما جمهور السلف فقد فسروه – كما سبق في كلام الطبري – بالموز.

واختلف منهج أهل اللغة في التوافق بين هذا التفسير وبين المعنى اللغوي.

فنحى بعضهم - كأبي عبيدة – منحى تضعيف قول السلف بمجرد عدم معرفته بأن من معاني الطلح عند العرب الموز.

فقال: « ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴾ زعم المفسرون أنه الموز، وأما العرب الطلح عندهم شجر عظيم كثير الشوك ، وقال الحادي :

بَشَّرَها دَلِيلُها وَقالا   غَدًا تَرَيْنَ الطَّلْحَ والحبالا »[1]

وانتهج مثل هذا المنهج ابن سيده حيث يقول: « وقوله تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾: فسر بأنه الموز وهذا غير معروف في اللغة »[2].

وذهب المعتدلون من أهل اللغة إلى احترام قول السلف وتعظيمه في تفسير الطلح بالموز، فجعلوا للطلح معنيين، ما ورد عن السلف وما جاء في اللغة، وكلاهما محتملان:

قال الخليل – بعد ما ذكر معنى الطلح في اللغة -: « والطَّلْح في القرآن الْـمَوْز»[3].

وقال الزجاج: « والطلح جاء في التفسير : أنه شجر الموز ، والطلح : شجر أَمِّ غَيْلاَن أيضاً، وجائز أن يكون يعنى به ذلك الشجر لأن له نوراً طيب الرائحة جداً ،

---

(١) مجاز القرآن (٢ / ٢٥٠).

(٢) المحكم والمحيط الأعظم (٣ / ٢٤١)، وممن اقتصر على تفسير بشجر العضاه فقط: الجوهري في الصحاح (١ / ٣٨٧).

(٣) كتاب العين (٣ / ١٦٩)، ومثله منسوب إلى الليث، كما في تهذيب اللغة (٤ / ٢٢٢)، وممن فسره بالموز الفيروز آبادي في القاموس المحيط، (ص: ٢٩٦)، وكذلك جاء في المعجم الوسيط (٢/ ٥٦١) .

فخوطبوا ووعدوا بما يحبون مثله »[1].

وهذا المنهج أسلم المناهج وأولاها بالاتباع، وهو الذي سلكه جمهور المؤلفين في الغريب.

قال ابن قتيبة: ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴾ الطلحُ عند العرب: شجر من العِضاه عظامٌ؛ والعِضاهُ: كل شجر له شوك. ...وقال المفسرون: "الطَّلْحُ" هاهنا: الموز »[2].

وأحسن منه من جمع بين المعنيين:

كالسجستاني حيث يقول:« طلح: موز، والطلح أيضا شجر عظام، كثير الشوك»[3].

بل منهم من اقتصر على تفسير جمهور السلف [4].

واقتصر الراغب الأصفهاني على تفسيره بأنه شجر[5].

أما المفسرون فقد حكى كثير منهم القولين دون ترجيح[6]، واقتصر بعضهم على تفسيره بالموز[7]، ورجحه آخرون[8].

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١١٢).

(٢) غريب القرآن (ص: ٤٤٨)، ومثله في تفسير المشكل لمكي (ص: ٣٣٧) ونفس الصباح (٢/ ٦٩٣).

(٣) غريب القرآن (ص: ٣٢٠)، ومثله في التبيان (ص: ٤٠٦)، وفي تحفة الأريب (ص: ٧٦).

(٤) كالمارديني في بهجة الأريب (ص: ٢٣٠)، والغزنوي في إيجاز البيان (٢/ ٧٩٥).

(٥) مفردات القرآن (١/ ٥٢٢)، وكأنه تبع في هذا ابن فارس فقد قال في المقاييس (٣/ ٤١٨): الطلح: شجر معروف.

(٦) انظر: الكشاف (٤/ ٤٦١)، والنكت والعيون (٥/ ٤٥٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٢٠٨)، تفسير ابن كثير (٧/ ٥٢٦).

(٧) كالواحدي في الوجيز (١/ ١٠٦٠)، والرازي في التفسير الكبير (٩/ ٤٠٥)، والنسفي في تفسيره (٣/ ٣٩١)، والجلال السيوطي في تفسير الجلالين (ص: ٧١٤)، والصابوني في صفوة التفاسير (٣/ ٢٩٩).

(٨) كالسمعاني في تفسير (٥/ ٣٤٨) وابن عادل في اللباب (١٨/ ٣٩٧).

الترجيح:

الذي أميل إليه هو الجمع بين القولين؛ لأن كلا منهما منقول عن السلف[1]، ومعروف في لغة العرب؛ فيكون من ذكر الموز من السلف أراد التمثيل به لحسن نضده لا التخصيص[2].

ولا شك أن قول جمهور المفسرين من الصحابة والتابعين أقوى؛ لأن تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم[3].

(١) فتفسيره بالموز هو قول جمهور السلف كما تقدم، ونقل القول الآخر عن عبد الله بن حميد، والسدي، والحسن. انظر: تفسير البغوي (٨/ ١٢) والنكت والعيون (٥/ ٤٥٤) واللباب (١٨/ ٣٩٧).

(٢) كما أكد ذلك ابن القيم في حادي الأرواح (ص:١٣٦)، وزاد المعاد (٤/ ٣٣٧).

(٣) قواعد الترجيح (١/ ٢٧٥).

{ الصريم }

قال الله تعالى: ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ ﴾ القلم: ٢٠

في هذه المفردة القرآنية ذكر الإمام أبو جعفر الطبري اختلاف السلف في المراد بها[1]:

١- فقال بعضهم : عني به الليل الأسود ، وقال : معنى ذلك : فأصبحت جنتهم محترقة سوداء كسواد الليل المظلم البهيم، وروى هذا عن ابن عباس الذي استشهد بقول أبي عمرو بن العلاء:

أَلاَ بَكَرَتْ وَعَاذِلَتِي تَلُومُ ... تُهَجِّدُنِي وَمَا انْكَشَفَ الصَّرِيمُ [2]

وقوله أيضا :

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ الْجَوْنُ الْبَهِيمُ ... فَمَا يَنْجَابُ عَنْ صُبْحٍ صَرِيمُ

إِذَا مَا قُلْتَ أَقْشَعَ أَوْ تَنَاهَى ... جَرَتْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ غُيُومُ [3]

٢- وقال آخرون : بل معنى ذلك : فأصبحت كأرض تدعى الصريم معروفة بهذا الاسم. وروى هذا عن سعيد بن جبير[4].

---

(١) جامع البيان (٢٣/ ١٧٤ - ١٧٥)

(٢) نسب الطبري هذا البيت لأبي عمرو، قال محقق (جامع البيان/ ت: التركي): "نسب المؤلف البيت إلى أبي عمرو بن العلاء. ولعله يريد أنه مما أنشده أبو عمرو". وهو عبارة الزبيدي في التاج (٣٢/ ٤٩٩).

(٣) لم أجدهما منسوبين لقائل، وإنما عزوا إنشاد البيت الأول منهما إلى أبي عمرو، انظر: لسان العرب (١٢/ ٣٣٤)، وتاج العروس (٣٢/ ٤٩٩).

(٤) وأخرجه أيضاً عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره (٢ / ٣٠٩)، بلفظ "هي أرض باليمن يقال لها ضروان، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٢٥١) ونسبه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

الدراسة والتحليل:

لم يذكر الإمام الطبري في المراد بالصريم قولا آخر روي عن بعض السلف، وهو أن المراد بالصريم: المصروم، أي كأنها صرمت فلم يبق فيها ثمر.

قال ابن كثير: وقال الثوري، والسدي: مثل الزرع إذا حُصِد، أي هشيمًا يبسًا[1].

وقال قتادة في قوله ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾: كأنها قد صرمت[2].

وبالرجوع إلى مصادر اللغة العربية نجد أن مادة (صرم) يدل على معنى القطع[3]، يقال: صرمه يصرمه صرما: قطعه[4].

أما **الصريم** فإنه يطلق على معان عديدة كلها منطلقة من الأصل اللغوي الذي هو القطع.

فالصريم الليل، لانقطاعه عن النهار، والصريم النهار، أو الصبح، لانقطاعه عن الليل، فهو من الأضداد، والصَّريمة: قطعة من الرمل مُنْصرِمَةٌ عن سائرِ الرمْلِ، وأرض سوداء لا تنبت شيئاً[5].

وبكل من هذه المعاني فسّر الصريم المذكور في الآية.

واقتصر جمع من أصحاب الغريب على تفسيره بالليل؛ لأنها صارت سوداء لاحتراقها.

---

(١) تفسير ابن كثير (٨ / ١٩٦).

(٢) فتح الباري (٨/ ٦٦٢)، وانظر: الروايات التفسيرية في فتح الباري (٣/ ١٢٤٤).

(٣) مقاييس اللغة (٣ / ٣٤٤).

(٤) القاموس المحيط (ص: ١٤٥٧).

(٥) انظر: مقاييس اللغة (٣ / ٣٤٥)، والمحيط في اللغة (٨ / ١٤٠)، والمحكم والمحيط الأعظم (٨ / ٣٢١)، والقاموس المحيط (ص: ١٤٥٧ - ١٤٥٨)، و لسان العرب (١٢/ ٣٣٤)

قال الفراء: وقوله : ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ ، كالليل المسود[1].

وجمع بعضهم بين معنيين أو أكثر:

فقال أبو عبيدة: « ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾: انصرم فى الليل وهو الليل، وكل رملة انصرمت من معظم الرمل فهى الصريمة[2].

وقال ابن قتيبة: « ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ أي سوداءَ كالليل مُحْتَرِقَةً. و "الليل" هو: الصّريم؛ و "الصبح" أيضًا: صريم. لأن كل واحد منهما ينصرم من صاحبه. ويقال: "أصبحت وقد ذهب ما فيها من الثمر؛ فكأنه صُرِمَ" أي قُطِع وجُذَّ » [3].

وقال مكي بن أبي طالب: « ﴿كَالصَّرِيمِ﴾ أي: سوداء كالليل، وقيل مثل المصروم أي المقطوع » [4].

ومثله ذكر السجستاني، وابن الهائم [5].

وقال أبو حيان: « ﴿كَالصَّرِيمِ﴾ كالليل، وقيل كالصبح فهو مشترك[6].

كذلك فعل المفسرون حيث حكى كثيرون منهم هذه المعاني دون ترجيح.

قال الزمخشري: ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾: كالمصرومة لهلاك ثمرها. وقيل: الصريم الليل، أي احترقت فاسودت، وقيل: النهار أي : يبست وذهبت خضرتها . أو لم يبق

(١)معاني القرآن للفراء (٣/ ١٧٥)، وعلى هذا اقتصر الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٠٨)، ومكي في العمدة (ص: ٣١٠).

(٢) مجاز القرآن (٢ / ٢٦٥)، وعلى هذين المعنيين اقتصر الراغب في مفردات ألفاظ القرآن (١ / ٥٧٩).

(٣) غريب القرآن (ص: ٤٧٩)، وذكر مثل هذا المارديني في بهجة الأريب (ص: ٢٣٩)، والخزرجي في نفس الصباح (٢/ ٧٢٧).

(٤) تفسير المشكل (ص: ٣٥١).

(٥) انظر: غريب القرآن للسجستاني (ص: ٣٠٧)، التبيان في تفسير غريب القرآن (ص: ٤٢١).

(٦) تحفة الأريب (ص: ٧١).

شيء فيها ، وقيل الصريم الرمال[1].

وقال النسفي: « ﴿كَالصَّرِيمِ﴾ كالليل المظلم أي احترقت فاسودت، أو كالصبح أي صارت أرضاً بيضاء بلا شجر . وقيل : كالمصرومة أي كأنها صرمت لهلاك ثمرها»[2].

ومجمل الاقوال الواردة في تفسير {الصريم} خمسة أقوال:

١- كالليل المظلم [3].

٢- كالنهار بيضاء لا شيء فيها [4].

٣- كالمصروم الذي لم يبق فيه ثمر.

٤- أرض باليمن لا تنبت شيئاً [5].

٥- كالرماد الأسود [6].

الترجيح:

والذي يظهر - والعلم عند الله - أن هذا المعاني كلها متقاربة؛ لأن المعنى واحد وهو الإخبار عن هلاك هذه الجنة وعدم بقاء شيء منها، وسواء كان هلاكها

---

(١) الكشاف (٤/ ٥٩٤ - ٥٩٥).

(٢) تفسير النسفي (٣/ ٤٥٧).

(٣) وهذا قول ابن عباس، وعليه جماعة من أهل الغريب – كما سبق – ، وذهب إليه من المفسرين: السمرقندي في بحر العلوم (٣/ ٣٩٤)، والسعدي في تفسيره (٧/ ٤٤٩)، وانظر: المحرر الوجيز (٥/ ٣٤٩)، والبحر المحيط (٨/ ٣٠٦).

(٤) وهو صحيح في اللغة – كما تقدم – وممن نسب إليه في تفسير الآية: المبرد ؛ كما ذكره القرطبي في الجامع (٩/ ١٨/ ١٥٨)، وأبو حيان في البحر (٨/ ٣٠٦).

(٥) وهذا قول سعيد بن جبير – كما سبق –..

(٦) حكي هذا القول عن ابن عباس أيضاً، انظر: معالم التنزيل (٤/ ٣٥٠)، والمحرر الوجيز (١٨٨٥)، وزاد المسير (١٤٦٢).

بالاحتراق حتى أصبحت تشبه الليل المظلم، أو كان هلاكها أنها أصبحت لا فائدة فيها كالأرض التي في اليمن، أو كان هلاكها شبيه بالزرع المقطوع، أو شبيه بالرماد، فلا يختلف المعنى باختلاف التشبيه، كما أنها معان صحيحة ومعروفة للصريم في اللغة – كما تقدم –، والله تعالى أعلم.

وبهذا الوجه جمع الإمام الشاطبي[1] بين المعنيين المتضادين في هذه الكلمة أي تشبيهه بالليل وتشبيهه بالنهار، فقال: « ومثل ذلك[2] قوله: ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴾ فقيل: كالنهار بيضاء لا شيء فيها، وقيل: كالليل سوداء لا شيء فيها، فالمقصود شيء واحد وإن شبه بالمتضادين اللذين لا يتلاقيان »[3].

---

(١) **الشاطبي** هو: إبراهيم بن موسى بن محمد، أبو إسحاق اللخمي الغرناطي، الشهير بالشاطبي، من علماء المالكية، كان إماماً محققاً أصولياً مفسراً فقيهاً، توفي سنة (٧٩٠هـ). انظر: فهرس الفهارس (١ / ١٣٤)، ومعجم المؤلفين (١ / ٧٧).

(٢) أورد الإمام الشاطبي هذا الكلام في سياق بيانه : بأن من الخلاف ما لا يعتد به في الخلاف، ومن ذلك: أن يقع الخلاف في تنْزيل المعنى الواحد ؛ فيحمله قوم على المجاز –مثلاً–، وقوم على الحقيقة، والمطلوب أمر واحد، وذكر مثالين على ذلك، منها: هذا المثال . انظر: الموافقات (٥/ ٢١٠–٢١٦).

(٣) الموافقات (٥ / ٢١٥– ٢١٦).

حرد

قال تعالى: ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ القلم: ٢٥

في تفسير هذه الكلمة الغريبة ذكر الإمام أبو جعفر الطبري اختلاف المفسرين في معناها[١]:

١-فقال بعضهم: معناه: على قدرة في أنفسهم وجد. وروى هذا عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والحسن، وابن زيد.

٢- وقال آخرون : بل معنى ذلك : وغدوا على أمر قد أجمعوا عليه بينهم ، وأسسوه ، وأسروه في أنفسهم، وروى ذلك عن مجاهد أيضاً، وعكرمة.

٣- وقال آخرون : بل معنى ذلك : وغدوا على فاقة وحاجة، وأخرجه عن الحسن البصري.

٤- وقال آخرون : بل معنى ذلك : على حنق. وروى ذلك عن سفيان.

وكأن سفيان ذهب في تأويله هذا إلى مثل قول الأشهب بن رميلة :

أُسُودُ شَرًى لاَقَتْ أُسُودَ خَفِيَّةٍ تَسَاقَوْا عَلَى حَرْدٍ دِمَاءَ الأَسَاوِدِ[٢]

يعني : على غضب.

ثم قال: « وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة[٣] يتأول ذلك: وغدوا على منع ».

(١) جامع البيان – (٢٣ / ١٧٦ – ١٧٩)

(٢) البيت نسبه أبو عبيدة أيضاً – كما سيأتي – إلى الأشهب بن رميلة، وانظره منسوبا إليه في البيان (٢/ ٢٤٢)، والكامل (ص٣٣).

(٣) يقصد به أبا عبيدة كما سيأتي.

ويوجهه إلى أنه من قولهم : حاردت السنة إذا لم يكن فيها مطر ، وحاردت الناقة إذا لم يكن لها لبن ، كما قال الشاعر :

فإذَا ما حارَدَتْ أوْ بَكأَتْ فَتَّ عَنْ حاجِبِ أُخْرَى طِينْها[1].

وهذا قول لا نعلم له قائلا من متقدمي العلم قاله وإن كان له وجه ، فإذا كان ذلك كذلك ، وكان غير جائز عندنا أن يتعدى ما أجمعت عليه الحجة ، فما صح من الأقوال في ذلك إلا أحد الأقوال التي ذكرناها عن أهل العلم . وإذا كان ذلك كذلك ، وكان المعروف من معنى (الحرد) في كلام العرب القصد من قولهم : قد حرد فلان حرد فلان : إذا قصد قصده ؛ ومنه قول الراجز :

وَجَاءَ سَيْلٌ كَانَ مِنْ أَمْرِ الله يَحْرُدُ حَرْدَ الجَنَّةِ المُغِلَّةْ [2].

يعني : يقصد قصدها ، صح أن الذي هو أولى بتأويل الآية قول من قال : معنى قوله وغدوا على حرد قادرين وغدوا على أمر قد قصدوه واعتمدوه ، واستسروه بينهم، قادرين عليه في أنفسهم.

الدراسة والتحليل:

ذكر أصحاب المعاجم لمادة (حرد) معنيين أساسين هما:

القصد، والغضب؛ فحَرَدَ يَحْرِد بالكسر حَرْداً قصد، وحَرِدَ الرّجل حَرْداً غَضِبَ[3].

---

(١) سبق الكلام على هذا البيت ص (١٦٠).

(٢) لم أجده منسوبا، وهو من شواهد أبي عبيدة - كما سيأتي -، وانظره في الكامل (ص ٣٣)، ومقاييس اللغة (٢/ ٥١).

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٢/ ٥١)، وتهذيب اللغة (٤/ ٢٣٩)، والقاموس المحيط (ص: ٣٥٣)، ولسان العرب (٣/ ١٤٤).

كما ذكر بعضهم فيها معنى (المنع) [(١)].

وقد اختلف المفسرون فيه على المعاني التي ذكرها الإمام الطبري.

وأكثر أصحاب الغريب ذكروا في تفسير هذه الكلمة أكثر من معنى دون ترجيح:

فهذا أبو عبيدة ذكر المعاني الثلاثة كلها بقوله: «﴿ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴾ مجازها: على منع، بمعنى «حاردت الناقة» فلا لبن لها وعلى حرد أيضا على قصد ، قال الأول :

وَجَاءَ سَيْلٌ كَانَ مِنْ أَمْرِ الله ... يَحْرُدُ حَرْدَ الجَنَّةِ المُغِلَّةْ .

وقال آخر: على حرد: على غضب. قال الأشهب بن رميلة الذي كان يهاجي الفرزدق:

أُسُودُ شَرًى لاَقَتْ أُسُودَ خَفِيَّةٍ ... تَسَاقَوْا عَلَى حَرْدٍ دِمَاءَ الأَسَاوِدِ [(٢)]

واكتفى الفراء بمعنيين وقال:« على جدّ وقدرة في أنفسهم ، والحرد أيضا : القصد ، كما يقول الرجل للرجل: قد أقبلت قبلك ، وقصدت قصدك ، وحردت حردك ، وأنشدني بعضهم :

وَجَاءَ سَيْلٌ كَانَ مِنْ أَمْرِ الله ... يَحْرُدُ حَرْدَ الجَنَّةِ المُغِلَّةْ.

يريد: يقصد قصدها »[(٣)].

وذكر ابن قتيبة معنيي المنع، والقصد، ولعله نقلها عن أبي عبيدة[(٤)]، واقتصر عليهما أيضاً: السجستاني[(٥)].

---

(١) انظر: المصادر السابقة، إلا المقاييس، فلم يذكر هذا المعنى.

(٢) مجاز القرآن (٢ / ٢٦٥ - ٢٦٦).

(٣) معاني القرآن للفراء (٣ / ١٧٦).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص: ٤٧٩).

(٥) انظر : غريب القرآن (ص: ١٩٧)، وتبعه ابن الهائم في التبيان (ص: ٤٢٢).

وجمع الراغب بين معنيي المنع والغضب فقال: الحرد: المنع من حدة وغضب[1].

كذلك المفسرون؛ حكى أكثرهم هذه الأقوال كلها، بل زادوا عليها، لكن لم يرجحوا ولم يختاروا[2].

الترجيح:

رجح الطبري معنى (القصد)، وردّ ما نقله عن أبي عبيدة لعدم وروده عن السلف.

والذي يظهر لي هو حمل اللفظ على جميع معانيه؛ لصحتها في اللغة وعدم التناقض بينها.

وهذا الذي يفهم من صنيع كثير من أصحاب الغريب والتفسير؛ إذ أوردوا المعاني كلها في تفسير الكلمة دون اختيار منها – كما سبق –.

وقد نقل الأزهري عن ابن الأعرابي قال:" الحَرْدُ : القَصْدُ ، والحَرْدُ : المَنْعُ ، والحَرْدُ : الغَيْظُ ، والغَضَبُ ، قال : ويجوز أن هذا كله معنى قوله : ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾[3].

وهذا ما لوّح إليه الطاهر ابن عاشور، وأن في إيثار كلمة (حَرْد) في الآية نكتة من نكت الإِعجاز المتعلق بشرف اللفظ ورشاقته من حيث المعنى ، ومن جهة تعلق المجرور به بما يناسب كل معنى من معانيه[4].

(١) مفردات ألفاظ القرآن (١ / ٢٢٣).

(٢) انظر : الكشاف (٤ / ٥٩٥)، وتفسير السمعاني (٦/ ٢٥)، والتفسير الكبير (٣٠ / ٦١٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٢٤٣)، ، وتفسير ابن كثير (٨ / ١٩٦)، وتفسير الخازن (٧ / ١٣٤).

(٣) تهذيب اللغة (٤ / ٢٣٩).

(٤) التحرير والتنوير (٢٩ / ٨٤).

وثيابك فطهر

قال تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾ المدثر: ٤

في تفسير قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ ذكر الطبري اختلاف أهل التأويل فيه[1]:

١- فقال بعضهم : معنى ذلك : لا تلبس ثيابك على معصية ، ولا على غدرة، وروى ذلك عن ابن عباس، وعكرمة، والنخعي.

٢- وقال آخرون : بل معنى ذلك : لا تلبس ثيابك من مكسب غير طيب. وروى هذا عن ابن عباس أيضاً.

٢- وقال آخرون : بل معنى ذلك : أصلح عملك، وروى هذا عن مجاهد.

٣- وقال آخرون : بل معنى ذلك : اغسلها بالماء ، وطهرها من النجاسة، وروى ذلك عن محمد بن سيرين وابن زيد.

ثم قال: « وهذا القول الذي قاله ابن سيرين وابن زيد في ذلك أظهر معانيه ، والذي قاله ابن عباس وعكرمة ومن ذكرنا قوله عليه أكثر السلف من أنه عني به : جسمك فطهر من الذنوب ، والله أعلم بمراده من ذلك ».

الدراسة والتحليل:

لا خلاف بين أهل اللغة في كلمة الثياب، ولا في فعل الطهر، وإنما وقع الخلاف بين العلماء في المقصود بهذا التعبير، وهل المراد به الحقيقة أو المجاز.

فمجمل الأقوال الواردة عن السلف والمفسرين بعدهم في قولين:

١ - أن المراد بالثياب معناها الحقيقي، أي طهر ثيابك من النجاسات، ولا تلبسها إلا من كسب طيِّب.

(١) جامع البيان - (٢٣ / ٤٠٥ - ٤٠٩).

٢ – أن المراد بالثياب معناها المجازي، أي طهر نفسك وبدنك من المعاصي والآثام.

وإلى الثاني ذهب الجمهور، فهو مروي عن جمع من السلف – كما سبق –، وهو قول ابن قتيبة، قال: « ومنه قوله : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ أي طهّر نفسك من الذنوب ، فكنى عن الجسم بالثياب ، لأنّها تشتمل عليه »[١].

وذهب بعض المفسرين إلى حمل الثياب على معناها الحقيقي؛ فذهب البعض إلى أن المعنى: طهّرها من النجاسات، وهذا المعنى مروي عن محمد بن سيرين، وابن زيد، وهو الذي مال إليه الطبري، ووصفه بأظهر المعاني.

ويقول عنه السمعاني: « وهو قول مختار عند الفقهاء »[٢].

وذهب البعض الآخر إلى أن المعنى: لا تلبس ثيابك من مكسب غير طيّب، وهذا القول الثاني عن ابن عباس – رضي الله عنهما – .

أما أصحاب غريب القرآن ومعانيه، فحكى أكثرهم – على غير المعهود عنهم – أكثر هذه المعاني دون اختيار، كما فعله الفراء، قال: « يقول : لا تكن غادرا فتدنس ثيابك ، فإن الغادر دنس الثياب ، ويقال : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ ، وعملك فأصلح. وقال بعضهم : وثيابك فطهر : قصر ، فإن تقصير الثياب طهرة[٣].

وكذلك فعل الزجاج، وغيره[٤].

---

(١) تأويل مشكل القرآن (ص: ٩٢)، وذكر مثله تماماً في الغريب (ص:٤٩٥)، وعلى هذا المعنى اقتصر ابن اليزيدي في تفسير غريب القرآن (ص:٤٩٥)وابن الجوزي في تذكرة الأريب (٢ / ٢٥٤).

(٢) تفسير السمعاني (٦/ ٨٩).

(٣) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٠٠)، ونقله عنه السجستاني في غريب القرآن (ص: ١٧٢)، وتبعه ابن الهائم في التبيان (ص: ٤٣٤)، وكذلك حكى القولين غلام ثعلب في ياقوتة الصراط (ص:٥٤١)، والراغب في المفردات (١/ ٨٣).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥ / ٢٤٥)، ونفس الصباح (٢/ ٧٤١)، وبهجة الأريب (ص: ٢٤٩).

الترجيح:

الذي يظهر - والله أعلم - أن كلا المعنيين - الحقيقي والمجازي - محتمل، والآية تشمل جميع المعاني المذكورة.

قال ابن العربي: « ليس بممتنع أن تحمل الآية على عموم المراد فيها بالحقيقة والمجاز »[1].

وقال ابن عطية: « وهذا كله معنى قريب بعضه من بعض »[2].

وقال الأزهري: « وكلّ ما قيل في قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ فهو صحيح من جهة اللُّغة، ومعانيها متقاربة، والله أعلم بما أراد »[3].

وقال ابن القيم - بعد أن ذكر جملة من الأقوال -: « قلت:الآية تعم هذا كله، وتدل عليه بطريق التنبيه واللزوم »[4].

وقال ابن كثير - بعد أن ذكر الأقوال الواردة في معنى الآية -: « وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب؛ فإن العرب تطلق الثياب عليه »[5].

وقال ابن حجر - معقباً بعد إسهاب -: « ويجوز أن يكون المراد جميع ذلك »[6].

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ٣٤٠)، ونقله عنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٩ / ٦٥).

(٢) المحرر الوجيز (٥ / ٣٦٣).

(٣) تهذيب اللغة (٢ / ٢٩٦).

(٤) بدائع التفسير لابن القيم (٥/ ٥٧).

(٥) تفسير ابن كثير (٨ / ٢٦٣).

(٦) فتح الباري (٨/ ٥٤٧).

{برداً}

قال تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾﴾ النبأ: ٢٤

في تفسير هذه الآية يقول الإمام أبو جعفر الطبري: « وقوله : ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾﴾ يقول : لا يطعمون فيها بردا يبرد حر السعير عنهم ، إلا الغساق ، ولا شرابا يرويهم من شدة العطش الذي بهم إلا الحميم.

وقد زعم بعض أهل العلم بكلام العرب[1] أن البرد في هذا الموضع النوم، وأن معنى الكلام : لا يذوقون فيها نوما ولا شرابا ، واستشهد لقيله ذلك بقول الكندي :

بَرَدَتْ مَرَاشِفُها عَلَيَّ فَصَدَّني ... عَنْها وَعَنْ قُبُلاتِها البَرْدُ[2]

يعني بالبرد : النعاس.

والنوم إن كان يبرد غليل العطش ، فقيل له من أجل ذلك البرد ، فليس هو باسمه المعروف ، وتأويل كتاب الله على الأغلب من معروف كلام العرب ، دون غيره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل »[3].

الدراسة والتحليل:

لا خلاف بين أهل اللغة في أن البرد يطلق على النوم، فقد جعل ابن فارس لهذه المادة أربعة أصول ترجع الفروع إليها: وهي: خلاف الحَرّ، والسُّكون والثبوت، والملبوس، والاضطراب والحركة[4].

---

(١) يريد به أبا عبيدة – كما سيأتي نقل كلامه في ذلك –.

(٢) البيت لامرىء القيس الكندي كما في ديوانه (ص: ٢٣١).

(٣) جامع البيان (٢٤ / ٢٧).

(٤) مقاييس اللغة (١ / ٢٤١).

قالوا: وإنما يسمى النوم برداً؛ لما يعرض له من السكون، أو لما يعرض عليه من البرد في ظاهر جلده[1]، لأَنه يُبَرِّدُ العين بأَن يُقِرَّها[2].

أما تفسير البرد المذكور في هذه الآية بالنوم فهو محل خلاف بين المفسرين.

وتفسيره بالنوم هو قول جمهور اللغويين وأصحاب الغريب.

فهذا ابن فارس يقول – بعد ذكره الأصول الأربعة لمادة (برد) –: « وأما الأصل الآخر فالبرد النَّوم. قال الله تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾﴾[3].

وهو قول الصاحب بن عباد، والجوهري، والفيروزأبادي، وابن منظور، ذكروها قولاً واحداً[4]، وحكاه – دون جزم به– الخليل بن أحمد[5]، وابن دريد[6]، ونسب إلى الكسائي والأخفش، وقطرب، والفضل بن خالد، ومعاذ النحوي[7].

وممن ذهب إليه من أصحاب المعاني والغريب: أبو عبيدة – كما نقل عنه الطبري – قال: ﴿بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ –: نوما ولا شراباً [8].

واقتصر عليه أيضاً السجستاني، والراغب[9].

---

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (١ / ٨٠).

(٢) لسان العرب (٣ / ٨٢).

(٣) مقاييس اللغة (١ / ٢٣).

(٤) انظر: المحيط في اللغة (٩ / ٢٩٦)، والصحاح في اللغة (٢/ ٨)، وتهذيب اللغة (٤ / ٤٥٠)، والقاموس المحيط (ص: ٣٤١)، ولسان العرب (٣ / ٨٢).

(٥) قال في العين (٨ / ٣٠)، وقوله تعالى: (لايذوقون فيها بَرْداً ولا شَرابا) يقالُ: نَوْماً.

(٦) الاشتقاق (١ / ٤٧٨).

(٧) انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٤٢٦)، التفسير الكبير (٣١ / ١٤)، والبحر المحيط (٨/ ٤٠٥).

(٨) مجاز القرآن (٢ / ٢٨٢).

(٩) انظر: غريب القرآن (ص: ١٢٧)، والتبيان في تفسير غريب القرآن (ص: ٤٤٥)، ومفردات ألفاظ القرآن (١ / ٨٠).

وحكى بعضهم القولين: كالفراء، وابن قتيبة[١].

قال الفراء: « وإن النوم ليبرد صاحبه. وإن العطشان لينام فيبرد بالنوم ».

الترجيح:

رجح الإمام الطبري القول بأن البرد: البرد المعروف، أي: خلاف الحر، وردّ القول الآخر؛ لكون الأول أشهر في اللغة وأعرف منه، وتفسير كلام الله يكون بالمعروف الأغلب.

وممن وافق الطبري في هذا الترجيح والتعليل: فخر الدين الرازي؛ حيث يقول: « واعلم أن القول الأول أولى لأنه إذا أمكن حمل اللفظ على الحقيقة المشهورة فلا معنى لحمله على المجاز النادر الغريب »[٢].

وابن عاشور؛ حيث قال: « وعن مجاهد والسدّي وأبي عبيدة ونفر قليل تفسير البَرْد بالنوم وأنشدوا شاهدْين غير واضحين، وأيًّا مَّا كان فحمل الآية عليه تكلف لا داعي إليه »[٣].

والذي يظهر لي – والعلم عند الله – هو الجمع بين المعنين وحمل اللفظ عليهما؛ لصحتهما لغة، وورودهما عن السلف[٤].

وقد سلك مسلك الجمع غير واحد من العلماء، كالزجاج؛ قال – عند تفسير

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٢٨)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٥٠٩).

(٢) التفسير الكبير (٣١/ ١٤).

(٣) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٧).

(٤) فقد روي تفسير البرد بالنوم هنا عن مرة الطيب ومجاهد، كما ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره (٨/ ٣٠٧)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، ولم أجده فيه.

أما أثر مرة فأخرجه السيوطي في الدر المنثور (١٥/ ٢٠٥) قال: نوما الممتلئة..

الآية -: « قيل: نوماً، وجائز أن يكون: لا يذوقون فيها بردَ ريحٍ ولا ظلٍّ ولا نومٍ»[1].

قال الشوكاني – بعد نقل كلام الزجاج هذا -: « فجعل البرد يشمل هذه الأمور»[2].

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٧٣).

(٢) فتح القدير (٥/ ٥١٥).

الصمد

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢﴾ الإخلاص: ١ - ٢

في تفسير هذه الكلمة الغريبة بدأ الإمام الطبري بذكر اختلاف السلف فيها[١]:

١- فقال بعضهم : هو الذي ليس بأجوف ، ولا يأكل ولا يشرب.

وروى هذا عن ابن عباس، ومجاهد، والحسن، والشعبي، وعكرمة، والضحاك.

٢- وقال آخرون : هو الذي لا يخرج منه شيء. وأخرج ذلك عن عكرمة.

٣- وقال آخرون : هو الذي لم يلد ولم يولد. وروى ذلك عن الربيع، ومحمد بن كعب القرظي.

٤- وقال آخرون: هو السيد الذي قد انتهى سؤدده. وروى ذلك عن ابن عباس أيضاً.

٥- وقال آخرون : بل هو الباقي الذي لا يفنى. وروى ذلك عن الحسن وقتادة.

ثم قال أبو جعفر[٢]: "الصمد عند العرب : هو السيد الذي يصمد إليه ، الذي لا أحد فوقه ، وكذلك تسمي أشرافها ؛ ومنه قول الشاعر :

أَلاَ بَكَرَ النَّاعِي بِخَيْرَيْ بَنِي أَسَدْ ... بِعَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدْ[٣]

وقال الزبرقان :

---

(١) انظر: جامع البيان (٢٤ / ٧٣١ - ٧٣٦).

(٢) هذا الكلام منقول بنصه عن أبي عبيدة – كما سيأتي – لكن لم يشر له.

(٣) هذا البيت ورد فى الصحاح (٢/ ٦٥٢) منسوبا إلى سبرة ابن عمرو الأسدي، وفي الأغاني (١٩/ ٨٨) إلى نادية بني أسد.

.... وَلاَ رَهِينَةَ إِلاَّ سَيِّدٌ صَمَدُ[1]

فإذا كان ذلك كذلك ، فالذي هو أولى بتأويل الكلمة ، المعنى المعروف من كلام من نزل القرآن بلسانه ؛ ولو كان حديث ابن بريدة ، عن أبيه صحيحا، كان أولى الأقوال بالصحة ، لأن رسول الله ص أعلم بما عنى الله جل ثناؤه ، وبما أنزل عليه[2].

الدراسة والتحليل:

اتفق أصحاب المعاجم اللغوية على أن أصل مادة (صمد) يراد به القصد، يقال: صَمَدَه يَصْمِدُه صَمْداً وصَمَد إِليه كلاهما قَصَدَه وصَمَدَ صَمْدَ الأَمْر قَصَدَ قَصْدَه واعتمده وتَصَمَّد له بالعصا قَصَدَ[3].

قال ابن الأنباري: « قال أهل اللغة أجمعون لا اختلاف بينهم في ذلك الصمد عند العرب السيِّد الذي ليسَ فوقه أحد الذي يصمد إليه الناس في حوائجهم وأمورهم »[4].

أما معنى (الصمد) الذي وصف الله به نفسه هنا، فقد اختلف فيه أقوال السلف

---

(١) هذا عجز بيت صدره: **سيروا جميعا بنصف الليل واعتمدوا** ، كما جاء في: الزاهر لابن الأنباري (١ / ٧٩) وتفسير القرطبي (٢٠/ ٢٤٥) ، وقد نسبه الطبري و قبله أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢/ ٣١٦) إلى الزبرقان.

(٢) جامع البيان (٢٤ / ٧٣٧).

ويقصد به: ما أخرجه الطبراني في الكبير (٢/ ٢٢ ، رقم ١١٦٢) عن ابن بريدة عن أبيه رفعه قال: الصمد الذي لا جوف له، والحديث ضعيف قال الهيثمى (٧/ ١٤٤) : فيه صالح بن حبان ، وهو ضعيف. كذلك ضعفه الألباني في الجامع الصغير برقم (٧٩٩٧). وقال ابن كثير (٤/ ٦١٠): " غريب جداً ، والصحيح أنه موقوف على عبدالله بن بريدة ".

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٣/ ٣٠٩)، وتهذيب اللغة (٤/ ١٩٤)، ولسان العرب (٣/ ٢٥٨).

(٤)الزاهر فى معانى كلمات الناس (١ / ٧٩).

كما سبق في كلام الطبري، وذكر العلماء – من اللغويين والمفسرين – في معناها أكثر من عشرة أقوال [1]، لكن أهمها قولان:

القول الأول: أنه السيد الذي يُصْمَدُ إليه في الحوائج ، أو السيد الذي قد انتهى سؤدده ، وهذا مروي عن ابن عباس – كما سبق –، وهو قول جمهور أصحاب الغريب واللُّغويين [2].

قال أبو عبيدة : « هو الذي يُصْمَد إليه ، ليس فوقه أحد والعرب كذلك تسمِّي أشرافها » [3].

وقال ابن قتيبة:« ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ السَّيد الذي قد انتهى سُؤْدَدُه؛ لأن الناس يَصْمِدُونه في حوائجهم »[4].

واختار هذا القول – من المفسرين – الطبري؛ لأنه المعروف في كلام العرب [5]، وابن عطية والقرطبي لأن الاشتقاق يشهد له[6]، وقال الشوكاني: « أطبق عليه أهل اللغة وجمهور أهل التفسير » [7].

وقال الخطابي : « الصمد هو السيِّد ، الذي يُصمد إليه في الأمور ، ويقصد في الحوائج والنوازل ، وأصل الصمد : القصد ، يقال للرجل اصمد صَمْد فلان ، أي :

---

(١) انظر: النكت والعيون (٦ / ٣٧١).

(٢) سبق نقل كلام ابن الأنباري في اتفاق أهل اللغة عليه.

(٣) مجاز القرآن ٢/ ٣١٦..

(٤)غريب القرآن (ص: ٥٤٢)، وعلى هذا القول اقتصر: المارديني في بهجة الأريب (ص: ٢٨٠)، وأبو حيان في التحفة (ص: ٦٩)، ومكي في العمدة (ص: ٣٦٠).

(٥) جامع البيان (٢٤ / ٦٩٢).

(٦) انظر: المحرر الوجيز (٥ / ٥٠٢)، والجامع لأحكام القرآن (٢٠ / ٢٤٥).

(٧)فتح القدير (٥ / ٧٣٥)

اقصد قَصْده ، وجاء في التفسير : أن (الصمد) الذي قد انتهى سؤدده ، وقيل الصمد : الدائم، وقيل : الباقي بعد فناء الخلق ، وأصح هذه الوجوه ما شهد له معنى الاشتقاق ـ والله أعلم ـ »[1].

القول الثاني: أنه: الذي لا جوف له، وهذا قول أكثر السلف من الصحابة والتابعين – كما سبق – وحكاه طائفة من أهل اللغة والمفسرين.

وجمع عدد من أصحاب الغريب بين هذين المعنيين دون اختيار [2].

الترجيح:

والذي يظهر لي – والعلم عند الله – هو حمل الكلمة على جميع ما تصلح لها من المعاني، لأنّ التخصيص خلاف الأصل، قال ابن تيمية في تفسير ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾: «والاسم (الصمد) فيه للسلف أقوال متعددة قد يُظن أنها مختلفة وليس كذلك ،بل كلها صواب»[3].

وقد سبق شيخَ الإسلام في حمل الاسم الكريم على المعاني المذكورة كلِّها الزجاجُ؛ حيث قال – بعد أن ذكر بعض الأقوال في معنى الصّمد -: « وكلها تدل على وحدانيته ، وهذه الصفات كلها يجوز أن تكون لله عزّ وجل »[4] .

وقال ابن كثير : « وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب (السنة) له بعد إيراده كثيراً من هذه الأقوال في تفسير الصمد: وكلُّ هذه صحيحةٌ وهي صفات ربنا عز وجل هو الذي يصمد إليه في الحوائج وهو الذي قد انتهى سؤدده ، وهو الصمد

---

(١) شأن الدعاء (ص : ٨٥).

(٢) انظر: غريب القرآن للسجستاني (ص: ٣٠٨)، تفسير المشكل (ص: ٤٠٠) التبيان في تفسير غريب القرآن (ص: ٤٨٢).

(٣) مجموع الفتاوى (١٧/ ٢١٤).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٧٨).

الذي لا جوف له ، ولا يأكل ولا يشرب ، وهو الباقي بعد خلقه .. »[1] .

وهو ظاهر اختيار الشنقيطي حيث قال بعد أن ذكر الأقوال في معناه : « فالله- تعالى - هو السيد الذي هو وحده الملجأ عند الشدائد والحاجات ، وهو الذي تنَزه وتقدس وتعالى عن صفات المخلوقين ، كأكل الطعام ونحوه ، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً »[2] .

كما اختاره أيضاً ابن عاشور وقال - بعد أن ذكر القول الأول -: « وقد كثرت عبارات المفسرين من السلف في معنى الصّمد ، وكلها مندرجة تحت هذا المعنى الجامع »[3] .

(١) تفسير ابن كثير - (٨/ ٥٢٩).

(٢) أضواء البيان (٢/ ١٨٧).

(٣) التحرير والتنوير(٣٠/ ٢٢٦).

الفلق

قال تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١﴾ الفلق: ١

في تفسير هذه الكلمة الغريبة ذكر الإمام الطبري رحمه الله – على منهجه المطرد – اختلاف أهل التأويل في معناها[1]:

١- فقال بعضهم : هو سجن في جهنم يسمى هذا الاسم. وروى ذلك عن أبي هريرة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وابن عباس، والسدي.

٢- وقال آخرون : هو اسم من أسماء جهنم.

٣- وقال آخرون : الفلق : الصبح، وأخرج ذلك عن جابر، وابن عباس أيضاً، وسعيد بن جبير، والحسن البصري.

٤- وقال آخرون : الفلق : الخلق ، ومعنى الكلام : قل أعوذ برب الخلق، وروى ذلك عن عبد الرحمن بن زيد.

ثم قال: « والصواب من القول في ذلك ، أن يقال : إن الله جل ثناؤه أمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول : ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾. والفلق في كلام العرب : فلق الصبح ، تقول العرب : هو أبين من فلق الصبح ، ومن فرق الصبح . وجائز أن يكون في جهنم سجن اسمه فلق . وإذا كان ذلك كذلك ، ولم يكن جل ثناؤه وضع دلالة على أنه عني بقوله ﴿بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾. بعض ما يدعى الفلق دون بعض ، وكان الله تعالى ذكره رب كل ما خلق من شيء ، وجب أن يكون معنيا به كل ما اسمه الفلق ، إذ كان رب جميع ذلك » .

---

(١) جامع البيان (٢٤ / ٧٤١ - ٧٤٦).

الدراسة والتحليل:

لا خلاف بين اللغويين أن مادة (فلق) يدل على شق الشيء وإبانة بعضه عن بعض.. يقال: فَلَقَه يَفْلِقُه فَلْقاً شقه والتَّفْليقُ مثله وفَلَّقَهُ فانْفَلَقَ وتَفَلَّقَ، والفِلَقُ ماتَفَلَّق منه[١].

أما الفلق في الآية فاختلف فيه المفسرون على أقوال- كما ذكرها الطبري رحمه الله-.

وتفسيره بأنه فلق الصبح هو قول أصحاب الغريب، فقال به الفراء[٢]، وأبو عبيدة[٣]، وابن قتيبة[٤]، وغيرهم من أصحاب الغريب والتفسير[٥].

وتفسيره بالخَلْق كلّه، وكل ما انفلق من الحيوان والصبح والحب والنوى، هو الذي اختاره الزجاج، قال: « وإذا تأملت الخلق تبين لك أن خلقَه أكثَره عن انفلاق ، فالفلق جميع المخلوقات ، وفلق الصبح من ذلك »[٦].

الترجيح:

والذي يظهر لي – والعلم عند الله – أن تكون الآية عامة لجميع ما انفلق، وهو الذي رجحه الطبري رحمه الله – كما سبق –، وهو مؤدى قول الزجاج ومن قال بقوله.

---

(١) انظر: كتاب العين (٥ / ١٦٤)، الصحاح (٤/ ١٥٤٤)، مفردات القرآن (١/ ٦٤٥)، والقاموس المحيط (ص: ١١٨٦)، ولسان العرب (١٠/ ٣٠٩).

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ٣٠١).

(٣) مجاز القرآن(٢/ ٣١٧).

(٤) تفسير غريب القرآن(٥٤٣).

(٥) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٥/ ٣١٣)، ومعالم التنزيل(٤/ ٧٢٥)، التفسير الكبير(٣٢/ ١٧٥)، مجموع الفتاوى(١٧/ ٢٧٣)،فتح القدير(٥/ ٧٥٧).

(٦) معاني القرآن وإعرابه(٥/ ٧٩).

أما تفسيره بأنه سجن في جهنم، أو اسم من أسمائها، فكلها ضعيفة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « وأما من قال : إنه واد في جهنم أو شجرة في جهنم أو أنه اسم من أسماء جهنم ؛ فهذا أمر لا تعرف صحته لا بدلالة الاسم عليه ، ولا بنقل عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا في تخصيص ربوبيته بذلك حكمة ، بخلاف ما إذا قال : رب الخلق ، أو رب كل ما انفلق ، أو رب النور الذي يظهره على العباد بالنهار فإن في تخصيص هذا بالذكر ما يظهر به عظمة الرب المستعاذ به »[1].

(١) مجموع الفتاوى (١٧ / ٥٠٥).



الخاتمـــة

الخاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير البريات وبعد:

فمن خلال معايشتي لهذا الموضوع ، وبعد أن وفقني الله تعالى لإتمامه، أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها، سائلًا الله التوفيق والسداد -:

أولاً: أهم النتائج:

١- يعد علم غريب القرآن من أهم العلوم المتعلقة بتفسير كتاب الله وتوضيح معانيه، إذ هو النواة الأولى للتفسير.

٢- حظي علم غريب القرآن الكريم باهتمام العلماء منذ عصر الصحابة إلى يومنا هذا، وتنوعت مناهج المؤلفين في التأليف فيه، وفي تسمية كتبهم، وترتيبها ومعالجة مواد الغريب فيها.

٣- اعتنى المفسرون من خلال كتبهم بالغريب وتنوعت مناهجهم في دراسة الكلمات الغريبة وتناولها، وهذا الجانب مما لم يلق عناية واهتماماً لائقاً من الباحثين في الدراسات القرآنية.

٤- يعد الإمام الطبري – رحمه الله - من أبرز المفسرين المعتنين بتفسير المفردات الغريبة، وتناولها بالدراسة والتحليل.

٥- يفوق ما ذكره الطبري – رحمه الله - حول الكلمات الغريبة كثيراً من الكتب المصنفة في غريب القرآن.

٦- لكلام الإمام الطبري – رحمه الله - حول الكلمات الغريبة قيمة علمية كبيرة، نظراً لتبحر صاحبه في علوم العربية، وربما جاء بيانه لمعاني هذه المفردات أجود من بيان بعض أصحاب المعاجم اللغوية.

٧- تنوعت موارد الإمام الطبري – رحمه الله – ومصادره في الكلام على غريب القرآن، لكنه – مع ذلك – لم يكن مجرد ناقل، وإنما كان يقف مع ما ينقله موقف الناقد البصير.

٨- انتهج الإمام الطبري – رحمه الله – في التعامل مع الكلمات الغريبة منهجاً واضحا ودقيقاً، من حيث تحليل اللفظة تحليلاً معجمياً، وردها إلى اشتقاقها.

٩- تبين من خلال هذا البحث المنهج العام الذي انتهجه الطبري – رحمه الله – في التعامل مع مفردات الغريب؛ حيث لا يعدل عن عموم المفردة لكل معانيها المحتملة ما استطاع إلى ذلك سبيلا، إلا إذا تعذر الجمع فإنه يرجح ما يراه أو لى بتفسيرها، وعادته تقديم تفاسير السلف على كل تفسير، فكان هذا تبطبيقا عمليا لقواعد:

*** ألفاظ القرآن جوامع.**

*** الأصل حمل ألفاظ الوحي على العموم.**

*** تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم.**

١٠- من مواضع عرض الغريب عند الطبري – رحمه الله –: القراءات القرآنية الواردة في الكلمة؛ إذ يوجه كل قراءة، ويذكر معناها، ثم يختار بينها – إن اختار –، أو يجمع بينها.

١١- اعتمد الإمام الطبري – رحمه الله – في بيان الغريب وتفسيره على تفسير السلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم، وجعل ما يرد عنهم حجة في معنى اللفظ، ويندر أن يخرج عن مجموعها ، بل جعل الضابط للاعتماد على اللغة في تفسير الغريب هو أن لا يكون التفسير خارجاً عن قولهم.

١٢- أفاد الطبري – رحمه الله – في غريب القرآن ممن تقدمه من أهل اللغة من المصنفين في غريب القرآن ومعانيه، وعلى رأسهم: الفراء، وأبو عبيدة، فقد نقل عنهما جملة

من أقوالهما بالتصريح أو الإشارة أو دونهما.

١٣- تتنوع المادة العلمية التي نقلها الطبري – رحمه الله – عن هؤلاء اللغويين بين بيان المفردات، وكلامهم في الأوجه الإعرابية والأساليب النحوية، ويختلف ذلك قلة وكثرة من عالم لآخر؛ فغالب ما نقله عن أبي عبيدة في بيان المفردات وإيضاح معانيها والاستدلال عليها من أشعار العرب، بينما كان أغلب نقوله عن الفراء في المسائل النحوية، وإن أخذ ما يتعلق ببيان الكلمات الغريبة وما يخدم بيانها وتوضيحها جانباً كبيراً.

١٤- رغم رجوع الطبري – رحمه الله – لأقوال علماء اللغة وإفادته منها في شرح الغريب، إلا أنّ له قواعد ثابتة للتعامل معها؛ فلا يقبل من أقوالهم ما خالف أقوال السلف، بل ردّ بعض أقوالهم – ولها وجه في اللغة – لأنه لم يقل بها أحد من السلف.

١٥- للإمام الطبري – رحمه الله – مع الأقوال المتنوعة في تفسير الكلمات الغريبة مواقف مختلفة، ومناهج شتى، فقد اهتم بإبقاء الكلمات على عمومها، والجمع بين الأقوال التي ظاهرها الاختلاف وباطنها الاتفاق، ما دام أصل اللفظ اللغوي يحتملها.

١٦- مما امتاز به منهج الطبري – رحمه الله – في تناول الكلمات الغريبة ودراستها: الترجيح – عند عدم إمكانية الجمع- بين الأقوال المختلفة في شرح الغريب، ويكون ترجيحه بقرائن عديدة، وضوابط وقواعد عامة.

١٧- يستشهد الإمام الطبري – رحمه الله – على تفسيره للغريب بأدلة وشواهد عديدة أهمها: القرآن الكريم، والسنة النبوية، وأقوال السلف، وأشعار العرب.

١٨- تعتبر الشواهد الشعرية من أكثر الشواهد التي استشهد بها الطبري – رحمه الله – على تفسير معاني الكلمات الغريبة، وشرح المفردات وفي شرح الأساليب النحوية

والبلاغية وغير ذلك، لكن شواهد الغريب فاقت جميع الشواهد الشعرية الأخرى.

١٩- اعتمد الطبري – رحمه الله – على الشاهد الشعري كثيراً في الاستدلال اللغوي على غريب القرآن؛ حتى زاد عنده عدد الشواهد الشعرية على الغريب، عن جميع المؤلفين في الغريب والمعاني، بل أضاف الطبري كثيراً من شواهد غريب القرآن لم يستعملها من قبله حتى من أصحاب الغريب.

٢٠- لا يكرر الإمام الطبري – رحمه الله تعالى – دراسة المفردات التي يدرسها، بل يحيل إلى الموضع الأول، وربما أضاف في الموضع اللاحق ما يقتضيه السياق، وفي ذلك كله دلالة على حسن تنظيمه وترتيبه لكتابه.

٢١- اتضح لي من خلال دراسة نماذج من الغريب عند الطبري قوة ترجيحاته واختياراته في تفسير الكلمات الغريبة غالباً، وذلك لما يبني عليه ترجيحاته من القواعد والضوابط والقرائن المتقنة.

٢٢- ظهر لي – بعد دراسة بعض النماذج – ترجيح غير ما رجحه الإمام الطبري – رحمه الله – فيها، استناداً إلى قواعد ترجيحية معروفة عند المفسرين.

٢٣- لم أجد في أكثر كتب التفاسير ما يقارب تفسير الطبري في جانب الاهتمام بالغريب، وتنوع منهجه في تناول المفردات القرآنية ودراستها.

٢٤- كان لدراسة الطبري – رحمه الله – للكلمات الغريبة أثر كبير فيمن ألف بعده في الغريب، أو التفسير.

ثانياً: التوصيات:

١- تفسير الإمام الطبري – رحمه الله – موسوعة علمية حوت كثيراً من العلوم؛ فأوصي الباحثين باستخراج هذه العلوم ودراستها دراسة تطبيقية مقارنة.

٢- أوصي الباحثين، والدارسين للتفسير، بالاهتمام بدراسة مواد الغريب عند المفسرين الذين يهتمون بالغريب في تفاسيرهم، وبيان مناهجهم في تناول الكلمات الغريبة، ومقارنة ذلك بمناهج المؤلفين في معاني القرآن وغريبه، وأبرز من اهتم بالغريب في تفسيره غير الإمام الطبري: القرطبي، وأبو حيان.

٣- أقترح أن تفرد رسالة علمية لدراسة كتب الغريب ومناهجها وسمات كل كتاب، دراسة مقارنة، ولو خُشي من طول البحث لكثرة المؤلفين فيؤخذُ مشروعاً علمياً يقَسَّمُ على الباحثين باعتبار القرون أو الطبقات أو غيرها.

٤- أوصي بالاهتمام بإخراج الكتب المؤلفة في الغريب التي لا تزال في عداد المخطوطة، وتحقيقها تحقيقا علمياً.

٥- أوصي بالاهتمام بالدراسات التطبيقية المقارنة لقواعد التفسير وأصوله من خلال كتب التفسير.

وختاماً: فإنّ الكمال لله وحده، والعصمة لمن عصمه الله، فما كان في هذا البحث من صواب فمن الله وحده، له المنة وله الفضل، وما كان فيه من خطأ أو زلل فمن نفسي والشيطان وأستغفر الله.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرا.



الفهارس

فِهْرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــــــــــــة	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾	الأنعام: ٧٠	١٢٨
﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾	الأنعام: ٧٣	٢٩٦
﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾	الأنعام: ٩٦	٢٥٦
﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾	الأنعام: ١٠٣	٢٠٠
﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾	الأنعام: ١١١	١٢٢، ٢٩١
﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾	الأنعام: ١٢٥	١٢٢
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾	الأنعام: ١٥٣	٨٤
﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾	الأعراف: ٤٥	١٧٤
﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾	الأعراف: ٥٤	٢٢٨
﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾	الأعراف: ١٥٧	٢٨٩
﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	الأعراف: ١٧١	٣٠٧
﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾	الأعراف: ١٧٢	٤٤١
﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾	الأعراف: ١٨٩	١٥٧
﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾	الأنفال: ٥٨	٣١٢
﴿حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾	الأنفال: ٦٤	٢٥٦
﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾﴾	التوبة: ٨	١١٦
﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾	التوبة: ١٠	١١٧

الآيـــــــــــــــــة	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَ﴾	يوسف: ٧٦	٤٠٧
﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾	يوسف: ٨٤	١٢٨
﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾	الرعد: ١٣	١٣٧
﴿أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾	الرعد: ٣١	٣٥٥
﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ﴾	الحجر: ٦٦	٣٢٩
﴿ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١ ٱللَّهِ﴾	إبراهيم: ١-٢	٢٠٢
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾	إبراهيم: ٤	٦٧
﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ﴾	إبراهيم: ٣٦	٢٦٦
﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ﴾	النحل: ٤٧	١٧٣
﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ٥٢﴾	النحل: ٥٢	١٣٩، ٢٥٩
﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾	النحل: ٦٢	٢٧٩
﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ٥﴾	الإسراء: ٥	٣٦٢
﴿كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾	الإسراء: ١٤	٢٥٩
﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾	الإسراء: ٣٦	٣٦٥
﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ﴾	الإسراء: ٤٤	١٩٩
﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ٤٧﴾	الإسراء: ٤٧	٣٧٠
﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨﴾	الإسراء: ٧٨	٤٥٣

الآيـــــــــــــــــــــــــة	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾	الشعراء: ١٥٤	٤٣٦
﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ ﴾	الشعراء: ١٨٥ - ١٨٦	٤٣٧
﴿ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ﴾	النمل:٤٤	٨٢
﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ﴾	القصص: ١٤	٢٣٠
﴿ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾	القصص: ٢٣	١٧٨
﴿ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾	القصص: ٢٩	١٨٥
﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾	القصص: ٨٥	٤٣٨
﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾	القصص: ٨٨	٤٤١
﴿ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ ﴾	العنكبوت: ٥	٤٤٣
﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾	العنكبوت	٤٤٣
﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ ﴾	الروم: ١٢	٣٠١
﴿ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ ﴾	سبأ: ٣٣	٤٠٢
﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾	فاطر: ١٢	٤٧٩
﴿ يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ ﴾	يس:١-٢	
﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ ﴾	يس: ٨	٤٤٨،١٢٤
﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴾	الصافات: ٧	٨٢
﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ ﴾	الصافات: ٩	٣٥٩،١٤٠
﴿ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴾	الصافات: ٥٥	٣١٣
﴿ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ ﴾	ص: ١٩	٢٩٠

الآيــــــــــــــــة	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ ﴾	ص: ٥٧	٤٥٣،١٥٥
﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا ﴾	الزمر: ١٧	٢١٤
﴿ لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾	الزمر: ٦٣	١١٨
﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾	الزمر: ٦٨	٣٠٠،٢٩٦
﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾	غافر: ٧	٢٤١،٢٣٦
﴿ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ ﴾	غافر: ٧١	٤٧٠،٤٥٢
﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾	فصلت: ١١	٢٢٧
﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ ﴾	الشورى: ٥	١٣٩
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾	الشورى: ١١	٢٣٢
﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾	الشورى:٥٢	٨٤
﴿ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ﴾	الزخرف: ١٣	٢٣٠
﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ ﴾	الزخرف: ٥٧	٤٦١
﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ ﴾	الزخرف: ٨٤	٢٠٣
﴿ أَن تَرْجُمُونِ ﴾	الدخان: ٢٠	١٥٥
﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ﴾	الجاثية: ١٤	٤٤٤
﴿ ۞ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾	الأحقاف: ٢١	٤٦٥
﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾	الفتح: ٨-٩	٢٨٥

الآيـــــــــــــــــــة	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾﴾	النبأ:٢٤	٤٩٧
﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾	النبأ: ٢٥	٤٥٣
﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾	النبأ: ٣٦	٢٥٧
﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾﴾	النازعات: ٢٣	٢٩١
﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾﴾	التكوير: ٥	٢٩١
﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾﴾	التكوير: ٦	٤٧٠
﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾	الغاشية: ٢٢	١٨٨
﴿نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾﴾	البلد: ٢٠	٣٨٥
﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾﴾	النصر: ١	٤٤٢
﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾	الإخلاص: ١-٢	٥٠١
﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾	الفلق: ١	٥٠٦،١٢٤
﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾﴾	الفلق: ٣	٤٥٣



فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

م	الحديـــــــــث	الراوي	الصفحة
١	"سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يأمر فيمن زنى ولم يحصن جلد مائة وتغريب عام"	زيد بن خالد الجهني	٧٥
٢	اللهم فقّهه في الدين، وعلّمه التأْوِيل"	عبد الله بن عباس	٦٩
٣	" أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه"	أبو هريرة	٧٤
٤	(أَهْلُ الجَنَّة مُرْدٌ)	ابن عباس	٨٢
٥	« تراصوا في الصفوف لا يتخللكم أولاد الحذف »	البراء	١١٧
٦	« إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب »	ابن عمر	١٢٩
٧	« لا تحل الصدقة لغني ، ولا لذي مرة سوي »	عبد الله بن عمرو بن العاص	١٢٩
٨	« أفضل الحج العج والثج »	أبو بكر الصديق	١٢٩
٩	« نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو أمنا ولا ننتفي من أبينا »	الأشعث بن قيس	١٣٧، ٣٦٥
١٠	« القرآن شافع مشفع وماحل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار »	عبد الله بن مسعود	١٣٧
١١	« من لم يجمع الصوم من الليل فلا صوم له »	حفصة بنت عمر	١٣٨
١٢	« أنا فرطكم على الحوض حتى تردوه »	سهل بن سعد	١٣٩
١٣	« إن الملائكة التي تحضره عند خروج نفسه ، تقول لنفسه : اخرجي إلى رحمة الله ورضوانه »	البراء بن عازب	١٥٩
١٤	« أتدرون فيم أنزلت هذه الآية : ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ طه: ١٢٤ ؟ أتدرون ما المعيشة الضنك ؟ " قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : عذاب الكافر في قبره ، والذي نفسي بيده إنه يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا ، أتدرون ما التنين ؟ تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة أرؤس ، ينفخون في جسمه ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة »	أبو هريرة	١٦١

م	الحديـــــــث	الراوي	الصفحة
١٥	« إني لبعقر حوضي أذود الناس عنه بعصاي »	ثوبان	١٧٨
١٦	قالت عائشة ك يا رسول الله إن لي جارين فإلى أيهما أهدي قال: « إلى أقربهما منك بابا»	عائشة	٢٦٧
١٧	« لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء »	أبو هريرة	٢٩٢
١٨	« الصور هو قرن ينفخ فيه »	عبد الله بن عمرو بن العاص	٢٩٦
١٩	« إن إسرافيل قد التقم الصور وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ »	أبو سعيد الخدري	٢٩٧
٢٠	« لو أن دلوا من غساق يهراق إلى الدنيا لأنتن أهل الدنيا »	أبو سعيد الخدري	٤٥٦
٢١	« أتدرون أي شيء الغساق ؟ قالوا : الله أعلم، قال : هو القيح الغليظ ، لو أن قطرة منه تهراق بالمغرب ، لأنتن أهل المشرق ، ولو تهراق بالمشرق ، لأنتن أهل المغرب »	عبد الله بن عمرو بن العاص	٤٥٦



فهرس الآثار



فهرس الأعلام المترجم لهم

م	اســـم العلـــــــــــــم	الصفحة
٦٨	عليّ بن حرب بن محمّد بن عليّ الطّائيّ	٣٤
٦٩	علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي الكسائي	١٦٧
٧٠	عليّ بن داوود بن يزيد القنطريّ	٣٤
٧١	عليّ بن سعيد بن مسروق الكنديّ	٣٥
٧٢	عليّ بن سهل بن قادم	٣٥
٧٣	علي بن عيسى أبو الحسن الرماني	٢٨٣
٧٤	عليّ بن مسلم بن سعيد، أبو الحسن الطّوسيّ	٣٥
٧٥	عليّ بن يوسف بن إبراهيم الشّيبانيّ	٥٢
٧٦	عمران بن موسى بن حيّان القزّاز	٣٥
٧٧	عمرو بن شرحبيل الهمداني، أبو ميسرة الكوفي	٣٢٢
٧٨	عمرو بن عليّ بن بحر بن كنيز	٣٥
٧٩	عيسى بن عثمان بن عيسى بن عبد الرّحمن النّهشليّ	٣٥
٨٠	الفضل بن الصّبّاح البغداديّ	٣٥
٨١	القاسم بن بشر بن أحمد بن معروف	٣٦
٨٢	كعب بن مالك بن أبي كعب عمرو بن القَيْن ، الأنصاري	٣٢٣
٨٣	لاحق بن حميد بن سعيد البصري، أبو مجْلز الدوسي	٣١٦
٨٤	مجاهد بن جَبْر المخزومي	١٣٠
٨٥	مجاهد بن موسى بن فرّوخ الخوارزميّ	٣٦
٨٦	محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي	٣٨٧
٨٧	محمّد بن إبراهيم بن بسّام	٣٦
٨٨	محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري	٢٠١
٨٩	محمّد بن إسحاق بن جعفر، أبو بكر الصّغاني	٣٦
٩٠	محمّد بن إسحاق بن خزيمة النّيسابوريّ	٥٢



فهرس الأبيات الشعرية

م	البيـــــــت		القائل	الصفحة
٢١	فلا تَحْرِمَنِّي نائِلاً عن جَنابَةٍ	فإنِّي امْرُؤٌ وَسْطَ القِبابِ غَرِيب	علقمة بن عبدة	٢٦٥
٢٢	رَمَى فَأَخْطَأَ وَالأَقْدَارُ غَالِبَةٌ	فَانْصَعْنَ وَالْوَيْلُ هِجِّيرَاهُ وَالْحَرْبُ	ذي الرمة	٢٧٠
٢٣	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أعطاكَ سُورَةً	تَرَى كلَّ مَلْكٍ دُونَها يَتَذَبْذَبُ	النابغة الذبياني	٢٩٨
٢٤	وَجَدْنَاهُمْ كَاذِبًا إِلُّهُمْ	وَذُو الإِلِّ وَالْعَهْدِ لاَ يَكْذِبُ	غير منسوب لقائل	٣٢
٢٥	غَيَّرَتْهُ الرِّيحُ تَسْفِي بِهِ	وهَزِيمٌ رَعْدُهُ وَاصِبٌ	حسان بن ثابت	٣٥٩
٢٦	وإنْ أتاكَ نَعِيّ فانْدُبَنَّ أبا	قَدْ كَادَ يَضطَلِعُ الأعْداءَ والخُطَبَا	أبو النجم	٤٠١
٢٧	هَمَمتُ وَلَمْ أَفعَلْ وكِدْتُ وليْتَني	تَرَكْتُ على عثمانَ تَبْكِي أقارِبُهُ	ضابئ بن الحارث البرجمي	٤٠٢
٢٨	خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ كَأَنَّمَا	خَفَاهُنَّ وَدْقٌ مِنْ عَشِيٍّ مُجَلِّبِ	امرؤ القيس	٤٠٦
٢٩	ورَهبًا مِنْ حَنْذِهِ أَنْ يَهْرَجَا		العجاج	١٨٩، ٣٤٢
٣٠	وَلَمْ تُعَوَّجْ رُحْمُ مَنْ تَعَوَّجَا		العجاج	٣٨٩
٣١	فَمَنْ بِعَقْوَتِهِ كَمَنْ بِنَجْوَتِهِ	وَالْمُسْتكِنُّ كَمَنْ يَمْشِي بِقِرْوَاحِ	أوس بن حجر	٣٣٣
٣٢	إذا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ يَكَدْ	رَسِيسُ الْهَوَى مِنْ حُبّ مَيَّةَ يَبْرَحُ	زيد الخيل	٤٠١
٣٣	ونحن على جَوانِبِها قُعُودٌ	نَغُضُّ الطَّرْفَ كالإِبِلِ القِمَاحِ	بشر بن أبي خازم الأسدي	٤٤٩
٣٤	وَرَأَيْتِ زَوْجَكِ فِي الْوَغَى	مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا	عبد الله بن الزبعري	٤٧٧
٣٥	قالَتْ قُتَيْلَةُ ما لِجِسمِكَ شاحِبا	وأرَى ثِيابَكَ بالِياتٍ هُمَّدَ	الأعشى	١١٦
٣٦	قوم يعالج قملا أبناؤهم	وسلاسلا أجدا وبابا مؤصدا	الأعشى	١٢٦
٣٧	واسْتَعْجَلُونا وكانُوا مِنْ صَحَابَتِنا	كَمَا تَعَجَّلَ فُرَّاطٌ لِوُرَّادِ	القطامي	١٣٨
٣٨	وأَنْتَ زَنِيمٌ نِيطَ فِي آلِ هاشِمٍ	كَمَا نِيطَ خَلْفَ الرَّاكِبِ القَدَحُ الفَرْدُ	حسان بن ثابت	١٤٥
٣٩	نبيٌّ يرى ما لا يرى الناسُ حولهُ	ويتلو كتابَ الله في كلّ مشهد	حسان بن ثابت	١٤٦
٤٠	وَالبَطْنُ ذُو عُكَنٍ خَمِيصٌ لَيِّنٌ	وَالنَّحْرُ تَنْفُجُهُ بِثَدْيٍ مُقْعَدِ	النابغة الذبياني	١٤٦
٤١	وَقَدْ سَلَبَتْ عَصَاكَ بَنُو تَمِيم	فَمَا تَدْرِي بأيّ عَصًا تَذُودُ	جرير	١٧٨
٤٢	صَادِيًا يَسْتَغِيثُ غَيْرَ مُغَاثٍ	وَلَقَدْ كَانَ عُصْرَةَ الْمَنْجُودِ	أبو يزيد الطائي	١٨٦، ٣٥٠
٤٣	تَخُبُّ إِلَى النُّعْمَانِ حَتَّى تَنالَهُ	فِدًى لكَ من رَبٍّ طَرِيفِي وَتَالِدِي	النابغة الذبياني	٢٠٤

م	البيـــــــــت		القائل	الصفحة
٤٤	طَالَ عَلَى رَسْمِ مَهْدَدٍ أَبَدُهُ	وَعَفَا وَاسْتَوَى بِهِ بَلَدُهْ	طرماح بن حكيم	٢٢٣
٤٥	أَتَيْتُ حُرَيْثًا زَائِرًا عَنْ جَنَابَةٍ	فَكَانَ حُرَيْثٌ فِي عَطَائِيَ جَامِدَا	الأعشى	٢٦٣
٤٦	وَكَمْ مِنْ مَاجِدٍ لَهُمُ كَرِيمٍ	وَمِنْ لَيْثٍ يُعَزَّزُ فِي النَّدِيِّ	علقمة بن عبدة	٢٨٥
٤٧	يَا وَيْحَ أَنْصَارِ الرَّسُولِ ورَهْطِهِ	بَعْدَ المُغَيَّبِ فِي سَوَاءِ المُلْحَدِ	حسان بن ثابت	٣١٢
٤٨	فإِنْ تُدْفِنُوا الدَّاءَ لا نُخْفِهِ	وإِنْ تَبْعَثُوا الحَرْبَ لا نَقْعُد	امرئ القيس الكندي	٤٠٠
٤٩	....	كَحَيةِ المَاءِ بَيْنَ الطَّيِّ وَالشِّيدِ	الشماخ	٤٢٢
٥٠	لا تَرْتَجِي حِينَ تُلاَقِي الذَائِدَا	أَسَبْعَةً لاَقَتْ مَعًا أَمْ وَاحِدَا	غير منسوب	٤٤٤
٥١	أُسُودُ شَرًى لاَقَتْ أُسُودَ خَفِيَّةٍ	تَسَاقَوْا عَلَى حَرْدٍ دِمَاءَ الأَسَاوِدِ	الأشهب بن رميلة	٤٩٠
٥٢	بَرَدَتْ مَرَاشِفُها عَلَيَّ فَصَدَّني	عَنْها وَعَنْ قُبُلاتِها البَرْدُ	امرى ء القيس الكندي	٤٩٧
٥٣	أَلاَ بَكَرَ النَّاعِي بِخَيْرَيْ بَنِي أَسَدْ	بِعَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدْ	نادية بني أسد	٥٠١
٥٤	....	وَلاَ رَهِينَةَ إِلاَّ سَيِّدٌ صَمَدُ	الزبرقان	٥٠٢
٥٥	فِي مِجْدَلٍ شُيِّدَ بُنْيانُه	يَزِل عَنْه ظُفُرُ الظَّافِرِ	الأعشى	٨٢
٥٦	جعلت عيب الأكرمين سكرا	....	الجندل بن المثنى	١٢٠
٥٧	....	وجعلت عين الحرور تسكر	غير منسوب لقائل	١٢٠
٥٨	باتت تناصي الفلك الدوارا		غير منسوب	١٣٣
٥٩	وَسَيْفِي كَالْعَقِيقَةِ فَهْوَ كِمْعِي	سِلاحِي، لا أَفَلَّ وَلا فُطَارَا	عنترة	١٣٩
٦٠	فَتَذَكَّرَا ثَقَلا رَثِيدًا، بَعْدَ مَا	أَلْقَتْ ذُكاءُ يَمِينَهَا فِي كافِرِ	لثعلبة بن صعير المازني	١٤٢
٦١	نَأْتِي النِّسَاءَ عَلَى أَطْهَارِهِنَّ وَلا	نَأْتِي النِّسَاءَ إِذَا أَكْبَرْنَ إِكْبَارَا	غير منسوب	١٤٤
٦٢	بَاتَتْ حَوَاطِبُ لَيْلَى يَلْتَمِسْنَ لَهَا	جَزْلَ الجِذَا غيرَ خَوَّارٍ وَلا دَعِرِ	تميم بن مقبل	١٨٥
٦٣	فَبَاتَ وَأَسْرَى الْقَوْمُ آخِرَ لَيْلِهِمْ	وَمَا كَانَ وقافًا بِغَيْرِ مُعَصَّرِ	لبيد	١٨٦، ٣٥٠
٦٤	فإِنْ تَسْأَلِينَا فِيمَ نَحْنُ فإِنَّنَا	عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الأنامِ المُسَحرِ	لبيد	١٨٧، ٣٧٠
٦٥	وأَهْلَكْنَ يومًا ربَّ كِنْدَة وابنَه	ورَبَّ مَعدٍّ ، بين خَبْتٍ وعَرْعَرِ	لبيد بن ربيعة	٢٠٤
٦٦	فَقُلْنَا أَسْلِمُوا إِنَّا أَخُوكُمْ	فَقَدْ بَرِئَتْ مِنَ الإِحَنِ الصُّدُورُ	العباس بن مِرْداس السُّلَمي	٢١٠

م	البيـــــــــــت		القائل	الصفحة
٦٧	أَبْلِغِ النُّعْمانَ عني مَألُكا	أنَّه قد طالَ حَبْسي وانتظاري	عدي بن زيد	٢٢٠
٦٨	رَأَتْ هَلَكًا بِنَجَافِ الْغَبِيطِ	فَكَادَتْ تَجُدُّ لِذَاكَ الْهِجَارَا	امرئ القيس	٢٧٠
٦٩	لَوْلا ابْنُ جَعْدَةَ لَمْ تُفْتَحْ قُهُنْدُزُكُمْ	وَلا خُرَاسَانَ حَتَّى يُنْفَخَ الصُّورُ	غير منسوب لقائل	٢٩٧
٧٠	فرُبَّ ذِي سُرَادِقٍ مَحْجُورِ	سُرْتُ إليه في أعالي السُّورِ	العجاج	٢٩٨
٧١	لَمْ يُحْرَمُوا حُسْنَ الْغِذَاءِ وَأُمُّهُمْ	دَحَقَتْ عَلَيْكَ بِنَاتِقٍ مِذْكَارِ	النابغة الذبياني	٣٠٧
٧٢	ضَرُوحٍ مَرُوحٍ تُتْبِعُ الْوُرْقَ بَعْدَما	يُعَرِّسْنَ شَكْوَى، آهَةً وَتَنَمَّرَا	النابغة الجعدي	٣٢٤
٧٣	لا يغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنٍ ولا وَصَبٍ	ولا يعَضُّ على شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ	الأعشى	٣٥٩
٧٤	وَمِنَّا الَّذِي لاقَى بِسَيْفِ مُحَمَّدٍ	فَجَاسَ بِهِ الأَعْدَاءُ عُرْضَ الْعَسَاكِرِ	حسان	٣٦٢
٧٥	فَلَمَّا رأى الحَجَّاجَ جَرَّدَ سَيْفَهُ	أَسَرَّ الحَرُورِيُّ الَّذِي كانَ أَضْمَرَا	الفرزدق	٤٠٢
٧٦	شادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلْـ	سًا فَلِلطَّيْرِ فِي ذُرَاهُ وُكُورُ	عدي بن زيد العبادي	٤٢٣
٧٧	إِذْ أُجَارِي الشَّيْطَانَ فِي سَنَنِ الْغَـ	يِّ وَمَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ	ابن الزبعري	٤٢٨
٧٨	وَقَدْ نَظَرْتُكُمُ أَعْشَاءَ صَادِرَةٍ	لِلْخِمْسِ طَالَ بِهَا حَوْزِي وَتَنْسَاسِي	الحطيئة	١٣٦
٧٩	حَتَّى إِذَا مَا اختارَهَا تكَرَّسَا		غير منسوب لقائل	١٧١، ٢٣٧
٨٠	قَدْ عَلِمَ الْقُدُّوسُ مَوْلَى الْقُدْسِ أَنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ أَوْلَى نَفْسِ بِمَعْدِنِ الْمُلْكِ الْقديمِ الْكِرْسِ		العجاج	٢٣٧
٨١	يَا صَاحِ، هَلْ تَعرِفُ رَسْمًا مُكْرَسَا؟	قَالَ: نَعَمْ، أَعْرِفُهُ! وَأَبْلَسَا	العجاج	٣٠١
٨٢	وحَضَرَتْ يومَ خَمِيسِ الأَخْمَاسْ	وفي الوجوهِ صُفْرَةٌ وإِبْلاسْ	العجاج	٣٠٣
٨٣	إلى ظُعُنٍ يَقْرِضْنَ أَجْوَازَ مُشْرِفٍ	شِمالا وعن أيمانِهِنَّ الفوارِسُ	ذو الرمة	٣٧٧
٨٤	تَبِيتُونَ فِي الْمَشْتَى مِلاءً بُطُونُكُمْ	وَجَارَاتُكُمْ غَرْثَى يَبِتْنَ خَمَائِصَا	الأعشى	١٤٦
٨٥	كادَتْ وكِدْتُ وتِلكَ خَيْرُ إِرادَةٍ	لَوْ عادَ مِنْ عَهْدِ الصَّبابَةِ ما مَضَى	غير منسوب لقائل	٤٠١
٨٦	يا ليتني فيها جذع	أخب فيها وأضع	دريد بن الصمة	١١٧
٨٧	يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْمُنَى لا تَنْفَعُ	هَلْ أَغْدُوَنْ يَوْمًا وَأَمْرِي مُجْمَعُ	غير منسوب	١٣٨

م	البيـــــــت		القائل	الصفحة
٨٨	أَبِيتُ عَلَى بَابِ الْقَوَافِي كَأَنَّمَا	أَذُودُ بِهَا سِرْبًا مِنَ الْوَحْشِ نزعا	سويد بن كراع	١٧٨
٨٩	أَقُولُ وَقَدْ قَطَعْنَ بِنَا شَرَوْرَى	سَوَامِدَ وَاسْتَوَيْنَ مِنَ الضَّجُوعِ	تميم بن مقبل	٢٢٢
٩٠	وَنُقْفِي وَلِيدَ الْحَيِّ: إِنْ كَانَ جَائِعًا	وَنُحْسِبُهُ: إِنْ كَانَ لَيْسَ بِجَائِعِ	غير منسوب	٢٥٩
٩١	....	سُورُ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالُ الْخُشَّعُ	جرير	٢٩٦
٩٢	وأَعْطانِيَ الْمَوْلَى عَلَى حِينَ فَقْرِهِ	إِذَا قَالَ أَبْصِرْ خَلَّتِي وَقُنُوعي	لبيد	٤١٦
٩٣	العبد حر إن قَنِعْ فاقنَعْ ولا تقنِعْ فما	والحر عبد إن قَنَعْ شيء يشين سوى الطمع	الشافعي	٤١٧
٩٤	وَعَضُّ زَمَانٍ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَع	مِنَ الْمَالِ إِلا مُسْحَتًا أَوْ مُجَلَّفُ	الفرزدق	١٣٦
٩٥	وَمِثْلُ الدُّمَى شُمُّ العَرَانِينِ ساكِنٌ	بِهِنَّ الْحَيَاءُ لا يُشِعْنَ التَّقَافِيا	النابغة الجعدي	١٣٧، ٣٦٥
٩٦	بَاتَ إِلَى أَرْطَاةِ حِقْفٍ أَحْقَفَا		العجاج	٤٦٦
٩٧	آبَ هَذَا اللَّيْلُ إِذْ غَسَقَا	....	عبيد الله بن قيس الرقيات	١٤٤، ٤٥٣
٩٨	يَنْتُقُ أَقْتَادَ الشَّلِيلِ نَتْقَا		العجاج	٣٠٩
٩٩	أَبْكِي لفَقْدِهُم بعَينٍ ثَرَّة	تَجْرِي مَسارِبُها بعينٍ غاسِق	شمر	٤٥٨
١٠٠	هتفت بطه في القتال فلم يجب	فخفت عليه أن يكون موائلا	متمم بن نويرة	١٣٤
١٠١	فَرْعُ نَبْعٍ يَهْتَزُّ فِي غُصُنِ المَجْـ	ـدِ غَزِيرُ النَّدَى شَدِيدُ المِحَالِ	الأعشى	١٣٧
١٠٢	ولَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لأَدْنَى مَعِيشَةٍ	كَفَانِي، ولم أطلُبْ، قليلٌ من المالِ	امرؤ القيس	١٤٢
١٠٣	لَمَّا وَرَدْنَ نَبِيًّا وَاسْتَتَبَّ لنا	مُسْحَنْفِرٌ كَخُطُوطِ السَّيْحِ مُنْسَحِلُ	القطامي	١٧٠
١٠٤	أَلِكْنِي إِلَى قَوْمِي السَّلامَ رِسَالَةً	بآيَةِ ما كَانُوا ضِعَافًا ولا عُزْلا	عمرو بن شأس	٢١٨
١٠٥	فَلَسْتُ لإِنْسِيٍّ وَلَكِنْ لِمَلأَكٍ	تَبَارَكَ من فَوْق السَّماوات مُرْسِلُهْ	غير منسوب	٢١٩
١٠٦	وغلامٌ أَرْسَلَتْه أُمُّه	بِأَلوكٍ فَبَذَلْنَا ما سَأَلْ	لبيد بن ربيعة	٢٢٠
١٠٧	وَنَتَقُوا أَحْلامَنَا الأَثَاقِلا		رؤبة بن العجاج	٣٠٨
١٠٨	أَتَقْتُلُنِي وَقَدْ شَعَفْتُ فُؤَادَهَا	كَمَا شَعَفَ المَهْنُوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي	امرؤ القيس	٣٤٨
١٠٩	وَتَيْمَاءَ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جِذْعَ نَخْلَةٍ	وَلاَ أُطُمًا إِلاَّ مَشِيدًا بِجَنْدَلِ	امرئ القيس	٤٢٢

م	البيـــــــــت		القائل	الصفحة
١٣١	إِذَا ما قُمْتُ أَرْحَلُها بِلَيْلٍ	تَأَوَّهُ آهَةَ الرَّجُلِ الحَزِينِ	المثقب العبدي	٣٢٣
١٣٢	وما صب رجلي في حديد مجاشع	مع القدر إلا حاجة لي أريدها	الفرزدق	١٢٢
١٣٣	....	فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومَ غَمَامُهَا	لبيد بن ربيعة	١٤٢
١٣٤	فإذَا ما حارَدَتْ أَوْ بَكأَتْ	فَتَّ عَنْ حاجِب أُخْرَى طِينْها	غير منسوب لقائل	١٦٠، ٤٩١
١٣٥	لله دَرُّ الغانِيات المُدَّهِ	سَبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ مِن تَأَلُّهِي	رؤبة بن العجاج	١٩٥
١٣٦	لاهت فما عرفت يوما بخارجة	يا ليتها خرجت حتى رأيناها	غير منسوب لقائل	٢٠٠
١٣٧	حَتَّى إِذَا يَئِسَ الرُّمَاةُ وَأَرْسَلُوا	غُضْفًا دَوَاجِنَ قَافِلاً أَعْصَامُهَا	لبيد بن ربيعة	٣٥٦
١٣٨	فَتَوَسَّطا عُرْضَ السَّرِيّ وَصَدَّعا	مَسْجُورَةً مُتَجاوِرًا قُلامُها	لبيد	٤٧١
١٣٩	فَلَهُمْ عِبَارَاتٌ عَلَيْهَا أَرْبَعٌ	قَدْ حُصِّلَتْ لِلْفَارِسِ الطَّعَّانِ	ابن قيم الجوزية	٢٢٧
	وَهِيَ اسْتَقَرَّ وَقَدْ عَلَا وَكَذَلِكَ ارْ	تَفَعَ الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانِ		
	وَكَذَاكَ قَدْ صَعِدَ الَّذِي هُوَ رَابِعٌ	وَأَبُو عُبَيْدَةَ صَاحِبُ الشَّيْبَانِيِّ		
	يَخْتَارُ هَذَا الْقَوْلَ فِي تَفْسِيرِهِ	أَدْرَى مِنَ الْجَهْمِيِّ بِالْقُرْآنِ		
١٤٠	ففاءت ولم تقض الذي أقبلت له	ومن حاجة الإنسان ما ليس قاضيا	سحيم عبد بني الحسحاس	١٣٥



ثبْت المصادر والمراجع

(١) إبراز المعاني من حرز الأماني، للإمام عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة، ط، دار الكتب العلمية، ت: إبراهيم عطوه عوض.

(٢) إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر، تأليف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية - لبنان، ت: أنس مهرة.

(٣) الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي، ت: مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد ١٤٢٦هـ.

(٤) أحكام القرآن للكيا الهراسى، ط١، ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية – بيروت، ت: عدد من العلماء.

(٥) أحكام القرآن، تأليف: أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ١٤٠٥هـ، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي.

(٦) أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة(١٤٠٨هـ).

(٧) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، تأليف الإمام: محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٨) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ط٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، المكتب الإسلامي – بيروت.

(٩) أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، نشر: دار الفكر، سنة (١٣٩٩هـ).

(١٠) استدراكات ابن عطية في المحرر الوجيز على الطبري في جامع البيان، عرضاً ودراسةً. تأليف: أ.د. شايع بن عبده بن شايع الأسمري، ط١، ١٤٢٧هـ، عمادة البحث العلمي –بالجامعة الإسلامية.

(١١) الإستيعاب في معرفة الأصحاب، للإمام الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري، دار الأعلام، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ت: عادل مرشد.

(١٢) الأضداد ، لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت ، ت . محمد عودة أبو جري. مكتبة الثقافة الدينية .

(١٣) الأضداد، لابن الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل، نشر: دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، سنة(١٩٦٠م).

(١٤) الأضداد، لأبي حاتم السجستاني، تحقيق: د. محمد أبو جرى، ط ١٤١٤هـ، مكتبة الثقافة الدينية – مصر.

(١٥) الأضداد، للأصمعي، نشره أوغست هفنر، (ضمن ثلاثة كتب في الأضداد)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩١٢م، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

(١٦) أضواء البيان، تأليف الشيخ العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، الطبعة : ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

(١٧) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. التاسعة، ١٣٩٣هـ.

(١٨) إعراب القرآن، للإمام: أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، ط: دار عالم الكتب، ١٤٠٩هـ– ١٩٨٨م، تحقيق د.زهير غازي زاهد.

(١٩) إعراب القرآن، لمحيي الدين الدرويش، دار اليمامة ودار ابن كثير ط٤، ١٤١٥هـ.

(٢٠) الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، تأليف: خير الدين بن محمود الزركلي، ط١٥، مايو ٢٠٠٢ م. دار العلم للملايين.

(٢١) أقوال أبي عبيدة في تفسير الطبري. إعداد: د. بدر بن ناصر بن بدر البدر، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٢٢) أقوال الفراء وموقف الطبري منها في تفسيره - جمعا ودراسة وموازنة (رسالة دكتوراه غير منشور) الباحث/ عبدالله بن أسعد الظلمي، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٢٣) الإمام الطبري ، شيخ المفسرين وعمدة المؤرخين ومقدم الفقهاء المحدثين صاحب المذهب الجريري . للدكتور محمد الزحيلي . دار دمشق ١٤٢٠هـ ، ضمن سلسلة أعلام المسلمين ٣٣.

(٢٤) إمام المفسرين والمحدثين والمؤرخين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : سيرته ـ عقيدته ـ ومؤلفاته ، للشيخ علي بن عبدالعزيز بن علي الشبل ١٤١٧هـ .

(٢٥) إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، لأبي البقاء العكبري، ط١، ١٤٢٣هـ، المكتبة العصرية-بيروت.

(٢٦) إنباه الرواة على أنباء النحاة، لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة(١٤٠٦هـ).

(٢٧) الأنساب، لأبي سعد عبدالكريم بن مجمد بن منصور السمعاني، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، نشر: مكتبة عباس أحمد الباز، مكة المكرمة، ودار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة(١٤١٩هـ).

(٢٨) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (تفسير البيضاوي) تأليف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م. دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

(٢٩) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، لإسماعيل باشا البغدادي – نشر : دار الفكر : ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م

(٣٠) الإيضاح في علل النحو، للزجاجي، بتحقيق الدكتور مازن المبارك، دار النفائس، بيروت ١٤٠٢هـ.

(٣١) بحر العلوم، للإمام: أبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، دار الفكر – بيروت، ت: د.محمود مطرجي.

(٣٢) البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية، لبنان – بيروت – ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١ م، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: ١) د.زكريا عبد المجيد النوقي، ٢) د.أحمد النجولي الجمل.

(٣٣) البحر المديد تأليف: أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٣٤) البداية والنهاية، للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ت: الدكتور عبد الله التركي، دار هجر، ط١، ١٤١٩هـ.

(٣٥) بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، جمعه ووثق نصوصه: يسري السيد محمد، نشر: دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، سنة (١٤١٤هـ).

(٣٦) بدائع الفوائد، للإمام: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، ت: هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي - أشرف أحمد الج.

(٣٧) البرهان في علوم القرآن، للإمام: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، دار المعرفة - بيروت ، ١٣٩١هـ، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٣٨) بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب العلمية.

(٣٩) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط٢، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م

(٤٠) بلدان الخلافة الشرقية: كي لسترنج - ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد. طبع: مؤسسة الرسالة - بيروت ط٢ عام ١٤٠٥هـ.

(٤١) البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة، تأليف: محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، ط١، جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت - ١٤٠٧هـ، ت: محمد المصري.

(٤٢) بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب- علي بن عثمان التركماني-مكتبة المنار- الزرقاء- الأردن-١٤١٠هـ-١٩٩٠م ، تحقيق: علي حسين البواب.

(٤٣) تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، طبعة حكومة الكويت ، ت: مجموعة من المحققين.

(٤٤) تاريخ التراث العربي: للدكتور فؤاد سزكين - ترجمة: محمود حجازي. نشر وطبع: جامعة الإمام محمد بن سعود- الرياض عام ١٤٠٣-١٤٠٤هـ

(٤٥) تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار المعارف، مصر، ط٢، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٤٦) تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، للقاضي أبي المحاسن التنوخي المعرّي، ط ١، إدارة الثقافة والنشر في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ت: الدكتور عبد الفتاح الحلو .

(٤٧) تاريخ جرجان لحمزة بن يوسف أبو القاسم الجرجاني المتوفى سنة (٣٤٥ هـ)- تحقيق: محمد عبد المعيد خان- عالم الكتب- بيروت- الطبعة الثالثة- ١٤٠١ هـ- ١٩٨١م.

(٤٨) تاريخ مدينة السلام (بغداد) وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها وواردها، للإمام: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، دار الغرب الإسلامي، ت: د. بشار عواد معروف،

(٤٩) تأويل مشكل القرآن،للإمام: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١، ١٤٢٣ه، دار الكتب العلمية - بيروت.

(٥٠) التبصرة في القراءات السبع- أبو محمد مكي بن أبي طالب- الدار السلفية- بومباي- الهند، ط٢، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

(٥١) التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء محب الدين عبدالله بن أبي عبدالله الحسين بن أبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري، إحياء الكتب العربية، تحقيق : علي محمد البجاوى.

(٥٢) التبيان في أقسام القرآن، للإمام محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الفكر.

(٥٣) التبيان في تفسير غريب القرآن. تأليف: شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، ط١، ١٩٩٢م، دار الصحابة للتراث بطنطا – القاهرة، ت: د.فتحي أنور الدابولي.

(٥٤) التبيان في تفسير غريب القرآن، للإمام: عبد الرحمن بن علي الجوزي، ط: ١، ١٤٠٧هـ تحقيق: د. علي حسين البواب، مكتبة المعارف ـ الرياض.

(٥٥) تحبير التيسير في القراءات العشر، لشمس الدين محمد بن محمد بن علي بن يوسف ابن الجزري، دار الفرقان - الأردن / عمان - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ط١، ت: د.أحمد محمد مفلح القضاة.

(٥٦) التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس - ١٩٨٤م.

(٥٧) تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب- أثير الدين أبو حيان الأندلسي- المكتب الإسلامي -بيروت- لبنان- دمشق- سوريا-١٤٠٣هـ-١٩٨٣م ط/ الأولى، تحقيق: سمير المجذوب.

(٥٨) تذكرة الأريب تفسير الغريب، لابن الجوزي، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، دار الكتب العلمية، ت: طارق فتحي السيد.

(٥٩) تذكرة الحفاظ، للإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات.

(٦٠) ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي للشيخ/ عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، دار الهجرة، الخبر المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ.

(٦١) التسهيل لعلوم التنزيل، للإمام الحافظ أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان، ت: عبد الرزاق المهدي.

(٦٢) تفسير ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله > والصحابة والتابعي، للإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب. ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة.

(٦٣) تفسير الجلالين: لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، دار الحديث، القاهرة، ط١.

(٦٤) تفسير القرآن العزيز لابن أبى زمنين، للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، الفاروق الحديثة – القاهرة، ت: حسين بن عكاشة، ومحمد بن مصطفى الكنز.

(٦٥) تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ، تحقيق: سامي سلامة.

(٦٦) تفسير القرآن الكريم (الفاتحة – البقرة) للشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ العثيمين الخيرية ، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٣هـ.

(٦٧) تفسير القرآن الكريم، لمحمد بن صالح العثيمين، (من سورة الحجرات إلى سورة الحديد) نشر: دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، سنة (١٤٢٣هـ).

(٦٨) تفسير القرآن، للإمام أبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، ط: دار الوطن – الرياض، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ت: ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم.

(٦٩) تفسير القرآن، للإمام: عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق د. مصطفى مسلم محمد، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م، مكتبة الرشد – الرياض.

(٧٠) التفسير القيم لابن القيم - جمعه محمد أويس الندوي - حققه محمد حامد الفقي - دار الكتب العلمية - بيروت – ط٣، ١٤٢٥هـ .

(٧١) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت – ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.

(٧٢) التفسير اللغوي للقرآن الكريم، د. مساعد بن سليمان الطيار، ط١، ١٤٢٢هـ، دار ابن الجوزي – الدمام.

(٧٣) تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، مطبعة مصطفي البابي الحلبي، القاهرة، ط٤، ١٣٩٠هـ.

(٧٤) تفسير المشكل من غريب القرآن - لمكيّ بن أبي طالب القيسيّ (ت٤٣٧هـ).
دراسة وتحقيق: هدى المرعشلي في رسالة ماجستير، وطبع في دار النور الإسلامي ببيروت، سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(٧٥) تفسير المشكل من غريب القرآن، لمكي بن أبي طالب – تحقيق: د.علي حسين البواب – نشر: مكتبة المعارف بالرياض: ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م .

(٧٦) التفسير المظهري، تأليف: محمد ثناء الله العثماني المظهري، دار إحياء التراث العربي، بيرو ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٧٧) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (١/ ١١٢)، د. وهبة الزحيلي، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م دار الفكر -.

(٧٨) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوى، - ط - السعادة - القاهرة - ١٣٩٣ هـ ،١٩٧٣ م.

(٧٩) تفسير غريب القرآن، لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، سنة(١٣٩٨هـ).

(٨٠) تفسير مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، ط١٤٢٤،١هـ - ٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت. تحقيق: أحمد فريد.

(٨١) التفسير والمفسرون، تأليف الدكتور/ محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة – القاهرة، ط٧، ٢٠٠٠م.

(٨٢) تقريب التهذيب، للحافظ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ط٣، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، دار الرشيد سوريا – حلب، ت: محمد عوامة.

(٨٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري - وزارة عموم الأوقاف والشئون الإسلامية - المغرب - ١٣٨٧هـ- ت: مجموعة من الباحثين.

(٨٤) تهذيب الأسماء واللغات للنووي . نشر : إدارة الطباعة المنيرية، ودار الكتب العلمية ببيروت.

(٨٥) تهذيب التهذيب، تصنيف الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر شهاب الدين العسقلاني، باعتناء إبراهيم الزيبق، وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة.

(٨٦) تهذيب الكمال، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، ط١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، مؤسسة الرسالة – بيروت، ت: د. بشار عواد معروف.

(٨٧) تهذيب اللغة، للأزهري، ط١، ١٤٢٢هـ، تحقيق: د/ رياض قاسم، دار المعرفة ـ بيروت.

(٨٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، ط١، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢ م، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة.

(٨٩) التيسير فى القراءات السبع للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

(٩٠) الثقات، لمحمد بن حبان البستي، طبع ونشر: وزارة المعارف العثمانية، حيدر آباد، تحت مراقبة: محمد عبدالمعيد خان.

(٩١) جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري، طبعة: دار هجر. الطبعة: الأولى، تحقيق : د / عبد الله بن عبد المحسن التركي.

(٩٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري، ط: ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م. مؤسسة الرسالة، تحقيق وتعليق: محمود محمد شاكر، تخريج: أحمد محمد شاكر.

(٩٣) الجامع الصحيح سنن الترمذي، للإمام محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

(٩٤) الجامع الصحيح، للإمام: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ت: د. مصطفى ديب البغا.

(٩٥) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، دار عالم الكتب – الرياض، ١٤٢٣ هـ-٢٠٠٣ م. ت: هشام سمير البخاري.

(٩٦) الجرح والتعديل، للإمام الحافظ عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد دكن، ط ١، ١٣٧١هـ-١٩٥٢م

(٩٧) جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، تحقيق: خليل شرف الدين، نشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، سنة (١٤٢٠هـ).

(٩٨) جمهرة اللغة، لمحمد بن الحسن بن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، نشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٩٨٧م).

(٩٩) جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، د. عبد العزيز صالح الطويان مكتبة العبيكان الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

(١٠٠) الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي)، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

(١٠١) حاشية ابن التمجيد على تفسير الإمام البيضاوي، لمصلح الدين مصطفى بن إبراهيم الرومي الحنفي، مطبوع مع حاشية القونوي، ط١، ٤٢٢هـ-٢٠٠١م، دار الكتب العلمية، ضبطه وصححه وخرج أحاديثه: عبد الله محمود محمد عمر.

(١٠٢) حاشية الشهاب على البيضاوي، المساة عناية القاضي وكفاية الراضي، للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ت: عبد الرزاق المهدي.

(١٠٣) حاشية القونوي، عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي على تفسير البيضاوي، مطبوع مع حاشية ابن التمجيد، ط١، ٤٢٢هـ-٢٠٠١م، دار الكتب العلمية، ضبطه وصححه وخرج أحاديثه: عبد الله محمود محمد عمر.

(١٠٤) حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي: لمحمد بن مصلح الدين القوجوي الحنفي، ت: محمد عبد القادر شاهين ،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط١ - ١٤١٩هـ.

(١٠٥) الحجة في القراءات السبع، تأليف: الحسين بن أحمد بن خالويه، ط٤، ١٤٠١هـ، دار الشروق – بيروت، ت: د. عبد العال سالم مكرم،

(١٠٦) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تأليف: أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ط٤، ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي – بيروت

(١٠٧) خزانة الأدب وغاية الأرب، لتقي الدين أبي بكر علي بن عبدالله الحموي الأزراري، تحقيق: عصام شعيتو، نشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٩٨٧م).

(١٠٨) خزانة الأدب، لعبدالقادر البغدادي، تحقيق: عبدالسلام هارون، نشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة(١٩٨١م).

(١٠٩) الدر المصون في علم الكتاب المكنون، للإمام أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، دار القلم-دمشق، ت: د. أحمد محمد الخراط.

(١١٠) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تأليف: جلال الدين السيوطي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية- القاهرة-مصر-١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م ط١، ت: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية.

(١١١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تأليف: الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، مراقبة: محمد عبد المعيد ضان، ط٢. مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد ، الهند ، سنة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢ م.

(١١٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (صـ١٤١) تأليف الشيخ العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار عالم الفوائد- مكة المكرمة، ط١،

١٤٢٦هـ، طبع: مجمع الفقه الإسلامي، بإشراف الشيخ: بكر بن عبد الله أبو زيد، وقف: مؤسسة سليمان الراجحي الخيرية.

(١١٣) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لإبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون المالكي ت: د. محمد الأحمدي أبو النور- دار التراث.

(١١٤) ديوان حسان بن ثابت، تحقيق: عبدالرحمن البرقوقي، نشر: دار الأندلس، سنة(١٩٦٦م).

(١١٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للإمام: محمود شكري الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(١١٦) الروض المعطار في خبر الأقطار. محمد عبد المنعم الحميري، ط٢، ١٩٨٠م، مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت، ت: إحسان عباس.

(١١٧) زاد المسير في علم التفسير، تأليف الإمام: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط٣، ١٤٠٤هـ، المكتب الإسلامي – بيروت.

(١١٨) زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ط٢٧، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(١١٩) الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: د/ حاتم صالح الضامن، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤١٢هـ).

(١٢٠) زهرة التفاسير، الإمام الجليل / محمد أبو زهرة، -دار الفكر العربي.

(١٢١) السبعة في القراءات، لابن مجاهد (أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي)، ت: د. شوقي ضيف، ط١٤٠٠،٢هـ، دار المعارف - القاهرة.

(١٢٢) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربّنا الحكيم الخبير، للخطيب الشربيني: ط٢؛ بيروت: دار المعرفة.

(١٢٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف ـ الرياض، ط:١، ١٤٢١هـ.

(١٢٤) السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

(١٢٥) سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، دار الفكر – بيروت، ت: محمد فؤاد عبد الباقي.

(١٢٦) سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

(١٢٧) سنن الدارقطني، للإمام علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني، دار المعرفة – بيروت، ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م، تحقيق : السيد عبد الله هاشم يماني المدني.

(١٢٨) السنن الكبرى، لأحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: د/ عبدالغفار سليمان وآخرون، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، سنة(١٤١١هـ).

(١٢٩) السنن الكبرى، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، ت: محمد عبدالقادر عطا، ط١٤٢٠،١هـ، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(١٣٠) سؤالات الحاكم للدارقطني – تحقيق: د. موفق بن عبد الله بن عبد القادر – مكتبة المعارف – الرياض – الطبعة الأولى – ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

(١٣١) سير أعلام النبلاء للامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م مؤسسة الرسالة بيروت، أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه :شعيب الأرنؤوط.

(١٣٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تأليف: عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، دار بن كثير – دمشق. ت: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط.

(١٣٣) شعب الإيمان، للإمام: أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٠هـ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.

(١٣٤) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تأليف الإمام: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن قيم الجوزية، دار الفكر - بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ت: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي.

(١٣٥) الصاحبي في فقه اللغة العربية، تأليف: الإمام أبي الحسين أحمد بن فارس، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(١٣٦) الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار، دار العلم للملايين، ط٢، ١٣٩٩هـ.

(١٣٧) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تأليف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، ت: شعيب الأرنؤوط.

(١٣٨) صحيح الترغيب والترهيب، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف- الرياض.

(١٣٩) صحيح الجامع الصغير وزياداته. لمحمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط.الثالثة، سنة ١٤٠٨هـ.

(١٤٠) صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن حجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

(١٤١) صحيح وضعيف سنن أبي داود لمحمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

(١٤٢) صحيح وضعيف سنن الترمذي للألباني - المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤١١هـ - ١٩٩١م- إشراف / زهير الشاويش.

(١٤٣) صفوة التفاسير، تفسير للقرآن الكريم، تأليف: الشيخ محمد علي الصابوني، ط٩، دار الصابوني - القاهرة.

(١٤٤) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار العاصمة، الرياض، ط٣، ١٤١٨هـ، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله.

(١٤٥) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع : لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، دار الجيل ، بيروت .

(١٤٦) الطبري بقلم الدكتور أحمد محمد الحوفي . رقم الكتاب (١٣) من موسوعة أعلام العرب . نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٣ .

(١٤٧) طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل- دار الكتب العلمية - بيروت -لبنان- ١٤٠٣هـ ط/ الأولى.

(١٤٨) طبقات الشافعية الكبرى، تأليف: تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، ط ٢، ١٤١٣هـ، ت: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع.

(١٤٩) طبقات الشافعية، لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، تحقيق: د.الحافظ عبدالعليم خان، نشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٧هـ).

(١٥٠) طبقات الفقهاء، لأبي إسحاق الشيرازي، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان ط١، ١٩٧٠م. حققه وقدم له: د. إحسان عباس.

(١٥١) طبقات القراء ، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ت . الدكتور أحمد خان ، ط ١. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، السعودية سنة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .

(١٥٢) الطبقات الكبرى، لابن سعد، تحقيق: إحسان عباس، نشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٩٦٨م).

(١٥٣) طبقات المفسرين للسيوطي، تأليف الإمام: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط١٣٩٦،١هـ مكتبة وهبة – القاهرة .ت: علي محمد عمر

(١٥٤) طبقات المفسرين، تأليف: أحمد بن محمد الأدنه وي، ط١٩٩٧،١م، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ت: سليمان بن صالح الخزي.

(١٥٥) طبقات المفسرين، للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي ط٢، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، مكتبة وهبة – القاهرة، ت: علي محمد عمر.

(١٥٦) العبر في خبر من غبر، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ت: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت.

(١٥٧) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم - أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان- ١٤١٧هـ-١٩٩٦م ط/ الأولى، تحقيق: محمد باسل عيون السود.

(١٥٨) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تأليف: الإمام: بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، ضبطه وصححه: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية –بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

(١٥٩) العمدة في غريب القرآن، لمكي بن أبي طالب، تحقيق يوسف المرعشلي، ط. الأولى ١٤٠١هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت.

(١٦٠) غاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين أبي الخير محمد ابن الجزري، ت: ج . برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ٣، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

(١٦١) غرائب التفسير وعجائب التأويل، لمحمود بن حمزة الكرماني، تحقيق: شمران سركال العجلي، نشر: دار القبلة، جدة، ومؤسسة علوم القرآن، دمشق، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٨هـ).

(١٦٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تأليف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان -ت: الشيخ زكريا عميران.

(١٦٣) غريب الحديث، تأليف الإمام: حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، ط: جامعة أم القرى - مكة المكرمة ، ١٤٠٢هـ، ت: عبد الكريم إبراهيم العزباوي.

(١٦٤) غريب الحديث، للإمام: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد، مطبعة العاني – بغداد، ط١، ١٣٩٧هـ، تحقيق: د. عبد الله الجبوري.

(١٦٥) غريب القرآن بين كتابي المفردات للراغب الأصفهاني وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي موازنة ودراسة (رسالة ماجستير غير منشور)، مقدمة من الباحث/ محمد بن حمد المحيميد، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٤١١هـ.

(١٦٦) غريب القرآن، للإمام: أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ت: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

(١٦٧) الغريبين في القرآن والحديث، لأبي عبيد الهروي، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط الأولى ١٤١٩هـ، مكتبة نزار الباز - مكة المكرمة.

(١٦٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تعليق: الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ومحب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة بيروت – لبنان.

(١٦٩) فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير، للإمام محمد بن علي الشوكاني ت: سيّد إبراهيم - دار الحديث - القاهرة – ط١، ١٤١٣هـ.

(١٧٠) فقه اللغة وسر العربية : أبو منصور عبد الملك الثعالبي ، تحقيق : حمد وطاس، دار المعرفة ، بيروت، لبنان ، ط الأولى - ١٤٢٥هـ .

(١٧١) فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات (١/ ٥١٣). تأليف: عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط: ٢، ١٩٨٢م. ت: إحسان عباس.

(١٧٢) فهرسة ما رواه ابن خير عن شيوخه، لابن خير الإشبيلي – تحقيق : فرنسشكه قدراه وآخر – ط٢ – نشر مؤسسة الخانجي بمصر : ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

(١٧٣) الفهرست: لأبي الفرج محمد بن أبي يعقوب النديم المعروف بالوراق، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩٨هـ.

(١٧٤) القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط٦، ١٤١٩هـ.

(١٧٥) قواعد الترجيح عند المفسّرين للدكتور/ حسين بن علي الحربي، تقديم الشيخ/ مناع بن خليل القطان، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، دار القاسم – الرياض.

(١٧٦) قواعد التفسير جمعاً ودراسة، للدكتور/ خالد بن عثمان السبت، ط١، ١٤٢١هـ، دار ابن عفان – القاهرة.

(١٧٧) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، ط١، ١٤١٣هـ تقديم وتعليق: محمد عوَّامة، تخريج: أحمد الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ومؤسسة علوم القرآن.

(١٧٨) الكامل في اللغة والأدب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: حنا الفاخوري، نشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤١٧هـ).

(١٧٩) الكامل، لابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري، المتوفى سنة ٦٣٠هـ، دار صادر للطباعة والنشر/ بيروت، سنة ١٣٨٥هـ.

(١٨٠) كتاب العين، لأبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، نشر: دار ومكتبة الهلال، الجمهورية العراقية.

(١٨١) كتب الغريب بين حقيقة معنى الغريب وواقع التأليف. د. محمد كشاش، بحث منشور في مجلة التراث العربي الصادر عن اتحاد كتاب العرب – بدمشق، العددان (٧١-٧٢) ربيع الأول ١٤١٨هـ/ يوليو ١٩٩٨م.

(١٨٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف: أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ت: عبد الرزاق المهدي.

(١٨٣) الكشف والبيان، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، دار إحياء التراث العربي - بيروت – لبنان. ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م. ت: أبي محمد بن عاشور.

(١٨٤) الكليات للكفوي معجم في المصطلحات والفروق اللغوية تأليف: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. تحقيق : عدنان درويش - محمد المصري.

(١٨٥) لبّ اللّباب في تحرير الأنساب، تأليف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، مكتبة المثنى، بغداد.

(١٨٦) لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)، تأليف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م. دار الفكر - بيروت / لبنان.

(١٨٧) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩هـ -١٩٩٨م. ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض.

(١٨٨) لسان العرب تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط١ دار صادر – بيروت.

(١٨٩) لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، اعتنى به الشيخ: عبد الفتاح أبو غدة، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، دار البشائر الإسلامية - بيروت.

(١٩٠) المبسوط في القراءات العشر . لـ أبي بكر أحمد بن مهران الأصبهاني . ت : جمال الدين محمد شرف . دار الصحابة للتراث بطنطا . مصر - ١٤٢٤هـ ..

(١٩١) مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي - القاهرة.

(١٩٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تأليف: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر - بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ت: عبد الله محمد الدرويش.

(١٩٣) مجموع الفتاوى لـ شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية . جميع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. مجمع الملك فهد، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

(١٩٤) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين- دار الثريا- الرياض- السعودية-١٤١٤هـ -١٩٩٤م ط/ الثانية-جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان..

(١٩٥) محاسن التأويل (تفسير القاسمي) لجمال الدين القاسمي، ت: أحمد بن علي، حمدي صبح، دار الحديث – القاهرة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

(١٩٦) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني - تحقيق علي النجدي ناصف، د. عبدالحليم النجار، د. عبدالفتاح شلبي - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة – ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

(١٩٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط١، دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد.

(١٩٨) المحكم والمحيط الأعظم، تأليف: أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية، ت: عبد الحميد هنداوي.

(١٩٩) المحيط في اللغة، تأليف: الصاحب إسماعيل بن عباد، ت: محمد حسن آل ياسين، ط١٤١٤،١هـ - ١٩٩٤م، دار عالم الكتب.

(٢٠٠) مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، طبعة جديدة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م. تحقيق: محمود خاطر.

(٢٠١) مختصر الصواعق المرسلة - اختصار محمد بن الموصلي – ت: د. الحسن بن عبدالرحمن العلوي - مكتبة أضواء السلف - الرياض - الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ.

(٢٠٢) المخصص لابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي، ط١٤١٧،١هـ ١٩٩٦م، دار إحياء التراث العربي - بيروت -، ت: خليل إبراهم جفال.

(٢٠٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل . تأليف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، دار النفائس ـ بيروت، ت: مروان محمد الشعار، ط١، ١٤١٦هـ.

(٢٠٤) المزهر في علوم اللغة، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط١، ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية – بيروت، ت: فؤاد علي منصور.

(٢٠٥) المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

(٢٠٦) المسند، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، سنة (١٤٢٠هـ).

(٢٠٧) مشكلات موطأ مالك بن أنس، تأليف: عبد الله بن السيد البطليوسي، دار ابن حزم - لبنان / بيروت - ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، الطبعة : الأولى، تحقيق : طه بن علي بو سريح التونسي.

(٢٠٨) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تأليف: أحمد بن محمد الفيومي المتوفى سنة ٧٧٠هـ، بتصحيح مصطفى السقا، طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي، بمصر، في سنة ١٣٦٩هـ.

(٢٠٩) مُصنف ابن أبي شيبة، (أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي)، تحقيق: محمد عوامة، ط١، ١٤٢٧هـ، دار القبلة – جدة، مؤسسة علوم القرآن – دمشق.

(٢١٠) معاجم معاني ألفاظ القرآن الكريم أ.د . فوزي يوسف الهابط، بحث مقدم لندوة (عناية المملكة بالقرآن الكريم وعلومه) التي نظمها مجمع الملك فهد لطباعة المصحف بالمدينة المنورة في الفترة ٤ – ٧/ ٦/ ١٤٢١هـ.

(٢١١) معالم التنزيل، للإمام محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

(٢١٢) معاني ألفاظ القرآن الكريم للأستاذ الدكتور/ نبيل بن محمد الجوهري. بحث منشور في حولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا، العدد ١٥، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.

(٢١٣) معاني القرآن الكريم، للإمام أبي جعفر النحاس، ط١، ١٤٠٨هـ–١٩٩٨م، جامعة أم القرى – مكة المكرمة، تحقيق الشيخ: محمد علي الصابوني.

(٢١٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السَّري، ت: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٨هـ.

(٢١٥) معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السَّري الزجَّاج، تحقيق: عبدالجليل عبده شلبي، نشر: دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة(١٤٢٤هـ).

(٢١٦) معاني القرآن، للأخفش الأوسط، تحقيق: د/ هدى قراعة، مكتبة الخانجي ـ القاهرة (ط: ١) ١٤١١هـ..

(٢١٧) معاني القرآن، للإمام: أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، الدارالمصرية للتأليف والترجمة، ت: أحمد يوسف نجاتى / محمدعلى نجار / عبدالفتاح إسماعيل شلبى.

(٢١٨) معجم الأدباء، لياقوت الحموي الرومي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، تحقيق: د. إحسان عباس.

(٢١٩) المعجم الأوسط أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار الحرمين - القاهرة ، ١٤١٥هـ، ت: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.

(٢٢٠) معجم البلدان، تأليف: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، ط٢، ١٩٩٥م، دار صادر – بيروت.

(٢٢١) المعجم العربي، للدكتور/ حسين نصار، دار مصر للطباعة، ١٩٥٦م.

(٢٢٢) المعجم الكبير، للإمام: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، مكتبة العلوم والحكم- الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي.

(٢٢٣) معجم المطبوعات العربية والمعربة، ليوسف سركيس (٢/ ١٨٤٥) - مط . سركيس بمصر : ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م

(٢٢٤) معجم المعاجم - أحمد الشرقاوي إقبال - ط٢ - دار الغرب الإسلامي : ١٩٩٣م.

(٢٢٥) معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحديث، تأليف: عادل نويهض، ط ٣. مؤسسة نويهض الثقافية، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م .

(٢٢٦) معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية- عمر رضا كحالة-مكتبة المثنى- دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان.

(٢٢٧) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط٤، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، مكتبة الشروق الدولية.

(٢٢٨) معجم مصنفات القرآن الكريم - د . علي شواخ إسحاق - دار الرفاعي بالرياض – ط١، : ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

(٢٢٩) معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، دار الوطن للنشر – الرياض، ت: عادل بن يوسف العزازي.

(٢٣٠) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، ط١، ١٤٠٤هـ، مؤسسة الرسالة – بيروت، ت: بشار عواد معروف ، شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي عباس.

(٢٣١) مفتاح السعادة - لطاش كبرى زاده - تحقيق : كامل بكري - دار الكتب الحديثة بالقاهرة.

(٢٣٢) مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم، دار القلم – دمشق- سوريا-١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م ط:٣، ت: صفوان عادل داوودي.

(٢٣٣) مقاييس اللغة تأليف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت: عبد السلام محمد هارون - دار الجبيل - بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٢٣٤) :المنهج النقدي في تفسير الطبري أصوله ومقوماته للدكتور أحمد نصري، دار القلم – الرباط، الطبعة الأولى: ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

(٢٣٥) الموافقات، تصنيف: العلامة: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م. ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان.

(٢٣٦) الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، لجماعة من الباحثين - من إصدارات مجلة الحكمة - الأولى ١٤٢٤هـ..

(٢٣٧) الموطأ، لإمام دار الهجرة، مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، رواية يحي بن يحي الليثي، ت: د. بشار عواد معروف. ط٢، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، دار الغرب الإسلامي.

(٢٣٨) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة.

(٢٣٩) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغربي بردي، نسخة مصورة عن مطبعة دار الكتاب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة.

(٢٤٠) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تأليف: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ط١، مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٢٤١) نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم : نشر : دار نهضة مصر بالقاهرة.

(٢٤٢) النشر في القراءات العشر، لشمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري، أشرف على تصحيحه ومراجعته فضيلة الشيخ: علي محمد الضباع، دار الكتاب العلمية.

(٢٤٣) نصب الراية لأحاديث الهداية، تأليف: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي ت: محمد عوامة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر - بيروت – لبنان، دار القبلة للثقافة الإسلامية- جدة – السعودية، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٢٤٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم البقاعي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، ت: عبد الرزاق المهدي.

(٢٤٥) نفس الصباح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه، لأبي جعفر أحمد بن عبدالصمد بن عبدالحق الخزرجي .دراسة وتحقيق محمد عز الدين المعيار الإدريسي .ط/ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، عام ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م .

(٢٤٦) نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام- محمد بن علي الكرجي القصاب- دار ابن القيم- الدمام- السعودية- دار ابن عفان- القاهرة- مصر- ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م ط/ ١، تحقيق: د.علي بن غازي التويجري.

(٢٤٧) النكت والعيون، تأليف: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم.

(٢٤٨) نهاية الأرب في فنون الأدب، لشهاب الدين أحمد النويري، تحقيق: مفيد قمحية وآخرون، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة (١٤٢٤هـ).

(٢٤٩) النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزي، ابن الأثير، ت: محمود محمد الظناحي، وطاهر أحمد الزاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

(٢٥٠) نيل المرام شرح آيات الأحكام، تأليف: صديق حسن خان القنوجي البخاري، تحقيق : محمد حسن إسماعيل - أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية.

(٢٥١) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تأليف: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيرواني القرطبي، مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ.د : الشاهد البوشيخي، ط/ مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

(٢٥٢) هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين -إسماعيل باشا البغدادي- طبع بعناية وكالة المعارف – استنبول، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٥١م.

(٢٥٣) الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي، اعتناء هلموت ريتر وآخرون، نشر: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، سلسلة النشرات الإسلامية (٦)، الطبعة الثانية غير المنقحة، سنة(١٤١٢هـ).

(٢٥٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، ت: صفوان داوودي، دار القلم والدار الشامية، ط١، سنة ١٤١٥هـ.

(٢٥٥) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، دار صادر – بيروت، ت: إحسان عباس.



فِهْرس الموضوعات

الكلمة الغريبة	الآية التي وردت فيها	السورة ورقم الآية	الصفحة
حشر	﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾	الأنعام: ٣٨	٢٩٠
بلس	﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾	الأنعام: ٤٤	٣٠١
نتق	﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	الأعراف: ١٧١	٣٠٧
سواء	﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾	الأنفال: ٥٨	٣١٢
إلاًّ	﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾﴾	التوبة: ٨	١١٦
أواه	﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾	التوبة: ١١٤	٣٢٢
اقضوا	﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾	يونس: ٧١	٣٢٩
ننجيك	﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾	يونس: ٩٢	٣٣٦
ببدنك	﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾	يونس: ٩٢	٣٣٦
وأخبتوا	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾﴾	هود: ٢٣	٣٣٨
حنيذ	﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾	هود: ٦٩	٣٤٢
شغفها	﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾	يوسف: ٣٠	٣٤٥
يعصرون	﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾	يوسف: ٤٩	٣٥٠
ييأس	﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾	الرعد: ٣١	٣٥٥



الكلمة الغريبة	الآية التي وردت فيها	السورة ورقم الآية	الصفحة
يصدون	﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ٥٧﴾	الزخرف: ٥٧	٤٦١
الأحقاف	﴿۞ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ٢١﴾	الأحقاف: ٢١	٤٦٥
سجر	﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ٦﴾	الطور: ٦	٤٧٠
المرجان	﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ٢٢﴾	الرحمن: ٢٢	٤٧٦
طلح	﴿وَطَلۡحٍ مَّنضُودٍ ٢٩﴾	الواقعة: ٢٩	٤٨١
الصريم	﴿فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ٢٠﴾	القلم: ٢٠	٤٨٥
حرد	﴿وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٍ قَٰدِرِينَ ٢٥﴾	القلم: ٢٥	٤٩٠
الصمد	﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢﴾	الإخلاص: ١-٢	٥٠١
الفلق	﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١﴾	الفلق: ١	٥٠٦